دعوة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
والثقافة، بالمملكة المغربية

العدد الثالث السنة السادسة عشرة
ذو القعدة 1393 - دجنبر 1973

ثمن العدد:
درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية والثقافة
بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة السادسة عشرة
ذو القعدة 1393
دجنبر 1973
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة.الرباط.المغرب . الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

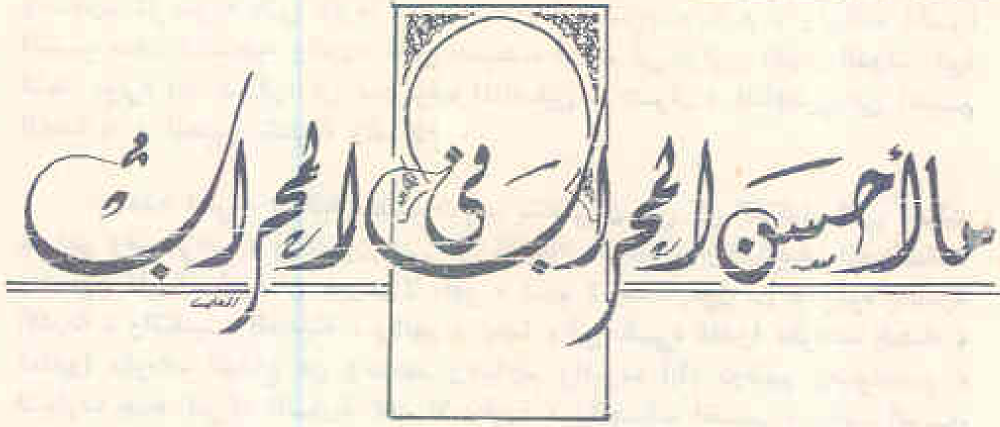
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة . الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ـ الرباط تليفون 10-308 ـ 03-327

كلمة العدد



« لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ...

ولكن الله الف بينهم ...

انـه عزيـز حكيـم ... »

تجلى اعجاز هذه الآية الكريمة ، وتالق سناها ومعناها ومبناها في شهر رمضان المعظم الذى كان انعطافة واضحـة المعالـم فى حاضر عالمنا الاسلامي ، وتحولا خطيرا فى حياة الامة العربيـة ، وانفتاحا متفائـلا فى مسيرة الشعوب المستضعفة المنكوبة المكروبة التى باتت تنشد اغاني الشرف ، واناشيد الحمية .. وسيظل يوم العاشر من شهر رمضان المعظم لهذا العـام يوما مشهودا فى تاريخ نضالنا ، ودليـلا على كفاحنـا الواصب ، واستشهادنـا المروع ، ونموذجـا فذا للعسكرية الرفيعـة ، ومثال الوطنيـة العاليـة التى تحمي السلام من استمرار العدوان عليه ، وتصون الحق من عبث العابثين به ...

واذا كانت امتنا العربية قد تلكا بها حظها العاثر طوال ست سنوات ، فظلت متعثرة الخطى ، منفصمة العرى ، مفككة الاوصال ، تسير فى ساقة الركب ، وتمشي كما يمشـي الوجـى الوجـل ، وتخطو ببطء باهظ كالمقيد فى الوحل ، وتنزو ـ احيانا ـ بين افرادها دواعي الشتات ، ونوازي الخـلاف المتضمـن حفاظا ينتهي الى السلم ، وحمية تعود الى السلامة ، وغيرة تفضي الى طريـق واضح سليم ، فان معركة يوم العاشـر من شهر رمضان المعظـم ابرزت الوجه النضالي البطولي للعرب فى كل اقطارهم ، وكشفت عناصر الصمود فى بنيتهـم الفكرية ، واظهرت استماتتهم فى سبيل الحق والكرامـة ، والعـزة والمـروءة والشهامة فانطلقوا كالاسود الضاريـة يقفـون فى اول الصفوف ، ويصافحون الحتوف ، ويلقون انفسهم على الموت ، ويطلبـون عز الحياة بشرف التضحيـة وعـز الممـات ..

— * —

لقد فجرت الحرب الضروس – بين حق امتنا العربية ، وباطل العدوان الاسرائيلي الذى يتسلح بالكذب والغدر ويحتمي بالحديد والنار – الكثير من الامكانيات وفتحت الكثير من الآفاق ، واخمدت العديد من التناقضات ، وعرفت الامة العربية من جديد باصدقائها والد اعدائها وتحققت وحدتهم المنشودة ، وضالتهم المرصودة التي انكرها عليها الاعداء ، فامتزجت بالدم ، وتوثقت اخوة النسب بدماء التضحية والجهاد حتى اصبحت قواهم فى موازين القوى الدولية قوة فاعلة مؤثرة لها حسابها فى صفوف المناضلين الاحرار ، المنافحين عن القيم الانسانية ، المحبين للحرية والسلام ..

ان هذه المعركة الغالية جعلت العرب ينتصرون على كل الشكوك التى احتلت عقولهم وضمائرهم ، ويتغلبون على كل الاوهام الواهية، والاراجيف المصطنعة ، ويقضون على اسطورة ان عدوهم لا يقهر ، لانهم لا يستطيعون ان يواجهوه بالكفاية اللازمة ، والتقنية الحديثة ، ولانهم ، ايضا ، فى نظره فقدوا مقومات الحياة ، ففقدوا مقومات الدفاع عن وحدتهم وحياتهم وادبرت ايام دولتهم وصولتهم ، فانهارت بهذه المعركة الضارية تلك الاسطورة ، وانجاب القتم ، وانهد السد المنيع ...



ان النزعة العدوانية الاسرائيلية التي تفور بالسفه والحقد ، وتطفح بالافك والضغينة ، والتى تعود الى مشاعر الامتلاء الذاتي لدى حكام اسرائيل ، والمسؤولين عن مصيرها ، والتي لا تحمل من رسالتهم القديمة الا دعوى الاختيار الالاهي ، ومجموعة من المشاعر المشبوبة المحمومة بالحقد على اهل الارض اجمعين بانهم ابناء الله واحباؤه ، اجتباهم دون بقية الخلق .. مع انهم اخلدوا الى الارض ، واتبعوا نزواتهم ، وتدلت اخلاقهم ، وتالبت عليهم جهالة الوثنية ، ورعونة العصبية ، وسفاهة الهوى ، ففقدوا صلاحيتهم لحمل رسالات السماء فقدانا ابديا ، لانهم فقدوا القدرة على الانتفاع بالوحي الالاهي ، ولم يستطيعوا تهذيب انفسهم ، فكيف يقدرون على تهذيب غيرهم ، وينهضون بتوجيه الجماعة الانسانية ..

ان فاقد الشيء لا يعطيه .. وان مريض الوهم .. المصاب بلوثة فى عقله وسلوكه .. لا يقوى على معالجة نفسه وعلته فكيف يقوم بمعالجة الناس ..!! وان ذا القلب القاسي يستعصى عليه ان يحمل عناصر المحبة والرحمة والرافة !!.. وصاحب الفكر المغلق ، والذهن المنحرف ليس اهلا لارشاد الناس وتوعية الآخرين !!.. وحامل الكتاب الذي لا يدري ما يحويه من عظات وحكم وثقافة لا يصلح تلميذا فكيف يكون استاذا !!.. فلهذا صرف الله قلوب ائمة الكفر بانم قوم لا يفقهون ، ونقل رسالته الهادية الى العرب الذين اختارهم الله من الناس ، وصفاهم من الامم كما تصفى الفضة البيضاء من اخلاطها لعل الآخرين يحسنون الوصاية عليها والسير على هداها .. فعزلوا عن مركز القيادة ، وسكرت ابصارهم ، وبقوا فى ضلالهم يعمهون ..

ومن يرد الله فتنته .. فلن تملك له من الله شيئا ..



لقد تنكر بنو اسرائيل لانبيائهم ، وغاضبوا ربهم ، وبددوا امجادهم ، وحرفوا كتابهم ، وركبهم غرور الامان ، وبطر الغنى ، واعتقاد السلامة ، فعرفوا بالجبن ، واتسموا بالتلف ، وركنوا الى عدم المواجهة ... فلا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر .. فقلوبهم ترجف من هول الغد ، ومفاجآت المستقبل ، وانتقام الفاتح ..



ان دولة تظل يدها ممدودة تستجدي الامم والشعوب ، وتذرف في مكر وخبث الدموع والعبرات ويقوم اعتمادها على الغير ، وتتأسس قواعدها على شفا جرف هار ، ويعتمد كيانها على ركن واه ليس له من مقومات الدولة وعناصرها قد اوجدتها مصالح خاصة ، وظروف معينة ، واسباب زائلة لخليقة بان تنتفي بانتفاء تلك المصالح ، وتزول بزوال تلك الظروف والاسباب ... كما راينا ذلك في تحول دولة انهارت قواعدها الواهية في الشهور الاخيرة بعد ما قامت حولها حروب طاحنة دامت عشرين سنة انضمت في الاخير الى ما تستلزمه طبيعة الاشياء التي تستند الى الحق والعدالة .

وقد استقر في قلوب خصومنا ـ ضحايا بغيهم وانحرافهم ـ انه ينبغي ان تقوم لهم دولة، ويكون لهم كيان، ويصان لهم حمى، ويصبح لهم مجال في الافق الدولي، وتستوي لهم الاجنحة للطيران الذي يتضمن عذابا مهينا يأتيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم . وصدق رب العزة والجلال حيث قال :

واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ...



ان شبا الحرب خير من قبول المظالم ، وان الموت يبعث ضارع النفوس الى الحياة العزيزة ، وان امة تعيش حياة الجهاد بكل مشاقها وابعادها ، لا تحارب الا في الله ، ولا تسالم الا في الحق ، وتعطر تاريخها بدم الشهداء ، وتضمخ تربة بلادها بانفاس الابطال ، وتتكشف اصالتها العربية المأثورة عن غضبة مفزعة ، ويقظة مروعة، وتتحرر ارادتها التي كانت مشلولة مغلولة، لخليقة بأن يكتب لها الفوز، ويعقد على لوائها الظفر لانها تثبت وجودها في دنيا الواقع، وتخط تاريخها في ارض المعركة ، وتسير في طريق معبد حافظ محفوف بعناية الله ، ورعاية المخلصين الاوفياء الذين اذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وربط على قلوبهم ، وثبت بهم الاقـــدام ...



لقد استفحل الداء الدوي من خطر الصهاينة في النـاس ، واستشرى فسادهم في الكون مما سبب شرا مستطيرا كاد ان يوقد نارا للحرب لا تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ... وتنبه لهذا الامر الجلل والقـوم رقـود ، وهدى الى الحق والى صراط مستقيم ، والبعض في ضلال بعيد ، رائد الوحدة ، وداعية السلام ، ومعقد الامل ، ومناط الرجاء صاحب الجلالة وسيد البلاد مولانا

الحسن الثاني الذى يقطع بعزمه الجبـار كل معضل ، ويحسم برايه الثاقب وعقله الراجح كل خلاف ومشكل ، ويقوم في وجه الخطوب اذا استكلب الطمع ، وانفجر البغي ، ويسد الطريق على الزمان ، ويبسم الامل بين يديه فى قطـوب اليـأس بما اطلـق الله علـى لسانـه من الخيـر ، وبسـط يـده من البـذل ، فاجتمـع لـه ، مـن اسبـاب التـوفيـق والطـمـوح ، ووسـائـل النهوض والصعـود ما يكفـل النجـاح والفـلاح ... جمـع القلـب الذكـي ، والانف الحمي ، والقدرة الفاعلة ، والشجاعة النادرة ، والالمعية المتقدة ، والفراسة الصائبة التي تفتح فرجة فى الافق القاتم المطبق ، وفسحة من الغد المجهول ... فكان ملهما صادق العـزم اذ بعث ـ ايد الله خطاه ـ التجريدة المغربيـة الاولى من قواتنا الملكية الى مشارف الجولان تضم جيشا باسلا ، وشبابا ميامين خاضوا غمرة الهول للقضاء على طغيان الغاصب ، والاجهاز على بقايا المعهـد الذليـل ، واراقوا دماءهم الزكية التي ضمخت تلك التربة الغالية كفدية العطاء لاجل البقاء ، لا يبالون العدد ، ولا يرهبون اللقاء ، ولا يعرفون الخطر ، ولا يخشـون السلاح ، فكانت المعية وفراسة ادعى الى الفخر وابقى على الدهر من ملك بطل شارك فى تصريف الاقدار ، وأملى ارادته على سجل الزمن .



لقد استحر القتال فى شهر رمضان المعظم المشهور بوقائعة الفاصلة فى حياة الاسلام ، ومواقفه الحاسمة فى تاريخ الفتوح ، وقام الصراع بين حق العرب وباطل اليهود ، ودوت اصوات المدافع بين أمة تمتمد فى نضالها وكفاحها على الله وحقها فى الحياة ، واخرى لقيطة واغلـة مقتحمـة روعت قلوب الناس ، وزعزعت سلام العالم ، وبسطت نفوذها الظالم على مواقع اسلامية عربية لا تلائمها جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا غير انها ضمت حولها ذؤبان الامـم ، وشذاذ الآفاق ومن رمتهم الشعوب رمي النواة ، وطرحتهم الامم كما يطرح الغثاء ، ولفظتهم كما يلفظ القشر !!...

حيا الله شهر رمضان فقد كان حافلا بمزايا شتى ، زاهرا بالصوم والذكر وانواع الطاعات ، زاخرا بمظاهر البطولات والاستبسال حيث اظهر فيه الفتى العربـي عزيـمـة دائبـة الوثـوب ، وهمـة رفيعـة المرتقـى ، واستماتة عالية الذرى فاندفع كالسيل الاتي يفتح قلبه لرصاص العمالة ، ويجعل صدره مسالك للقنا ، ويطلب الممات بعز الحياة ، واذاق العـدو الكافـر مـس سقر حتى امكن منه ..!

وكـان الالاه قـال لهـم فـى الحـر
ب ، كونـوا حجـارة او حديـدا ..

فلا غرو اذا كانت معركة شهر رمضان المعظـم فى حياة الامـة الاسلاميـة والعربية منعطفا فى تاريـخ نضالهم والبطولـي ، ومكانتم الانسانيـة ، ودورهم القيادي الخطير فى دنيا الناس حيث اثبتوا ، عند اللقاء ، وجودهم ، واكدوا ، لما التقت المجامع ، حضورهم لا بالنسبة اليهم ، ولكن بالنسبـة الى الامم كلهـا والى العالم اجمع لانهم اصحاب الرسالة الخاتمة ، والحضارة اليانعة ، والتاريـخ الحافل ، والجد العامل والمروءة والنجدة والشهامة وكل معاني الصفات الكريمة

التي تفـي ـ حتما ـ باصحابها وحمالها الى ربيع نهضة ناضرة تخطر معها العروبة فى مطارف العز والفخار ..

كانت قافلة الحياة ـ قبل معركة شهر رمضان ـ تتخبط فى مبهمات الطرق، جائرة السبيل ، حائرة الدليل ، موزعة الاهواء ، متباينة الاغراض ، تسيـر فى مهامه فيح ، تحار فيها القطا ، وتقصر دونها الخطى ، فأراد ربك ، وفى شهر الفرقان ، وعن طريق الامة العربيـة ذات الرسالـة الخاتمـة ، أن يضـع حـدا لجبروت دولة البغي ومن آزرها ، ويستاصل شافة هذا الاخطبـوط الجرثومـي الذى فتن الدنيا ، وروع الناس ، وانهك القوى ، وتسلـط على الآمنين وتطايـر شروره فى كل الآفاق ليحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

— * —

((ان شهر رمضان (1)، الشهر الذي انزل فيه القرآن ، كان شهرا حافـلا ، شعبي العزيز ، بالنسبة للامة العربية وبالنسبة لك خاصة ، وبالنسبـة لتاريـخ العالـــم .

كان مهما بالنسبة لتاريخ العالم ، لان الجغرافية الفكرية التى يكونها الناس اليوم على مائة مليون من العرب ، وبالتالي على ما يزيد على ستمائة مليون من المسلمين قد تغيرت بكيفية جديـدة ، فاصبحت مفاهيم اليوم ليست مفاهيـم الامـــس .

وبالتالي سار لزاما على كل مفتر ومخطط على صعيد وطني او اقليمي أن يفكر جديدا فى التطورات وما يستتبع التطورات التى طرات على العالم حيث انها طرات على اسرة وهي اسرة العرب واسرة المسلميـن عرفت دائمـا بجيوشهـا ونشاطها فكان لها الباع الطويل ، وسوف لا يزال باعها طويلا ان شاء الله فى بناء الحضارات وفى تشييد صرح التقدم البشري .

كان شهرا مهما بالنسبة للامة العربية ، ذلك انها نفضت عنها قشار خرافات واوهام كانت تخيم عليها وتثقل كاهلها حتى سارت الامة العربية اليوم تتعجب من نفسها وتتساءل كيف انها عاشت أزيد من عشرين عاما ، وهي سابحة ان لم اقل غارقة فى اوهام وتخوفات سهل عليها ان تمحوها نهائيا وان تجعل نفسها والغير يعتقد عكس ما كانت تعتقد .

وكان هذا الشهر ، شهر رمضان ، مهما بالنسبة اليك ، شعبي العزيز ، ذلك انك حققت ما كنا نظنه جميعا)) .

— * —

لقد تنفس الصبح عن فجر صادق ، واسفر عن صفاء مشـرق وضـاح ، وضحى رائق جميل ، ونهار صحو ، واماطت الامة العربية القنـاع عن وجههـا

---

(1) من خطاب صاحب الجلالة فى عيد الفطر .

الصريح ، ونفضت الغبار والقتم عن معدنها الكريم ، وحطت عن كاهلها اعباء الهزائم النفسية والمادية التي كانت تعاني منها الشداد النكدات وتشل نشاطها ، وتعوق حركاتها ، وتقعد لها كل مرصد ، فتجعلها هوامش على صفحة الحياة ..!!

فاجتمع ، في القطر الجزائري الشقيق ، رؤساء الامة العربية في مؤتمر القمة السادس لتنسيق الجهد ، وتوحيد الرأي ، وضم الصف ، وتجميع القوى ، والنهوض بالعبء ... وقد عمل لهذا المؤتمر ، ودعا اليه ، واعلن على ضرورته سيد البلاد مولانا الحسن الثاني في خطابه الكريم الذي وجهه بمناسبة عيد الفطر السعيد الى الشعب المغربي والامة الاسلامية جمعاء ، فكان مؤتمرا جادا متفائلا ، منعشا للآمال ، موقظا للنفوس راسما لخطة سليمة في درب نضالنا المشروع ، وكفاحنا في طريق الانطلاق والانعتاق ، دل على أن الامة العربية تخوض ، في صدق واستماتة وفي ظروفها الحالية ، عباب حرب ضروس محمودة العقبى ، مضمونة الغبة ، لانه اذا ما اطمأن القلب بالنفع بالحيا ، فقد لا يروع الليل والرعد والبرق ..!!

وقد اجمل تلك الآمال ، وبلور تلك الاماني جلالة ملكنا المحبوب الملهم بالصواب الذي اثر عنه الرأي الرجيح ، واللب الحصيف ، والبصر النفاذ حيث قال حفظه الله في الكلمة السامية التي تحدث فيها باسم ملوك ورؤساء الدول العربية ، لدى اختتام مؤتمر القمة حيث عبر جلالته عن عظيم شكرهم وتقديرهم لمضيفهم رئيسا وحكومة وشعبا :

((سوف نصلي في القدس ، وسوف نحيي علم فلسطين ، وسوف نحضر استعراضات النصر في كل من دمشق والقاهرة ... اما المسافة ، فعلينا ان نعلم انها مسافة طويلة شاقة !! ولكن ، من سار على الدرب وصل ...))

— توفيق بين اشواق الروح وتطلعاتها ، وبين الحياة ومقتضياتها المادية ..

— وجمع بين الدين الصحيح ، وبين مستلزمات الدنيا ومنطقها الحياتي ..

— واعلان صريح عن الشجاعة والبطولة وارهاب العدو ، مقرونة بقوة الايمان والتواضع والشكر لله رب العالمين ..

جمع الشجاعة والخضوع لربه
ما احسن المحراب في المحراب !!..

دعوة الحق

جلالة الملك المعظم الحسن الثاني يقول في مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر :

.. فسوف نصلي في القدس، وسوف نحيي علم فلسطين

وسوف نحضر استعراضات النصر في كل من دمشق والقاهرة ...

عقد ملوك ورؤساء الدول العربية يوم الاثنين 26 نونبر الماضي مؤتمرا للقمة العربي بالقطر الجزائري الشقيق دامت اشغاله اربعة ايام في جلسات مغلقة ، وقد انهى مؤتمر القمة اشغاله بجلسة علنية تكلم فيها الرئيس هواري بومدين والرئيس بورقيبة والرئيس حافظ الاسد والرئيس انور السادات .

وقد اناب ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر القمة صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني في القاء كلمة باسمهم في الجلسة الختامية ليعبر جلالته عن عظيم شكرهم وامتنانهم وتقديرهم لمضيفهم رئيسا وحكومة وشعبا . وقد قال جلالته في هذه الكلمة موجها الحديث للرئيس بومدين : ((اننا مثلما اطلقنا على مؤتمر الدول الافريقية بالرباط روح الرباط يمكننا ان نسمي هذا المؤتمر المنعقد في أرضكم وبين ظهرانيكم مؤتمر الانبعاث)) وقال جلالة العاهل الكريم يشير الى الامل العربي الكبير : ((سوف نصلي في القدس وسوف نحيي علم فلسطين وسوف نحضر استعراضات النصر في كل من دمشق والقاهرة)) .

وقد كانت كلمة جلالة الملك مؤثرة جدا وخلقت ردود فعل طيبة لدى الملوك والرؤساء وقوطعت مرات بالتصفيق ، وفيما يلي ننشر النص الكامل لهذه الكلمة التي القاها الرائد البطل نيابة عن اخوانه ملوك ورؤساء الدول العربية في الجلسة الختامية لمؤتمر القمة السادس بنادي الصنوبر في الجزائر العاصمة :

((الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

اصحاب الجلالة اصحاب الفخامة اصحاب السمو حضرات السادة :

جرت تقاليد المؤتمرات وسنن مثل هذه التجمعات ان ينيب بعض المؤتمرين اخوانا لهم ليعبروا عن شكرهم وتقديرهم لمضيفهم حكومة وشعبا ورئيسا وانني وانا اقوم بهذه النيابة لاشعر بالقلب مملوءا سرورا والعواطف سابحة في بحر مملوء حبورا فاتوجه الى اخي فخامة الرئيس هواري بومدين بالشكر الجزيل على ما وجدناه في بلده بل على ما لمسناه في قلبه من حسن الضيافة وعظيم الاكرام .

فخامة الرئيس هواري بومدين ، ان اسباب الافتخار ودواعي الاعتزاز كثيرة في تاريخ شعبكم القديم والحديث الا انه قد زدتم اليوم درة الى درركم وحلقة ذهبية في حلقة سلسلتكم ، ذلك اننا مثلما اطلقنا على مؤتمر الدول الافريقية بالرباط روح الرباط يمكننا ان نسمي هذا المؤتمر المنعقد في ارضكم وبين ظهرانكم ((مؤتمر الانبعاث)) فعلا انه مؤتمر الانبعاث ، انبعاث امة ، انبعاث حضارة ، انبعاث تاريخ .

ولسائل ان يسال : هل الشعوب يكفيها قوة وسلاحا ان تعيش على ذكر تاريخها وامجادها؟ اقول لا يكفي، بل من الزاد الضروري لانه كما قال الفيلسوف: ان الشعوب لا تموت بالفقر وانما تموت بالذل ، وقد

بعثنا ولله الحمد ، بعثنا لماذا ..؟ هل نحن اليوم غير الرجال الذين تلاقوا بالامس ؟

هل طرا على افئدتنا وافكارنا وايماننا لمشروعية قضيتنا شيء جديد .. اقول لا .. الا انــه اعطينـــا الدليل واقمنا الحجة على أن العرب شعب جد وجدية . فحينما كان الكلام الفارغ يدور بين اذنينا وفي افواهنا كنا لا نعير للامور قيمة ووزنا. ولكن حينما رأينـا الجد بل حينمـا خلقنا الجـد ، لم نحتـج الى ان نجتمع حتى ننطلـق . لم نحتـج الى ان نتشـاور حتى نتعاون ، لم نحتج الى ان نتكاتب ونتراسل حتى نعمل بل قمنا كرجل واحد كلعلى سعته، هذاينفق من ماله وهذا يبذل دمه وذا يشد ازر اخيه .

فخامة الرئيس هواري بومدين ان المجهودات التي قامت بها جميع الوفود مجهودات تشكر واعمال لا بد من التاريخ أن يعتبرها . ولكن لم تكن هذه المجهودات ولا هذه الاعمال لتصل الى ما وصلت اليه وتغزو الافاق التي غزتها ، فاتحة امامنا ابوابا جديدة من الآمال مـن جهة ، ومن الفتوحات الجديدة من جهة . لم يكن كـل هذا ليتحقق لولاالجو الخاص الذى بحنكتك وبصداقتك مع الجميع وبحسن معرفتك بالرجل ، خلقته فنفخته كروح بين هذه الجدران ، فصرنا نعمل رغم اتســاع الشقة الجغرافية واختلاف المشـارب والاتجاهـات السياسية والاجتماعية . واننا ليكفينـــا فخـرا فى المغرب العربي أن نقول : اننا كلما كنا نودع اسرا لنا تذهب الى الشرق ، كنا دائما نودع اسرا لانها كانـت تذهب الى حج بيت الله الحرام . اما اليوم فسيقـع البعض ان يودع فردا من افراد اسرته فيساله اين انت ذاهب فيقول له : انا ذاهب لاترحم على جثة قريب لي استشهد فى الشرق حماية ودفاعا عن الاسلام .

وهكذا يمكننا ان ننطلق من كتاب الله سبحانه وتعالى حيث قال : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقيـن رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) ، فسوف نصلي فى القدس وسوف نحيي علم فلسطين وسوف نحضـر استعراضات النصر فى كل من دمشق والقاهرة . اما المسافة فعلينا أن نعلم انها مسافة طويلة شاقة ، ولكن ((كل من سار على الدرب وصل)) ، فالحمد لله والله اكبر واهب النصر والظفر الذي اعطانا طول الباع وبعد النظر ، ولنختم بآيته الكريمة ،

((الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله)) . صدق الله العظيم .

دراسات إسلامية



الرد القرآني على كتيب
هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

للأستاذ عبد الله كنون

- 2 -

المقدمة :

بعد ذلك يأتي المؤلف بالمقدمة التى يقول فيها انه بعد التخلص من الظلم الذى دام قرونا عديدة ، تمكن الشعب السوفياتي تحت ادارة الحزب الشيوعي ان يبني مجتمعا اشتراكيا قويا واثقا بنفسه ، وان يرمي كسقط المتاع كل قديم بالد يعرقل العمل للمستقبل الباهر .

ولا نعلق على هذه الفقرة بنفي الظلم عن حكومة القياصرة الروس ، أو اثباته ، فان هذا ما يهم الروس انفسهم ، والمؤرخين منهم بالخصوص ، يوم يتمكنون من كتابة تاريخهم بعيدا عن كل تأثير او ضغط مادي او معنوي ، ولكن ما يجب ان يقال ولو على سبيل التساؤل هو : هل تخلص الشعب السوفياتي حقا من الظلم بعد قيام الحكم الشيوعي ؟ أم ان ظلما من نوع آخر ، ولنسمه ظلما اشتراكيا من باب المشاكلة ، قد سحق هذا الشعب المسكين ، كما يؤكده الكثير ممن كتبوا عن كيفية انتصار الثورة وعهد ستالين بالخصوص ؟

اننا ، ونحن نكتب ردا قرآنيا ، لا بد ان نتقيد بروح القرآن ، فلا نشهد الا بما علمناه بالطرق التقنية ، ولذلك لا يمكن ان نتحمل مسؤولية الجواب عن هذا السؤال ، اعتمادا على ما قاله الغير ، فالقرآن يقول : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

واما نبذ القديم لانه يعرقل العمل للمستقبل ، كما زعم المؤلف ، فانه كلام خاطيء و قعا وفكرة .. فلم تنبذ الثورة الشيوعية القديم ، كلا ولا بعضا . كيف وهو من خير ما عندها او خيره على الاطلاق : المتاحف ، المكتبات ، المدارس ، المعاهد ، المساجد ، الكنائس ، البنايات والقصور العظيمة ، الكرملين ، الارميطاج ، آثار سمرقند العجيبة ، مرصد اولوغ بك ، الخ الخ .. كل هذا من القديم الذي تنتنه الشيوعية وصانته وهي تباهي به ، وتستقبل مآت الآلاف من السياح لمشاهدته والوقوف عليه باستمرار .

والبيروني العالم الكبير الذى احتفلت به حكومة المؤلف مؤخرا، وهي حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، كما لا نحتاج ان نقول : اليس هو من القديم الذي يشرف بلاده وتاريخها المجيد ؟ وكذلك يقال فى انشاعر علي نوائي الذي احتفوا به فى السنة الماضية ، وغير هذين من عشرات العباقرة والعلماء المسلمين وخلافهم الذين انجبتهم تلك البلاد العظيمة ..

واذا كان هذا هو الواقع ، فالفكرة من اصلها خاطئة ، لانه من ليس له قديم لا جديد له .. ولو طرحنا كل ما هو قديم من واقع الحياة لعادت الانسانية الى عهد ما قبل التاريخ ، والى العهد الحجري ، واضمحلت العلوم والفنون والحضارة العصرية التى تنعم بمعطياتها ، فانها انما انشأت فى ظلال المعارف القديمة التى توارثها الخلف عن السلف

وبنى عليها حتى نمت وترعرعت ووصلت لما هي عليه الآن .

والشعب الروسي قد بدا نهضتـه فى عهـد بطرس الاكبر الذى يعد بحق باني روسيا الحديثة . ولو ان الثورة الشيوعية بدات من نقطة الصفر لكانت مثل باقي الثورات التى قامت فى البلاد الاخرى ، لم تغن عنها الشيوعية شيئا ، لان الشيوعية وحدهـا ليست اكسير التقدم والتطور .

فليس صحيحا اذن ما قاله المؤلف من ان الثورة الشيوعية فى روسيا بنيت على غير اساس ، وانما نبذت القديم برمته ، فضلا عن قوله ان القديم يعرقل النهضة .

ثم يقول المؤلف فى مقدمته ان عدة ملايين من المومنين الروس فهموا ان الاديان ومن جملتها الاسلام تقود معتنقيها الى حياة غير واقعية ، فى عالم تسيطر عليه اوهام التصوف بقوة فوق الطبيعة لا وجود لها، عالم من الآمال الخادعة التى لا قيمـة لها ؛ عالـم خيالي فارغ وعقيم . ونحن بناة الشيوعية ادركنا من زمن طويل ان الدين يعوق تقدمنا السريـع ، لكـن كثيرا من عمالنا وان كانوا يعرفون جيدا خطر الدين ؛ ما زالوا يعتقدون بوجود الاله ، وبانه بعـد المـوت سيلقى الناس جزاء اعمالهم ، اما فى النار واما فى الجنة .

ان هذا الكلام التافه لا يستحق الرد ، وهو يدل على عقلية قاصرة لا يتعدى نظرها ما يحيط بها مـن حدود وسدود ، لقد ملأها واغلق عليها منافذ التفكير ، ما شحنت به من تعاليم بدائية ، وعقائد جاهليـة ، نفض الناس منها ايديهم منذ بلغتهم دعوات الرسل واقوال الحكماء ، واقل ما يقال فيه ، بل ما يستلزمه، هو ان البلاد الشيوعية هي وحدها التى تتقدم بـلا عائق ، وتتطور بغير معارض ، لانها انسلخت من الدين ؛ العدو الوحيد للتقدم والتطور ، اما البـلاد الاخرى سواء كانت فى اوربا او امريكـا او آسيـا او افريقيا ، فانها تتخبط فى الظلام والتخلف ، لانهـا ما تزال متدينة ، فلا علوم ولا حضارة ولا تقنية ، بل ولا ادب ولا فن ولا حياة ؛ لان تدينها يعوقها عن ذلك، ولنغمض الطرف عن قوة امريكا وتحكمها فى الذرة وسيطرتها على الفضاء ، ولتنكر ما تنعم به شعوب اوربا كفرنسـا وبريطانيا والمانيا وايطاليا بل شعوب آسيا كاليابان من تقدم فى المعارف والفنون والصناعات ومختلف انواع الانتاج والاختراع فى عالم التقنيـة والطب والكيمياء وعلم الاحياء ، وما تدره عليها معاملها ومصانعها الكبرى من ثروات طائلة ؛ وما تنغمس فيه من ترف ورفاهية عيش وبلهنية وحياة كريمة ، نحن ان احدا من شعوب الكتلة الشيوعية لا يحلم به ولا يكاد يتصوره . انما مع ذلك لنقل مع المؤلـف : ان التقدم قاصر على الاتحاد السوفياتي لانه رفض الدين، وما سواه من الامم والشعوب لا يزال متاخرا يتعثـر فى خطاه نحو التقدم لانه متدين ويعتقد بوجود الاله وبيوم الدينونة .

وبما ان المؤلف قد عمم فى ثلاثـة هـذا ولم يخصص دينا دون آخر ، فان الاحتجاج عليه بحـال اهل اوربا وامريكا المسيحيتين ، ملزم له اكثـر من غيره ، لاسيما والاسلام الذى هو مقصود المؤلف ، قد ادى دوره على احسن ما يرام فى تقدم اتباعه ، وانشالهم لتلك الحضارة التى بهرت العالم فى وقتها، وهو الآن اكبر حافز للمسلمين على طلب العلم والتوقل فى مدارج الرقي ، فلزمت الحجة اتباع المذهب المادي بحال اهل الدينين الكبيرين : المسيحية والاسلام !..

ويضيف المؤلف الى ما تقدم قائلا : ان هؤلاء المومنين لا يعلمون ان الدين ليس هو الا نتيجة لوهم باطل ، وان كتب الكنيسـة تحتوي على اكاذيب واشياء من قبيل المحال يغالط الرهبـان بها المومنيـن . والقرآن من بين هذه الكتب يحتوي كذلك على اساطير وهمية حول الاله ، وان تعاليمه شبيهة بتعاليم الكتب الكنسيـة ، وانه فى كتيبه هذا (هل يمكن الاعتقـاد بالقرآن ؟) يبين اخطاء القرآن وما فيه من اكاذيب ، ويظهر نفاق الوعاظ المسلمين ، ويجيب على عدد من الاسئلة التى تهم قراءه .

وكما قلت فى التعليق على حاشيته التفسيريـة انه كان على المؤلف ان يعطي النتائج والاحكام بعـد المقدمات الصحيحة والادلة المنطقية .. فتقديم تلـك على هذه لاسيما مع استعمال الفـاظ التجريـح وكلمات القذف ، هو من اكبر العلامات على الضغينة والحقد ، والعجز عن المجادلة بالعلم والالزام بالحجة. فنحن لا نجاريه فى هذا العمل السوء ولا نخالف عن ادب القرآن الذي يقول : (وجادلهم بالتي هي احسـن) وسنرى فيما ياتي تهافت مزاعمه وسقوط اتهاماته.

عبد الله كنـون

القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر

للدكتور عبد الله العمراني

- 2 -

تحدثنا في المقال السابق عن اهمية القرآن الكريم والاقبال على طبعه وترجمته ونشره ، وبدانا باسبانيا لانها كانت البلد الاوربي الاول الذي تصدى لترجمة القرآن ، وتتبعنا تاريخ ترجمته هناك حتى السنوات الاخيرة ، واليوم نواصل رحلتنا في بلدان اوربا المهمة لنعرف مدى عنايتها واقبالها على ترجمة الكتاب العزيز وطبعه ونشره .

ثانيا ـ في ايطاليا

1 ـ اصدر اندريا ارفابيني سنة 1547 م ترجمة ايطالية للقرآن عنونها هكذا : L'Alcorano di Maometto

وقدم الترجمة بنبذة عن حياة محمد (ص) وتاريخ ابتداء نشر الاسلام . وكانت الترجمة مصحوبة بتعليقات وشروح على سور القرآن وآياته .

ويظهر من العنوان الفرعي للترجمة ، انها كانت من العربية مباشرة . وهذا يعني ان المترجم كان يعرف العربية ، وانه استفاد من طبعة القرآن الكريم التي سبق ان عرفتها مدينة البندقية على يد بكانيني .

2 ـ وجاء ايطالي آخر بعد ذلك هو القس لويجي مراكسي Luigi Marracci (بعضهم يكتبه: Maracci وبعضهم الآخر يكتبه Marraccio) فجمع ترجمات القرآن التي كان الحافز على انجازها روح الجدل والخصومة الدينية ، والتي كان اصدرها اشخاص لا يعرفون العربية ، متعاونين مع من لا يعرف اللاتينية ، فنشرها في بادوا بايطاليا في طبعتها الاولى سنة 1698 م .

وطوال القرن الثامن عشر كان المؤلفون الكاثوليك ياخذون عن مراكسي تهجماته على الاسلام، ويهتدون بروح الجدل والدحض المزعوم التي كتب بها مراكسي ترجمته ، تلك الروح التي لم يكتمها او يخفها، بل صرح بها في ترجمته، وخاصة في كتابته التي ارخ بها حياة النبي محمد (ص) .

وقد اثارت كتابات مراكسي ردود فعل قوية بين القراء والمترجمين ، وما نزال للآن نجد في اوساط المترجمين المغرضين من يعتد برايه ، ويعتمد عليه في ترجمته وتعليقاته . وقد كان من اشد انصار مراكسي ، المدافعين عن وجهة نظره ، المتحمسين له القسيس فليكس دي الميـن ، مدريد 1717 ، والقسيس مانويل دي سانتو طوماس دي اكينو ، بلنسية 1793 .

وقد دافع هذا الاخير بصفة خاصة ، ونافح بحماس عن مراكسي ، محاولا رد الهجمات التي تعرضت لها كتاباته اثناء القرن الثامن عشر ، من طرف الفرنسي كانيي : Gagnier مترجم سيرة النبي التي الفها ابو الفداء اسماعيل بن كثير ، الى اللغة اللاتينية ، وقد كان كانيي يمثل حركة موالية

للنبي العربي وللقرآن الكريم في اوساط المثقفين بفرنسا ، تلك الحركة التي كان يتزعمها الكونت Baulainvilliers الذي يرى فيه ريجي بلاشير انه « نصب نفسه مدافعا عن الاسلام من اجل تحطيم خير للكاثوليكية » .

ويرى القس مانويل الآنف الذكر ان النقاد الحاسدين الرئيسيين لمراكسي هم ثلاثة :

أ — مؤلف المسائل حول الانسكلوبيديا وهي واحدة من المؤلفات الاكثر لؤما وتشنيعا .

ب — كانيي المذكور الذي — كما اشرنا — ترجم الى اللاتينية السيرة النبوية التي الفها ابو الفداء (ابن كثير) .

ج — مؤلف مجهول طبع بمدريد سنة 1788 كتابه المسمى « الملخص التاريخي لحياة محمد » .

هؤلاء الثلاثة عادوا القس الايطالي مراكسي ، وحجبوا ثقتهم عن ترجمته ، ووصموها بالتحيز وبأنها حرفية اكثر من اللازم ، وبأنها — كعمل ادبي — قليلة الجدوى الى حد كبير . ومن ثم وضعوها في مرتبة ادنى من ترجمة الفرنسي دو ربي التي سنشير اليها بعد قليل .

وكان كانيي اكثر الثلاثة ضراوة نقد : فقد نفى ان تكون لمراكسي اية كفاءة في معرفة اللغة العربية؛ واتهمه بأنه « ترجم حياة محمد (ص) الى لغة لاتينية فجة قاسية ، غير متبع في ذلك لا نظاما ولا ذوقا ولا نقدا نزيها ، وقد اقتطف اجزاء من مؤلفين مختلفين لم يكونوا يعرفون المصادر الصالحة الموثوق بها ، لدرجة ان تاليفه — علاوة على انه تاريخ — يمكن ان يسمى خرافة مثيرة للضحك الفها لتزجية اوقات فراغه ، شاحنا اياها بالوان السباب والشتم في محمد (ص) والمدافعين عنه » .

3 — وظهرت في مدينة ميلان بايطاليا سنة 1913 ترجمة ايطالية للقرآن انجزها فراكاسي Fracassi

4 — وظهرت في المدينة ذاتها (ميلان) ترجمة اخرى للقرآن الكريم سنة 1929 قام بها بونيللي Bonelli

ثالثا — في فرنسا :

1 — عاش الدبلوماسي الفرنسي اندري دو ربي A. Du Ryer فيما بين سنتي 1580 و 1660 .

وقد قضى من عمره هذا وقتا طويلا في مصر والقسطنطينية تمكن خلاله من معرفة اللغتين العربية والتركية .

ترجم القرآن تحت عنوان L'Alcoran de Mahomet ونشر ترجمته في باريس سنة 1647 فكان لها من الرواج في العالم الادبي ما جعلها خلال خمسة اعوام تطبع خمس مرات بعضها في باريس نفسها ، وبعضها في امستردام بهولندة . وخلال ما يقرب من قرن من الزمان ظلت هذه الترجمة يعاد طبعها المرة تلو المرة ، كما كانت محورا تدور حوله الاقتباسات والانتقادات في فرنسا وانكلترا والاراضي المنخفضة، وكانت آخر طبعة لها بالفرنسية سنة 1770 م .

وقد ارفق المترجم ترجمته بشروح مسهبة ماخوذة من كتب المفسرين المسلمين ، وذلك بقصد توضيح الغوامض من كتاب الله ومتشابهاته .

2 — وفي سنة 1782 ظهرت في باريس الترجمة الفرنسية للقرآن الكريم لصاحبها كلاوديو سفاري C. Savary المستشرق الفرنسي الذي تكون خلال اقامته في مصر ، والذي يعتقد فيه بعض النقاد انه لم يكن متمكنا من العربية الفصحى ، كما ان البعض الآخر من الباحثين يرون ان ترجمته رغم ما بها من قصور وعجز ، ورغم اسلوبها الخطابي الفخم ، تفضل ترجمة دو ربي التي سبق الحديث عنها . ويصف بلاشير هذه الترجمة في طرافة وطلاوة قائلا : « انها خائنة مليحة Exquise infidèle ويقول عنها الكاتب الفرنسي جان كروجان الذي ترجم معاني القرآن ايضا : ان ترجمة سافري تتميز « بسهولة متعالية ، على ان فيها من المعلومات عن فرنسا القديمة اكثر مما فيها من معلومات عن الاسلام » .

احتفظت هذه الترجمة بمميزاتها حتى دخول القرن التاسع عشر ، واعيد طبعها مرارا ؛ ففي سنة 1821 طبعها المستشرق Garcin de Tassy وما زالت تطبع وتترجم الى لغات اخرى حتى اواسط هذا القرن ، ففي سنة 1944 ترجمها الى اللغة الاسبانية ونشرها في بوينوس ايريس الروائي الفونسو هرنانديث كاتا A.H. Cata

3 — في سنة 1840 ظهرت ترجمة الفرنسي كاسيميرسكي Kasimirski للقرآن الكريم ، نشرت اولا ضمن مجموعة : « كتب الشرق المقدسة » ، التي كان يشرف عليها Pauthier

ثم فى العام التالي صدرت منها طبعة مستقلة ومصححة من طرف المترجم .

وقد صدرت الطبعة الثانية لهذه الترجمة ، بنبذة عن حياة محمد (ص) مستقاة معظمها من « مقالة عن تاريخ العرب » لصاحبها Caussin de Perceval وقد استحقت ترجمة كاسيميرسكي للقرآن التقدير الاجماعي من المستشرقين . وهي الآن تعتبر اكثر الترجمات شعبية فى فرنسا وفى خارجها ، وآخر طبعة لها صدرت بباريس سنة 1970 بعنوان :

Le Coran. Traduit de l'arabe par Kasimirski, Chronologie et préface par Mohammed Arkoum.

4 — وفى سنة 1925 ظهرت بباريس ترجمة Mardrus للقرآن ، كما ظهرت بعد ذلك فى باريس ايضا ترجمة E. Moutet . وتتفق ترجمة هذا الاخير للقرآن مع النص العربي للمصحف الذى طبع ونشر فى القاهرة طبقا لقراءة حفص رواية عاصم بن ابي النجود ، وذلك بالمقارنة مع النص القرآني الذى نشره Fluegel الالماني سنة 1833 . وقد رتب مونتي سور القرآن طبقا لنظام خاص وترتيب زمني « كرونولوجي » يختلف عن الذى اقترحه نولدكه .

وجدير بالبيان ان المستشرقين الاوربيين بداوا يشتغلون فى وضع ترتيب زمني للسور القرآنية منذ اواسط القرن الماضي ، ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة اجماعية مرضية ، ولم يتوصلوا الا الى فروض مختلفة متباينة وغير مجدية ، ما كان اغناهم عنها ! ولا ادري كيف اقدموا على هذا البحث الذي لا يعنيهم الا من ناحية التشويش على المسلمين وكتابهم الاقدس، ولم يلتفتوا — مثلا — للبحث عن الانجيل الاصلي الموحى به لعيسى بن مريم ، فلم يهتموا ادنى اهتمام بالكشف عنه بله تبويبه وترتيبه الزمني !

ان مهمتهم كمستشرقين تتناول كل ما هو شرقي من لغات سامية وغيرها، ومعلوم ان الانجيل الاصيل نزل باللغة السريانية لا الاغريقية ، والتوراة الاصيلة نزلت بالعبرية ، فلم لم يسلطوا الاضواء على هذين الكتابين المقدسين، وعلى مدى اصالة ما يوجد بين ايدي الناس من اناجيل وتوراة ؟ ام انهم يخشون غضبة الكنيسة وحرمانها ، ولا يخشون غضبة ملايين المسلمين وخالقهم الذى يشجب كل مماحكة او تخرص ؟ !

5 — وفى سنة 1947 ظهرت لريجي بلاشير ترجمة للقرآن صدرها بمقدمة طويلة تكون هي وحدها كتابا . وقد اهتمت المقدمة فطرحت — كما يقول خوان فرنيت — ودرست وحلت فى نطاق الممكن ، مشكلات التاريخ وعلم اللغة والتفسير وغيرها مما ينبعث من خلال البحث فى نصوص القرآن . ويصف هذا المستشرق الاسباني المعجب ببلاشير ترجمة هذا الاخير بانها جد علمية ، بينما يقول عنها جان كروجان انها اثر علمي امين لن يقع تجاوزه الا بعد زمن طويل آخر . لقد سخر المترجم كل عبقريته اللغوية لاتقان ترجمة كتاب سحر الناس بنصه الاصلي .

وقد تكررت طبعات هذه الترجمة ، فصدرت طبعتها الثانية فى عام 49 — 56 — 1966 . وجدير بالملاحظة ان بلاشير فى بادىء الامر كان اتبع فى ترجمته نظاما كرونولوجيا خاصابه : ثم عدل عنه فى الطبعات التالية ، فرجع الى الترتيب التقليدي الذي ورد بالمصحف العثماني (الامام) . وفى هذا العدول دليل قاطع على عدم جدوى التفكير فى تغيير الترتيب الذى ورد به المصحف الشريف .

على ان ترجمة بلاشير للقرآن الكريم لا تخلو من مماحكة وتعسف وتدخل فيما لا يعني صاحبها وهو غريب عن اللغة العربية ، وبعيد عن تفهم اسرارها واسرار القرآن المعجز ، ففى هذه الترجمة نجده يتجرا على وضع ترتيب خاص للآيات القرآنية، فيزعم ان هذه الآية او الآيات مزحلقة مزحزحة عن مكانها ، وانها كان ينبغي انتكون سابقة او لاحقة لتلك الآية او الآيات !!

6 — وفى سنة 1967 ظهرت ترجمة فرنسية للقرآن الكريم ، لصاحبها D. Masson الذى وضع لها مقدمة وتعليقات ، كما قدم لها جان كروجان J. Grosjean الذى اجرت معه جريدة لوموند الباريسية استجوابا سألته فيه عن اهم الترجمات الفرنسية للقرآن وعما تتميز به . فقال بخصوص ترجمة ماصون ما يلي :

ومع ماصون (سنة 1967) نجد العودة الى وضوح الكلمة ، وهذا ايضا شكل من اشكال الوفاء للقرآن ، فقد كان محمد لا يريد الكلام الا بلسان عربي مبين .

7 — ولجان كروجان هذا ترجمة للقرآن تعتبر احدث ترجمة فرنسية له . سألته لوموند بصددها قائلة : واين تضع ترجمتك بالنسبة لسابقاتها ؟ واية مساهمة اردت اضافتها الى البناء السابق ؟

فأجاب : ان الترجمات السابقة لا توضح بما فيه الكفاية القوة الخلاقة الاساسية ... يجب ان نحقق الاحساس بهذا العالم الذي كل ما فيه مدنس ومقدس معا ... وبالتالي وحتى باللغة الفرنسية يجب ان يبقى القرآن — والقرآن يستطيع — بقدرة الله في كل لحظة . ومن هنا تنبع حياته وذلك الخليط المعقد من الروعة والمهارة ، من الثورة والرقة ، من الحركة والعناد . (من ترجمة نشرت في « لعلم » الرباطية عدد يوم 19 — 12 — 1972) .

رابعا — في انكلترا :

1 — اول ترجمة انكليزية للقرآن كانت عن الفرنسية لا عن العربية ، فقد قام اليكساندر روس سنة 1649 بترجمة الترجمة الفرنسية للقرآن التي قام بها اندري دو راي سنة 1647 كما تقدم القول .

2 — وبعد نحو قرن من صدور ترجمة دي راي الفرنسية وترجمتها او نسختها الانكليزية ، صدرت بلندن في نوفمبر 1734 ترجمة المستشرق الانجليزي جورج سيل G. Sale للقرآن ترجمة مباشرة من العربية ، وكان ذلك من حسن حظ عالم المثقفين آنذاك ، فقد عوضت الترجمة الفرنسية التي عرفها الانكليز زهاء قرن من الزمان .

وقد وضع جورج سيل لترجمته خطبة تمهيدية او مقدمة عرض فيها — بطريقة علمية تبين عن هدفه — تاريخ ميلاد الاسلام ونموه ومبادئه الرئيسية . وبترجمة سيل هذه ، وبكلمته التقديمية خاصة ، خرجت مسالة محمد (ص) وكتابه القرآن الكريم من الجو الديني الى الجو الفلسفي الذي كان يتشبع به اهل القرن الثامن عشر وخاصة في فرنسا حيث كان فولتير والموسوعيون وأمثالهم ممن يسعون للبحث عن مصادر الاخبار والبيانات التي تدعم محاولاتهم بصدد تاريخ الاديان المقارن .

وبلغ من اقبال المستشرقين على ترجمة سيل ما جعلها تطبع بمكانة ترجمة دي راي حتى في فرنسا نفسها . وهكذا لم تعد تطبع ترجمة دو راي الا في البلدان المنخفضة مصدرة بمقدمة المترجم الانكليزي جورج سيل ، وذلك كما تتضح من خلال طبعتها الاخيرة التي صدرت سنة 1770 بامستردام.

ويرى فرنيت ان اول محاولة جدية لفحص غير متحيز للتعاليم الاسلامية هي ترجمة ج سيل التي عرفت حظا عظيما : فقد ترجمت الى الفرنسية والى الالمانية واعيد طبعها مرارا وتكرارا بلا انقطاع حتى اواسط القرن التاسع عشر ، ولم يحل محلها حتى ترجمة سفاري الفصيحة .

صدرت الطبعة الثانية لهذه الترجمة سنة 1764 ، وفي سنة 1825 اعيد طبعها مشتملة على ملخص لحياة سيل بقلم ريتشارد الفريد دافينانت R.A. Davenant الذي كان قد نشره في مقال له بعنوان « سيل في المعجم الوطني لتراجم الحياة ». وطبعت ترجمة سيل للقرآن كذلك سنة 1877 .

واخر طبعة — فيما اظن — من هذه الترجمة التي تمتاز بالجدية والموضوعية ، صدرت بانجلترا خالية من تاريخ النشر وهي بعنوان : « القرآن مترجما الى الانكليزية من النص العربي الاصلي ، بقلم جورج سيل مع تعليقات شارحة مستقاة من اكثر المفسرين نجاحا ، ومع مقدمة بقلم سير ادوارد دينيسون روس » .

وقد اطلعت على هذه الترجمة مع تعليقاتها ومقدمتها فرايت في ذلك عملا علميا نزيها ، ومثال ذلك ما قاله روس في مقدمته التي عزز بها الترجمة — وقد اشرنا الى هذا القول من قبل — : « انه لمن الخير لمن يدرسون القرآن ان يتحققوا ان النص الحالي لم يكن البتة من تاليف النبي ، ولكنه كلمة الله خاطب بها النبي » . ومعلوم أن هذه المسالة شغلت بال كثير من المستشرقين ، ومنهم من لا يستطيع ابتلاعها وهضمها .

3 — وظهرت في لندن سنة 1861 ترجمة رودويل Rodwell للقرآن .

4 — ثم ظهرت في اكسفورد سنة 1880 ترجمة بالمر Palmer للقرآن .

5 — وصدر لاول انكليزي مسلم اسمه محمد مارماديوك بيكتال ترجمة للقرآن بعنوان « معنى القرآن العزيز : ترجمة تفسيرية بقلم ... » وقد اهداها الى صاحب السمو نظام حيدر اباد بالهند (قبل التقسيم والاستقلال) . وقد طبعت هذه الترجمة للمرة الرابعة عشرة ، وهي مسبوقة بتصدير للمترجم وبمقدمة تعالج حياة النبي محمد (ص) في مكة اولا ثم في المدينة ثانيا . وعلاوة على ذلك جعل كل سورة مسبوقة بنبذة تحمل أهم افكارها واحداثها .

وتمتاز هذه الترجمة بتبنيها للمبادىء الاسلامية وبالتالي للترتيب التقليدي للسور القرآنية ، كما تمتاز بترقيم الآيات ـ الذى تخلو منه ترجمة سيل وترجمة داود التى سنتحدث عنها ـ مما يسهل على الباحث المراجعة والمقارنة .. الخ .. وتتسم ايضا بلغتها الكلاسيكية ـ فهي لم تكتب كترجمة سيل ـ بانكليزية اليوم .

6 ـ وفى ادنبرة باسكتلندة اصدر Bell بتاريخ 37 ـ 1938 ترجمة للقرآن تعتبر فى نظر المستشرقين المهتمين بالاسلاميات من احسن الترجمات. ويقول عنها فرنيت انها « تتميز باجتهاد صاحبها فى اقرار تاريخ واضح لنزول الوحي ، كما تتميز بتحليل تراكيات السور وتداخلاتها وزحلقاتها». وفرنيت فى هذا التقريظ لم يزد على ان جمل « القيء » « مجاجا » على حد تعبير الشاعر العربي الاصيل :

تقول : هذا مجاج النحل تمدحه
وان ذممت فقل : قيء الزنابير

7 ـ وفى منتصف هذا القرن اصدر المستشرق الانكليزي ارثر ج. اربرى ترجمة للقرآن ، نشرت لاول مرة سنة 1955 ثم اعيد طبعها سنوات 64 ـ 69 ـ 71 ـ 1972 . وهذه الطبعة الخامسة صدرت عن مطبعة جامعة اكسفورد بانكلترا ، وهي ترجمة موضوعية خالية من التعاليق المفرضة وقد اتخذ صاحبها الترتيبين التقليديين للسور والآيات معا ، مما يسهل على القارىء الاطلاع والمراجعة والمقارنة . وجدير بالذكر ان البروفسور اربرى ترجم عن العربية مباشرة ، معتمدا فى ذلك ـ كما قال ـ على مصحف قديم موجود بالمتحف البريطاني .

8 ـ وبعد صدور طبعة اربرى الاولى بسنة صدرت ترجمة ن. ج . داود N.J. Dawood وتكررت طبعاتها سنوات 59 ـ 61 ـ 64 ـ 66 ـ 67 ـ 68 ـ 70 ـ 1971 . وهذه الترجمة حرة الى اقصى حد ، وفيها تقديم وتأخير للمفردات او الجمل احيانا . وتخلو من ترجمة بعض الكلمات او الآيات ـ مثل الآية 27 من السورة العاشرة (يونس)، فاذا لم يكن الخطا خطا مصففي حروف الطباعة ، فانه خطا ناشىء فى القالب عن السهو .

وتمتاز هذه الترجمة بانها كتبت بلغة انكليزية معاصرة ، فهي فى هذه الناحية تختلف عن ترجمتي سيل وبيكتال كما اختلفت عنهما من حيث ترتيب السور ، ولكنها متفقة مع ترجمة سيل من حيث عدم ترقيم الآيات .

واذا كان بلاشير قد عدل عن الترتيب الزمني (المزعوم) لسور القرآن الكريم ، فان داود مصر على اتباع ترتيب زمني خاص لم يذكر مستنده فيه ، وان كان يختلف عن ترتيب بلاشير ونولدكه . ولننصت اليه فى مقدمته التى يقول فيها (ص 10) : « ان محاولات قد بذلت من طرف نولدكه ، وكريم ورودويل ، وبيل لتنظيم السور فى ترتيب زمني ، ولكن العلماء متفقون على ان تنظيما « كرونولوجيا » دقيقا مستحيل بدون استعمال المبضع فى بعض السور وتشتيت آياتها تشتيتا ناشئا عن تداخل الوحي المنزل بالمدينة فى سور سبق ان نزلت بمكة ».

ثم يقول فى الصفحة التالية : « وقد وقع فى هذه الطبعة ـ يقصد طبعة 1961 وكذا تالياتها ـ اهمال الترتيب التقليدي للسور ، وذلك لسببين :

اولهما : ان الترتيب التقليدي لم ياذن به محمد (ص) .

وثانيهما : انه يعوزه الاستمرار او الالتحام .

ونجد هنا تعارضا بين ما ذكره داود فى الصفحة العاشرة وبين ما ذكره فى الصفحة الحادية عشرة . فاذا كان العلماء متفقين على استحالة ترتيب السور القرآنية حسب النزول ، فكيف خول لنفسه ان يقوم بهذا المستحيل ؟ ام كيف تمكن من تذليله والتغلب عليه ؟.

ولا يمكن ان نختم حديثنا عن ترجمة داود للقرآن ، دون ان نقول ان ترتيب السور ـ مثل ترتيب الآيات ـ كان توقيفيا . فقد روى ان رسول الله (ص) كان اذا نزلت سورة دعا بعض من يكتب ، فقال : ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا ، فكان القرآن مرتب الآيات والسور ترتيبا توقيفيا بارشاد واقرار من النبي (ص) . وحتى على فرض ان ترتيب السور كان وضعيا واجتهادا من المسلمين الاوائل ، وعلى التسليم بصحة ما قيل من ان بعض الصحابة كانوا يملكون مصاحف يختلف ترتيب سورها ، فان هذا اجتهاد كان خاصا بصحابة الرسول . على ان الترتيب الذى اختاره الخليفة

الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قد نسخ اي ترتيب سواه ، ووقع عليه الاجماع منذ مئات السنين ، فلا يمكن والحالة هذه ان يأتي السادة المستشرقون المشار اليهم ومن ضمنهم داود ، فيحيوا ما اندثر ، يريدون بذلك ان يوقظوا الفتنة باسم البحث العلمي ، مع ان المسألة مفروغ منها ، وقتلت بحثا وتمحيصا منذ قرون وقرون . اما الاستمرار والالتحام فما احرى داود ان يبحث عنهما فى اتجاه هو لا فى القرآن الكريم الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

خامسا ـ فى المانيا :

كان للترجمة اللاتينية التى تحققت فى ارض اسبانيا نتيجة اقتراح بطرس المحترم ومجهوداته ، اثر كبير فى دنيا الترجمات القرآنية في اوربا الغربية، فقد ظلت تلك الترجمة المعين الذى يستقى منه الجميع ، وكانت تنتقل من يد الى يد بين المبشرين ورجال اللاهوت . وحسب عبارة بلاشير فانها ظلت خلال خمسة قرون تستعملها المسيحية بطريقة مباشرة او غير مباشرة فى المجادلات الدينية الحادة وغير المجدية مع الاسلام .

1 ـ ومن هذا القبيل ذلك المخلص القرآني الذى اقتطف من الترجمة اللاتينية المشار اليها ، ووجهه جوان ويدمستاد سنة 1543 الى الامير لويس البرت ، امير بفاريا .

2 ـ ونقل Schweiger الى الالمانية ، الترجمة الايطالية التى قام بها اريفابيني ، وذلك فى سنة 1616 ونشرت فى نورمبرك بعنوان « فى القرآن التركي !؟ » . وفى سنة 1641 ترجمت هذه الترجمة الالمانية الى اللغة الهولندية ، وبهذه اللغة (الهولندية) تم نشرها ايضا في هامبورك .

3 ـ وفيما بين سنة 1650 وسنة 1665 قام الفرنسيسكاني جيرمان دي سليزيا ـ الذى سبق له ان رحل الى المشرق وتعلم فيه العربية ـ قام بترجمة القرآن الى اللغة اللاتينية ، ولكن هذه الطبعة لم يكتب لها ان تطبع فظلت مخطوطة للآن ، وتحتفظ كلية الطب فى مونبليه بنسخة منها ، كما تحتفظ مكتبة الاسكوريال بنسخة اخرى .

ولعل هذه الترجمة كانت ـ مثل ترجمات اخرى عديدة ـ رد فعل لترجمة دو راي الفرنسية الموالية للاسلام والمدافعة عن نبي المسلمين .

4 ـ وصدرت فى هال Halle بالمانيا سنة 1826 ترجمة للقرآن موقعة باسم وهل Wahl وهذه الترجمة لا تفضل فى شيء ترجمة جورج سيل الانكليزية التى نوهنا بذكرها فيما سبق .

5 ـ وظهرت في كريفيلد سنة 1840 ترجمة اولمان Ullman الالمانية .

6 ـ وحتى اذا اقبل القرن العشرون نجد كريكول يصدر ترجمته الالمانية للقرآن ، وذلك في هال سنة 1901 .

7 ـ وفى نفس السنة صدرت فى ليبزيك ترجمة للقرآن ممضاة باسم Henning

سادسا ـ فى سويسرة :

فى سنة 1543 وفى مدينة « باسيليا » او « بال » نشر العالم اللاهوتي السويسري Buchmann ترجمته القرآن الى اللغة اللاتينية . ولكنه اصدرها حينئذ باسم مستعار هو Bibliander ويظهر انه كان مضطرا ان يعلن عن مصدر ترجمته وهو الترجمة اللاتينية الاولى التى تمت بأرض اسبانيا .

وفى سنة 1550 صدرت لهذه الترجمة اللاتينية طبعة ثانية فى بلاد سويسرة .

سابعا ـ فى هولندة :

تقدم لنا اثناء الحديث عن الترجمات القرآنية فى المانيا وفرنسا وغيرهما ان ذكرت بلاد هولندة او الاراضي المنخفضة ، فلا حاجة بنا الآن لاعادة القول او تكراره فى هذا الموضوع .

ثامنا ـ فى السويد :

1 ـ فى بلاد السويد من اسكندنافيا ظهرت باستوكهلم (عاصمة السويد) سنة 1913 ترجمة للقرآن الكريم الى اللغة السويدية ، وذلك بقلم : Zettersteen

2 ـ كذلك ظهرت في بلاد السويد ترجمة القرآن الكريم الى اللغة السويدية بقلم صاحبها بوهل Buhl

وقبل ان اختم هذا الحديث اود الاشارة الى امور ثلاثة :

اولها : ان ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية ضرورية لنشر مبادىء الاسلام بين العالمين . وكل ما يمكن ان نحرص عليه هو ان نوفر لتلك الترجمات مترجمين نزيهين متفقهين فى اللغة العربية الى جانب تفقههم فى اللغة التى يريدون ان ينقلوا القرآن اليها. وحبذا لو تنازل هؤلاء المترجمون فعرضوا مترجماتهم على مسلمين عرب او على هيئات عربية اسلامية قبل طبعها ونشرها. وبذلك تسلم من هفوات عديدة .

وثانيها : ان الترجمة تتناول فى القالب معاني القرآن لا الفاظه ، لان هذه الالفاظ لا تمكن ترجمتها احيانا اما لبلاغتها واما لعدم وجود مقابل لها فى اللغات الاخرى .

وثالثها : ان القرآن المترجم ليس قرآنا فى الواقع ، بل هو عبارة عما فهمه المترجم من القرآن ، فقد يكون هذا الفهم خاطئا كما قد يكون التفسير كذلك ، ويترتب على هذا نتيجتان هامتان :

عدم الاستشهاد بالترجمة ، وعدم الاخذ باحكامها .

تطوان ـ عبد الله العمراني

مشكلة مصلى الاعياد مع ازدياد العمران :

هل الأفضل ايقاعها في المسجد المتسع أو في الصحراء ؟

مقارنة بين أنظار أئمة الاجتهاد وماهو أنسب في العصر الحاضر .

للاستاذ محمد الطنجي

ان البلاد الاسلامية تتسع فيها العمارة ويزداد ويزدهر العمران باستمرار أولا لحركة التصنيع المطردة في المدن ، وثانيا لكثرة الهجرة من البوادي اليها .

ومن المعلوم ان الرسول عليه السلام كان يبرز الى المصلى خارج المدينة المنورة في صلاة العيدين الفطر والاضحى الا اذا كان مطر . قال الشوكاني واختلف هل الافضل فعل صلاة العيد في المسجد او الجبانة (1) فذهبت العترة ومالك الى ان الخروج الى الجبانة أفضل ، واستدلوا على ذلك بمواظبته صلى الله عليه وسلم على الخروج الى الصحراء ، وذهب الشافعي والامام يحيى وغيرهما الى ان المسجد افضل)) وفي صحيح الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الاضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة ، فكتب الامام النووي على قوله كان يخرج يوم الاضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة)) قوله هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه أفضل من فعلها في المسجد ، وعلى هذا عمل الناس في معظم الامصار، وأما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول .

ثم قال النووي : ولاصحابنا وجهان ، احدهما الصحراء أفضل لهذا الحديث .

والثاني وهو الاصح عند اكثرهم ، المسجد افضل الا أن يضيق ، قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته ، وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى المصلى لضيق المسجد ، فدل على ان المسجد أفضل اذا اتسع .

وسياتي توجيه كلا المذهبين فيما ياتي الا أن المشكلة التي تواجه المجتمعات الاسلامية اذا أخذت هذه المجتمعات بمذهب مالك والعترة هي ان المصلين يخصصون مصلى في ناحية بجنب المدن فلا تلبث ان تحيط بها العمارة فتصبح المصلى في وسط العمارة لا خارجها ، فاما أن يداوموا الصلاة فيها او يتخذوا مصلى آخر لصلاة العيدين فتتجدد له نفس الحالة بعد احاطة البناية به ، وغاية ما هناك ان المصلى يبقى بدون سقف بل يكون براحا خاصا لصلاة العيدين ولو بين البنيان ، وكثيرا ما تكون بعض المدن فيها مساجد كبرى تستوعب من يحضر صلاة العيد من المؤمنين .

وهذا ما يدعو الى النظر في حكمة خروج النبي عليه السلام الى المصلى والى وجهة نظر الائمة المجتهدين في هذا العمل من الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(1) قال في المصباح : والجبانة مثقل الباء وثبوت الياء اكثر من حذفها ، هي المصلى في الصحراء وربما اطلقت على المقبرة لان المصلى غالبا تكون في المقبرة .

فعمل النبي في صلاة العيد انه كان يخرج الى صلاتها في الصحراء اي في صحراء المدينة ، اما في مكة فكانت صلاة العيد تصلى في المسجد بخطبتها بعد فتح مكة واميـر مكة الذي عينه النبي صلى الله عليه وسلم يصليها في مسجد مكة ، والنبي عليه السلام يعلم ذلك ولم يأمره بالخروج الى صلاة العيد في الصحراء .

ومن جهة اخرى فمصلى المدينة التي كان النبـي عليه السلام يخرج اليها انما كانت تبعد عن مسجـد المدينة بالف ذراع فقط اي نصف كيلو متر تقريبـا . ومن المعلوم ان المسجد كان داخل المدينة المنوره وهو ضيق ، وقد علق الحافظ ابن حجر على قول البخاري بان الخروج الى المصلى بغير منبر ، علق على قـول البخاري الى « المصلى » بقوله هو موضع بالمدينـة معروف بينه وبين المسجد الف ذراع ، قاله عمر بـن شبة في اخبار المدينة عن ابي غسان الكناني صاحب مالـك)) .

وقال الحافظ ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) وهو المصلى الذي على باب المدينة الشرقي وهو المصلى الذي يوضع فيه محمل الحاج ، وبناء على هذا البيان فان ما يقصد بالصحراء هو فناء البيوت بطرف المدينة وهذا ما بينه الحافظ ابن حزم في كتابه المحلى مسألة 543 حيث قال : ((وسنة صلاة العيدين ان يبرز اهل كل قرية او مدينة الى فضاء واسع بحضرة منازلهم اثر ابيضاض الشمس وحين ابتداء جواز التطوع ويأتـي الامام فيتقدم بلا اذن ولا اقامة فيصلي بالناس ركعتين يجهر فيهما بالقراءة في كـل ركعـة ام القـرءان وسورة ؛ الخ)) .

وقال الحافظ ابن حزم في نفس المسألة ايضا حول الصلاة في الصحراء او المسجد ((وروينا عن عمر وعثمان رضي الله عنهما انهما صليا العيد بالناس في المسجد لمطر وقع يوم العيد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرز الى المصلى لصلاة العيدين ، فهذا افضل وغيره يجزيء لانه فعل لا امر انتهى بلفظـه . والامام ابن حزم يفرق بين امر النبي فيكون مطلـوب العمل به على جهة الفرض وبين فعلـه من غير امـر فينبغي الائتساء به فقط الا في احوال خاصة ، فقد قال في كتابه « الاحكام في اصول الاحكام » وحكم فعلـه عليه السلام الائتساء به فيه وليس واجبا الا أن يكـون تنفيذا لحكم او بيان لامر الخ)) .

فما هو السر في البـروز الى المصلـى دون المسجد ؟ ان الامام الشافعي رضي الله عنه يعلل ذلك بضيق مسجد المدينة ويذكر انه اذا كان المسجـد يسع المصلين فالمسجد أولى بالصلاة فيه ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر عند كلامه في شرح البخـاري على خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المصلى ما يأتي واستدل به على استحباب الخروج الى المصلى لصلاة العيد وان ذلك افضل من صلاتها في المسجد لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده، ثم قال الحافظ ابن حجر وقال الشافعي في الام بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخـرج في العيدين الى المصلى بالمدينة وكذا من بعده الا من عذر مطر ونحوه وكذلك عامة اهل البلدان الا اهل مكة ، ثم اشار (أي الشافعي) الى ان سبب ذلك سعة المسجد (اي مسجد مكة) وضيق اطراف مكة ، قال : فلو عمر بلد فكان مسجد اهله يسعهم في الاعيـاد لـم أر ان يخرجوا منه فان كان لا يسعهم كرهت الصلاة فيـه ، ولا اعادة ، قال الحافظ بن حجر تعليقـا على كـلام الشافعي رضي الله عنه ومقتضى هذا ان العلة تـدور على الضيق والسعة لا لذات الخروج الى الصحراء لان المطلوب حصول عموم الاجتمـاع ، فاذا حصـل في المسجد مع افضليته كان اولى ؛ انتهى كلام ابن حجر بلفظـه .

الا ان الامام الشوكاني في كتابه ((نيل الاوطار)) اراد توهين اجتهاد الشافعي وابن حجر من ان المدار على سعة المسجد لصلاة العيد فيه ، فقال : ((وفيه ان كون العلة الضيق والسعة مجرد تخميـن لا ينهـض للاعتذار عن التأسي به صلى الله عليه وسلم في الخروج الى الجبانة بعد الاعتراف بمواظبته صلى الله عليـه وسلم على ذلك ، انتهى . واقول ان كلام الشافعي هو الحق المبني على الواقع الذي كان عليه حالة المسجد ففي كتاب نزهة الناظرين في مسجد سيدي الاوليـن والآخرين للشيخ جعفر بن اسماعيل البرزنجي ما نقله الامام النووي في منسكه عن خارجة ابن زيد احـد فقهاء المدينة السبعة ولفظه : بنى رسول الله صلـى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا في ستيـن او يزيد وهو الذي جزم به ابن النجار والجمهور على رواية ان مسجده مائة في مائة .

قال الشيخ جعفر البرزنجي قلت ما نقله النووي من الذرع محمول على البناء الاول وما عليه الجمهـور محمول على ما استقر عليه المسجد بعد ذلك ، فانـه صلى الله عليه وسلم بناه مرتين ، مرة مقدمه من مكة ومرة مقدمه من خيبر انتهى. وسواء حملناه على سبعين ذراعا في ستين او على انه مائة ذراع في مائة فانه ضيق

كما يقول الامام الشافعي وليس ذلك تخمينا فقط ، وبناء على هذا يكون ما اختاره الحافظ ابن حجر بناء على توجيه الشافعي سالما من اعتراض الشوكاني وهو المناسب ان يختار فى العصر الحاضر التي تنتشر فيه العمارة فى مختلف المدن والتي بنيت فيه مساجد عظمى متسعة لكل من يوفقه الله لاداء سنة صلاة العيد على أن بعض المدن فيها المصلى محاط بالعمارات من مختلف الجهات مثل مصلى مدينة طنجة وتطوان وغيرهما .

ومن جهة اخرى ان المصلى الذى كان النبي يخرج اليها لا منبر فيها بل كان عليه السلام يخطب واقفا ويتكيء على بلال اذا تعب كما يستفاد من الترجمة التي عقدها الامام البخاري والحديث الذي رواه هناك فى هذه المسألة .

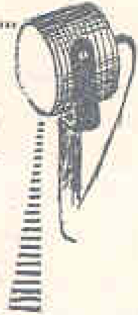
وقد نقل الحطاب شارح خليل قول ابن الحاج فى كتابه « المدخل » فاذا خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن على الارض لا على المنبر فانه بدعة وما عقب به الحطاب على هذا من قول ابن بشير الذي فيه ان عثمان اتخذ المنبر فى المصلى غير صحيح وان وقع فى المدونة من قول الامام مالك رحمه الله .

قال الشيخ التودي فى حاشيته على صحيح الامام البخاري وقع فى المدونة لمالك ان اول من خطب للناس على المنبر فى المصلى عثمان بن عفان على منبر من طين بناه كثير بن الصلت انتهى . ثم قال التودي ورواه عمر بن شبة عن ابن عباس قال ابن حجر : وما فى الصحيحين اصح والآخر معضل (يعني غير صحيح) انتهى كلام التودي .

وكان العلامة الرهوني فى حاشيته على الزرقاني لم يطلع على ما رد به الحافظ ابن حجر قول مالك فى المدونة فرد بقول مالك الذى نقله ابن يونس على قول ابن الحاج ان اتخاذ المنبر فى المصلى بدعة مع أن ابن حجر يؤيده وان كان ابن حجر اخيرا قال : ويحتمل أن يكون عثمان فعله مرة ثم تركه حتى أعاده مروان. ولكن قول ابن حجر هذا لا يلتقي مع بناء المنبر باللبن كما هي الرواية ، واذا أضفنا الى بدعة المنبر بناء المحراب والسور نكون قد ابتعدنا عن الكيفية التى كانت عليها الحال فى عهد الرسول عليه السلام .

وبعد فان نظرية الامام الشافعي فى جعل صلاة العيد فى المسجد اذا كان متسعا ستحل مشكل تنقل المصلى من مكان الى مكان كلما اتصلت البنايات واحاطت به ، ومن جهة اخرى أن صلاة العيد اذا كان فى مسجد كبير فى قلب المدن الكبرى يمتلىء بالمصلين للعيد اكثر حيث لا يعجز الكثير عن المجيء للصلاة فيه فالصلاة مثلا فى مسجد حسان وساحته الكبرى او فى مسجد السنة والساحة المحيطة به تسع الآلاف من المصلين ، ولابد من اخذ راي العلماء فى ذلك ، والله ولي التوفيق .

الرباط ـ محمد الطنجي



ضوء كاشف على الفكر الإسلامي

والثقافة العربية المعاصرة

للأستاذ أنور الجندي

اولا : (الرافعي بين العقاد وطه حسين)

من الحق ان يقال انه قد مضى وقت طويل قبل ان نفهم حقائق كثيرة : كان زيف المسلمات الوافدة قد سد الطريق دون وضوح الرؤيا ، وما زال ، بحيث يمكن القول ان الادب العربي المعاصر فى حاجة ماسة الى كشف كثير من الحقائق وازالة كثير من العوائق .

لقد كانت مدرسة اليقظة العربية الاسلامية تعمل وهي عزلاء من سلاح النشر وسلاح المظهر القوي الذى كان جميعه فى يد مدرسة اخرى تحاول ان تفرض مفاهيم وافدة وتغير واقعا حيا وترسي قيما جديدة تتعارض مع طابع ادبنا وفكرنا وقيمنا اساسا .

وحين نرى الرافعي عام 1911 يهاجم دعوة لطفي السيد الى تفصيح العامية او تعمية الفصحى ندهش لهذا الفهم الباكر لخلفيات المعركة الكبرى التى استقطبت الادب العربي كله من كولون فى المغرب الى ويلكوس فى مصر : لقد تنبه الرافعي رحمه الله فجاة الى ذلك الحصار الضخم الذى يريد ان يحتوي لغة القرآن فانتفض لذلك وجرد نفسه لعمل كبير وبنى لبنة اساسية فى حركة اليقظة التى قاومت الغزو : كانت هذه اللبنة هي اعجاز القرآن والبلاغة النبوية .

فان من يقرا هذا الكتاب مجردا من سياقه وعصره وتحديات جيله لايستطيع ان يصل الى فهم الغاية التى قصد به اليها . ولقد رأى الرافعي لطفي السيد رائد المدرسة الحديثة والذى اطلق عليه من بعد (استاذ الجيل) يحمل نفس اللواء الذى كان يحمله ويلكوس وولمر وغيرهم من المبشرين فازعجه ذلك لانه رأى ان المعركة قد نقلها النفوذ الاجنبي بذكاء وخفة الى الاقلام العربية لتدافع عنها .

وفى هذه الفترة الباكرة ، اعطى الرافعي مفهوما لم يصل الينا سره الا فى السنوات الخمسين، حين انكشفت الغايات ووضحت الاخطار .

ذلك السر هو ما كشف عنه الرافعي حين قال ان اللغة العربية مرتبطة بالقرآن لا تنفصل عنه وان فى فصلها عن مستواه البياني أولى علامات الخطر .

لقد تبين لنا بعد كثير من الزمن ان الهدف كان هو اقامة لغة اخرى : تحاول ان تحل بين اللغة القرآنية الفصحى لتقيم حاجزا بين المسلمين والعرب وبين فصاحة القرآن فتعزلهم عنه .

ذلك كان اعظم ما اعطى الرافعي فى اوائل هذا القرن . وهو ما الب عليه هؤلاء الخصوم الى اليوم والى ما بعد اليوم .



اما معطياته الاخرى فهي كتابه « الادب الاسلامي » : تلك الفصول التى نشرها فى الرسالة يربط بها النفس العربية الاسلامية فى حاضرها بأمجادها ، لقد جاء الرافعي ليهز النفس هزا ويكشف عن مكنون ذلك النور الرباني القرآني فيها

فينشيء ذلك الجيل الجديد الذي سرعان ما أشرقت آثاره في الرسالة وغيرها : علي الطنطاوي ومحمود محمد شاكر وسعيد العريان وكامل محمود حبيب وكثيرون .

لقد عارض العقاد وطه : ذلك الادب الاسلامي الذي كتبه الرافعي ورموه بالقصور ثم لم يلبثوا ان كتبوا هامش السيرة والعبقريات في محاولة للسيطرة على هذا النبع الذي فجره قلم امين ، فما استطاعوا ان يذهبوا مذهبه ولا ان يبلغوا غايته ، وكان لهم من مفاهيمهم واهوائهم ، ما تكشف حقائقه من بعد . فقد ذهب طه حسين يثير الاساطير القديمة من حول سيرة النبي ويحييها بعد أن أماتها وقضى عليها علماء المسلمين ، وحاول العقاد أن يفسر النبوة وبالعبقرية والزعامة وان يرد ذلك الجيشان الذي حول به الاسلام والعقول والقلوب الى اثار الغرائز والاجناس والموروثات . لقد كان كل ما كتبه هؤلاء اشبه بما يقال في دوائر التغريب « البديل قبل ابعاد الاصيل » لقد كانت كتابات العقاد وطه حسين وهيكل (على الرغم مما فيها من صور جديدة) لا تحمل الا بريق الفن ، وتخضع في مجموعها للمناهج الغربية الوافدة، ولكنها لم تكن تحمل الايمان الذي يهدي الى مفهوم الاسلام الحق . مفهوم الايمان بالاسلام دنيا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة .

ولذلك فقد عجز الكثيرون عن فهم الرافعي لانهم كانوا قد تحركوا في دائرة المناهج الغربية وقصروا عن فهم أصالة البيان العربي صفوة من الشباب لم يعجزوا عن فهم الرافعي ، فظل الرافعي درة مجالسهم ، سواء في صالونات الادب أم في المعاقل والمنافي والسجون .

لقد كانت قصص (الايدي المتوضئة والسمكة والله اكبر) زادا طيبا القلوب ولقد كان العقاد وطه حسين يعرفان انهما مهما كتبوا عن الاسلام فليسا ببالغين ما بلغه الرافعي ثقة من الناس او عمق فهم للاسلام .

والناس كانوا يعرفون ان طه حسين كتب (هامش السيرة) متمثلا ما كتب كتاب الغرب عن الاساطير والسخرية باديه في سطوره ، وكانوا يعلمون أن العقاد كتب (العبقريات) من اجل معارضة منهج الانتقاص للفردية والبطولة البشرية .

وان المذاهب التي اعتمد عليها لم تكن في مفاهيم الاسلام ، ولكنها كانت عن طه حسين هي مفاهيم (دور كايم) في التفسير الاجتماعي والمادي للتاريخ وكانت عند العقاد مفاهيم لمبروزو .

لقد عجز كلا المنهجين عن تقديم التفسير الاسلامي الاصيل للتاريخ الاسلامي او البطولة الاسلامية ، فليس الصحابة ابدا سياسيون معاصرون، يتقاتلون على الاطماع كما صورهم طه حسين في الفتنة الكبرى ، وليس مرد عظمة أبي بكر وعلي ، الى التكوين الموروث وطبائع النفس وملكاتها (وحدها) كما حاول العقاد ان يقول ذلك . ولا ريب ان الاعتماد على الملكات النفسية وحدها يحجب جانبا هاما هو دور العقيدة والتربية وينكر اثرها في توجيه الاشخاص ، ولا شك أن التربية الاسلامية التي اقام الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه واتباعه عليها : هي مصدر التشكل النفسي والعقلي الجديد وليست الموروثات والطبائع الاولية (1) .

ومعنى هذا ان البديل لم يكن في درجة الاصيل، ولا من بحره ووروده ، ولكنه كان شيئا آخر : كان محاولة لتقديم تفسير وافد غربي مستمد من فكر له طابعه ومقوماته وعقائده ، في رغبة واضحة لاطفاء طابع العقل الفلسفي البارد بديلا للنفس الاسلامية المؤمنة التي تقيم فكرها على جماع العقل والقلب والروح والمادة .

ولربما كان احدهما صادقا في محاولته ولكنه عجز عن تمثل روح الاسلام ، وهضم طابعه ومزاجه النفسي ، فلقد باعد بينه وبين ذلك ، هذا التكوين الذي بدأ مع الصبا واستمر اكثر من ستين عاما في دروب الفلسفات الغربية وتمحلاتها وصراعها وبعدها عن اليقين الصافي المؤمن الذي يقدمه القرآن لصدر رجل افتتح به حياته وعايشه حتى ختمها : ذلك هو الرافعي القرآني .



لم تكن هذه المعاني واضحة في الثلاثينات حين كانت الصهيونية التلمودية من وراء التشكيك في حقيقة ابراهيم ووجود اسماعيل وعلاقتهما بالجزيرة العربية لانها كانت تحاول ان تجعل من ابراهيم ميراثا

(1) راجع كتابنا : مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام .

خاصا لشعب الله المختار ، ولم تكن نعرف ان الشعر الجاهلي وهل هو أصيل أم زائف ليس هو القضية الاساسية وانما القضية اثارة الشبهات حول القرآن والنبي وحول الرابطة الاصيلة الجذرية بين الادب العربي والفكر الاسلامي : تلك التي لا تنفك قائمة في محاولة لاخراج الادب العربي من نطاق القرآن والاسلام لدفعه الى ادب ابي نواس وبشار من ناحية وقصص بودلير واناتول فرانس من ناحية اخرى .

كل ذلك لم يكن واضحا في الثلاثينات والاربعينات ، حتى كشف عنه الرافعي من ناحية الخلفيات وكشف عنه الرجل الكريم المرحوم الدكتور محمد احمد الغمراوي : **الذي سوف يكتب له التاريخ الادبي** انصع صفحة : والذي جاهد في الميدانين : اولا حين كشف زيف دعوى طه حسين في فهم ديكارت فهما كان يقول ان الازهريين لا يصلون اليه ، فاعلن ان ما نشره طه حسين عن ديكارت ليس هو الحقيقة . وحين كشف حقيقة الادب الذي كان العقاد وطه حسين (وهم اصحاب التبعية الكبرى للادب الغربي : الانجليزي والفرنسي) انه ليس الادب العربي الاسلامي الذي قام عليه الرافعي ، المتصل بالقرآن والتوحيد والاخلاق ، وان ما يسعى هؤلاء المجددون اليه هو القضاء على هذا الادب واحتوائه في ثوب جديد له بريقه وليس له قلبه وروحه ، ولقد ظل الدكتور الغمراوي حتى ايامه الاخيرة يواجه هذا التيار في قوة فكشف زيف زكي مبارك في كتابيه النثر الفني والتصوف الاسلامي ، ثم عاود الحديث في السنوات الاخيرة عن اخطاء العقاد في كتابه (الله) وفي العبقريات عن مفهوم التوحيد ومنهج دراسة الاعلام وابان ان البشرية بدأت موحدة ولم تتطور من الوثنية الى التوحيد كما قال العقاد وان النبي صلى الله عليه وسلم لا يوصف بالعبقري وانما بالنبوة .



تلك حقائق سريعة خاطفة نضعها امام الباحثين ونردهم الى مصادرها لينظروا الى اي حد كانت تلك المسلمات الخاطئة قد بلغت صورة الحقيقة المجردة ، جريا على كل لسان وكل قلم . ونحن الآن في مرحلة تصحيح المفاهيم وتحرير القيم وتلك رسالة العاملين في هذا المجال .

القاهرة ـ انور الجندي

المراجع :

(1) مقالات العقادين والرافعيين في الرسالة 1937 ومقالات الغمراوي في الرد عليها ، وفي الرد على (احد اساطين الادب الحديث) وهو عبد الرحمن شكري اوائل عام 1938
(2) مجلة البيان 1911 .
(3) ما دار حول (على هامش السيرة) 1933 وراي الدكتور محمد حسنين هيكل (ملاحق السياسة)
(4) كتابينا (المعارك الادبية) و (المساجلات والمعارك الادبية) .



القراآت القرآنية

واللهجات العربية

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي



— 6 —

30 — **حيث :** ندرسها فى قوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكون من الظالمين » (1) .

لعل قرائي الكرام يتذكرون انه سبق ان تحدثت عن هذه الآية حينما تعرضت للهجة قبيلة سليم التي تنطق الشجرة الموجودة فى هذه الآية بكسر الشين (2)

واليوم اعود اليها لأتصدى للظرف المكان « حيث » الموجود فيها ، ولاشك انكم فطنتم للسبب الذي دعاني للحديث عن هذه اللفظة ، سيما وانا استعرض مفردات اللغة التميمية ، وهي التي ، كما سبق ان قلت (3) ، تؤثر الصوت الاشد على الصوت الاخف لبداوتها ، وتجنح الى التفخيم .

ومعلوم ان من التفخيم الضم لخشونته . وبما ان الواو ما هو الا امتداد مبالغ فيه للضم ، فان تميم تقلب الياء واوا فى كثير من الاحيان .

وما اتيت بهذا الا لأزيل بعضا من الشك بقي عالقا فى نفسي مما نقله لنا الدكتور صبحي الصالح فى كتابه « دراسات فى فقه اللغة » نقلا كما ادعى عن « الكفاية فى علم الرواية » للخطيب البغدادي المطبوع فى حيدرآباد سنة 1357 صفحة 182 .

قال الدكتور صبحي : « ويزداد هذا وضوحا بمقارنة اللذون التميمية بالذين الحجازية وحوث التميمية بـ « حيث » الحجازية » (4) .

وبما انه لم يقدر لي ان اطلع بنفسي على « الكفاية فى علم الرواية » ، وبما انني اعرف امانة الدكتور صبحي الصالح العلمية ، فاني ، ثقة به ، نقلت ذلك واعتمدته .

ومع ذلك ، يبقى فى الامر غرابة ، ذلك انني كنت اعرف دائما ان « حوث » بالواو وضم الثاء هي من لهجة طيىء ، وهو امر يؤكده لنا جمال الدين ابن هشام الانصاري (5) الذي يقول : « وطيىء تقول : حوث » (6)

---

1) الآية 35 من السورة الثانية ، البقرة .
2) انظر مجلة « دعوة الحق » ، صفحة 29 من العدد التاسع السنة الرابعة عشرة شوال 1391 .
3) انظر نفس المجلة المشار اليها اعلاه، صفحة 33.
4) دراسات فى فقه اللغة ، طبعة دمشق 1379 ، صفحة 97 .
5) هو عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن يوسف ، ابو محمد جمال الدين ابن هشام ولد سنة 708 (1309) بمصر ومات بها سنة 761 (1360) كتبه المطبوعة معروفة متداولة . وله ، فيما يهمنا « رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة » لا زال مخطوطا ، وهو فى اربعة مجلدات .
6) المغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ، الجزء الاول، صفحة 140 من الطبعة الثانية بدمشق .

كان من المنتظر من العلامة أبي حيان الغرناطي ان ينص على ذلك صراحة ولكنه لم يفعل ، واكتفى بهذه العبارة الغامضة : « ويجوز حوث بالواو وبالحركات الثلاث » (7) .

ومعلوم ان حيث ظرف مكان مبهم لازم الظرفية، مبني على الضم فى المشهور عندهم .

الا ان بطنين من تميم هما يربوع (8) وطهية (9) يبنيانه على الفتح دائما .

اما القراءة القرآنية الموافقة للهجة التي درجت عليها يربوع وطهية فهي قراءة عبيد بن عمير الليثي(10) الذي قرأ : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وانه للحق من ربك ، وما الله بغافل عما تعملون » (11) بفتح الثاء . نص على هذه القراءة ابو حيان ، الا انه خلافا لعادته اكتفى بأن علل فتح الثاء دون ان ينسبها الى لهجة ما ، فقال « وقرا عبد الله بن عمير « ومن حيث » بالفتح ، فتح تخفيف » (12)

وعزا هذا النطق الموافق لقراءة عبد الله بن عمير الى بطني تميم المومأ اليهما اعلاه الاستاذ عبد الستار احمد فراج الذي اردف يقول : « والمشهور فى حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها » (13) غير انه لم يذكر هذه القبائل التي تفعل ذلك ، مع ان ابا حيان نص عليه صراحة واطلعنا على اللغوي الذي روى هذا النطق ، فقال : « وحكى الكسائي ان اعرابها لغة بني فقعس » (14) .

وكما انها ترئت مضمومة ومفتوحة الثاء ترئت مكسورة ايضا . قال ابن هشام : « ومن العرب من يعرب « حيث » ، وقراءة من قرا « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » (15) بالكسر تحتملها وتحتمل لغة البناء على الكسر » (16)

يظهر اذن من هذا ان « حيث تنتسب حسب كيفية التلفظ بها الى ثلاث قبائل .

الى تميم الكبرى التي تقلب فيها الياء واوا ، والى بطنين من تميم هما يربوع وطهية حين تقرأ بالياء مبنية على الفتح والى بني فقعس (17) حين ينطق بها متمكنة.

31 — استحى فى قوله تعالى : « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها . فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » (18) .

---

7) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 155 ، السطر 19 .

8) يربوع بن حنظلة بطن من تميم . انظر الاشتقاق لابن دريد ، الصفحات 221 ، 226

9) طهية بن عبشمس بتشديد الياء هو من اولاد مالك بن حنظلة المشار اليه اعلاه — انظر ابن دريد صفحة 559 .

10) هو ابو عاصم الليثي المكي ، ولد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ثقة روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن سيدنا ابي . توفى سنة 74 . هو الذي روى هذه القراءة الشاذة « لمدركون » بتشديد الدال فى قوله تعالى « فلما تراء الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون » الآية 61 من سورة النمل ، قراها معه الاعرج . انظر ترجمته فى غاية النهاية لابن الجزري الجزء الاول ، صفحة 496 ، وعند ابي حاتم الداري (عبد الرحمن بن محمد بن ادريس) فى كتابه الجرح والتعديل الطبعة الاولى بحيدر آباد 1371 ، الجزء الثاني رقم 1896 من القسم الثاني.

11) الآية 149 من السورة الثانية ، البقرة

12) البحر المحيط الجزء الاول ، صفحة 439 السطر 22 .

13) « الرسالة » المجلة الاسبوعية المصرية المشهورة ، العدد 803 ، السنة السادسة عشرة نونبر 1948 . وردت هذه المعلومات فى سلسلة من المقالات كان الاستاذ فراج ينشرها تباعا تحت عنوان « القبائل والقراءات » انظر الحلقة الثانية صفحة 1323 ، العمود الاول .

14) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 155 ، السطر 19 .

15) الآية 182 من السورة السابعة الاعراف .

16) المغني اللبيب ، صفحة 140 من الجزء الاول .

17) لاشك ان هذه هي القبيلة العربيةالتي عناها ابن هشام بقوله : « ومن العرب من يعرب « حيث » وقراءة من قرا « من حيث لا يعلمون بالكسر . وقد اشرت اليها فى الحاشية رقم 15 .

18) الآية 26 من السورة الثانية البقرة .

و « استحيى » فعل مزيد مجرده « حيى » بكسر العين . وبما ان فتحة الياء لازمة ، فانهم مالوا الى الادغام وقالوا فيه « حي » اما الفك الذي نلاحظه في « يحيى » في قوله تعالى : « اليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (19) ، فسببه ان حركة الياء غير لازمة

اما ما نجده عند نحاتنا القدماء بخصوص حيي وما شاكلها وقضية حذف احدى يائيها بعد نقل حركتها الى الحرف الذي بعدها فكلام لا نقبله بوجه من الوجوه سيما وقد خطا الآن علم الاصوات خطوات مباركة الى الامام .

ولقد صادف الصواب العالم اللغوي التونسي الاستاذ الطيب البكوش حين قال : « فهم عند ما يقولون ان ضمة الياء في (بقيوا) انتقلت الى القاف فالتقى ساكنان فحذف ما سبق وهو الياء ، واصبحت الصيغة « بقوا » يعتبرون ان كسرة القاف حذفت ، بينما لا يمكن لحركة ان تضمحل بكامل هذه السهولة وبدون مبرر صوتي » (20) .

قال اسماعيل بن حماد الجوهري نقلا من أبي الحسن الاخفش : « استحيى بياء واحدة لغة تميم ، وبياءين لغة الحجاز ، وهو الاصل ، لان ما كان موضع لامه معتلا لم يعلوا عينه ، الا ترى انهم قالوا احييت وحويت » (21) .

والذي قرا بياء واحدة موافقة للهجة تميم هو ابن كثير في رواية شبل (22) ، هذا ماذكره الزمخشري(23) وزاد ابو حيان : « وابن محيصن (24) ويعقوب (25) يستحي بياء واحدة وهي لغة بني تميم يجرونها مجرى يستبي » (26) .

وتعرض لاعرابها بتفصيل ابو البركات الانباري فبين كيف تتعدى بالحرف وكيف يسبك منها ومن صلتها مصدرا (27) .

اما الشيخ محمد الطاهر بن عشور فركز تفسيره في هذه اللفظة على ما تضيفه الحروف الزائدة في الفعل حيي ، ثم اعطى تعريفا رائعا لهذه المفردة (28) .

32 — **خاشعة** (29) « في قوله تعالى : « ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة ، فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذي أحياها لمحي الموتى ، انه

---

19) الآية 40 وهي الاية الاخيرة في السورة 75 القيامة .
20) الطيب البكوش في مقدمة كتابه « التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث » .
21) الصحاح ، الجزء السادس ، صفحة 2324 ، آخر العمود الاول .
22) هو شبل بن عباد ابو داود المكي ، من مقرئي الحرم المكي وهي قراءة ابن كثير ، حديثه مخرج في صحيح البخاري وفي سنن ابي داوود والنسائي روى عنه خلق كثير ومن بينهم حمزة الزيات . اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، ويظهر ان المشهور في وفاته هي سنة 160 . انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري الجزء الاول ، صفحة 323، وفي معرفة القراء الكبار ، الجزء الاول ، صفحة 108.
23) الكشاف ، الجزء الاول، صفحة 85، السطر 12
24) مقرىء مكة المكرمة مع ابن كثير . روى عنه شبل السابق الذكر الا ان في قراءته مخالفة للمصحف، لذا رغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير ، وهو في الحديث ثقة احتج به مسلم رضي الله عنه . توفي سنة 132 . انظر ترجمته في طبقات القراء ، الجزء الثاني ، صفحة 167، وفي معرفة القراء الكبار للذهبي ، الجزء الاول صفحة 81.
25) احد القراء العشرة امام اهل البصرة ومقرئها، توفي سنة 205 — انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ، الجزء الثاني صفحة 386 ، وفي معرفة القراء الكبار ، الجزء الاول ، صفحة 130 .
26) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 121 ، السطر الخامس .
27) انظر ذلك في « البيان في غريب القرآن ، الجزء الاول ، صفحة 65 ، السطر العاشر .
28) تفسير التحديد والتنوير ، الجزء الاول ، من الكتاب الاول ، صفحة 361 .
29) اشرت لهذه اللفظة على انها من لغة تميم في المقالات المتسلسلة التي كنت انشرها تباعا في دعوة الحق تحت عنوان « لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب » العدد السادس والسابع ، السنة العاشرة محرم — صفر 1387 ، صفحة 25 .

على كل شيء قدير » (30) لفظة تميمية (31) معناها فى هذه اللهجة حسب أبي القاسم بن سلام « مقشعرة »

وذهب جل المفسرين الى أن معناها الآن فى القرآن الكريم « التذلل والتصور ، فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها » (32) . وقال السدي : « خاشعة ميتة يابسة (33)

وقال محمد بن علي بن محمد الشوكاني «الخاشعة، اليابسة الجذبة وقيل الغبراء التي لا تنبت، قال الزهري اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت » (34)

الدار البيضاء ــ الدكتور الراجي التهامي الهاشمي

---

30) الآية 39 من سورة فصلت .
31) ابو القاسم بن سلام فى رسالته الشهيرة المتضمنة لما ورد فى القرآن الكريم من لغات قبائل العرب ، اثبتت حاشيته تفسير الجلالين ، الجزء الثاني ، صفحة 169 ، طبعة القاهرة بدون تاريخ .
32) الكشاف ، الجزء الرابع صفحة 157 السطر ما قبل الاخير .
33) البحر المحيط ، الجزء السابع صفحة 499 السطر 15 .
34) فتح القدير ، الجزء الرابع ، صفحة 518 ، السطر السابع عشر .





بحوث في القراءات القرآنية

التي تحدث عنها الزمخشري في تفسير "الكشاف"

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

— 3 —

14 ـ « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » (7)

هذه الآية تتميم للآية التي قبلها وافصاح عن حقيقة هؤلاء المعاندين الذين كفروا ورفضوا الايمان وابوا التصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد اثارت هذه الآية جدالا كبيرا بين المعتزلة وغيرهم من المفكرين الاسلاميين، هذا الجدال مرجعه الى محاولة خلق التوفيق بين هذه الآية وبين بعض اصول المعتزلة من جهة وبين استمساك خصومهم بها كدلالة قطعية على بطلان ما عليه أهل الاعتزال.

ومن المعلوم ان المعتزلة يعتقدون ان عدل الله لا يتأتى الا بحرية الانسان فى التصرف وان المسؤولية لا تكون معقولة المعنى الا اذا كانت الاعمال وفق ارادة الانســان.

وصريح الآية يقتضي ان هؤلاء الكفار قد طبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون سواء انذروا أم لم ينذروا، وتدل على أن الله جعل على قلوبهم اقفالا فهم لا يصدقون، وعلى اسماعهم ختما فهم لا يستمعون، وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون، فكيف يعاقبون اذن والختم جاء من الله تبارك وتعالى. أليس في عقابهم مظهر من مظاهر الظلم والله يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

لذلك فكر المعتزلة فى محاولة تأويل الآية تأويلا يتلاءم مع معتقداتهم وقد ابدع الزمخشري رحمه الله فى ذكر التأويلات الناتجة عن بيان المعنــى المجازي للختم وذكر وجوها شتى نذكر منها الوجه الرابع على سبيل المثال ليطلع القراء على مدى استخدام العنصر العقلي فى تفسير الزمخشري وعلى مدى اهمية البلاغة فى الدفاع عن افكاره فنقول: « قال الزمخشــري: « ووجه رابع (2) وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء، واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض من التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم فى التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي غاية قصوى فى وصف لجاجهم فى الغي واستشرائهم فى الضلالة والغــي ».

ولم يكن بد ونحن نتحدث عن هذه الآيات وما فيها من القراءات من الاشارة الى ما قدمناه حتى لا يسأم القارىء فى هذا العرض المجرد، وسنقدم ذلك بتفصيل عند الحديث عن العناصر الفكرية والعقائدية

---

(1) جرت عادة المفسرين أنهم لا يتحدثون عن القراءات العشرية فقط بل يضيفون اليها القراءات الشــاذة ايضا وعلى نسقهم قدمنا هذا البحث.

(2) تفسير الزمخشري الجزء الاول صفحة 22.

فى تفسير الزمخشري حينما سنتعرض للجوانـــب الاخرى التي اشرنا اليها فى مقدمة البحث ان شاء الله اتمـــام ذلـــك .

ورجوعا الى الحديث عن مجال القراءات نذكر ما يأتـــي :

اولا : ــ الاخبار بأن القراءة المتداولة تجعل لفظ السمع مفردا فى حين أن قراءة ابن ابي عبلة تجعلـــه جمعـــا .

ومن المعلوم ان القراءة الاولى تتطلب تأويـــلات مختلفة ، منها التأويل الذي يجعل السمع مذكورا عوض جمعه وذلك لعدم وجود الالتباس ، ومنها التأويل الذي يجعل فى الكلام مجازا بالحذف ، ويكون التقدير حينئذ والله اعلم ختم الله على قلوبهم وعلى حواس سمعهم .

ثانيا : ــ الاشعار بأن ابا عمرو والكسائي قد قرآ وعلى أبصارهم بالامالة ، قال الزمخشري : « فان قلت هلا منع أبا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد ، قلـــت لان الـــراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكريـــر كأن فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة ، وان يمال ما لا يمـــال » .

واني ذكرت ما أشار اليه الزمخشـــري لاظهـــر اهتمامه بمخارج الحروف وما يلحق ذلك من دراســـة الاصوات وتنوع مصادرها ومآتيها الشيء الذي كـــان معتادا عند مفسري القرءان ودارسي اللغة العربية فى عصر الزمخشري ، وقبل عصره بكثير (3) .

ثالثا : ــ تفصيل الحديث على كلمة غشاوة وما فيها من قراءات .

والغشاوة فى اللغة فعالة من التغشية اي التغطية وهذا الوزن يستعمل فى اللغة لما يشتمل على الشيء كالعمامة والعصابة ، وقد اشار الزمخشري الى تعدد القراءات فى هذه الكلمة فذكرها على الترتيب الآتي :

1 ــ غشاوة بكسر الغين ونصب الاخير
2 ــ غشاوة بالضم والرفـــع
3 ــ غشاوة بالفتـــح والنصـــب
4 ــ غشوة على وزن فعلة بالكسر والرفع
5 ــ غشوة بالفتـــح والرفـــع
6 ــ غشوة بالفتـــح والنصـــب
7 ــ عشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا

ورغم ما ذكره الزمخشري من وجوه فانه لم يبين التأويلات الناتجة عن اختلاف الاعراب ، وقد اشار الى ذلك كثير من المفسرين وربطوا كلامهم بالمفاهيـــم العربية المعتادة ، ونتلخص بعض ما ذكروه فيما يأتي :

اولا : بالنسبة الى قراءة الرفع فانها تقتضي على راي سيبويه أن تكون غشاوة مبتدأ خبـــره الجـــار والمجرور قبله ، وتكون الجملة معطوفة على ما قبلهـــا وعلى هذا الراي تكون هذه الجملة اسمية عطفت على جملة فعلية ، ومن الضروري فى البيان القرآنـــي أن يبحث المفســـرون عن سر تلوين الجملة وتنويعها .

قال ابو السعود العمادي (4) : « وايثار الاسمية للايذان ان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة فى الآفاق والانفس كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك أيضا كذلك ، واما الآيات التـــي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر فى بيان الختم عليها وعلى ما هي أحـــد طريقـــي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية » .

ثانيا بالنسبة الى قراءة النصب فقد تعـــددت التأويلات واحسنها ان تكون كلمة غشاوة مفعولا لفعل محذوف تقديره ، وجعل اي وجعل على ابصارهـــم غشـــاوة .

ومن المعلوم ان القراءة الاولى اقوى بيانا واشد ابرازا للاعجاز القرءاني ، ولذلك انتشرت دون الثانية وعليها مجرى القراءات المتواترة التـــي تجـــري على الالســـن ، وبها نتلو القرءان فى المغرب برواية ورش عن نافع رحمهما الله .

15 ــ « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون » (9)

هذه الآية يمكن ان تكون بيانا للآية التي سبقتهـــا فى ذكر المنافقين وهي قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ، ويمكن ان تكون استئنافا باعتبار كونها جوابا لسؤال محذوف تقديره ، ولماذا يقول هؤلاء آمنا وما هم بمؤمنيـــن ،

(3) اقرأ باب الامالة بتفصيل فى كتاب سيبويه الجزء الثاني ، صفحة 310 فما بعد .
(4) تفسير أبي السعود ــ الجزء الاول ــ صفحة 30 .

فتكون الاجابة هي قوله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنــوا » .

وهذا الخداع يحاولون به كسب بعض الحقوق التي ينالها المسلم دون أن تكون حقيقتهم تخول لهم ذلك

والخداع هو ايهام المخدوع بأنه سينال خيرا في حين ان الغرض يهدف الى اذايته والاساءة اليه ، وهذا فعل يتنافى مع اضافته لله وللمؤمنين ولا يمكن اطلاقه في الآية الا على اساس تخريج معنوي يتفق وقواعــد اللغة وينسجم مع صحة العقيدة ، وقد حاول المفسرون اظهار هاته الوجوه بشتى الطرق البيانية وبسبب ذلك اختلفت التاويلات وتعددت .

ونحن يمكننا أن نتحدث عن هذا الامر باعتبــار القراءات المختلفة .

القراءة الاولى تثبت صيغة المفاعلة في قولــه تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا » ، وهنا يمكن ان تكون المفاعلة لفظية لا تقتضي مشاركة ويكون الخداع من طرفهم وحدهم ، وهذه الظاهرة في المفاعلة أثبتها ابو عبيدة في كتابه مجاز القرآن واعتبرهــا صــورة لافعال متشابهة لا تدل مفاعلتها على المشاركة وذلــك مثل قولهم : قاتله الله أي قتله وعاقبه الله أي وجه اليه عقابه ، ويمكن ان تكون المفاعلة حقيقيــة دالــة على مشاركة الطرفين في الفعل ويكون الخداع حينئــذ مشتركا بينهم من جهة وبين الله والمؤمنين من جهة اخرى . قال الزمخشري فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح ، قلت فيه وجوه احدهــا ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهــرون بالايمان وهم كافرون ، صورة صنع الخادعين ، وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار ، صورة صنع الخادع ، وكذلك صورة صنــع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فاجروا احكامهم عليهــم » .

وهنا نلاحظ ان الخداع اعتباري لا يؤخذ الا من مواقفهم وحالتهم ودراسة واقعهم .

واما القراءة الثانية فهي تاتي بالفعل دون صيغة المفاعلة وهي قراءة أبي حيوة .

والخداع هنا اما ان يكون ناتجا عن سوء معتقدهم في الله فيظنون انه ممن يصح خداعه ، واما ان يكون في الكلام حذف ، ويكون المراد اطلاق الله وارادة رسوله ان يخدعون رسول الله وذلك شبيه بقولهم بنى الامير المدينة أي بنى عملته ذلك .

وقد ابان الله أنهم مخطئون في تقديرهم لانهــم ارادوا ان يخدعوا الله فما استطاعوا ولكنهــم كانــوا انفسهم يخدعون .

ولهذا قال الله تعالى : (وما يخادعون الا انفسهم وما يشعــرون) .

وفي هذه المقابلة ايضا وردت قراءات .

القراءة الاولى تثبت صيغة المفاعلة وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وتجري عليهــا الاحكــام اللغوية السابقــة .

القراءة الثانية يخدعون بفتح الياء واسكان الخاء وحذف الالف وفتح الدال وهي قراءة باقي العشرة .

القراءة الثالثة يخدعون من التخديع .

القراءة الرابعة : يخدعون بفتح الياء وتشديــد الدال بمعنى يختدعون .

القراءة الخامسة : تجعل الصيغة مبنية لما لــم يسم فاعله فيقال يخدعون ويخادعون حسب القراءتين الاوليين ، ولم يشر الزمخشري الى تعليل هذا النوع الاخير والثالث ، أن هذه القراءة تجعلهم ينخدعــون بانفسهم الامارة بالسوء ، وتكون كلمة انفس منصوبــة على نزع الخافض .

ورغم تعدد هذه القراءات فانه لا يدخل منها في اطار المتواتر الا الاوليات ، وقد قارن بعض المفسرين بينهما كالطبري مثلا فرجح القراءة التي لا تثبت المفاعلة واستدل على ذلك بدلائل منها قوله : « ومن الدلالــة ايضا على ان قراءة من قرا وما يخدعون أولى بالصحة من قراءة من قرا وما يخادعون ان الله جل ثناؤه قــد اخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية فمحال ان ينفي عنهم ما قد اثبت أنهم قد فعلوه لان ذلك تضاد في المعنى وذلك غير جائز من الله » (5) .

(5) جامع البيان عن تأويل القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ ـ الجزء الاول صفحــة 277 .

وموقف الطبري مبني على عدم الاعتراف بـرأي ابي عبيدة السابق الذي يبيح اطلاق المفاعلة لفظا دون اعتبار المشاركة وهو لا يثبت أمام تأويلات الزمخشري رحمـه الله .

16 ـ « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» (10)

الحديث عن المنافقين لم يتم ، وقد اظهر الله هنا حالة المنافقين وما هم فيه من العذاب النفسي ومن العذاب الجسدي وذلك راجع الى مفهوم المرض من الناحية اللغوية الحقيقية ، ومن الناحية المجازية فقد اشار بعض المفسرين الى ان المرض في قوله تعالى : في قلوبهم مرض يراد به ما في نفوسهم من حقد ونفاق وبغض وضغينة وما تنطوي عليه دخيلتهم من حسد ، وأن الغاية من قوله تعالى فزادهم الله مرضا قد تكون راجعة الى ان بغضهم يزداد لمحمد واصحابه كلما زاد دينه انتشارا وقد تكون مادية محضة نظرا للعوارض المرضية التي يصاب بها القلب كلما اخفق الانسان في تحقيق رغباته الدفينة ، وهؤلاء حيث انهم كانوا يريدون اشعال الحقد بين المسلمين واثارة الفتنة بينهم واطفاء نور الله فلم يستطيعوا انعكس ذلك على قلوبهم فمرضت مرضا حقيقيا واجتمع فيها حينئذ مرض الجسم ومرض النفاق .

والمرض ورد في جميع القراءات بفتح الراء لكن روى الاصمعي عن أبي عمرو أنه قرأه بسكونها .

وطبيعة هذا الوزن في اللغة العربية تقتضي ابقاءه على حالته لان السكون في العادة لايلجأ اليه الا للتخفيف والفتحة خفيفة بذاتها فلا تحتاج الى تحوير بخلاف ما كان مضموم العين او مكسورها فانه قد يقبل التخفيف بالسكون .

وقد نبه السيوطي الى هذه الملاحظة في كتابه المزهر وذكر أنه مفتوح العين من فعل لم يخفف الا في حرف واحد ويقصد به المرض في رواية الاصمعي عن ابي عمرو ثم قال بعد ذلك وانما التخفيف في المضموم والمكسور كرجل ورجل وملك وملك (6) .

17 ـ « ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » (10)

الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية والمصدر المؤول يختلف باختلاف القراءات الواردة في الفعل المضارع ، فعلى انه من فعل المضعف الوسط يكون التقدير ولهم عذاب اليم بسبب تكذيبهم ، ويكون المفعول محذوفا لدلالة سياق الكلام عليه اي بسبب تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم أو بسبب تكذيبهم القرءان ، وهناك تأويلات اخرى لهذه القراءة لا تصل الى حد الوضع الظاهر المتجلي في هذا الشرح المشهور .

واما على القراءة التي تجعل الفعل ثلاثيا فيكون التقدير ولهم عذاب اليم بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم لانهم كانوا يقولون انهم يؤمنون بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين ، وقد رجح بعض المفسرين هذه القراءة لانسجام سياقها مع ما تقدم من الآيات .

ومن الواضح فيما سبق اننا كنا نأخذ المصدر مباشرة من قوله تعالى : يكذبون ونلغي فعل كانوا، وهذا التصرف مبني على ان كان الناقصة لا مصدر لها ، واما على القول بأنها ذات مصدر وهو الارجح فان التقدير يصير حينئذ ولهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون او يكذبون حسب القراءتين الواردتين في ذلك .

وكلتاهما متواتران مقبولتان في القراءات العشرية ولم يشر الزمخشري الى القارئين بهما ، ولكننا مع ذلك نرى أن الفائدة ستتم اذا قلنا ان القراءة الاولى التي تاخذ المضارع من الفعل المضعف ، العين وردت عن ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب ، وان القراءة الثانية التي تؤخذ من الثلاثي وردت عن باقي القـراء .

فاس : محمد عبد العزيز الدباغ

---

(6) المزهر للسيوطي ـ الجزء الثاني صفحة 86 .

دور الاعلام

في تقويم أو تعقيم الاجيال الصاعدة ازاء الصراعات الفكرية المعاصرة

للأستاذ مفدي زكريا

اخترت دراسة هذا الموضوع بالذات على خطورته، وتشعب جوانبه لانه يتجاوب مع ما تصطخب به نفسي ونفوسكم جميعا من خواطر مؤلمة تركتنا نتارجح بين خيبة وامل في اجواء قاتمة يكتنفها الغموض، وتتغشاها الحيرة القاتلة، وبين هذا وذاك، تنهك حرمات دين، وتهدر كرامات انسان وتذبح فضيلة مجتمع، في دنيا الذين عميت عليهم السبل فاتخذوها عوجا، انسياقا وراء تيارات مبيدة جارفة مصوبة كالسهام في كل جانب الى صميم مقوماتنا الاساسية، وركائز كياننا الاصيل، ابتغاء اجهاض جيل محنط، وبعث اذهان معلبة، وخلق انسان ممسوخ وقع طبخه في المرجل الزمني السريع، او ما نسميه Cocotte minute

ونظرا الى الدور الخطير الذي يلعبه الاعلام بطاقاته الغير المحدوده في خلق الراي العام وتكييفه وتوجيهه الوجهة التي ترتضيها الغزوات الاعلامية الصليبية والصهيونية من شيوعية وراسمالية على يد عملاء مسخرين عن عمد وسابق اصرار.

لقد سمعنا الكثير، الكثير من البكاء والعويل في هذا الملتقى وفي غيره من الندوات الاسلامية على ما نكبنا به من انهيار عقيدة تحت وطاة التبشير ومن التناقضات بين التشريع الاسلامي وواقع التشريع اليوم، ومن ذوبان الشخصية الاسلامية، وتفتت القيم الاخلاقية في مجتمعاتنا الذبيحة، ومن تفشي الانحلال والتفسخ والالحاد، والفجور الفكري في صلب مجتمعاتنا المبتلاة بالتبعية الصماء والتقليد الاعمى، والانخداع بكل ناعق من ابواق الاستعمار الجديد، ومن رواسب وعقابيل الذين بارحوا الديار بعد ان احتلوا الافكار، وقد تعلم او لا تعلم ان القنوات التي سلكتها هذه العفونات الى حرماتنا هي اجهزة الاعلام الحديثة الموجهة بتخطيط دقيق ومضبوط من مدفعيات الهجوم الصليبي والصهيوني من راسمالي ومن شيوعي لنسف قيمنا الاخلاقية العليا وضرب حصار حول الفكر الاسلامي لاحاطة اجيالنا الصاعدة بصحراء شائعة من فراغ يسهل عليها ان تملاه بالمذهبيات المدخولة، والافكار الانهزامية الرعناء، وبما أن أجهزة الاعلام هذه تقوم بدور السفارة بين مصادر التخريب، والمجتمعات المجردة من الحصانة والمنعة الروحية، وجب علينا أن نقوم بدور تشريحي في صلب هذه الاجهزة المصدرة، وما تمور به من اوبئة وجراثيم لمعرفة مدى انعكاساتها الرهيبة على مجتمعات الموردين، اذ الحكم على الشيء فرع من تصوره كما يقول المناطقة، ولنضرب صفحا عن استعراض وسائل الاعلام في العصر الجاهلي. وفي صدر الاسلام فلسنا نقوم بدراسة تاريخية يمكن معرفتها بالرجوع لكتب التاريخ، انما الذي يهمنا في اوضاعنا المحزنة هو معرفة مصادر الداء، وطرق العدوى، والدق على اجراس الخطر، ومحاولة القيام بعملية انقاذ سريعة لا عملية وقاية لان الداء استفحل وانتشر الى درجة تبعث على الياس والقنوط.

ان الوضعية التي تسيطر اليوم على جل البلاد الاسلامية الواقعة فريسة للغزو الاعلامي العميل. هي

وضعية اشبه ما تكون بوضعية الجاهلية الاولــى . او الردة بعد الاسلام لا بعد الايمان ، ولما يدخل الايمان في قلوبنا ، لذلك يجب ان لا تستـــر وراء اساليـــب الاحتشام والمجاملات اللفظية الجوفاء ، بل يتحتـــم علينا ان نكون في مستوى مسؤولياتنا وما تفرضـــه ضمائرنا من شجاعة وصراحة ونزاهة في تسميـــة الاشياء باسمائها .

وبعد ، فما هي وسائل الاعلام الحديثة ، وما هو مدى تأثيرها في خلق الراي العام وتسخيره ؟ تنحصر وسائل الاعلام الحديثة في الصحافة . ووكالات الانباء، والاذاعة والتلفزيون ، والسينما ، والمسرح ، ودور النشر والتوزيع ، والموسيقا ، والاغنية . الصحافـــة وهي عندنا صورة تكاد تكون طبق الاصل عما في دول الغرب ودول الشرق على السواء . ومما لا نزاع فيه ان الصحافة تقوم بدور خطير في التلاعب بالراي العام الى درجة انها انتزعت لنفسها لقب « صاحبة الجلالة » السلطة التشريعية والسلطة القضائيـــة والسلطـــة التنفيذية ، او السلطة الرابعة في الدولة الحديثة بعد سلطة الحكومة والبرلمان . وهي سيف ذو حديـــن ، نقمة على الشعوب اذا تولى امرها سماسرة الموت . وسفراء جهنم ، ومدرسة تثقيف اذا تولى امرها ذوو الايمان والضمائر الناصعة . والخطر كل الخطر يكمن في الوضع الذي تحتكر فيه الدول الكبرى بواسطـــة صحفها ووكالاتها جمع الانباء وتوزيعها على العالم بعيدة عن أن تكون محايدة ــ مهما حاولت ذلك ــ فالصحافة الراسمالية ، لم تنفك اداة لحماية المصالح الاحتكارية تحت ستار الحرية والديمقراطية . ونظرية الحريـــة المزعومة سواء في ميدان الاعلام او الاقتصاد هـــي النظرية التي ما زالت سائدة في بلدان الديمقراطيات الراسمالية بصفة عامة . وهذا وضع طبيعـــي اذ ان المفهوم الغربي للحرية في ميدان الاعلام نشا لحماية المفهوم الراسمالي للحرية في الميدان الاقتصادي . وتبعا لهذا فان هذه الصحف لا تتورع عن نشـــر اي شيء لفائدة المحتكرين ابتغاء ترويج بضاعتهم مهما كان مستواها الخلقي . وضررها بالقيم المثلى ــ وقـــد لخص تيودور بيترسون في أحد فصول كتابه ((نظريات اربع)) للصحافة أوجه الاتهامات الموجهة للصحافـــة الراسمالية في نقاط سبع . مع العلم بانه انما استعمل كلمة الصحافة بمعناها الواسع للدلالة على أجهزة الاعلام عامة ، واهم هذه الاتهامات السبع انها تقاوم اي تطور اجتماعي، انها تضفي اهتماما بالغا بالتوافه والسطحيات والامور المنكرة اثناء تغطيتها للاحداث الجارية . انها تنشر الدعارة والاجرام والكذب . وعلى الاخص فيما يتعلق بشؤون العالم الثالث .

اما وكالات الانباء فهـــي مسيطـــرة سيطـــرة استعمارية على الصحافة الغربيـــة والشرقيـــة على اختلاف الوانها . وهذه الوكالات تمتلـــك خطوطهـــا وتتصرف في اقدارها العصابات الصهيونيـــة ســـرا وعلانية في جميع انحاء المعمورة . وقد احتكرت سكان العالم بشكل مريع فان 000 396 745 من السكـــان يتلقون اخبار العالم عن وكالة تاس السوفياتية وحدها بصفة دائمة . وان 881 961 نسمة يتلقون اخبـــار العالم عن وكالات الاخبار الغربية بصفة اساسيـــه . وان 202 مليون نسمة لا يتلقون اي اخبـــار عـــن اية وكالة . اي انهم يعيشون في شبه عزلة عن العالم بحكم بعض الاوضاع الاستعمارية والاجتماعية. وتتجلى الاتهامات الموجهة لهذه الوكالات التي تنفـــخ فيهـــا الصهيونية العالمية شرقية كانت أم غربية في الآتي :

1) اطلاقها لفظ الارهابيين على الوطنييـــن المناضلين في كل بقعة من بقاع العالم واتخاذ كلمـــة ((مقاومة الارهاب)) ذريعة لتسويغ الفتك بالمقاومين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم وامتهنـــوا في كـــرامتهـــم .

2) تضخيمها للانباء بقصد من ورائها المبالغة في تصوير بدائية الشعوب المستعمرة (بالفتح) بغرض تأليب الدول الكبرى عليها ، على اساس انها لا تصلـــح لحكم نفـــسها بنفـــسها .

3) دعم الحرب النفسية الباردة في بث روح الكراهية ، والبغضاء والحقد بين الشعوب ، في حين تجاهلت فيه لمدة طويلة التنديد بالذين شردوا شعبا كاملا بعد تجريده من كل مكاسبه في الحياة ، وتسليط افظع ما عرفته البشرية عليه من انـــواع التنكيـــل والتقتيل والابادة الجماعية. استهتارا بالضمير العالمي المصـــاب بالزكـــام .

4) تجاهلت هذه الوكالات نقل الاخبار التي قد تساعد على الحلول السلمية للمشكلات العالمية .

5) مساهمة هذه الوكالات في اشاعة البلبلة ، وتمهيد الراي العام العالمي للانقلابات الموجهة مـــن الغرب أو الشرق . والتي تتم بتواطؤ مع الاستعماريين: القديم والجديد .

والاذاعـــة : وهي تعتبر من أهم وسائل الاعلام الجماعي ، فهي تلاحق الانسان اينما كان ، فالانسان

اذن مهما بلغت ثقافته لا بد أن يتأثر في بعض من آرائه بجزء من المعلومات المجهولة لديه عن طريق الاذاعة . ومع ذلك فالاذاعة بالغة الاثر بالنسبة لذوي الثقافة المحدودة والاميين والشباب والنساء والاطفال، ومن هنا تتضح اهمية البرامج التي تقدم للجمهور ، واهمية القيم التي تروجها هذه البرامج ، فالاذاعة المسخرة لخدمة أغراض خاصة تحت ستار الترقية والتسلية كثيرا ما تتجنب اذاعة البرامج الثقافية خوفا من أن تجلب جانبا من المشاهدين او ان تبث فيهم عقلية واعية اخرى لا تتلاءم مع العقلية المرسومة التي يسهل الايحاء بها والسيطرة عليها . فهي لا تعدو ان تكون في تشويه رسالتها لا تتورع عن اي شيء فهي تبرر التفاهة والوقاحة والاستخفاف بعقلية الجماهير وبالقيم الاخلاقية .

والتلفزيون : في نطاق التصدير هو الآخر يقوم باخطر دور في اعادة خلق المفاهيم والافكار ، ويقدر عدد المشاهدين المنتظمين لبرامج التلفزيون في العالم من 400 الى 500 مليون مشاهد . وهذا الرقم يؤكد الاهمية القصوى لهذا الجهاز الاعلامي الخطير في عالمنا المعاصر ، وقد كاد ينفرد بالصدارة بين أجهزة الاعلام الاخرى في تصدير العاهات واشاعة الانحراف والفساد وتغذية الغرائز الجامحة ، وهنا يكمن الخطر المستطير على الكرامة الانسانية ، والسلام العالمي . ولقد صدق احد الاطباء النفسانيين في تعريفه للتلفزيون حيث قال : « اذا كان السجن كلية لدراسة الاجرام فان التلفزيون هو المدرسة الاعدادية للانحراف » .

ومن الضروري ، ونحن بصدد تشريح اجهزة الاعلام التي نستورد منها عناصر موتنا وذوباننا ان نشير الى ما اكدته النشرة الرسمية للحكومة الامريكية في مايو 1959 عن العلاقة الوطيدة بين التلفزيون الامريكي وانحراف الاحداث ، تقول النشرة : « ان تفاقم الجرائم قفز بتصاعد اجهزة التلفزيون ، ففي 1940 كان عدد جرائم الاحداث من 10 الى 16 سنة 250 الف قضية ، وفي سنة 1948 ارتفع العدد الى 330 الف قضية ، وفي سنة 1950 قفز العدد الى 420 الف قضية ، وفي سنة 1957 طار العدد الى 670 الف قضية » . وفي دراسة تحليلية لبرامج التلفزيون المخصصة للاحداث قام بها مؤلفو كتاب ((التلفزيون في حياة اطفالنا)) وشملت برامج 5 محطات تقدم برامج متلفزة خلال اسبوع واحد من اكتوبر 1960 اتضح ان الاطفال قد شاهدوا خلال المائة ساعة المخصصة لهم خلال هذا الاسبوع 149 عملية عنف ، واجرام ، من قتل وذبح بالخناجر ، ومناظر صراع ، ومحاولات خنق ، ومحاولات انتحار ، ومرضى هاربون من مستشفيات الامراض العقلية يقومون بأعمال جنونية ، وعمليات نشل ، وعمليات اعتداء على عفاف ، وعمليات شذوذ وغيرها كثير ، هذه برامج يشاهدها الصغار ، فما بالك بما يشاهده المراهقون والكبار .

وفي تقرير من اليونسكو سنة 1971 ان الجريمة تضاعفت بنسبة 147 بالمائة في مدة ستة اعوام ، وان عدد الجرائم يرتفع ارتفاعا فاحشا وان اعمار المجرمين لا تزال تنخفض سنا ، ففي ايطاليا بلغ سنة 1970 نحو مليون ومائة الف جريمة ، وتنفرد روما بالرقم القياسي ، اذ يبلغ المعدل : 888 4 جريمة بالنسبة لكل مائة الف ساكن . وفي انجلترا يلاحظ ان المراهقين يرتكبون جرائم القتل لاجل التلذذ بالقتل . ويتكلمون عن جرائمهم في مراكز الشرطة كما لو كانوا يصفون مباراة في كرة القدم . وفي المانيا الغربية نقرا احصاء صدر مؤخرا عن دوائر الشرطة المختصة بمكافحة الاجرام فنجد ان الاطفال والمراهقين يرتكبون ثلث الجرائم المسجلة . اما في الولايات المتحدة بالنسبة للسنوات الاخيرة فقد اوقفت الشرطة في نيويورك فقط عام 1970 لاعمال اجرامية زهاء 300 1 طفل دون السادسة عشرة .

وتأتي السينما هي الاخرى : ومما لا شك فيه ان السينما ــ في القرن العشرين ــ أصبح يلقى كل يوم من اقبال الجماهير وتلهفم ما لا تلقاه اية وسيلة اعلامية اخرى . وحسب بعض تقارير اليونسكو فانه يتردد في كل اسبوع : 000 000 273 من المتفرجين على 000 150 دار من دور السينما في جميع انحاء العالم ويمثل هذا الرقم حوالي ثلث سكان العالم ، وهذا الجهاز الخطير يعد جامعة لتخريج المجرمين والمنحرفين ، بما تبثه على شاشتها الكبيرة من افلام قذرة تعلم بطريقة تطبيقية فنون استعمال العنف ، وفلسفة السرقة والنصب والاحتيال وفقه الاباحة والتفسخ والانحلال والالحاد والشذوذ وبساندها في اداء هذه الرسالة الجهنمية المسرح ، وعلب الليل ، وسراديب الاثم .

وهذا قدر مشترك بين اجهزة الاعلام الراسمالية والشيوعية على حد السواء ما دامت الاصابع المحركة واحدة في كلا المعسكرين وهي أصابع الصهيونية العالمية التي تعزف على اوتار الماسونية والوجودية

والصليبية في آن واحد ، وغني عن البيان ان المخططات الجهنمية المرصودة لتخريب القيم في كل مكان من هذا العالم هي من صنع عملاقين يتحكمان في مصير هذه الارض ، وهما يتفقان غايات واهدافا ، وان اختلفا صورا واشكالا . فأقدارنا تتأرجح بين شدقي ماردين ، ونحن بينهما كالكامخ بين شاطر ومشطور (الساندويش) وسواء اكل من اليمين او من الشمال فهو في كلتا الحالتين مأكول لا محالة . غير اننا ونحن نتحدث عن مصادر بلوانا نرى لزاما علينا ان نخصص جانبا من الدراسة الدقيقة المنهجية للمخطط الاعلامي الشيوعي. بعد التعميم الذي اسلفناه وذلك لان هذا المخطط موجه بصفة خاصة مدروسة بعمق ومركزة الى الضغط على زناد المدفعية الصهيونية لتخريبنا وابادتنا بوسائل الحرب الباردة والموت البطيء . وان ما نشاهده من بعض شبابنا اليوم وفي بعض كهولتنا المعلبين . والاساتذة المحنطين ، والدكاترة الحركيين ، من انحراف في العقيدة وتنكر مسعور للقيم الاسلامية والانسانية على السواء هو المفعول السحري لهذا الاعلام الشيوعي الصهيوني ظاهرا وباطنا . وهذا الاعلام يعمد في الدرجة الاولى الى استيلاب الشعوب، واستغلال الفاقة والفقر لاقامة استعمار من نوع جديد ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . وان زحف هذا الغزو الاعلامي الشيوعي على العالم الثالث وخاصة على الدول الاسلامية يدفعنا الى تحليل الوسائل والاغراض التي تقوم عليها هذه المخططات ، سواء في الميدان الصحفي ، او الاذاعي ، او التلفزي ، او النشرات والكتب ابتغاء نشر الفوضى ومحاربة الديانات لانها تتوفر على تقوية الوازع الروحي الذي قد يقف حاجزا منيعا دون بلوغ هذه الاغراض، ولسنا بصدد دراسة النظام الشيوعي فلذلك مقام غير هذا. انما الذي نريد ان نقوله للمغترين بسرابه هو ان بلادهم لا تزال منذ نيف وخمسين سنة تقاسي من التعاسة والفقر والحرمان ما ابتلته به الشيوعية من يومها الاول ، ولا عجب في ذلك ، فالنظام الشيوعي بما ينطوي عليه من ظلم وعبودية وخنق للحريات لا يمكن ان يؤدي الى غير هذه النتائج . اذ انه حين يحرم المرء من ثمرة جهده الجسدي وتفكيره العلمي والعقلي ، ويوضع في قالب اجتماعي معين فانه لا يستطيع ان يكون غير ما كان ، وكيف يمكن ان يكون للنظام الشيوعي خير للبشرية وقد صنعته الصهيونية ليكون شرا ووبالا على الانسانية جمعاء حتى يفسح المجال لتحقيق الحلم الذي ظل يداعب خيال يهودا من بسط نفوذه على الارض.

باعتباره الجنس المفضل . وبروتوكولات حكماء صهيون زاخرة بما يؤيد هذا . ونحن لا نحتاج الى دليل أقوى من الرسالة التي بعث بها كارل ماركس امام الشيوعيين الى باروخ ليفي عميد يهود العالم وقد نشرت هذه الرسالة بالفرنسية في جريدة المغرب العربي التي تصدر والتي يرأسها المجاهد المغربي الكبير الدكتور عبد الكريم الخطيب وذلك في عدد 21 الصادر يوم الجمعة 15 يونيو 1973 نقلا عن كتاب دى فيري هيكلنجن المسمى اسرائيل ماضيه ومستقبله ، وهذا نص الرسالة: « ان ابناء اسرائيل وهم المنتشرون اليوم في جميع ارجاء العالم سيحتلون في هذا النظام الجديد مناصب التسيير دون ان تقوم في وجههم اية معارضة سيما اذا عرفوا كيف يسلطون على جماهير العمال ادارة قارة متألفة من افراد منهم. ان كافة الدول المتألفة منها الجمهورية العمالية ستلقي بجميع مقاليد حكمها بين ايدي بني اسرائيل من دون اي عناء ولا صعوبة عندما تنتصر الطبقة العاملة واذ ذاك يقوم الساسة الاسرائيليون ويلغون الملكية الفردية وتصير اليهم الاموال العامة فيتصرفون فيها ويتحقق وعد التلمود اذ وعد بان مفاتيح الخزائن التي توجد فيها اموال الدنيا ستصبح كلها بين ايدي اليهود حينما يحين عهد المهدي المنتظر » .

هذه هي رسالة امام الشيوعية الى امام اليهود ، ثم أليست الدولة الشيوعية اول دولة اعترفت بالوجود الصهيوني بعد ساعات قليلة من اجهاض الغرب والشرق بها ؟ واذا اقتنعنا بهذه الازدواجية بين الصهيونية والشيوعية اتضح لنا بما لا يدعو الى الشك ان الشيوعية لافتة براقة تختفي وراءها كل لعنات الصهيونية من ظلم وتخريب وفوضى وفساد ، وقديما قيل « ان لون الماء من لون الاناء » وهذا الاناء هو المستوى الخلقي والاجتماعي في البلاد الشيوعية ذاتها وتعفن السلوك الانساني في مجتمعاتها ، حقا لقد انحطت الاخلاق بصفة عامة في اكثر بلاد العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وتسربت عدواه لمجتمعاتنا بواسطة الاجهزة الاعلامية الهدامة على يد طوابير وعملاء سخروا افكارهم واقلامهم وضمائرهم الخربة لخدمة هذا النوع الجديد من الاستعمار . ولكن الذي يطبع الفساد الخلقي بوجه خاص في البلاد الشيوعية هو ان حكومات هذه البلاد هي التي تعمل على افساد الاخلاق وتحث عليه ، نتيجة حتمية لاوضاعها الاجتماعية التي تدعو لفساد المثل العليا وتشجع عليه . ففي اكثر

البلاد الشيوعية تنتشر أوكار للفساد وحدائق عامة للدعارة والفاحشة على مرأى من الناس ومسمع .

كما هي الحال في حديقة (صوفيا) التي تزيد مساحتها على كيلومترين مربعين ، أو شوارع أخرى كثيرة تترك عمدا بلا ضوء ليلا لتسهيل الدعارة ، كما هي الحال في شوارع (سيراجيفوا) وقد صرح احد الزعماء المرموقين في بلد شيوعي موجها خطابه الى الشعب : « لقد تركنا لكم الخمر والنساء فخذوهما ، واتركوا لنا السياسة » . فالخمر والدعارة هي المتنفس الوحيد لقوم فقدوا حرياتهم . واصبحوا آلات ميكاليكية في يد القياصرة الحمر المحظوظين دون سواهم من بقية افراد الشعب ، هذا مجمل عن بضاعة التصدير الخلقي بقطع النظر عن المذهب الاقتصادي الماركسي الملفوف بعناوين براقة وخادعة والذي اصطدم بصخرة الواقع لدى تطبيقه والذي يعمل النظام الشيوعي جهده للتراجع عنه تراجعا محتشما اتقاء للهزات ، واتقاء لثورة الشعب على النظام الطبقي المفروض بقوة الحديد والنار على المواطنين الشيوعيين . ذلك النظام الذي وزع الشعب الى ست طبقات : طبقة زعماء الحزب ، طبقة العلماء والمفكرين ، طبقة العمال ، طبقة كبار رجال الجيش ، طبقة الفلاحين ، واخيرا طبقة اللفيف من ابناء الشعب ، ولتصدير هذه المفاهيم الضالة الى بقية بلدان العالم وخصوصا منها العالم الثالث ، تستعمل الشيوعية وسائل اعلامية للتأثير على الجماهير في غاية من الدقة والمكر . وتقوم من وراء هذه الوسائل بدور طلائعي في لعبة الامم ، ولعبة الشعوب ، على حد سواء ولقد كان اندلاع الثورة البلشفية (اكتوبر 1917) بداية تحول خطير في المخططات الشيوعية الاعلامية ، التي تستهدف دائما ومنذ كان كارل ماركس ، سيادة العالم الفكرية والمادية ، ولكن بعد التجارب العديدة ، على ضوء تطور العالم الثالث ، كان لا بد من مراجعة الخطط المتبعة تماشيا مع انفتاح العالم الثالث ، على تجارب الآخرين ونظرياتهم وطرق تفكيرهم . وكان لهذا التحوير الاثر البليغ في تضليل الراي العام وتكييفه ، ويقوم المخطط الشيوعي الجديد على النقط الرئيسية الآتية :

1) التركيز في المقام الاول على الاوساط الاجتماعية النشيطة اي على الفئات الطلابية والفئات المثقفة ، لا على (البروليتاريا) فقط .

2) التركيز ، وبوجه خاص على العناصر المؤثرة في الراي العام حاضرا ومستقبلا ، كالكتاب والشعراء والممثلين ، والمغنيين ، والصحفيين ، وطلاب المعاهد الصحفية ، وطلاب كليات الآداب ، وكليات الحقوق .

3) التركيز وبصفة عميقة على الاساتذة والمدرسين اما بدافع الاقتناع أو بوسائل الاغراء الرخيصة ، وخاصة في مراحل التعليم الثانوي والعالي، انطلاقا من رياض الاطفال والمراحل الابتدائية والاعدادية ، لان عملية غسل المخ واعداده تعتمد في الجانب الاعظم منها على هذه الفئة كما هي الحالة في بلادنا الاسلامية اليوم .

4) التركيز على حتمية الحل اليساري ، وسد المنافذ على كل حل آخر يستهدف الخروج من التخلف ، ويقصد من هذا التوجيه تجميد الفكر عند العقيدة الماركسية ، وقطعه عن ابعاد الرؤيا لممكنات التنمية الاخرى .

5) التركيز اولا وبالذات ، على مقاومة الدين ، باعتباره افيون الشعوب حسب تعبير امامهم ، ومن المعلوم ان الشيوعية عملت منذ ان ظهرت على محاربة الاديان ، فهدمت كثيرا من المساجد الاسلامية والكنائس المسيحية ، ولكنها لم تمس كنيسا يهوديا واحدا لان الشيوعية بنت اليهودية بدون منازع ، غير ان تكتيكا جديدا ادخل على هذه المادة من المخطط نتيجة وقوف عراقيل امام تطبيقه فكانت هذه المحاربة للدين تقوم على ادعاء ان الدين الاسلامي دين ثوري تقدمي لا ينافي الشيوعية كما اوصى بذلك اكثر من زعيم شيوعي ، فاتجه المجهود لتحريف بعض نصوص القرآن في طبعات صهيونية شيوعية ، والايعاز لبعض الصنائع من علماء الاعلام اعتماد تاويل خاطئة ، وكل هذا يهدف الى نسف الدين تلقائيا من الداخل بنسف مقوماته .

6) ممارسة الارهاب الفكري في اروقة الجامعة وفي اوساط المثقفين وذلك عن طريق التصنيف المذهبي ، بوصف كل من يحمل افكارا معارضة أو يدعو لها بالرجعية والاقطاعية والعمالة والتخلف الذهني ، وان نوعية هذا التكتيك تتلاءم مع التكوين النفسي للغالبية العظمى من الشباب المثقف ، وذلك ان الشباب الذي فقد ايمانه بتراثه ، فقد معه كل مناعة فكرية ، وكل روح نضالية في التصدي والمجادلة

واصبح ، بالتالي مفتوحا على كل فكر مستسلما بكل نزعة واردة .

7) ركوب التيار القومي او الوطني بتملق الاراء والافكار القومية والوطنية ، ومحاولة الملاءمة بينها وبين المذهب . وذلك بتذليل كل العقبات العقائدية التي قد تضع المذهب في وضع متناقض مع الفكر القومي او الوطني . وهذا ما نشاهده من الشيوعية ازاء مختلف المنظمات القومية في البلاد العربية ، تحريفا لاحد اسس المذهب الشيوعي نفسه الذي يعتبر دعوة عالمية لا اقليمية ، وان موجة القوميات الضيقة في البلاد الاسلامية على حساب الفكر الاسلامي حصيلة لهذا المخطط الجهنمي الرهيب . وقد عشنا في فترات نضالنا الوطني بالجزائر تناقضات من موقف المذهب الماركسي ازاء الاحزاب الوطنية ، كحزب نجمة افريقيا الشمالية ، وحزب الشعب ، وحتى ازاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الاسلامي الجزائري عام 1936 . بل وحتى ازاء الزوايا الطرقية . وفي هذا المخطط يقول احد الخبراء الغالين في المذهب الشيوعي ((اذا جاز القول بان المذهب صادف بعثا جديدا في الشرق الاوسط فان مرجع هذا الى نشاط القيادة السياسة في الشرق الاوسط التي اصدرت اوامرها بعد الى الايديولوجيين والخبراء ، بالكف عن مهاجمة الحركات الوطنية في العالم الاسلامي)) .

8) استخدام ابسط الوسائل واقربها الى حسن العرض ، وسرعة الاقناع مع الابتعاد عن التعمق وتحليل الشعارات المعقدة التي تنطوي عليها النظرية ، ومع اعتماد الكذب قاعدة اساسية في التبليغ اسوة بالنظرية النازية نفسها ، اذ يقول هتلر في كتابه : (كفاحي) اعتمدوا الكذب واختاروا دائما الكذبة الكبرى فهي بالطبع اكثر قابلية من الكذبة الصغرى .

9) اعتماد الغريزة الجنسية كوسيلة للتأثير واستعمال بائعات وبائعي الجسد لاغراض اعلامية وجاسوسية مقابل افساح المجال امامهن وامامهم لترويج بضاعتهم النافقة في اسواق المراهقين .

10) استغلال الالام البشرية في المرضى واعتماد ضعف طاقاتهم في المقاومة وتسخير أطباء وممرضين وممرضات لزرع الجرثومة الشيوعية في نفوسهم عن طريق الاسعاف أسوة بما يقوم به الاعلام الصليبي على يد المبشرين .

ان هذا المخطط المدروس يطبقه اعلام شيوعي منظم وبغيره يصبح تصدير هذه البضاعة المسمومة متعذرا .

ويكفي للتدليل على ضخامة حجم هذا الاعلام ما ورد في احصائيات الامم المتحدة الاخيرة اذ ان الاعلام الشيوعي يمثل المركز الاول بين دول العالم . اذ ينتج 307 ملايين كتاب يوميا أي ما يوازي ربع انتاج العالم ، بينما يبلغ ما تنتجه المطابع الشيوعية في الدقيقة الواحدة 500 2 نسخة ، وتقول الارقام ان عدد جرائد الاتحاد السوفياتي يبلغ 7957 جريدة ، ويبلغ مجموع النسخ في كل طبعة 132 مليون نسخة. هذه الارقام وان كانت لا تتناول سوى جانب واحد من جوانب الاعلام الشيوعي مع استثناء السينما والراديو والتلفزيون ، الا انها تعتبر معيارا هاما له دلالة في تقدير أهمية هذا الزحف الاعلامي . فاذا اضفنا الى كل ما تقدم التقنية الاعلامية التي تقوم الصهيونية العالمية بتطبيقها ، لتبينا مدى خطورة هذا المخطط في صياغة العقول والسيطرة عليها . وتوجيهها الى خدمة الاهداف المرسومة ، وهذه الغزوات الاعلامية في حد ذاتها سواء كانت شيوعية أم رأسمالية تخضع بوفاء لتعاليم بروتوكولات حكماء صهيون . ففي الطبعة الرابعة صفحة 124 من هذه البروتوكولات نقرأ ما يأتي :

((الصحافة هي القوة العظيمة التي بها تحصل على توجيه الناس ، ومن خلال الصحافة احرزنا نفوذا. وبقينا نحن وراء الستار ، وفي البروتوكول الخامس نقرأ ((لكي نطمئن الى الرأي العام ، يجب باديء ذي بدء ان نربكه تماما فنسمعه في كل جوانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود ــ الطريق في تيههم فيدركون حينئذ ان اقوم سبيل هو ان لا يكون لهم أي راي ، وهذا ما يضمن نجاح حكومتنا (حكومة اليهود العالمية مستقبلا) ، وهذه بالذات الوسائل الشيوعية اليوم التي تقوم على مضاعفة الاخطاء التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير السليم))

ولا تكتفي هذه المخططات الاعلامية في وسائلها بواجهة واحدة ما دام هدفها وخصوصا في البلاد الاسلامية يعتمد على مسخ العقول وتعويم الجسد وتعقيم الادراك وتمييع الكلمة ، ولهذا فهي تستغل الرواسب والنفايات البشرية القذرة من جحافل الهيبي التي تقذف بها هذه المستنقعات الى بلادنا كمبشرين بالانهزام والالحاد والانحلال والتفسخ الخلقي والجسماني الى جانب الجوسسة لحساب حكوماتهم

ومن طلائع هذا النوع من المسخ هيبية ذهنية تقوم بتنفيذ مخطط مضبوط صهيوني على يد علماء اراذل يهدف هذا المخطط تمييع المقومات الاساسية للشخصية الاسلامية بتمييع مقومات لسان هذا الدين: اللغة العربية في أسمى وأقدس مظاهرها بعد القرآن . وهو الشعر ، وتجريده من كل مادة الخلود ، والفحولة والاصالة بالطعن في رسالته بين الاجيال والتدليل على ان اعتماد مسخ مقومات الشعر الذي هو لغة القلوب هو في طليعة المخططات الصهيونية للتدويب والتخريب. تلكم الاعترافات التي قدم بها احد ابطال هذا الطابور ديوانا سماه (لن) فيقول انسي حاج ما نصه بالحرف : ((الشعر ليس ساحة فصاحة ، او سباقا في الثقافة ولا علاقة له بالموهبة ، كما لا صلة له بالعبقرية ، والشعر هو الفنطازية والبلوسة ، هو العنف والتشبح والحمى والحماقة ؛ انني عبد داتي تستعبدني بالمسؤولية، وتستعبدني بالوعي الخاضع لاوامر الخارج ، فالتربية والاخلاق والقيم والمقاييس والشرع وكل ما في اليقظة والواقع عدوي ، الشعر هو السبيل الوحيد للتحرر من القيود الاجتماعية ، الشعر هو الحب والتبذل والمخالفة والقتل والعصيان والحرب والخيانة والشذوذ وانفاق ثروة الآباء وتبذير مجد العائلات ، وتلويث سمعة الوطن . والانتحار والمخدرات والجنس الابيض والاسود لذلك اكرر اني فخور بكل عمل اخرق وكل شذوذ وكل انحطاط بالقيم الروحية والادبية والاخلاقية التي يدين بها المجتمع . وهذه البلاد ، وهذا العالم ، فلا نواميسكم ولا مقاييسكم وكذلك لا شيء ، سحقا لكل شيء)) ونزولا عند هذا الدستور الآمن شلت اذواق الكثيرين من شعرائنا الاغرار ؛ ودفعتهم هذه المخططات الى تسميم الوجدان العربي بهراء رخيص ، وبمنكر من القول وزور ؛ وتدفع المراهقة بالملكية هؤلاء القنافد الهداجين حول بيوتهم الى اشباع غرائزهم المشبوبة في دنيا الجسد وقفص الفساتين والنهود والدرهم الخادع ثم السخرية بكل ما عدا ذلك من مقومات الفحولة والرجولة ، وشاء القدر ان تفجأنا مهرجانات الشعر العربي في البلاد الاسلامية وآخرها المنعقد بتونس من 20 الى 26 مارس المنصرم 1973 بهذيان قد تستمع الى سب الجلالة ولا تستمع اليه لانه بتأثيره على الاغرار ابعد اثر في سب الجلالة تقذف به بعض الخنافس المغموزة النسب ، وبلا حشمة ولا خجل وتقوم معركة حامية الوطيس بين الكلمة الاصيلة والكلمة الدخيلة ، فينتصر فيها الحق على الزيف وشهادة الزور ، وشاءت نفس هذه الاقدار ان نحتفل بتشييع جنازة ما يسمى بالشعر الجديد الذي قضى نحبه الى غير رجعة ، وقمنا برجمه وكنت من الذين قالوا :

وقد لقبوه بشعر حديث
ولكنه (الحدث الاكبر)

ومما لا ريب فيه ان ذوي الاذواق السليمة من المؤتمرين يشاطروننا حكمنا هذا اذا ما سمعوا احدهم يقول في مؤتمر على النطاق العربي ، ابي افعى ، أمي افعى ، وطني افعى ، وانا حنش – وآخر يقول : تنبت الزهرة من ذيل الحصان فتنمو وتزدهر في خرطوم الفيل فتتعطر بها افخاذ الصراصر)) . وآخر يقول : مع كامل الغدرة ((تسرب الحب الى قلبي من اظافر قدمي ، وجروح قلبي ما تزال تسيل بدم الحيض)) . وما الى ذلك مما يتذكر ، صديقي الشاعر العملاق صالح جودت ، ولست اعجب من مسخ على هذه الشاكلة عجبي ممن يشجع على نشر هذه القاذورات والآثام من بعض المشرفين على دور الصحف والنشر والطباعة الملهاف فتفسخ لها الطريق لهتك حرمات الادب والاساءة لسمعة الكلمة وسمعة البلاد والانزلاق بالشعر الى سراديب الاثم والدعارة الفكرية السافرة ؛ وما الفرق بين من يشجع على انتشار الحشيش والمخدرات وبين من يشجع على هذه السخافات والمخازي ؛ واعجب من كل هذا وذاك ان تصيب هذه العدوى الآفنة شعراء ملتزمون مع ثورتنا في ارض فلسطين الذبيحة . فيحاولون عبثا ، تخليد أمجادها بنسيج أوهى من بيت العنكبوت وقد اثبتت التجارب ان الكلمة انعكاس لقيم الثورات ، فالقرآن والحديث انعكاس لقيمة الثورة الاسلامية التي قلبت أوضاع البشر ؛ والكلمة التي خلدت ثورة الجزائر المسلمة هي انعكاس لقيمة هذه الثورة الملهمة التي علمت الانسان ما لم يعلم .

وحبب الى نفوسنا ان تكون الكلمة التي تواكب ثورتنا المقدسة في ارض فلسطين المسلمة اصيلة اصالة الاهداف التي نجاهد من اجلها . ونربأ بثورتنا التي تحارب الصهيونية في كل مظاهرها أن تنزلق الكلمة التي تخلدها الى ان تكون ضحية للاعلام الصهيوني الاثيم .

هذا هو الوجه الحقيقي للمخطط الصهيوني الصليبي الشيوعي الذي نستورد منه كل عفوناته واخطاره . انسياقا وراء التبعية الصماء ، وقد وضعنا اصبعنا على الجرح المزمن المتعفن الذي ما ينفك

يمعن في التخريب والتذويب وينخر عظام هذا المجتمع الطيب ، منشطا على تعقيم اجيال مقبلة وجعلها فاقدة الارادة والحصانة الروحية ويدسه دسا على اقدارنا . ويصر ان يجعله محسوبا على مميزاتنا الروحية العريقة الجذور ، وكياننا الاصيل المستعصى عن الذوبان ، وذلك في عقر دارنا ، وعن يميننا وشمالنا وبين سمعنا وبصرنا ، وفي غفوة من ضمائر بعضنا . فماذا عندنا نحن اليوم من مظاهر المسخ في مجتمعاتنا مستوردة من مستنقعات غيرنا ، انه ليس من قبيل الصدفة ان يكون على رأس جل اجهزة الاعلام الحديثة في كثير من البلاد الاسلامية أفراد من عينات خاصة . مهما اختلفوا في المشارب وتباينوا في الاتجاهات هم مجمعون على تنفيذ المخطط الصهيوني عن قصد وسابق اصرار وفاء لمذهبيات وقعوا فريسة لها فلم يجدوا بدا من الوفاء لها والدفع بالمجتمعات لهاويتها السحيقة ، ولعل المتأمل في واقع الاعلام الحديث في غالب البلاد الاسلامية يدرك مدى سيطرة الافكار الاجنبية على هذه الاجهزة . ومدى الحصار الذي ظلت تضربه حول الدعوة الاسلامية ، ومدى ما يمارسه هذا الاعلام الجاهلي في كثير من الخبث والدهاء من تمويه الحقائق ، وخداع العناوين . وفي هذا الجو الموبوء ينتشر الفساد والالحاد ، ويقوى الارتباط بركائز الاستعمار الجديد المقنع .

فالصحافة في كثير من بلادنا الاسلامية أبواق تعكس بأمانة تلك العاهات والجرائم التي تتدفق من مصادرها . فهي تتحاشى ، وبطرق ملتوية ان تخصص جانبا من نشاطها لتوعية الجماهير وتركيز المثل العليا في النفوس وهي تعني في المقام الاول بنشر التوافه ، والاخبار المثيرة ، وغض النظر عن السموم التي تمزج فيها بالعسل لاساغة الالحاد والمروق ، وترى من الرجعية والتخلف الفكري ان يخصص ركنا منها لنشر الدعوة الاسلامية وتركيزها في النفوس والدعوة للاصالة بطرق علمية تعتمد الصراحة والوضوح والمنطق السليم الذي تقبله الاذهان . ويؤمن به الضالون والمتشككون ، ولا تهتم صحافتنا من قريب أو من بعيد ولو بتجريب محاولة في التصدي لاخطار هذه البضاعة الواردة من الخارج على يد سماسرة الجاهلية الجديدة ، وتعقد مؤتمرات هنا وهناك للفكر الاسلامي والبعث الاسلامي ، والرابطة الاسلامية والتضامن الاسلامي فتقابل ، من أجهزتنا وخصوصا الصحافة بنوع من السلبية والاعراض والبرودة ، ولا تنشر اخبارها الا مقتضبة هزيلة ، اما في ذيول الاخبار أو في الصفحات الداخلية بجانب حوادث الطرقات ، اما ان يرد عليها كتاب مفتوح من طالبات مخدولات يطلبن السماح لهن بالتزوج بالاجانب بدعوى العمل على ادخالهم في دين الله افواجا (من اقرب طريق بين نقطتين) فتعتز صحفنا بنشرها على حساب أهداف ثورتنا الاخلاقية وعلى حساب كرامة المواطن وحرمة القيم الفاضلة ويسيطر بعض قطاع الطرق من المثقفين الحركيين على صفحافتنا واجهزة اعلامنا فيقيمون الحواجز امام الكلمة الاصيلة لئلا تنشر ولا تجد طريقها لجو المجتمع الطيب البريء المخدوع ، الذي وان تخلص من الاستعمار الترابي فلم يتخلص بعد من رواسبه وعقابيله في الفكر والعقيدة والروح وفي جزء حبيب من مغربنا الاسلامي نقرا في جريدة شيوعية انتحلت لها اسم ((الاختيار)) تهكما رقيعا بالمقدسات الاسلامية ، وسخرية سافرة بالانبياء والمرسلين والديانات . ودعوة صارخة للفساد والفجور ، على مراى ومسمع من علمائنا الافاضل الذين انتظرنا طويلا ان نرى منهم نهيا عن منكر قرؤوه . وبعض هذه الصحف الشيوعية لا تتورع — ولو من باب التكتيك — ان يسمى اسلامنا بالمغرب (آفيون المغرب) وتوزع مناشير مسعورة في وضح النهار المبصر تقول فيها بالحرف (ايها الرفاق — ان الرجعية الاسلامية العميلة بدات ترفع راسها وتستخدم اسلوبها الذي اكل عليه الدهر وشرب في محاربة الشيوعية الحرة ، وتنويم الشعب الذي رفض الاستغلال الاسلامي . وها هي الرجعية جندت مبشريها الجدد لترويج خرافاتها وعقائدها البالية التي لم تعد تصلح لهذا العصر . ان هؤلاء المشعوذين تجندوا لنشر الاسلام (افيون المغرب) الذي ترك هذا المغرب مستعمرا من طرف الغزاة المسلمين الرجعيين واخذوا يستغلون المنابر والمساجد للتشهير بافكار التحرر والاشتراكية ومحاربة المد الشيوعي المظفر في مغربنا الماركسي . واننا لن نتهاون في محاربة وهدم صوامعهم واحراق مساجدهم وزواياهم ، وان اللجنة المركزية للماركسيين تخبر كافة المناضلين بأنها قررت تنفيذ الاعدام في كل من تسول له نفسه ان يدعو الى الاسلام ((افيون المغرب)) ويعرقل مسيرة الشيوعية الظافرة في المغرب الماركسي الليني الامضاء — اللجنة الموحدة للماركسيين الثوريين بالمغرب — .

ولا زلنا ننتظر موقف علمائنا الافاضل من هذا المنشور الفظيع . والى جانب الصحافة ، نرى الاذاعة تعني في كل برامجها بالسفاسف واشاعة الانحلال عن

طريق الاغنية الداعرة . والبرامج المستوردة والانتاج المتبذل أو المختلس بدافع السرعة والسباق وراء المكافأة المرصودة . واما التلفزيون والسينما ، فصورة طبق الاصل للوجه البشع من الدور التخريبي الذي كشفنا عن عفونة مصادره ، من تغذية نزعة الاجرام والعنف والاباحية والالحاد ، واجترار الاخبار التي تزيفها وكالات الانباء العالمية المحركة بأصابع صهيون، ثم العمل على تفكيك الاسرة ، وتقويض أسس الحشمة والوقار والاحترام بين افرادها ، وقد تصاعدت في بلادنا الاسلامية جرائم الاحداث اسوة بغيرها من البلدان المصدرة لهذه الآفات ، وآخر مثل عن ذلك ما صرح به امام العدالة خاطف ابن احد المسؤلين قائلا : ـ تعلمت ذلك من شريط شاهدته في تلفزتنا ـ . وان تعجب فعجب أن تعلم في بعض الثانويات الرسمية تأسست عصابة سرية بين الطلبة لممارسة مختلف انواع الاجرام والانحراف ، وكيف لا والرقابة التي تحتاج الى نفوس واعية امينة تفتح الباب على مصراعيه بسخاء لافلام العنف والاجرام والاباحية . والدعاية الصهيونية التي يتهافت عليها من لم يبلغوا بعد الفطام العقلي فينقلوا جرائمها للمجتمع ، وهذا السخاء من رجال الرقابة كان استجابة لنزعة الانتفاع من موارد العرض والتوزيع على حساب الكرامة والايمان ، وهل من نظافة الضمير ان تبث في مجتمع اسلامي افلام مثل العصافير النادرة Les oiseaux rares وبعرض خاصة على الاطفال . ومثل Atax d'Amsterdam الفلم الصهيوني الصريح . ومثل فلم الخالد L'Iternelle وهو مسلسل يدعو الى الاجرام والانحلال . ومثل فلم رجل من حديد L'homme d'assier وفلم قرقاميش ؛ اللذين الذي هو فلم استعماري يدعو للميز العنصري والتفرقة يتبعان التفسخ والميوعة . وفيلم Paternelle بين الالوان ، وفلم الحب الكامل L'amour parfait وفلم Souffle au cœur اللذين يغذيان نزعة الشذوذ الجنسي بشكل سافر . وفلم (Z) الذي انتج بالاشتراك بين ممثلين مسلمين وممثلين اجانب والذي هو في بعض مواقفه دعاية صهيونية واضحة . الى غير ذلك من الافلام الرخيصة سواء في الشاشة الكبيرة أو الشاشة الصغيرة ، اما افلام الاشادة بالامجاد والدعوة للقيم الاخلاقية والمفاهيم الاسلامية ، فلاحظ لها في بعض تلفزيونات بلادنا الاسلامية الا في النادر الذي لا حكم عليه . وبعض التلفزيونات لا تبث البرامج الاسلامية الا في شهر رمضان ومن جملتها محاضرات ملتقيات الفكر الاسلامي كأن ليس من نصيب الاسلام والمسلمين غير شهر رمضان ، اسوة بالصلاة التي لا يعبأ بها في غير شهر رمضان عند عامة الناس وحتى المنحرفات عن المجتمع الفاضل لا يتحمسن للاسلام ككفارة لآثامهن الا في شهر رمضان . اما تراتيل المجد لشعب ملأ الدنيا وشغل الناس منذ ثلاثة قرون قبل المسيح فلا يسمح بارسالها كما لا تسمح بعض الكائنات بانتشار أريج الورد الذي يؤذيها . ومن عجب ان الصليبيين الجدد عرفوا كيف يستغلون التلفزة للتبشير حتى اصبحت المجامع المسيحية تستغني عن كثير من اساليب النشر القديمة التي لم تعد تواكب العصر . وتعتمد اعتمادا كليا على التلفزة ـ فهل كان هذا واعظا للماسكين بحظوظ تلفزتنا ـ واما دور النشر والتوزيع في كثير من بلادنا تنكرت للهدف الذي اسست من اجله واصبحت مقبرة للمواهب ، ولحدا للعبقريات ، وبعضها تعمد ان لا توزع غير الصحف والكتب الداعية للاباحية والالحاد ، وترفع السدود حول توزيع الكتب الاسلامية والصحف الفاضلة ، وتقطع صلة الرحم الفكرية بين الاشقاء بعدم استيراد انتاجها الصحفي والفكري واشاعة العزلة التامة بينها أسوة بما كان يقام من السدود في عهد الاستعمار ، هذا الى جانب نزعة الاستغلال المادي على حساب المنتجين . هذه هي الاخطار أو هذه هي الجروح . فما أعددنا من طاقات لصد ويلاتها ؟ وما هي المسؤولية الثقيلة الملقاة على كاهل علمائنا وحكوماتنا ازاء هذه المخططات التخريبية وازاء ضحاياها من شباب لا نلومه بقدر ما نلوم صانعيه وقد اطاعوه فاضلوه السبيل ، لا شيء والله الا صحراء من فراغ . ومواقف رجراجة تخلف الشك والارتياب .

انا أيها الناس امام خطر داهم قد لا يبقى ولا يذر وان الجهاد فرض على كل مسلم عندما تتعرض عقيدته ومكاسبه لعوامل التخريب والضياع . وجهادنا اليوم هو تضافر الجهود للبحث عن نفوسنا واسترجاعها والحفاظ على ما تبقى من كياننا ونحن في صميم معركتنا ومسؤولية الاندحار او الانتصار في هذه المعركة منوطة باعناق ذوي العزم من العلماء والمفكرين والمسؤولين ، وان حاسة الشعور بالخطر تدفعنا جميعا الى دق اجراس الانذار . فعسى أن تتيقظ الضمائر . وقد بليت السرائر ونعني بفرض المصائر . والا .

ان دام هذا ولم تحدث له غير
لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

الدرا البيضاء : مفدي زكرياء

الحدود في الاسلام

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

تثار في بعض كتابات المستشرقين ومن بينهم اللورد كرومر (1) معتمد الدولة الانجليزية بمصر سابقا في كتابه (مصر الحديثة) وكارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية (2) ، قضية الحدود الاسلامية ، وتوصف بأنها احكام همجية لا تليق بانسان متحضر ، وقد انساق مع هذا الراي الخطير اصحاب الاهواء وانصاف المثقفين من الشباب اليوم الذين لا يعرفون عن الاسلام الا انه دين يعيش على هامش الحياة بفروضه وتشريعاته .

هذه معرفة جاهل — وايم الله — بمنهج الاسلام ، وهذا الجهل بالنسبة للشباب المعاصر لا يغتفر البتة وخصوصا في عصرنا الحديث ، اذ اصبح من المفروض على المثقف ان يلم بشتى الاتجاهات والايديولوجيات حتى يمكن له ان يواكب مسيرة الفكر الجديد فيصطفي المذهب العقدي الذي اهتدى اليه بعد تمحيص واستقصاء .

ولا امتراء عند من تدبر منهج الاسلام وعقد مقارنة بينه وبين باقي المناهج الاخرى في ان شريعة الاسلام نظام للحياة فريد ، ذو خصائص متميزة ، حركي في ابعاده ، جاد في ارتباطاته مع الواقع الحي للانسان في اي ظرف زماني ، رافض لكل ما يعتبر فرضا من الفروض او نظرية من النظريات التي تحتمل شتى التفسيرات المتناقضة مع التكوين النفسي والاجتماعي للفرد اي فرد .

وما دام هذا الدين نظام حياة شامل فانه توخى في تشريعاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والخلقية اقامة مجتمع متميز الذات على غير الصورة التي نرى عليها المجتمعات الحديثة التي ارتكزت على منطلق جاهلي محض لا تعترف بالربوبية الحقة .

وعندما ينشيء الاسلام هذا المجتمع المتميز بعقيدته يضطلع اول ما يضطلع بتربية الضمير ، وتهذيب النفس اذ يعمل على غرس بذور المودة وحب التعاون واعتبار المومنين كتلة متماسكة يربطها تصور واحد سليم للحياة هو اوثق من وشيجة الدم او اية رابطة اخرى ، وفي هذا يقول تعالى : (انما المومنون اخوة) (3) ويقول سيدنا محمد عليه السلام (مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

(1) انظر الشيخ مصطفى الغلاييني . الاسلام روح المدنية ط 1380 ص 157 وما بعدها .
(2) ص 82 ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ط 4 — دار العلم للملايين بيروت 1965 .
(3) سورة الحجرات آية 10 .

ولم تقتصر وصية الاسلام بالرافة والاخاء على المسلمين فقط ، بل تعدت الى الملل الاخرى من الاجناس البشرية لكونها تلتقي عند منبع واحد هو الرابطة الانسانية قال عليه السلام (ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء) ، وكذلك تعدى الى كل حي حي — قبل انشاء جمعية الرفق بالحيوان — قال عليه السلام (بينما رجل يمشي ، فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث ياكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بي فملأ خفه ثم امسك بفيه، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له) قالوا : يا رسول الله : ان لنا فى البهائم اجرا ؟ قال: (فى كل كبد رطبة اجر) .

لذلك كانت رؤية الاسلام فى تكوين المجتمعات تكوينا سليما رؤية ذات ابعاد عجيبة فى تقويم الاخلاق واصلاح السلوك بشتى الوسائل المجدية كالترهيب حتى ينشا ما يسمى بالضمير الذى هو عند علماء الاخلاق الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب يحضه على اداء الواجب ويوبخه على التقصير فيه ، وما يسمى عند علماء النفس بـ (الانا الاعلى) الموجه للسلوك البشري .

ولنا فى الاجيال السابقة فى الاسلام ولاسيما الجيل الاول العظيم خير مثال على براعة الاسلام فى صياغة الفرد صياغة فذة فى التكوين الخلقي العام ، والتصور الرائع للكون والحياة كصحابة رسول الله عليه السلام ومن جاء بعدهم من التابعين واقطاب الصالحين ، وقصة ماعز بن مالك مشهورة تمثل النموذج الحي المومن الذى ارتكس فى الخطيئة فى لحظة من لحظات الضعف البشري ، فاستيقظ ضميره من غفوته وراح الى نبيه يفضي اليه بما ارتكب وهو يعلم ان اعترافه سيودي بحياته ، لكن النفس المومنة التى استشرفت رحاب الايمان لم تبال بالمصير اذ فى المصير تطهير لها ، وكذلك قصة المراة الغامدية كما سيأتي بعد حين .

ولهذا كان من حكمة منهج الاسلام — حتى يحافظ على نظام المجتمع وامنه — فرض الحدود بعد ان ربى الضمير واضطلع بتنشئة النفوس كي يسد المنافذ على العدوان والفساد فلا يعبث بسعادة الناس ويستبد الطغيان بحياة الآمنين فتتحول الى شقاء وتعاسة (4) . ولقد صدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قال (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

وحرص الاسلام بالغ الحرص على تطبيق الحدود ورفض شفاعة الشافعين فيها حتى لا تصبح القوانين العوبة فى يد اصحاب الاهواء ودمية فى يد المستبدين من الحكام ، الامر الذى يحيل المجتمع ميدانا للتلاعب المخزي ، ويفقد حينذاك افراده ثقتهم الكاملة بعدالة التشريع ، ويؤيد هذا ما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها فى حكاية المراة المخزومية فاطمة بنت الاسود ابن عبد الاسد (ان قريشا اهمهم شان المراة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا: من يجترى عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا اسامة اتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (5) .

ومع هذا يراعى الاسلام فى تطبيقاته للحدود ملابسات القضايا وظروفها التى تكون فى صالح المتهم ، لان المتهم بريء ما لم تثبت ادانته ، وهذا المبدا الاسلامي العظيم واضح فيما صنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى حد السرقة عام المجاعة واتخذه بعض من يتطفل على منهج هذا الدين ذريعة للقول بتعطيل الحدود وغيرها من احكام الله كما ذهب الى ذلك الدكتور محمد النويهي فى بحثه (نحو ثورة فى الفكر الديني) المنشور بمجلة (الآداب)

---

(4) نشير الى ان الاسلام يعترف بلحظات الضعف البشري ، ولا يرمي الى انشاء مجتمع الملائكة ولذلك فتح باب التوبة على مصراعيه امام الخطائين،ونشير ايضا الى ان المجتمع الاسلامي الحق فى عصر النبوة وبعده لم يكن يخلو من الجرائم بتاتا الا انها كانت قليلة جدا ومسترة والاستثناء يؤكد القاعدة .

(5) الحديث رواه البخاري ومسلم مع زيادة فى الروايتين

البيروتية (6) نافيا ان يكون حكم عمر مرتكزا على القاعدة الاسلامية الصريحة وهي قول الرسول عليه السلام (ادرؤوا الحدود بالشبهات) كي يدلل على ان اجتهادات الخليفة الورع عمر تخالف النص القرآني لتتخذ تحت — وهذا هو غرضه — طريقا لتعطيل الاحكام الواردة فى كتاب الله كنظام الارث وتعدد الزوجات ، ويبدو لي ان الدكتور النويهي التبس عليه المفهوم الدقيق للشبهة فى الشريعة الاسلامية ، الذي هو ما يشبه الثابت وليس بثابت، اذ لو كان الدكتور على بينة من هذا المفهوم لناقشه واعطاه حقه من البيان حتى يبرز اعجابه الكبير بشخصية عمر ذلك الاعجاب الذى يتمثل فى قوله بهامش البحث (ما اروعك يا ابن الخطاب) (7) .

وقد يحتج بعض انصار التحليل النفسي بأن المجرم مخلوق سلبي ، وضحية للعقد النفسية الجنسية — كما زعم فرويد وبعده علماء النفس — الناشئة عن كبت المجتمع والاخلاق والدين والتقاليد، لذلك فهو بريء لانه مجبر على ارتكاب الجريمة تحت تأثير العوامل النفسية .

وقد يحتج ايضا الشيوعيون بان الجريمة منشأها العوامل الاقتصادية اذ ان المجتمع الذى تختل فيه موازين الاقتصاد لا يمكن بحال ان تسوده الاخلاق ، والنتيجة انه لا يجوز معاقبة المجرم ما دامت هذه الظروف تدفع الفرد الى ارتكاب الجريمة فى حين ان روسيا التى تدعى العدالة فى الاقتصاد تزخر بكثير من الجرائم وتزج باصحابها فى السجون.

والرد على هاتين النظريتين يحسن ان اورد بعض ما قاله الاستاذ المفكر محمد قطب عن الجريمة والعقاب داحضا رأي المحللين النفسيين ورأي الشيوعيين (ولكن المحلل النفسي فى وقوفه الى جانب المجرم الخلقي لا يكون على صواب ، وكل ما يقوله فى تبرير الجريمة هو فى الواقع كلام يفسر ولا يبرر ، يفسر الجريمة بشرح الخطوات النفسية المتتابعة التى ادت الى حدوثها ، ولكنه لا يبررها لانه — كما قلنا من قبل — يغفل القوة الضابطة فى كيان الانسان ، وهي واقع علمي لاسبيل الى اغفاله ، ومن الخطأ ولا شك ان نقيم نظرياتنا وتشريعاتنا على اساس اغفاله والتهوين من قيمته فى الحياة البشرية .

كما ينشأ الخطأ كذلك من اعتبار كل مجرم مريضا نفسيا لا ارادة له فيما وقع منه من اعتداء، بل مجنيا عليه من المجتمع ينبغي علاجه من شذوذه دون ان يوقع عليه عقاب .

وما يكابر احد فى ان بعض بواعث الجريمة فى المجتمع المسيحي الغربي قد نشأ من سوء تطبيق التعاليم المسيحية ، ومن الكبت الذى لا مبرر له فى واقع الامر .. فان الحجر على كل نزعة فطرية وتحريم الاحساس بها فى داخل النفس لا بد ان ينشأ عنه هذا الصراع المدمر الذى ينتهي احيانا الى الجريمة .

ولكن التوسع فى تطبيق هذه النظرية حتى تشمل كل جريمة امر شديد الخطورة فضلا عن مجانبته للحقائق العلمية ، فكثير من الجرائم فى المجتمع الغربي الحديث لا ينشأ عن الكبت ، وخاصة بعد ان انحلت القيود ولم يعد هناك رقيب من المجتمع ولا من داخل النفس يحرم النشاط الجنسي وهو مبعث الجريمة كلها فى نظر فرويد وكثير غيره من المحللين ، وانما تنشأ الجريمة فى هذا المجتمع المنحل من المبالغة فى الاباحة ونزع القيود لان هذا رأي يؤدي الى اغراء كل فرد (بتحقيق ذاتيته) على اوسع نطاق فتتضارب المطالب وتصطدم الرغبات وتحدث الجريمة .

على هذا الاساس الخاطيء فى التربية وعلم النفس يقوم المجتمع الغربي المنحل وتنتشر فيه الجريمة ثم تقدم لها المبررات فتزداد يوما بعد يوم ويتغاضى عنها المجتمع ويأخذها على انها امر واقع لا تجوز مقاومته ولا تستطاع حتى لو اريدت لانها مسألة جبرية ليس لاحد عليها سلطان .

---

(6) العدد الخامس مايو 1970 — السنة الثامنةعشرة ص 25 وما بعدها والبقية بصفة 98 وما بعدها.
(7) نفس المجلة ص 100 ، والغريب ان النويهي لا يقول بالشبهة فى اجتهادات عمر ، فى حين انه روى عنه قوله (لان اعطل الحدود بالشبهات احب الي من ان اقيمها بالشبهات) .
(8) انظر ، كتابه (القيم الانسانية بين المادية والاسلام) فصل « الجريمة والعقاب » ص 180 وما بعدها . ط 4 (1965 ؛ وانظر نفس الموضوع بكتابه « شبهات حول الاسلام » ص 135 ط 6 — 1964) .

اما الشيوعية فترى ان الجريمة تنشـأ من اسباب اقتصادية لا جنسية ولا سيكولوجية على وجه العموم ، وانه طالما كان المجتمع غير متوازن من الوجهة الاقتصادية فلابد ان تنشأ الجرائم لانه لا سبيل الى قيام الفضائل فى نفوس الفقراء الحاقدين ولا الاغنياء المترفين ، ولذلك فهي ترى ان وجود الجرائم فى البلاد الراسمالية امر طبيعي وانه ليس من العدل مقاومتها ولا فرض العقوبات عليها ، كما انه لا سبيل الى القضاء عليها مع بقاء الاساس الاقتصادي غير المتوازن .

اما داخل بلادهم فنحن لا نعلم الامور كلها على وجه اليقين ومعظم ما يصلنا هو الدعاية اما منهم واما ضدهم ، وعلى اي حال يزعمون ان الجرائم قد انتهت وان كانوا لم يزعموا بعد انهم قد الغوا المحاكم والسجون، ولعلهم يقصدون ان جرائم السرقة هي التى انقطعت ، فانه لا موجب فعلا للسرقة اذا اتيح لكل شخص كفايته من الطعام والشراب والكساء ، وان كانت الاخبار قد جاءت ذات مرة بمحاكمة صبي فى الثالثة عشرة لانه زور فى البطاقات الخاصة بمواد التموين على قدر اكبر من نصيبه ، وقالت الصحف التى اوردت الخبر ان القاضية نصحت الصبي بالا يعود لمثلها ابدا ثم اطلقت سراحه.

اما الجريمة الكبرى فى الدولة الشيوعية ، الجريمة التى تشق لها السماء وتنهد الجبال هذا فهي انتقاد النظام الشيوعي او التعرض لواحد من الآلهة المقدسين وخاصة الاله ليتبين عند ذلك ينسى القاضي رحمته المشرقة التى تؤثر النصح على العقاب وتنسى الدولة مناعة النظام الذى لا تتغلب عليه قوة ايا كانت ، وينسى الدعاة جبرية الاقتصاد التى تخضع الارض والسماء لسلطانها بطريقة ذاتية غنية عن كل قانون .. وينقضون جميعا على هذا المجرم الاثيم فيسرعون به الى المشنقة ان ارادوا له الرحمة ، او ينفونه فى ثلوج سيبريا اذا اريد له العذاب . وعندئذ تخرج الصحف الروسية مفاخرة مباهية بان الدولة قد قامت بحركة تطهير لحماية النظام . الخ) .

وقد يتساءل الفرد مع نفسه لم لم يترك الاسلام للعقل الانساني الحرية فى سن ما يبدو له من حدود ؟ الجواب ان الاسلام ما عطل يوما حركة الفكر ، بل انه شجعه على المضي فى استنباط ما يناسب ظروف الانسان فى اطار تصوره لقضايا الحياة، وليس ادل على ذلك من ان الله تعالى لو شاء لجعل شريعته تنص على كل ما يحتاج اليه الانسان بكل وضوح دون ان يتيح الفرصة للفكر فى ان ينطلق يستنبط ويجتهد ، وهذا امر لا جدال فيه عند من يؤمن بالله وقدرته ، بيد ان الله تعالى خلق خلقه وتركهم يعملون على اساس منهجه الذى رسمه لهم ، ذلك ان الاسلام مهما اوتي من قوة خارقة ، وذكاء مفرط ، فانه لا يقدر على وضع دستور له يرعى فيه مصلحته الظاهرة فيه والخفية، وفى القانون الغربي كثير من الاعتساف فى الاحكام نتيجة لقصور العقل الانساني عن الاحاطة بخفايا النفس البشرية ومتطلباتها .

ما دام الانسان ـ اذا ـ معرضا للخطأ ولشتى الاهواء والميول ، الامر الذى يجعله يؤثر مصلحته الشخصية او مصلحة الغير على حساب الآخر مما يضر بالبناء العام للمجتمع الانساني ، فان خالق الكون تولى فى مثل هذه المسائل بيان الاحكام ورغم ذلك كلف الحاكم باستعمال فكره فى ظروف القضية ودراستها دراسة محكمة على هدى من التخطيط الالهي .

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

الدين الحق في الرد على كتاب بيان الحق

شبهات حاقدة حول الإسلام:

للاستاذ توفيق على وهبة

- 3 -

الفصل الخامس

مركز المسيح فى القرآن

لقد ظلت المسيحية فى اضطهاد منذ ان رفع الله السيد المسيح عليه السلام حتى جاء الاسلام . ولاقى المسيحيون الكثير من العذاب والتنكيل من الوثنيين الرومان واليهود وغيرهم وظل العالم ينكر بعثة المسيح عليه السلام والديانة المسيحية . ولما ارسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم واوحى اليه القرآن الكريم ؛ كان القرآن هو الدعامة الكبرى فى تأييد دعوة المسيح والديانة المسيحية ؛ ولا يحاج احد من المسيحيين غير المنتمين الى دينه الا وحاجهم بالقرآن الكريم ويثبت لهم ديانته وبعثة المسيح من القرآن الكريم مما يوجب على جميع المسيحيين احترام القرآن ككتاب سماوي، او على الاقل ككتاب يشهد لنبيهم ويكرمه ويعز دينه .

ولكن الحاصل خلاف ذلك اذ يلقى الاسلام والقرآن كثير من التهجم غير اللائق والافتراء المبتذل دون سند او دليل اللهم الا الحقد على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ويعترف صاحب كتاب بيان الحق بشهادة القرآن للمسيح حيث يقول : « ان للمسيح مركزا ممتازا فى القرآن . فقد صوره القرآن انه منقطع النظير ولا يساويه احد من البشر » .

وتلك شهادة حق اريد بها باطل او على الاقل التدليل على الباطل ، حيث يكمل الكاتب حديثه بالتجني على القرآن فيقول : « ولقد لقبه بالقاب الهية مشتقة من الكتاب المقدس وخلع عليه صفات نبوية فائقة . ونسب اليه اعمالا معجزية . واعتبر شخصيته فذة فوق الطبيعة وآية للعالمين . وليس له مثيل فى السماء والارض كائنا من كان فى سموه ومجموع كمالاته ».

ولقد اخطأ الكاتب خطأ فاحشا حينما ادعى ان القرآن لقب المسيح بالقاب الهية لانه لم يرد بالقرآن الكريم القاب الهية يقصد بها التكريم والتاليه الا لله الواحد القهار لا شريك له فى الملك سبحانه وتعالى عما يقولون .

حقا لقد خلع القرآن على المسيح صفات نبوية فائقة ونسب اليه اعمالا معجزية واعتبره شخصية

فذة وآية للعالمين وليس له مثيل فى خلقه فى السماء والارض ولكنه لم يخلع عليه القابا الهية كما يدعي الكاتب . وكل هذا التكريم الذى خص به القرآن المسيح عليه السلام كان المقصود منه تبرئته وامه عليهما السلام مما الصقه بهما اليهود وغير المؤمنين واعتبروه ابنا غير شرعي ، فكان لابد ان تقدم الرسالة الخاتمة الدليل على براءة مريم العذراء وصدق رسالة عيسى عليه السلام ، وهذا مما يوجب على كل مسيحي ان يحترم القرآن ويؤمن به باعتباره كلام الله وخاتم رسالاته ..

اولا : الالقاب الالهية المقول ان القرآن خص بها المسيح

يقول الكاتب : « من اسماء المسيح المباركة التى جاء بها القرآن اربعة هي كلمة الله ، روح الله ، مسيح الله ، وعيسى اي يسوع او المخلص » .

وهذه ليست القابا الهية او صفات الهية كما يدعي الكاتب فكلمة الله او روح الله او مسيح الله او عيسى ليست القابا لله سبحانه وتعالى وليست من صفاته جل علاه وانما هي القاب وصفات للمسيح نفسه باعتباره انسانا ولد بطريقة معجزة ليكون هو وامه آية للناس حتى يؤمنوا بصدق نبوته ورسالته لنتتبع الكاتب فى رأيه لنفنده وندحضه .

1 ـ كلمة الله :

اورد الكاتب الآيتين التاليتين ليدلل على صدق دعوته فيقول :

قال القرآن : « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » آل عمران 45 .

وقال ايضا : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، القاها الى مريم وروح منه » . (النساء 170) .

ويعلق الكاتب على ذلك بقوله « ومما هو جدير بالذكر ان المسيح لم يدع كلمة الله لانه مخلوق بكلمة الله بل دعى بذات كلمة الله اي نطقه الذاتي الداخلي والا فكل الخلائق مخلوقة بكلمة الله فهل ندعوها كلمة الله ؟ ثم اخذ يتفلسف فى بيان معنى كلمة الله ، وكيف ان الكلمة تجسدت ، وان الكلمة المتجسدة هي الله ...

وهذا كله لا اساس له من الصحة ، ولقد اخطأ الكاتب فى مقدمته فأخطأ النتيجة :

اولا : ان الله سبحانه وتعالى ليس له نطق ذاتي داخلي ، وانه لا يشبه سبحانه بأفعال العباد فكيف يكون المسيح هو نطقه الذاتي ؟

ثانيا : اذا فرضنا ان لله سبحانه وتعالى نطقا ذاتيا ـ تعالى الله عن ذلك ـ فكيف نقول بأن نطقه الذاتي هو الله نفسه ، لا ادري كيف وصلت عقلية الكاتب وامثاله الى هذه الدرجة من البلاهة ليقول ان كلام الشخص هو الشخص نفسه .. فاذا اعتبرنا ان لله نطقا فلا يمكن اعتبار هذا النطق هو ذات الناطق ...

ثالثا : ان تعبير الكاتب مضطرب غير مفهوم لانه اراد ان يدلل على صدق اعتقاده فى الوهية المسيح فاوقع نفسه فى الخطأ حيث يقول : ان المسيح لم يدع كلمة الله لانه مخلوق بكلمة الله بل دعي بذات الله « ما هذا الهراء ! ما معنى هذه العبارة المضطربة الغير مفهومة .. هل « كلمة الله » تختلف عن «ذات كلمة الله» ؟

رابعا : المسيح مخلوق مثل سائر البشر بأمر الله سبحانه وبارادته لانه تعالت حكمته اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ، خلق السماوات والارض وسائر البشر ومن بينهم المسيح بالامر الالهي والارادة الالهية .

خامسا : لا ادري لماذا يحاول المسيحيون تبرير خلق عيسى بدون اب واعتبارهم انه ابن الله هل خلق عيسى بلا أب عجيب أم خلق آدم ابو البشر بلا اب ولا ام أم خلق حواء من آدم وبلا ام ... هذه كلها معجزات وآيات بينات من الله سبحانه وتعالى ، ولا داعي لكل هذه الفلسفات العقيمة ، والتبريرات المزيفة لاثبات ان عيسى ابن الله .. تعالى الله عن ان يكون له ولد او يكون له شريك فى الملك .

ويخطىء الكاتب حين يقول : (وعليه فاسم المسيح كما ورد فى القرآن « كلمة منه » يحتمل

معنى الهيا لان هذه الكلمة اسم شخص هو المسيح لا اسم امر ، وهذا الشخص صادر « منه » تعالى أزليا غير مخلوق) .

وحتى على افتراض ان « كلمة منه » اسم شخص لا اسم امر فلا تحتمل هذه الكلمة اي معنى الهيا ، فكما قلنا ان جميع الخلق وجدوا بكلمة الله، وآدم خلق بكلمة الله ومن روح الله . ولقد كرم الله سبحانه وتعالى بني آدم ، ولكن هذا التكريم لا يؤدي الى القول بان للبشر صفات الهية او القاب الهية .. ولم ينشأ في اي وقت من الاوقات خرافة ان الله تجسد في الانسان ، او نزل من عليائه ليدخل في رحم امراة ليخرج منه جنينا ..!! وكان الله سبحانه وتعالى غني عن كل هذا وباستطاعته ان ينزل مباشرة ويظهر للناس اذا اراد ذلك ولم يكن هناك اي داع لعملية الحمل والميلاد من مريم عليها السلام .

اما قوله بان المسيح أزليا غير مخلوق فهذا مخالف للحقيقة لان المسيح ولد من مريم العذراء فهو اذن مخلوق ، فكيف بالكاتب يدعي أنه غير مخلوق ...

والكاتب الذي يستدل بتكريم القرآن لعيسى ومريم عليهما السلام يشكك في القرآن بعد ذلك فيقول : « ولنا الحق كله بأن نفهم على ضوء التوراة والانجيل ما غمض في القرآن من النقاط المشتركة . لان القرآن ذاته في حالة شك من شهادته أو من فهمها يحيلنا الى الكتاب المقدس « فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرأون الكتاب من قبلك » سورة يونس 94 .

يا سبحان الله ..!! القرآن الذي يشهد للمسيح ويبريء امه ويدعم رسالته يكون في حالة شك من شهادته .. اذا كان الكاتب يعني ما يقول ــ وهو لا يعرف قطعا اذا كان يعني أو لا يعني ــ فكان من الواجب عليه ان يدلل على صدق المسيح واثبات المسيحية دون الرجوع الى القرآن الكريم والاستناد اليه ، واعتباره مرجعا اساسيا للتدليل على صحة دينه .

والآية التي يذكرها الكاتب لا تخص الشك في شخصية المسيح او الدعوة المسيحية ، وانما تخص المتشككين في صدق الدعوة المحمدية وتطلب منهم سؤال من أسلم من اليهود . يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية (اي قل يا محمد للكافر فان كنت في شك مما انزلنا اليك « فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك » اي يا عابد الوثن ان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال من اسلم من اليهود يعني عبد الله بن سلام وامثاله لان عبدة الاوثان كانوا يقرون لليهود انهم اعلم منهم من اجل انهم اصحاب كتاب ، فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان يسالوا من يقرون بانهم اعلم منهم ، هل يبعث الله برسول من بعد موسى . وقال القتبي : هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه صلى الله عليه وسلم ، بل كان في شك) .

وهكذا نرى ان الآية موجهة الى المتشككين في صدق الدعوة الاسلامية ، لان الخطاب لا يمكن ان يكون مقصودا به النبي صلى الله عليه وسلم لانه من غير المتصور ان يكون لديه ادنى شك في صحة ما يوحي الله سبحانه وتعالى به اليه ، لان رسول الله وخاتم المرسلين ويعلم ان ما يوحى عليه حق وانه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يتسرب اليه اي شك ...

2 ــ روح الله :

يقول الكاتب : ومن المهم ان نعرف الفرق بين قول القرآن عن آدم « ثم سواه ونفخ فيه من روحه» وبين قوله عن المسيح « كلمته القاها الى مريم وروح منه » فالقول الاول « نفخ فيه من روحه » يعني ان النفخة لآدم صادرة من الروح . والقول « روح منه » يعني أن المسيح هو ذات الروح معطى الحياة !)

وهذا التفسير خاطيء ومنحرف لان كلا التعبيرين يؤدي الى نفس المعنى فالنفخة لآدم ولعيسى كليهما صادرة من الروح ، والقول بأن روح منه تعني ان المسيح هو ذات الروح معطى الحياة غير صحيح وغير منطقي :

اولا : لان المسيح ليس هو ذات الروح وانما من الروح ، وكلمة روح منه نكرة غير معرفة فهي لا تدل على اختصاص المسيح بالروح ، وانما جاءت نكرة لتدل على انه نفخة من الروح كما ان آدم نفخة من الروح.

ثانيا : ليس الروح هو معطى الحياة ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو معطى الحياة . فالقول بان

الروح معطي الحياة هو قول الوثنيين المصريين وقد نقلها عنهم الكاتب .

فالالقاب المقول انها القاب الهية خاصة بالمسيح القاب وصفات عادية وليست الهية كما اشرنا وهي كلمة الله وروح الله ومسيح الله وعيسى .

ثانيـــا : القابــــه النبويـــة

يلقب القرآن الكريم المسيح عليه السلام بالقاب نبوية هي ابن مريم وعبد الله والنبي والرسول والزكي والمبارك والمثل الاعلى والوجيه في الدنيا والآخرة . ولن نتعرض لشيء من هذه الالقاب فيما عدا لقب عبد الله حيث اخطأ الكاتب في بيانه خطأ جسيما .

يقول الكاتب : (ان المسيح ـ حسب تجسده وتأنسه ـ هو عبد الله باعتراف التوراة والانجيل والقرآن) ثم يتحدث الكاتب عن عقيدة الفداء وكيف ان المسيح بذل جسده كفارة عن خطايا البشر ، وقد تعرضنا لهذا الموضوع في بحثنا « الرسول والرسالة » والمحنا الى بعض منه فيما سبق .

يرى الكاتب ان المسيح عبد حسب تجسده واتضاعه ولكنه في الوقت نفسه رب حسب مجد لاهوته وعمله الفدائي .

وهذا التناقض والاضطراب في العقيدة ليس له مثيل الا في العقائد الوثنية .. فكيف يكون للفرد الواحد شخصيتين : شخصية الهية ـ واخرى بشرية ـ وهل كان الله سبحانه وتعالى عاجزا ان ينزل الى البشر مباشرة اذا اراد ذلك .. لا يستطيع العقل ان يقبل هذا الكلام بل ان الكثير من المسيحيين لا يوافقون على هذه التفسيرات الخاطئة ويعترفون بانسانية المسيح عليه السلام وانه مجرد بشر ورسول ليس الا ...

ويحاول الكاتب في سذاجة وسخف تفسير رايه هذا في تجسد الاله فيقول : « وكما يتسربل ابن الملك المتواضع ولا يستنكف ان يتنازل ويحل بين الفقراء يواسيهم ويعلن العطف الملكي عليهم هكذا لم يستنكف المسيح ان يتنازل ويصير عبدا لله بالناسوت في سبيل خلاصنا) .

ما هذا الهراء .. لست ادري كيف سول له فكره المريض وعقله المضطرب ان يشبه المسيح عبد الله ورسوله أو ربه كما يعتقد ويدعى وهو في اعتقاده هذا مخطيء وضال ـ كيف يشبهه بهذا التشبيه السخيف ...

وهذا ابن الملك عندما ينزل الى العامة ويسير معهم يكون له شخصيتين : شخصية ملكية .. وشخصية شعبية ؟؟

ثم كيف يتنازل المسيح وهو في راي الكاتب اله ... ليصبح عبدا لله بالناسوت في سبيل خلاصهم ؟؟

ولعل الكاتب يبحث عن تفسير آخر يؤيد رأيه ـ ان اراد ـ غير هذا التفسير الذي يدينه ولا يؤيده. ان المسيح عبدا لله مثل باقي البشر و « لا يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله » .

المسيح آيـة في رسالتـه وقيامتـه :

يقول الكاتب : « ويورد القرآن نبوته الكبرى عن آخرته انه سوف يموت ويبعث عقب موته حيا فقال : « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا » .

ولقد اخطأ الكاتب في تفسيره هذا لان القيامة المقول بها لدى المسيحيين ليست هي الواردة في الآية سالفة الذكر لان معنى بعثه حيا اي يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم البعث والحساب ، وليس قيامته بعد موته كما يدعي الكاتب ..

ولقد رفع الله المسيح الى السماء قبل ان يقتله اعداؤه فلم يصلب كما يدعون ولم يقتل بل رفعه سبحانه وتعالى اليه وقول المؤلف انه ارتفع الى السماء بعد موته وقيامته ومحاولة ايهام القاريء ان ذلك راي القرآن ليس له اساس من الصحة حيث ان القرآن يقرر ما قلناه ان الله رفعه اليه فلم يقتل ولم يصلب وبالتالي لم يقم من الاموات لانه لم يصلب اصلا ..!

وكذاب الكاتب فى تأليه المسيح يقول : (ويكفي ان حكمه فى يوم الدين هو سيد الاحكام وقضاءه على جميع البشر هو القضاء الاخير) وهذا كذب واثم عظيم فان الحاكم يوم القيامة هو الله سبحانه وتعالى وهو الذى سيقضي بين الناس القضاء الاخير وهو سبحانه اعدل العادلين .

واستناد الكاتب على الآية القرآنية « ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» لا يؤيد رأيه لان معنى هذه الآية ان المسيح يكون شهيدا على قومه من بني اسرائيل ، وليس حكما بينهم او من بين غيرهم بل مجرد شاهد مثله مثل جميع الانبياء الذين سيشهدون امام الله سبحانه على اقوامهم .

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم :

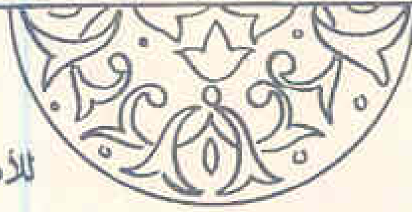
« فكيف اذا جئنا على كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » .

والله سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل.

توفيق علي وهبه



مساهمات إسلامية في الثقافة الإنسانية



للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله

جل ما نرمي اليه من وراء هذه النظرات العابرة في هذه المساهمات الاسلامية التي تولينا تبيانها هو ابراز الحركة الفكرية المباركة التي حمل لواءها جهابذة الفكر الاسلامي ، موضحين ما كان للمسلمين من فضل في حفظ الثقافة اليونانية ـ اللاتينية وتوسيع آفاقها بما أضافوه من شروح وما ابتدعوه من مناهج . واستشهدنا لذلك بأقوال المستشرقين الذين انصرفوا للتراث الاسلامي دراسة وتحصيلا وتحليلا فجاءت نتائج مباحثهم تقريضا للجهد الاسلامي مما سنعرض له فيما بعد .

لقد برع العرب والمسلمون في العلوم الشرعية واللسانية والطبيعية والرياضية والحكمية والفلسفية بما يبرز نشوء الثقافة الاسلامية وتطورها على الوجه الذي عرفته الازمنة الزاهرة من تاريخ الحضارة الانسانية في عهد الدولة العباسية وكان لها وما يزال الفضل في توجيه العقل الانساني والبلوغ الى ما سائر نحوه من تقدم مطرد وذلك بالخطوات الثابتة الاولى التي كشفت له عن المنطق والتي امنت معه المزالق ، اذ كانت الثقافة الاسلامية في طلبها للدنيا خاضعة للدين وفي بحثها عن الحق واخذها بآداب الشريعة غير معرضة عن الدنيا ولا منصرفة عما خول الله لها من خير وأفاض على عباده من نعمة .

ولعل هناك ركيزة اكثر رسوخا هي الحضارة الاسلامية التي انارت شموسها الآفاق وجابت تياراتها الالهامية الالوان ودخلت تحت سلطانها الامة العربية بأسرها والوحدات الثلاث الاخرى من العوالم الايرانية والطورانية والهندية . فكانت آداب وفنون ومعالم ومآثر وعادات وسلوك مع رقة مشرقية وفلسفات عمرانية واشراق نور ، حيث لا اشراق ولا نور تشهد لذلك نظم الحياة واسباب العيش والمؤسسات والاجهزة المتوفرة ، بحسب ذلك الزمان للحياة المدنية ، وما كان يحتاجه المرء وما يشرف به حتى اليوم بما تطورت أشكاله ولمت طاقاته واختلفت هياكله ، وان كان مرده الى اصل ثابت انكشف من قبل للفكر الاسلامي وانتسب منذ قرون للحضارة الاسلامية . ولذلك كتب في التعريف بذلك القدامى والمحدثون من اهل الملة وغيرهم فلم يتركوا لقائل مقالا واغنوا بما ضبطوا وحرروا عن مواصلة الدرس والتنقيب عن اصول تلك الحضارة الشامخة التي قامت كما يقولون بدورها وأدت للانسانية رسالتها ومضت في الخالدات كغيرها من الحضارات .

والحقيقة ان هذه الحضارة قد بدأت انتفاضات محلية كالموجة اليونانية اللاتينية حتى اذا انفجرت رسالة ايمان ، ووعي عقل ، وضعت مشاعلها نبوات الانبياء كما وضعت مشاعل الحضارة اليونانية فلسفات الفلاسفة . وتجاوزت هذه الموجة حدودها المحلية وانطلقت عبر الجزيرة العربية تقدم الى الانسان بغض النظر عن لونه وجنسه والارض التي يدرج فوقها عقيدة يؤمن بها ونهجا يتوسله في تنظيم شؤون عيشه ، وزخما روحيا يدفعه الى اكتناه اسرار الوجود .

هذه الموجة نطلق عليها اسم «حضارة الانسان» تمييزا لها عن الحضارة اليونانية اللاتينية .

واذا كنا قد خصصناها بهذه التسمية فلانها لم تتوسل اسلوب الحضارة اليونانية اللاتينية ونهجها. انها لم تكتف بالعقلنة وسيلة للمعرفة . ولم تقتصر على المنطق التجريبي قاعدة لتفسير الوجود ، بل جعلت من الانسان طاقة ايمان وعقلنة .

التعقلن والمنطق التجريبي اسلوبان وحيدان لاكتشاف قوانين الوجود والتعرف الى اسراره . والايمان اسلوب وحيد للاتصال بالمجهول المطلق الذى هو الله .

الانسان فى نظر هذه الموجة الحضارية ليس من العلاقات المادية وحسب ، ان فيه امتدادا لهذا المجهول وجوهرا مصنوعا على صورته . وبعبارة اخرى ، ان فيه معنى الهيا لا يطمع عقله الى وعيه وتوضيح ابعاده ، وان كان يحس بانه مشدود اليه بأصابع خفية .

والاسلام الذى هو قمة الانتفاضة العربية الحضارية ، هو الصيغة التى ظهرت بها رسالة العربي الى العالم .

وليست الحضارة الغربية الحديثة التى تبلورت قممها فى موسكو وواشنطن نهجا واسلوبا وطريقة تفكير ومحتوى توجيه غير صورة جديدة للحضارة اليونانية اللاتينية .

رب قائل : وما هو دور ما يسمى بالحضارات الشرقية ؟ الا تستطيع ان تسهم هذه الحضارات فى قيادة الانسان ؟ وان تمثل الدور الذي مثلته كل من الحضارتين العربية واليونانية ـ اللاتينية ؟

الجواب عن ذلك هو انه لم يحدث فى تاريخ الهند والصين اللتين سجلتا عصورا ذهبية ، ان فى الدين او الفن او الفتوحات العسكرية ان استطاعتا ان تمارسا دورا قياديا فى مستوى عالمي .

لقد خرجت من هذين البلدين الضخمين موجات عسكرية وتمخض كل منهما عن رسالات دينية . ولكن موجاتهما العسكرية لم تلبث بعد عمليات الاكتساح التى قامتا بها عبر العالم ، ان تفتتت اجزاؤها وضاعت طاقاتها فى كل مكان مرتا به ، او استقرتا فوقه .

اما فلسفاتهما ورسالاتهما الدينية فقد بقيت كلها نتاجات قومية محلية ضيقة عجزت عن ان تتجاوز الحدود فتقدم الى العالم العقيدة والنهج والاسلوب التى تستوعب نشاطه الانساني .

اذا صحت هذه التقديرات وجدنا انفسنا نحن العرب الامة الوحيدة المهياة بفعل ما نملك من التراث ونحمل من الرسالة وننطوي عليه من الكفاءات ونمثله من الادوار التاريخية لمواجهة ازمة القيادة الحضارية التى سيمر بها العالم فى يوم قريب او بعيد .

لذا جاز لنا القول بأن دور القومية الاسلامية لن يكون دورا سياسيا او قوميا ضيقا بالمعنى الذى تفهمه النخبة الاسلامية الواعية بل سيكون دورا قياديا حضاريا يستوعب الجهد البشري وينهض لمسؤولياته الانسانية .

وقبل ان نستعرض اهم المساهمات الاسلامية فى الثقافة الانسانية فاننا نرى لزاما علينا ان نشير الى ان الدور القيادي الذى عرضنا له فيما سلف قد تولته الثقافة العربية منذ اقدم العصور ، بوصفها الاداة الفعالة التى اعتمدها الفكر الاسلامي فى اغناء الثقافة الانسانية بروافده التى يحفظها التاريخ ولا تجدي معها محاولات المبشرين والمفتشين والمتحاملين. فالثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين كما يؤكد ذلك الفقيد العزيز عباس محمود العقاد فى احدى رسائله ، ذلك ان الجهل بهذه الحقيقة مفاجاة مستغربة ، لان الايمان بهذه الحقيقة التاريخية لا يحتاج الى اكثر من الاطلاع على الابجدية اليونانية وعلى السفرين الاولين من التوراة التى فى أيدي الناس اليوم ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج . فالابجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف واشكالها ، منسوبة عندهم الى « قدموس » الفينيقي وهو فى كتاب مؤرخهم الاكبر «هيرودوت» اول من علمهم الصناعات . وسفر التكوين والخروج صريحان فى تعليم الصالحين من العرب لكل من ابراهيم وموسى عليهما السلام . فابراهيم تعلم من ملكي صادق ، وموسى تعلم من يثرون امام مدين ، وشاعت فى السفرين رسالة « الآباء » قبل ان يعرفوا باسم الانبياء، لان العبرانيين عرفوا كلمة « النبي » بعد وصولهم الى ارض كنعان واتصالهم بأئمة العرب بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز .

واذا كانت الثقافة العربية قد حملت لــواء القيادة قبل ان تتعزز مكانتها بالدين الاسلامي الحنيف، فانها اضطلعت طيلة القرون الوسطى بعبء التنوير والتوجيه والحفاظ على النتاج الانساني في مختلف ميادين العرفان ، تحدوها حمية العقيدة الصامدة التي ملأت الدنيا نورا وسلاما وعلما وأمانا . ولقد بلغ من قوة هذه العقيدة واصالتها انها كانت السند الاكبر الذي يستمد منه المسلمون مناعتهم وقوتهم في طي المراحل وسباق الزمن لبناء حضارة عتيدة لم يشهد تاريخ الانسانية مثيلا لها في العمق والاصالة والابداع . فلم يمض قرن واحد على وفاة الرسول الاكرم حتى كانت الحضارة العربية قد ارسلت دعائمها على امتن الاسس وغدت محط اهتمام الشعوب الاخرى على اختلاف الالسنة والاوان والمعتقدات . والكل يعلم ان قرنا واحدا ليس بالشيء الذي يذكر في تاريخ الحضارات الانسانية .

يقول احد الكتاب الغربيين : لم تنصرم ثلاثة قرون على الهجرة المحمدية حتى كان العرب قد قدموا ، بعد عشرة قرون من معاناة وتدارس الانجيل، الى الغرب المتوحش ، عصارة الفكر العلمي بعد ان تمثلوه وصنفوه وشرحوه واضافوا اليه اضافات جليلة . وتألقت في دنيا العرب اسماء لامعة كان لانتاجها ابلغ الاثر على الفكر الغربي كالمعري وابن خلدون الذي وضع اسس علم الاجتماع وخرج على القواعد العتيقة في تفسير احداث التاريخ . ويضيف الكاتب : انه لمن المفيد ان نذكر الجاحدين لفضل الثقافة الاسلامية اننا لم نكن لنخرج من دياجير الجهالة العمياء التي سيطرت على الغرب في العصر الوسيط لولا ما قدمه العرب من خدمات جلى في شتى مجالات العلم والمعرفة . فالمسلمون لم يقفوا عند حد تبليغ التراث اللاتيني ــ الاغريقي ، بل تعدوه الى التعريف بكشوفهم الشخصية ومحاولاتهم الناجحة في ابتداع اساليب جديدة للعمل والتصنيف كانت منهجا ومطية للباحثين والعلماء والشعراء والفلاسفة والجراحين والمؤرخين .

ولقد لعب المغاربة والمستعربون من الاسبان دورا حاسما في هذه الحركة المباركة ، اذ الكل يعلم ــ كما يقول دير منجم ــ ان الفلاسفة المسلمين قد حملوا مشعل المعرفة في مراكش وقرطبة واشبيلية واحتك بهم الاوربيون المجاورون فاستفادوا من الشروح والترجمات التي عرفتها طليطلة .

كما ابان جوستاف لوبون بان مدينة فاس كانت تنافس بغداد في القرن العاشر الميلادي وكانت تحتضن 500.000 ساكن و800 مسجد وخزانة ضخمة تزخر بالمخطوطات الاغريقية واللاتينية . وانفردت جامعة القرويين وحدها ب 300.000 مجلد. وكانت مدينة فاس مقصد الباحثين عن نوادر المخطوطات . والذي لا جدال فيه ان اثر القرويين على الغرب كان كبيرا، فقد قصدها رهبان وقساوسة من اسبانيا وتتلمذوا على اساتذها وتخرجوا منها بالقاب مختلفة . وقد كان من جملة الذين كرعوا من فيضها البابا سلفستر الثاني الذي درس بها وتعلم فيها استعمال الارقام العربية لينشرها فيما بعد بالقارة الاوربية . وقد صرح جلالة الملك الحسن الثاني ــ وهو بعد ولي للعهد ــ ان المغرب بلاد النزعة الانسانية ، ذلك ان اوربا قد تعرفت على الحكمة السقراطية والفلسفة الافلاطونية بفضل ترجماتنا . وقد عمل العصر الوسيط مستندا الى القواعد والاسس التي أعددناها له والتي كانت تحمل آثار شخصيتنا » .

واليهود مدينون ــ الى ابعد حد ــ للمسلمين في معرفة احقاب كثيرة من تاريخهم ، ولا ادل على ذلك من تاريخ اليهود في شمال الجزيرة العربية ، على عهد الرسول وخلفائه ، الذي تحققه الكتابات العربية القديمة في كثير من النزاهة والامانة العلمية . فاذا قارنا هذه الكتابات التي تتسم بالصدق والامانة الفكرية والتي تعتمد المستندات والوثائق التاريخية بما خلفه الاغريق والرومان من أساطير وخرافات لا تمت الى العلم بصلة ، ادركنا ان المسلمين قد فاقوا كل القدامى في تفهم الايديولوجيات الاجنبية ووصفها .

والذي يمكن ان نقوله هو ان اليهود قد عرفوا في القرن العاشر الميلادي استقرارا ليس له نظير في كافة ارجاء الامبراطورية العربية الاسلامية . واذا كنا لا نتوفر على احصائيات مدققة حول عدد اليهود في كل اقليم من اقاليم الامبراطورية ، فان مما لا شك فيه انهم قد كونوا جماعات مزدهرة من اليمن الى افريقيا الشمالية حيث اختفت اقليات مسيحية عديدة وهامة .

لقد اسهم المسلمون بصورة ناجعة في الفكر الانساني ، بيد ان احدا لم يهتم بالخاصيات التي تميزت بها المساهمات الاسلامية ذلك ان لفيفا من

المستشرقين نختص منهم بالذكر بلاشير وماسينيون وأبيل قد اجمعوا على ان الدور الحضاري الاسلامي لا ينحصر فى القيام بدور الوسيط بين الحضارة الاغريقية والحضارة العصرية ولا فى الحفاظ على الرصيد الثقافي الذى خلفه الاغريق او الرومان او ابتداع اشكال جديدة فى الادب ؛ فالمساهمة الاسلامية الحق تتبدى فى الفكر الجديد والديناميكية التى طبعت العمل الانساني أي فى روح البحث العلمي والطريقة التجريبية . ويقول جيب :

« ان الاهتمام بالاحداث الفردية قد دفع بالمسلمين الى تعمق الطريقة التجريبية أكثر من علماء اليونان والاسكندرية . والواقع أن الفضل يرجع اليهم فى ادخال وبث المنهج التجريبي فى أوربا ابان العصر الوسيط » .

ويرى غيره ان المسلمين يمثلون فى العصر الوسيط الروح العلمية والحضارة التقنية التى يعرف بها الغرب اليوم . وعلى نقيض الاغريق فان العلماء المسلمين لم ينفروا من المختبرات العلمية والتجارب التى تستلزم الصبر وطول الاناة .

كما كتب « سيديو » سنة 1854 :
أن ما تمتاز به المدرسة الاسلامية هي الروح الحق التي تهيمن عليها ، وتتجسد هذه الروح فى السير من المعروف الى المجهول ، واستكناه الظواهر بدقة للارتقاء من الاسباب الى المسببات ، ودفع النتائج التى لا تصمد على محك التجربة : تلك كانت المبادىء التى نادى بها قادة الفكر الاسلامي والفوا منها طريقة خصبة اقتبسها عنهم المحدثون فى اروع كشوفهم واختراعاتهم .

والمجال هنا اضيق من ان يسمح لنا بأن نعدد باسهاب افضال المسلمين على العلم سواء فى ميادين علم الفلك او الفيزياء او الكيمياء او الاشياء او الطب ؛ وحسبنا ان نلمع الى ادخال العرب لطريقة الصفر فى علم الحساب بما ينطوي عليه من آفاق شاسعة مع التخلص تدريجيا من الطريقة الرومانية التى كان يتأفف منها العلماء ويبرمون بها . لقد حقق علم الرياضيات وثبة رائعة بفضل الخوارزمي (سنة 820) وعمر الخيام (المتوفى سنة 1124) اللذين وضعا أسس الجبر . ولابن سينا يرجع الفضل فى توسيع آفاق الهندسة . وجدير بالذكر ان حساب المثلثات قد دفع كثيرا بعلم الفلك الى الامام . والمعروف ان الصوفي قد وضع سنة 964 اكمل فهرس للاجرام عرفه العالم حتى اليوم. لقد كتب احد المع المستشرقين ان العرب يعتبرون بحق مؤسسي العلوم الفيزيائية واكد آخر ان اثرهم على العلوم الطبيعية والكيميائية والطبية لا يقل عن اثرهم على العلوم الرياضية . اما عن العلوم الكيميائية ؛ فاننا نعثر عند ابي بكر الرازي — الذي عاش من سنة 850 الى 923 — على اول وصف لتحضير مادة الكحول . وجدير بالذكر ان المسلمين قد طبقوا الكيمياء فى الصيدلة ؛ وتلك اقل مبادراتهم فى هذا الميدان . اما عن العلوم الزراعية فقد استوردوا المواد الفلاحية من آسيا وعلموها بصورة منهجية للبلاد الاوربية كالارز وقصب السكر والرمان والقطن والصوف والموز وحب الملوك والبرتقال والليمون والخوخ والتمر وغيرها كثير . وفى ميدان العلوم الطبيعية فانهم اعتنوا الاعشاب بالغي نوع . وهناك العديد من الاعشاب والمواد الطبية لم يكن يعرف الاغريق عنها شيئا البتة . اما جهود المسلمين فى ميدان الطب فنقتصر منها على مؤلفات الرازي التى نقلت الى اللاتينية واعيد طبعها عدة مرات . كما ان «القانون» لابن سينا نشر بروما سنة 1593 واعيد نشره عدة مرات باللاتينية . والذي يبين عن النزعة التجريبية فى الحضارة الاسلامية ، هو التقدم الهام الذى حققه الاطباء فى علم الجراحة. ولا مفر هنا من الاشارة الى ابن زهر الذي عاش فى القرن الثاني عشر الميلادي والذى كان له فضل اخضاع الطب لقوانين الملاحظة . وله بالاضافة الى ذلك مصنفات قيمة فى هذا المجال .

وقد كان ابن النفيس المتوفى بدمشق سنة 1289 م سباقا الى عرض طريقة الدورة الدموية ، قبل ان يكتشفها البرتغالي « سيرفي » بثلاثة قرون. حتى امراض العيون كان لها نصيبها من شواغل العلم الاسلامي . فقد كان المسلمون يقومون بجراحة العيون منذ القرن الحادي عشر . وقد احتذى الاوربيون طريقتهم حتى مطالع القرن التاسع عشر .

والذى يمتاز به كبار المفكرين المسلمين عن غيرهم هو اتساع معلوماتهم وتوافرها ونجاحها فى ميادين متباعدة وحاسمة فى آن واحد .

ولقد بدات عهود الانحطاط واضواء الفكر الاسلامي ما زالت مشعة فى كل مكان بفضل ما خلفه علماؤنا الافذاذ من أمثال ابي حامد الغزالي المتوفى

سنة 1111 م وابن خلدون (المتوفى بالقاهرة سنة 1406) . فان ابا حامد قد سما بالتصوف الاسلامي ولم يجعل من الدين منهجا جدليا او تقريضيا ولا مجموعة من الطقوس الاجتماعية وانما اعتبره تجربة يستشعرها المرء فى دخيلة نفسه ومجهودا شخصيا يبذله بسخاء . كما ان ابن خلدون كان رائد فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع فى القرن الرابع عشر . لقد اماط اللثام عن المسوغات العميقة للاحداث التاريخية وحلل تكوين المجتمعات بوصفها معطيات تتفاعل مع الحياة وتعرف الحياة والفناء . كما عاصر كثيرا من الدول والاحداث وكان اشهر المؤرخين فى المغرب العربي على الاطلاق .

والموضوع فى حد ذاته يستلزم المجلدات الطوال. لذلك آثرنا ان نورد هنا هذه الشواهد على سبيل المثال لا الحصر ، وقد جاء بعضها على لسان الاجانب والمستشرقين ليلون الحق ما شهدت به الاعداء . ولنا عودة الى الموضوع بحول الله .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

المصادر :

— Les très riches heures de la civilisation arabe, par Jean Wolf et Pierre Heim

— الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين تاليف عباس محمود العقاد .

— مجلة الوعي ـ يناير 1971 ـ صفحتا 3 ـ 5 .

— مجلة المعارف ـ العدد الثالث ـ سنة 1961 صفحتا 12 ـ 13 .

أوليات الإعلام الإسلامي

للأستاذ عبد القادر الادريسي

(1) الالتـــزام بالاســـلام :

ما لم يلتزم الاعلام بالاسلام كلية ، فلا يمكن بتاتا ان يمت الى الاسلام بصلة . ذلك ان اي جهاز اعلامي لا يعتمد الاسلام اسلوبا ومقياسا هو قطعا بعيد عـــن ان يكون جهازا اعلاميا اسلاميا .

وكما لا تقبل أنصاف الحلول في مسائل العقيدة، فلا يمكن ان يكون المرء مؤمنا بعقيدة « نصف ايمان » ، او كافرا بها « نصف كفر » ، فكذلك فيمـــا يتعلـــق بالتوجيه والدعوة المتبلورتين في الصحافة ، أو الاعلام بمعنى أوسع واشمـــل .

وما دام هذا الدين عقيدة وفكرة ومنهج حيـــاة ودستورا واسلوبا وصراطا مستقيما ، فاي اتجاه الى الانحراف عن خطه اللاحب هو ضـــرب من الكفـــر والفسوق والارتداد لا محالة .

وتلك بديهية مسلم بها ، يقرها العقل السليـــم والفطرة الســـوية .

يقول الاستاذ عبد الله كنون (1) : ((ان الاسلام لا يقبل المزاحمة ، فاما عقيدة اسلاميـــة ، وشريعـــة اسلامية ، واخلاق اسلامية في دولة اسلامية تحمـــي هذه القيم من التزييف والتحريف ، واما هذه الفوضى، والتمزق الذي يعيش فيه المسلمـــون ، ويدمغهـــم بالخنوع والاستســـلام ، فما ينهضـــون من نكســـة الا ليقعوا في نكســـة أعظم)) .

وانطلاقا من قناعة راسخة بحتمية الدعـــوة الى الله ، يكون الالتزام بالاسلام عقيدة ومنهجا ، أمـــرا مؤكدا لا محيص عنه ، وواجبا مقدسا يملك على الداعية اقطار نفســـه ، ويطوق عنقه بما لا سبيل الى الفكاك منه الا بالنهوض به على الوجه المرغوب فيه .

وهكذا يكون « من المسلم به أن اعلاما فاســـدا منحرفا لن ينشيء الا فردا فاسدا منحرفا . ولذلك لا ينبغي ان نعول على اعلام لا هوية له ، ولا هـــدف محدد له ، ولا مميزات تعكس أصالة الامة الاسلاميـــة ونصاعة عقيدتها . . » (2)

فمن الاوليات الملحة ــ اذن ــ للاعلام الاسلامي ، الالتزام الكامل بالاسلام واعتماده أسلوبا للمعالجـــة ومقياسا للنقد .

(1) فقرة من المحاضرة القيمة التي القاها الاستاذ كنون في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي بالجزائر صيف 1392 . يراجع نص المحاضرة الكامل في العدد : 5 ــ 6 ، السنة : 15 ، من هذه المجلـــة .

(2) من مقال للكاتب بعنوان : ((دور الاعلام المعاصر في حركة البعث الاسلامي)) ــ دعوة الحق : العدد : 5 ــ 6 ، السنة 15 .

وليس من شك أن أخذ أجهزة الاعلام الحديثة بهذا الاسلوب كفيل بأن يخلق مناخا اسلاميا تنتعش فيه الحياة الاسلامية .

ولذلك ، فان الاعلام المعاصر جاهلي ومنحرف وفاسد ، لانه لم يلتزم بالاسلام كلية ، بل تنحى عن سبيل الاسلام تنحيا ظاهرا ينم عن انحراف فى طباع القائمين عليه وحقد دفين فى قلوبهم على الاسلام والمسلمين .

وتلك سمة بارزة للجاهلية الحديثة ، ما فى ذلك شك .

ومن القضايا المعقدة التي تفرض نفسها فى سياق الحديث عن التزام الاعلام المعاصر بالاسلام قضية الرقابة بمفهومها الشامل الجامع .

وحينما يتعلق الامر بتوجيه الامة الى جادة الصواب ، وهداية الناس الى سبيل الخير ، فلا يبقى هناك مجال للشك فى جدوى الرقابة على ما ينشر ويذاع ، بل ضرورتها وحتميتها ! صونا للافهام من التذبذب والشطط ، وصدا لتيارات التشكيك والتضليل ، وتمكينا للعقول من الايمان والاعتقاد ، وتفويتا للفرص على المغرضين وعملاء الفكر وسماسرة المذاهب المستوردة من تلامذة الاستعمار الشرقي والغربي على حد سواء .

وما دام الاعلام يشكل الراي العام ويصوغ المفاهيم وفق مقاييس معينة ، وما دام الراي العام يؤثر على سير دواليب الحياة فى مجتمع ما ، فمن المؤكد اذن اخضاع الاعلام لاشراف ورقابة يتفاوتان بعدا وقربا .

والامر سيان بين ((الاعلام)) و ((التعليم)) ، فكما ان الدولة تراقب مناهج التعليم واساليبه فى شتى مراحله من الحضانة الى الجامعة ، بما فى ذلك ((التعليم الحر)) الذي يخضع ايضا لتفتيش الوزارة المعنية ، وبما فى ذلك أيضا ((الكتاتيب القرآنية)) بمستواها الضعيف فى الغالب ، فواجب الدولة اذن باعتبارها الحريصة على حماية مقومات الامة وحامية حمى الدين والملة ، الاشراف بطريقة مباشرة ـ أو غير مباشرة على الاقل ـ على اتجاهات الاعلام بكل أجهزته المتعددة ، ضبطا للتوجيه واحكاما له . وهذا لا يتنافى بطبيعة الحال مع مبدأ حرية الراي و ((ديمقراطية)) الاسلام .

فليس من حرية الراي الطعن فى الاسلام فى بلد يدين اهله بالاسلام منذ اربعة عشر قرنا .

وليس من « ديمقراطية » الراي والاعلام فتح المجال امام الافكار والمذاهب والايديولوجيات المناهضة للاسلام .

والنتيجة ، اذن ، اخضاع الاعلام لرقابة تحفظ على الناس ايمانهم واخلاقهم وتقاليدهم ومقومات كيانهم ووجودهم .

واعتقد جازما ـ وهذا راي ادين به ـ ان هذا افضل سبيل الى فرض الالتزام بالاسلام ، وحمل اجهزة الاعلام على اعتماده أسلوبا ومقياسا .

وغني عن البيان أن التزام الاسلام اعلاميا ، يعني بالضرورة الخروج من ضيق الجاهلية وجبروتها الى سعة الاسلام ورحمته الواسعة ، وبالتالي يمكن القول ان هذه خطوة أولى للالتزام بالاسلام فى كل مرافق الحياة وميادينها .



(2) الذود عن العقيدة :

وما دمنا متفقين على وجوب اعتبار الاعلام المعاصر اداة للدعوة الى الاسلام ووسيلة لنشر الفكر الاسلامي فى الآفاق ، فلنتفق ، تباعا لذلك ، على ضرورة اعتماد هذه الوسيلة للذود عن العقيدة الاسلامية .

والحق ان الاعلام المعاصر ـ ولنتحدث بعض الشيء عن الاعلام فى البلاد الاسلامية ، وبما يلزم من الصراحة ـ اقول ان الاعلام المعاصر قاصر الى حد بعيد فى القيام بالدور المنوط به من حيث تفوق الاعلام الجاهلي الصليبي واليهودي والشيوعي فى القيام بدور خبيث وخطير فى الآن نفسه . ولن نتحدث عن الاسباب المؤدية الى هذا القصور ، فهذه كلها تدخل فى نطاق واحد : هو الكفر بالاسلام جملة وتفصيلا . وانما سنحصر الحديث فى دائرتين اثنتين

أ ـ مخططات اعداء الاسلام للانحراف عن الصراط المستقيم ، واغراء الناس ، وبالاخص الشعوب الاسلامية ، بالانحراف عن محجة الاسلام أولا وآخرا . الامر الذي نتج عنه بالطبع انحراف الاعلام فى

البلاد الاسلامية وتقصيره في القيام بواجب الذود عن العقيدة المهددة المتآمر عليها من جهات متعددة .

واكاد اعتقد انه ان لم يذد ((الاعلام الاسلامي)) عن عقيدة الاسلام ، فلا يستطيع اي جهاز آخر غيره الدفاع عنها ، ذلك اننا لا نملك ارغام الناس على الايمان بعقيدة ما ، او اجبارهم على تصحيح مفاهيمهم ، ما داموا لم يقتنعوا اقتناعا ذاتيا ومباشرا ، أن صح التعبير ، بأحقية وصلاحية هذه العقيدة ، وضرورة ووجوب هذا التصحيح . ومن هنا ، من هذه الزاوية بالضبط تتضح الاهمية القصوى للاعلام في عصرنا الحاضر ، وتتضح لنا معشر الدعاة الاسلاميين خطورة هذا الجهاز في مجال الدعوة الى الله ونشر الفكر الاسلامي .

وجملة القول في هذا الصدد أننا نملك هداية الناس « اعلاميا » في الوقت الذي نعجز او نكاد عن التأثير عليهم بأسلوب أو بطريقة أخرى غير اعلامية ولتكن ما كانت .

وهذا ، ولا شك ، يفضي بنا الى تقرير الحقيقة التالية : الا وهي ضرورة خلق اعلام اسلامي .

وتلك حتمية ملحة ، بل شديدة الالحاح ، لنجاح اي جهد في سبيل نشر الاسلام والذود عن عقيدته .

ب ــ تخلف الاعلام في البلاد الاسلامية من الناحية التقنية والفنية والمهنية . وهذا الواقع لا يدركه الا العاملون في حقل الاعلام في البلاد العربية والاسلامية وفي البلاد المتخلفة بصفة عامة ، الامر الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على مستوى المردود المعنوي للنشاط الاعلامي في هذا البلد او ذاك من البلدان المشار اليها .

ومن المؤكد أن اعلاما متخلفا تقنيا ومهنيا وفنيا لا يعطي ابدا نتائج مرضية . والى هذا يرجع سبب تقصير الاعلام في البلاد الاسلامية عن القيام بواجب الذود عن عقيدة الاسلام ذودا في مستوى التحدي الهائل الذي يواجهها باستمرار .

واذا كانت الثقافة المعاصرة ، على جاهليتها وانحرافاتها ، ترتبط بالتقنية الحديثة ، بمعنى امتزاج المادة بالفكر ، وقيام النهضة العقلانية على اساس ((مادي ــ فكري)) فمن باب اولى ان يأخذ الاعلام الاسلامي بالاتجاهات والاساليب الفنية الحديثة والمتجددة في هذا المجال . ولعل من المناسب بالمقام التذكير ((بوكالة الانباء الاسلامية)) التي انبثقت عن الامانة العامة لمؤتمر القمة الاسلامي المنعقد بالمغرب بمبادرة طيبة ومشكورة من عاهل البلاد جلالة الحسن الثاني نصره الله سنة 1969 . فعلى الرغم من انحصار نشاطها منذ انشائها حتى الآن في ميادين محدودة ، فان الامل معقود عليها للدفع بالاعلام الاسلامي الى الامام اعتمادا على الامكانيات التقنية الحديثة الهائلة التي تتوفر لهذه الوكالة .

وعودا على بدء ، فان تطوير اجهزة الاعلام الاسلامي في البلاد الاسلامية ، من الاوليات التي لا غنى لنا عنها، اذا كنا جادين في العمل للاسلام وهداية الناس اليه .

والاعلام القوي تقنيا وفنيا ، هو وحده القادر على الاضطلاع بمهمة الذود عن رسالة الاسلام بالاسلوب المرتجى .



(3) تربية جيل اسلامي :

الاعلام الملتزم بالاسلام ، الذائد عن عقيدته ، هو قطعا اعلام تربية وتوجيه ، بل هو بالتأكيد اكثر الوسائل التربوية الحديثة تأثيرا على العقل والقلب والوجدان (3) .

والنهضة المرتقبة التي يسعى اليها المسلمون ويعملون من اجلها لن تقوم الا على اساس تكوين جيل اسلامي وتربيته تربية اسلامية .

واذا كانت مناهج الاعلام وبرامج التعليم المعاصرة في البلاد العربية والاسلامية تقصر في تكوين الانسان المسلم واعداده لخوض « معركة الحياة » أو الجهاد الاكبر بتعبير اسلامي ، فان الالتزام بالاسلام أولا ،

---

(3) بدات « التربية الحديثة » تتجه الى اجهزة الاعلا م من اذاعة وتلفزة لتقوم مقام المدرسين ورجال التربية . وقد سلكت التلفزة المغربية هذا المسلك اخيرا وان كان في نطاق ضيق وفي حاجة الى مزيد من تعميق الوعي الاسلامي انسجاما مع سياسة البعث الاسلامي التي اعلن عنها امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله .

وانشاء اجهزة اعلام اسلامي على اسس تقنية حديثة ثانيا ، كفيلان بتدارك النقص والضعف الملحوظين في مجالات التربية والتعليم بالخصوص .

واعتقد جازما ان جهازا اعلاميا اسلاميا واحدا قادر الى حد بعيد على احداث تغيير جذري ـ وهو المنتظر ـ في المفاهيم والافكار وانماط السلوك وتقاليد وعادات المجتمع السائدة .

واذا كنا نتفق مبدئيا على ان مرجع فساد الحياة الاجتماعية في البلاد الاسلامية الى التخريب الذي تمارسه اجهزة الاعلام الموجهة ، توجيها غربيا او شرقيا ، فان الاتفاق على وجوب الاصلاح بواسطة الاعلام يكون من باب أولى بطبيعة الحال .

وتكون النتيجة المستخلصة اعتماد الاعلام الاسلامي كأساس لتربية جيل اسلامي .

— ◆ —

ان أولويات الاعلام الاسلامي ، في مرحلتنا الراهنة متعددة ومتشعبة ، وميادين العمل الاعلامي ، في العالم الاسلامي ، واسعة ورحبة . ومن المؤكد ان ثمة ثلاث مهام رئيسية تعطى لها الاولوية في هذه المرحلة ، وهي حسبما تناولنا في هذا المقال :

1 ـ الالتزام بالاسلام اولا

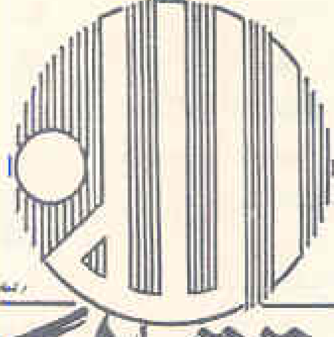
2 ـ الذود عن العقيدة ثانيا

3 ـ تربية جيل اسلامي ثالثا .

وقد نتطرق في القريب ـ ان شاء الله ـ الى مهام اخرى للاعلام الاسلامي .

الرباط : عبد القادر الادريسي





الحقيقة الكبرى

للأستاذ محمد محمد الطواني

— 4 —

ما تزال الحقيقة الالاهية الكبرى تمد هذا القلم نورا ، وكأن هذا المداد الذي يترشش على هـــذا الطرس حروفا ، يأبى ان يحتبس فى جعبة هذا اليراع سوادا ساكنا من غير حياة جامدا بلا روح ، بل يريد ان يفيض مداده على هذه الصفحات فيتحول من سكونه الى معاني معبرة تفيض بالحياة والقوة ويسيل جموده بمعين صاف يجد فيه الظمآن ضالته وماربه .

تراني كلما حاولت أن اختتم موضوعي عنالحقيقة الالاهية ، أجد أن الحديث عنها يزيد ويتكاثــر ، وأن معاني هذه الحقيقة تنمو فى ذهني وتتسع ، وكأن هذه الافكار والخواطر تشد قلمي شدا ، مخافة أن ينثني أو يتكاسل ، فهي تلزمه دائما بان يظل منتصبا بين انامليء، يترجم مداده ما يفيض به الخاطر كلمات ، تطرد جملا ، وتنتظم سطورا ، ثم لتكون فى آخر الأمر صفحات تقرا وتتلى ، ذلك لأن حقيقة الله الكبرى تأبى الا ان تعبر عن وجود معناها فى نفسي ، كلما احست بدافع يوقظها من مرقدها ، ويبعث فيها الحياة والحركة ، وهي بحياتها وحركتها ، تواصل وجودها ، وتستمر حية بين البشر جميعا ، بعد أن عاشت حبيسة هذا العقل والفؤاد .

انني كلما تأملت هذا الفضاء الذي لا تحده الاركان ولا تحيط به الحدود، وجلت ببصري فى ارجائه، وبحثت فى جنباته ، تقاطرت على ذهني وجناني أرواح معانيه ، تدفعني للمزيد من الكتابة فى موضوع الحقيقة الالاهية،

وكأن هذه الأرواح التي يفيض بها هذا الكون من وراء كل آية من آياته ، قد تحولت من عنصر ماديتها ، وصارت فى حكم المعاني الحية الروحية التي لا تقاس بمقاييس مادية ، تسلك مسالك الفكر ، فان هـــي وجدت فيه استعدادا ومتسعا سلكت به مسالك السلام وقادته الى الايمان من أقرب طريق وايسره، وان وجدت فيه عنادا وضيقا واعراضا ودعته وتركته .

ان لهذه المعاني الروحية اثرا فى نفسي واي اثر ، لا أجد بعدها متسعا بمعاني أخرى ، وان هذا الفكر ، لكأنه لطول الامتزاج بها قد أمسى جزءا منها .

انها معاني سامية ، راقية، لا من حضيض الارض جاءت ، ولكنها من عالم السماء أتت ، ومن ملكــوت الارواح تقاطرت ، تستنهض فى عريكتي حوافز البحث، وتملأ مادية ذاتي بأقبسة من المعرفة بالله واليقـــين الكامل بوجوده سبحانه .

وهل هناك شعور أرقى وانقى من ذلك الشعور العميق الذي يحسه الانسان فى كيانه ، حين يكون فى لحظة من لحظات حياته ممتزجا بجوارحه مع ذلك الملأ العلوي ، وكأن روحه تقمصت لباس نحلة ، فأخذت تطوف بين أزاهير ذلك الروض الذي لا تذبل وروده ، ولا تصفر اوراقه ، فتمتص منها عذب المعاني ، وتنهل من مائه المترجرج اعذب الموارد واغلى الحكم .

وهل هناك احساس ارهف وارق ، من ذلك الذي يجده المؤمن فى نفســه وقلبه ، حين يتوجه بكليته الى مولاه ، فيدرك فى ساعات التجائه اليه أن عــوارض الحياة على تنوعها قد امحت من مخيلته ، ولم تعــد

تشغل باله كما كانت . ذلك لانه امسى فى تلك اللحظات لا يشاهد فى الوجود كله غير المنعم عليه بنعمة الوجود، فتقلصت عندئذ فى عينيه وقلبه كل أطماعه فى الحياة ، وامانيه فى جمع متاع الدنيا ، وتبددت من نفسيته الأمارة بالسوء جميع الدوافع والغرائز التي تحجب عنه عالم الطهر والصفاء، وتجمعت كل امانيه وآماله، وانحصرت كلها فى رغبة ملحة صادقة ، هي الرضى عنه يوم عرض صحيفة أعماله عليه ، تلك الصحيفة التي احصـــت حركاته وسكناته ، فلم تدع منها شيئا منسيا غيـــر مذكور .

فى ذلك الزمن القصير من عمر الانسان . الـــذي ينفصل فيه هذا الكائن بروحه عن عالم المادة ورواسبها ليحلق فى اجواء الملكوت الأعلى ، متحللا من حولـــه وقوته ، يشعر شعورا تاما بزمنه الذى يعيشه، وكأنه ما افاق الا فى تلك السويعات التي بدأ فيها يتأمل ويتفكر فى خلق السماوات والارض ، بعد أن عاش فيما قبل يتوهم أنه يحيا . ويعيش ، لكنه نسي انه كان يشاطر الحيوان فى حياته وسلوكه ، كما يفعل ذلك كثير من الناس .

أجل فى تلك البرهة العابرة ، اخذ هذا الانســـان يكتشف أنه فوق مستوى الحيوان ، وانه اسعد الخلق، بعد أن اشرقت فى قلبه وكيانه شمس المعرفة بـــالله ، فأرته كيف تنقلب السعادة من مفهوم المعنى العابر الذي لا يلمس او يرى ، الى معنى آخر ذي لون آخر تلمســه قلوبنا كما يلمس احدنا الشيء بيديه فيعيه ويدركه .

فى تلك الساعات الذهبية التي تعطينا مفهومـــا وتفسيرا لمعنى وجودنا ، ندرك اننا نعيش ونحيا كما ينبغي أن نعيش حياتنا ، ذلك لأن أرواحنا فى تلك الفترة الحالمة ، آنست القرب من خالقها الرحيم ، فانقطعت عمن سواه ، وانجذبت اليه بكليتها كما تنجذب اجـــرام السماء نحو بعضها فلا تضيع فى الفضاء سابحة على غير هدى ، وان كان هذا الكون كله ينجذب نحو الخالق جل شأنه .

فكل انسان لا يحس فى قلبه بشعور القرب من الله ، فهو تائه ضال وانى له ان يعلم موضع قدميه فى الحياة والوجود ؟ وكم يلبس كثير من التائهين حالات مثل هذه ، فنراهم بحكم بعدهم عن الله ، يرددون مع انفسهم تارة ، ومع الناس اخرى ، انهم لم يكتشفـــوا بعد بأنهم موجودون وانهم احياء يرزقون ، وكثيرا مـــا تزج بهم فلسفاتهم الى منحدرات صعبة ، ومتاهات عسيرة ، قد لا يعودون بعدها الى رشد او صـــواب ، وربما يقضـــون ما تبقى من عمرهم فى طلب هذا الوجود الذي فقدوه بفقدان ايمانهم بحقيقة وجود الله سبحانه، وتلك لعمري أم المصائب وادهى الخطوب . ترى كيف يمكن أن تأتي لهذه الفئة الضالة من الخلق ان تهتـــدي يوما الى نفسها فتعقل ، أو تعي وجودها وعيا كاملا غير منقوص ، وهي تصر بما يصدر عنها من اقـــوال وافعال ، على قطع الرباط الذي يربطها بالسماء ، وهي لا تدري أنها بهذا الاصرار على الجحود ، وتشبثهـــا بنكران الحق ، قد انقلبت بسخط مـــن الخالـــق ، فضاعت فى عالم من الظلام لا يعرف النور اليه سبيلا، ذلك العالم المخيف ، الذي تكتنفه اطياف الشـــك ، وتخيم عليه سحب من الحيرة .

وانها وهي فى خضم هذا الجو المعتم الحالك ، تلح على من تصادفه من امثالها ان يهديها الى معالم الطريق ، فتكون عندئذ بمثابة غريق يتشبث بغريق ، ظانا انه سيأخذ بيده الى شاطىء السلامة والنجـــاة ، وهيهات ان يتسنى له ما اراد ، فلن يقود الأعمـــى الا بصيرا يعرف جيدا موطىء قدميه من الطريق .

الا ما اشبه هؤلاء الحيارى بالكتب المبتـــورة . تقرؤها وكأنك تعبر اوراقها كما يعبر احدنا جسرا على نهر ، فلا تحس الا وقد هوى بك البصر الى هـــوة لا قرار لها ، وتضيع منك النهاية فلا تهتدي اليها بعـــد ذلك ابدا ، وتطوي الاوراق بين دفتي الكتاب ، وانت لا تدري اين وصلت ، واي شوط قطعت ، وتبقى الخاتمة فى أعماق المجهول مطوية منسية .

وان صلة الانسان بربه ، وايمانه بخالقه ومدبر شؤونه ، تجعل هذا الكائن المفكر يحس بالرضـــى والاطمئنان ، بعيدا كل البعد عن ذلك الجو الغامـــض الذي تخلقه الأوهام والشكوك ، فيشعر بوجـــوده شعوره بالحاجات التي تدفعه الى النمو والتطـــور والرقي .

أرى الآن ملء الاحداق ، ان هذا العالم الكبير على اختلاف آياته ، وتفاوت عظاته ، وما يوحي به من العبر والفوائد ، ما فتىء يجذب الابصار ، ويلفـــت الانظار الحائرة هؤلاء الحيارى من الخلق ، وان هذه الانوار التي تغمر ارضنا متسللة اليها من مختلـــف شموس الكون ، ما برحت تفيض بالنور والضيـــاء ، عسى أن تنفرج الصدور الحرجة فتجد هذه الانـــوار المتلألئة سبيلها اليها فتشع وتنير بعد ظلام جثم عليها دهرا طويلا ، وحجب عنها كل السبل التي توصـــل العبد الى المعرفة بالله .

فلندع هذا الانسان يفكر معنا فى امر السماء ، ويسمر مع اضواء هذه النجوم التي تنير كل ليلـــة ، ولنحاول أن نجعل من هذه الانوار منفذا الى عقلـه وقلبه مرة اخرى .

هكذا تبدو السمـــاء .

حين يتجول احدنا ببصره فى ارجاء هذه القبة التي مسخ الليل لونها الازرق الى سواد ، فانه يشاهد مع صفاء الجو اضواء كثيرة تتخافت كانما هي تفشي سرا الى بعضها ، او تذيع اخبار البشر بينها ، مسللة نحو الارض فى هدوء ورفق ، وقد يتوهم الرائي فى جهة ما من السماء ، أن هذه النقط المضيئة متقاربة من بعضها ، وربما يتجاوز حدود الظن حين يقيس ابعاد بعـض النجوم والمسافات بينها . فيقول : ان بين هذه النجمة وتلك مسافة لا تتعدى الخمسين مترا ، او اقل مـن ذلك او اكثر ، وقد يضيق الفضاء فى عينيه ، فنـراه يقيس الابعاد مرة اخرى بمقياس اقل من المقيـاس السابق ، وعندما يستعين هذا الشخص على النظر بمكبر فانه يلاحظ أن صورة السماء قد بدت أكثـر وضوحا وبيانا ، وكلما زادت قوة منظاره ، احس بأن وجه السماء يقترب منه اقترابا مطردا ، وان معالـم النجوم تظهر اجلى واوضح مما كانت عليه من قبل . وهو فى غمرة التامل لا يستطيع أن يكتم اعجابه ودهشته مما يراه ، فيصرخ قائلا : ان منظر السماء لأخاذ وساحر حقا !! ، وان هذه النجوم التي وهمناها بعيدة عـن بعضها بمقياس الامتار ، قد تقاربت الآن ، من بعضها تقارب حبات الرمل ، وان الفضاء الذي كنا نحسبـه فارغا من النجوم ، لم يكن كذلك ، فثمت نجوم كثيرة ، لا يحصيها عد ، او يشملها عدد ، قد سدت ذلك الفراغ ، حتى لم يعد فيه بعد الآن موضع لموطىء قـدم ، فبالاحرى لنجم عظيم القدر والحجم قد يكبر ارضنا هذه بآلاف الملايين من المرات .

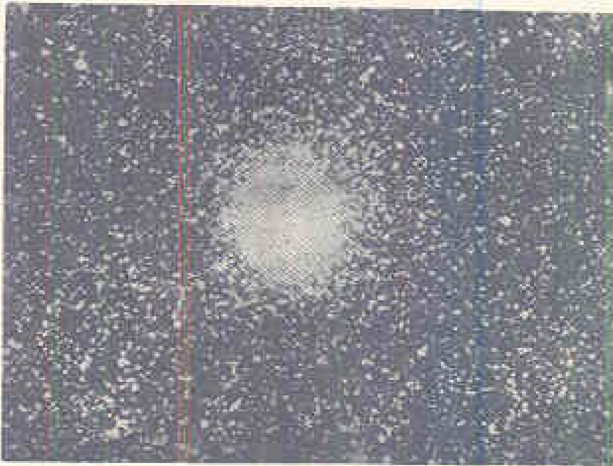
اجل ، لقد سبق للعالم الفلكي « وليم هرشل » أن سجل هذه الظاهرة وهو يتأمل هذه الحقيقة مستعينا بمنظاره الذي صنعه لهذه الغاية ذلك المنظار الذي لم تكن تتجاوز قوة عدسته آنذاك تسعة عشر بوصة ، وهي قوة تبدو اوهى من بيت العنكبوت اذا ما قسناها بقوة المناظير الضخمة ، كمنظار جبل « ولســون » الذي تبلغ قوة عدسته مائة بوصة ، ومنظار جبـل « بالومار » العملاق الذي تفوق قوته ضعف هذا الاخير. لقد قال « وليم هرشل » وهو يتأمل وجه السمــاء .

« ... انه كلما كبرت عدسة المرقب تبين ان ما يبـدو لطخا سديمية انما هو فى الواقع عناقيد من النجـوم « القنوان » وانه كلما اكتشفت واحدة منها ، وحلها الى مقوماتها وجد عشرا اخرى لا يقوى مرقبه على حلها »

اليس صحيحا ما يقال . بأن العلم اذا ما خطـا خطوة نحو الامام وجد انه تأخر الى الوراء خطوتين ؟؟!!

ان مرقب وليم ، لم يعد صالحا لتتبع عناقيـد النجوم المترامية فى احضان المجرة وانه كلما وجد نفسه قد احاط بالسماء ظهر لديه أن جهازه اضعف من ذلك بكثير واعجز عن مواصلة البحث والاستقصاء .

ويضاعف العلماء من كدهم ، وتتوالى الأعمال ، وتتجمع الجهود ، لتطوير صناعة المناظير ، وتـزداد صورة السماء جلاء كلما زادت قوة الجهاز وقدرته ، وتأخذ حقائق الكون المستترة تظهر اكثر ، وتطـرد فى الكبر رويدا رويدا ، كانما هي تولد من ساعتهـا ، ويأخذ كل نجم مكانه وحيزه فى الفضاء ، فتبدو السماء كانها بساط نثرت عليه قطع من الفضة ، ان السمـاء توحي للناظر اليها الآن وكأنها تعج بالنجوم وأن رحاب الفضاء قد ضاقت بها ، انه لمشهد رهيب يوحـي بالوحشة والهيبة والجلال .



لوحة رقم (1) « عن كتاب مع الله في السماء للدكتور أحمد زكي » الا تلاحظ فى الصورة العدد الهائل من النجوم ، وأن السماء لكثرة ما تحتضنه منها لم يعد فيها متسع لنجم آخر ؟

وهـــم الصـــورة :

يا الله ! ! كم تصبح هذه الصورة وهما خاطئا ، وزعما واهيا ، اننا لا نملك اللحظة ، وبعد الذي عاينّاه من أمر السماء أن نصدق بوجود مسافات تفوق حد الخيال ، تفصل بين كل نجمة من هذه النجوم التي خلناها لكثرتها وازدحامها كأنما التفت سيقانها ، وتعانقت أذرعها ببعضها ، كما تتعانق أغصان الاجام في غابة كثيفة الاشجار ، ان كثيرا من الحقائق التي أيقنا بأنها ثابتة قد دحضها البحث العلمي الذي جاءت دراساته ونتائجه معلنة عن وجود مسافات نائية وسحيقة تقوم كالفاصل بين كل نجمة ونجمة ومجرة وأخرى ، فالفضاء رغم احتوائه على هذا العدد الهائل الذي لا يحصى من الاجرام والكواكب يكاد لشساعته ورحابته لا يشعر بوجود هذه الشموس في محيطه ، ولم يفت السير جيمس جينز ان يصور لنا فراغ الفضاء في كتابه الذي اعتمدناه في هذا البحث ، فان هذه العوالم الكبيرة من المدن النجومية العظيمة والمجرات الضخمة الى اصغر ذرة في هذا الوجود لا تتعدى ان تكون مجرد هباء وسط هذا الفضاء اللانهائي ، لقد اخبرنا العالم المذكور بان احجام هذه الكرات السابحة في الفضاء الكوني لن تفوق حجم ثلاثة زنابير اذا ما أطلقنا لها العنان لتحلق في فضاء الارض، ولن تشكل هذه الأجسام الثلاثة اية فكرة لمعنى ازدحام فضاء الارض بها كذلك هذه العوالم التي تسبح في فراغ الكون من اجرام وكواكب وشموس ، لا تأخذ كلها من حيز فضاء الكون العظيم ، الا ما أخذته اجسام الثلاثة زنابير من حيز فضاء الارض . الا ما أعظم هذا الفضاء الذي يوحي لبني الانسان بمعنى الحرية لا كما نشعر بها على الارض ولكن كما نشعر بها ونحن في رحاب هذا الفضاء.

قد يستعظم القارىء فكرة «السير جيمس» فيما ذهب اليه من مقارنة عوالم السماء ، بحشرات الارض الثلاث بالنسبة لفضاء الكون ؛ وقد يساوره الشك مرة أخرى وهو يعد هذه النجوم المتلألئة فلا يحصيها ، ولكننا نريد أن نطمئن القارىء عما ذهب اليه السير جيمس من قياس لم يكن فيه مبالغا ابدا ، حين صور فراغ الفضاء بهذا الشكل ، ذلك لأن الحسابات التي كشف عنها العلماء المختصون في هذا المجال زكت فكرة جينز واكدتها الى حد كبير .

عجـــز الارقـــام .

لقد حير هذا الفضاء الذي يكبر ويتسع باستمرار الباب العلماء منذ الوهلة الاولى ، حين راموا استخدام الارقام المتعارف عليها في عد المسافات بين شموسه وكواكبه ، ولعل اصطدامهم بهذه الحيرة تم في الوقت الذي ارادوا فيه عد المسافة التي بين الشمس وأقرب نجم اليها .

لقد اسعفتهم الارقام في البداية ، حين استنجدوا بها في قياس المسافة التي تفصل القمر عن ارضنا ، وطاوعتهم مرة أخرى حين حاولوا حساب بعد الشمس عن الارض ، فكان الحاصل بالاميال 93.000.000 مليونا ، غير انهم لما ضاقوا بالشمس وسياراتها ، متفتحين بافكارهم وعلومهم على العوالم الاخرى ، محاولين قياس بعد أقرب نجم الى شمسنا ، لم تنجدهم عندئذ الارقام ، وكان قوتها ومفهومها محدودان بحدود الشمس وتوابعها التسعة المعروفة .

وامام تقاعس الارقام وعجزها عن مواصلة الطريق ، وعدم ايفائها بتلبية الحاجة وتأكيد الرغبة ، فكر العلماء في اتخاذ قياس جديد يخرجهم من هذه الورطة التي صبحتهم ، ونقبوا وبحثوا ، وكم كانت فرحتهم عظيمة وهم قد حصلوا على الأمنية التي طالما عللوا بها النفس لمواصلة الدرب ، درب الاكتشاف ، بغية التقدم والتطور .

نعم ، لقد حصل العلماء على القوة الجديدة التي قاسوا بها ابعاد النجوم فافادتهم واشفت صدورهم ، ولم تكن هذه القوة الجديدة سوى الضوء الذي يعد اسرع شيء في الطبيعة حتى الآن .

لقد تبين للعلماء بعد حسابات طويلة شاقة وملاحظات علمية دقيقة بأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة مسافة (300 الف كلم) وبالحساب ايضا عرفوا بأن ضوء الشمس يستغرق للوصول الى الارض مدة لا تزيد على ثماني دقائق ، اما السيار المسمى « بلوتو » وهو ابعد السيارات بالنسبة للشمس ، فان الضوء يستغرق للوصول اليه مدة خمس ساعات لا غير .

وعند قياس أقرب نجم الى الارض بعد الشمس اتضح ان بيننا وبينه مسافة قدرها اربع سنوات ضوئية وخمس السنة ، وتكتب بالارقام هكذا . (26.000.000.000.000 ميلا) فما هي اذن السنة الضوئية التي استخدمها العلماء في قياس الكواكب التي تخرج عن دائرة الشمس وتوابعها ؟ .

يحلو لنا ونحن نستعرض بعض مظاهر العظمة في هذا الكون ، أن نقرأ معية هذه السطور من الصفحة

13 من كتاب « الانســان والكون » للعلامة فؤاد صروف والتي تقول بالحرف : « الضوء يسير بسرعة تزيد قليلا على 186.000 ميل في الثانية (300.000 كلم) فلاجل ان تعرف المسافة التي يقطعها الضوء في سنة فما عليك الا ان تقوم بالعملية الحسابية التالية :

اضرب 186.000 او (300.000 كيلو متر) في 60 لتعرف المسافة التي يقطعها في دقيقة ، ثم اضرب الحاصل في 60 لتعرف المسافة التي يقطعها الضوء في ساعة ثم اضرب الحاصل في 24 لتعرف المسافة التي يقطعها في يوم واحد ثم اضرب الحاصل في 365 او 366 لتعرف المسافة التي يقطعها الضوء في سنة ، فهذه المسافة التي يقطعها الضوء في سنة سائرا بسرعة 186.000 ميل في الثانية هي ما يعرف باسم « السنة الضوئية » وهي وحدة القياس المعتمد في علم الهيئة للدلالة على المسافات المترامية بين النجوم والسدم » .

هذه هي الطريقة الطويلة التي اختصرها العلماء — رفقا بادمغة الناس — فيما سموه بالسنة الضوئية.

ان الارقام التي تعارفنا عليها من قبل ، والفنا المعاملة بها ، اصبحنا مرغمين على ان نودعها في سجلات الابناك ، وفي نطاق معاملاتنا الخاصة. المحدودة ولم تعد هذه الارقام تستطيع المحافظة على مفاهيمها السابقة ، حتى تكون صالحة للاستعمال في قياس المسافات السحيقة القائمة بين ارضنا وبين النجوم الاخرى .

غير اننا لو اصررنا على استعمال الارقام المتداولة في اثبات فاصل مسافات الكواكب، لما وسعتنا الصفحات ، ولفضلت في ايدينا اصفار اخرى وأرقام قد لا نجد لها متسعا في هذا المجال المحدود ، لاجل ذلك ابتدع العلماء لقياس مسافات النجوم طريقة جديدة ، وكان الضوء الذي يعتبر اسرع شيء في الكون ، هو الضالة المنشودة التي وقع الاختيار عليها . ولقد صدق من قال : الحاجة ام الاختراع ، فلولا كثرة الدوافع التي تستنهض الهمم للعمل والبحث لما فكر هذا الكائن يوما في تحقيق كثير من الحقائق العلمية واشباع رغباته المتزايدة وطموحه الجامح .

ان الانسان وهو في خضم البحث والاكتشاف ، وفي غمرة الفرحة والاطمئنان بما يحققه لبني جلدته من تقدم ورفاهية وازدهار ، يتجاهل مبعث خواطره ، ومنطلق الهاماته ، وينسى فضل اليد الحكيمة التي تأخذ بفكره ليعمل ويخترع ويستخلص النتائج ويحقق الاهداف ، وان العقل البشري ، اذ يواصل طريق البحث والتدقيق فانه لابد يوما سيعود الى الايمان بحقيقة ربه لان الله يعبد بالعلم وانما يخشى الله من عباده العلماء .

اجد هذا الكائن ينطلق بنا الآن بعيدا عن عالمنا الارضي ، مودعا قمره وشمسه التي هي ام ارضه متجها نحو العالم الذي تنتمي اليه الشمس والارض والقمر وباقي السيارات الاخرى فما عسى يكون هذا العالم ؟!

مجرتنا طريق اللبانة ، عالمنا الذي ننتمي اليه:

ظن العلماء فيما قبل وكذا الناس من بعدهم ، بان ارضنا هي ام الكواكب ، وانها مركز الكون كله ، وليس من الغرابة في شيء ان تكون خطوات الانسان في البداية على هذا النحو من التفكير ، ولن تكون استنباطاته الأولية بهذا المنطق ، فالمتتبع لتاريخ الفكر الانساني ، يعلم من خلال المراحل التي قطعها ، والاشواط التي تخطاها ، انه في بداية حياته ، لم يجد بدا من استعمال اظافره واسنانه ، في الدفاع عن نفسه ووجوده ، اذ لم يجد وقتها وسيلة غيرها ، قبل ان يهتدي مع مرور الزمان ، الى الطرق والوسائل التي مكنته من الانتصار في نهاية الجولة علىسائر الموجودات الاخرى ، التي ترافقه في الحياة على هذه الارض .

ومن تناسق الاحداث والوقائع ، ان تكون خطوات الانسان التي خطاها في مجال الاختراع والكشف ، توازي في مضمونها التعليلات والتفسيرات التي كان يفسر بها مظاهر الكون المختلفة ، وباستطاعتنا ان نلاحظ بوضوح ، سذاجة الفكرة الاولى للانسان وهو يصف لنا المجرة في غابر العصور ، ويخبرنا بأنها تشبه اللبن حين نسكبه على الارض ، او يصورها لنا طورا آخر بسكة التبانة ، وهي الطريق التي يمر منها التبان فيخلف وراءه اثر التبن على الارض ، كما انه بمقدورنا ان نلمس عبقريته وذكاءه الثاقب ، الذي ميزه عن سائر المخلوقات ، وهو يقيس لنا بعد مرور قرون وعصور ، بعد المجرة وطولها ، وعرضها . وموضع شمسه وارضه فيها ، وما الى ذلك من النتائج العلمية الباهرة التي تدل على كفاءة هذا الكائن ، وتؤكد زعامته على الارض دون سائر المخلوقات على الاطلاق.

لقد اخذ غرور الانسان بأرضه وشمسه ، ينهار يوما بعد يوم ، امام الابحاث العلمية التي هدمت مزاعمه الاولى ، وغدت فكرته القديمة تتبدد وتتلاشى كما تتبدد سحب الصيف على ضوء اشعة الشمس

الحارة المتوهجة ، لقد مسخ العلم بما حمله اليه من حقائق ونتائج ، نظرته الاولى التي كان يرى بها ارضه وشمسه ، وكذا القمر الذي ما فتىء يبثه شكـواه ويودعه اسراره ، واصبح يعتقد اليوم اعتقادا راسخا بان هذه الكرات على ضخامتها وعظم احجامها لا تمثل من هذا الكون الا حيزا حقيرا تافها لا يكاد يبين ، وسط هذا الجيش الجرار من النجوم التي تحتويها المجرة .

ان اصداء صيحة العالم الفلكي « وليم هرشل » ما يزال يرددها الفضاء وتلتقطها الاسماع بعد أن خرجت من فيه منذ قرنين من الزمان تقـول : « ان المجرة طبقة ممتدة من النجوم ، وليست الشمس ومجموعتها الا جزءا منها » .

وتتقدم العلوم اكثر ، ويخترع العلماء بين الحين والآخر آلات التصوير الدقيقة الصنع ، ويقترب الانسان بذلك من السماء ويدنو منها دنوا متزايدا ، حتى نراه يصور لنا المجرة تصويرا واضحا لا غبار عليه رغم ما يفصل بينه وبينها من فضاء ، وكأن المجرة على عظمتها وسعتها وكثرة نجومها ، تحولت فى يد العالم الفلكي الى حبة صغيرة يقلبها ويتفحصها كما يتفحص احدنا اوراق كتاب يقرؤه ويتمعنه .

ويصور لنا العلامة فؤاد صروف المجرة كما تحدث عنها العلماء ، فيقول فى الصفحة 173 من كتابه « الانسان والكون » ما نصه : « ان المجرة سديم يشبه القرص مرتفع قليلا فى الوسط كالصفار فى البيضة المقلوة ، طول قطره مائة الف سنة ضوئية (100.000 سنة ض) وسمكه عند مركزه عشرون الف سنة ضوئية ، ويحتوي على مائة الف مليون نجم (1) ، والمجموعة الشمسية التي نحن منها تقع عند حرف القرص فى ذراعه لانه حلزوني الشكل ، وتبعد عن مركزه ثلاثين الف سنة ضوئية ، وتستغرق مائتي مليون سنة فى اتمام دورة كاملة حول مركز المجرة ، ماضية بسرعة 200 ميل فى الثانية . اما المسافات بين النجوم التي تتالف منها المجرة ، فشاسعة ، ولا تقل عن المسافة بين شمسنا ، واقرب شمس اليها . اي فى حدود اربع الى خمس سنين ضوئية الخ ... » .

لقد قربت الاجهزة العلمية الدقيقة صورة المجرة فى اعين العلماء ، وزاد قربهم منها حتى شبهوها بصفار البيضة ، او حبة عدس ، او رغيف خبز ، وعرفوا بعدما وصفوها قدرها ، وقدروا عدد النجوم فيها ، وحسبوا طولها وعرضها ، والمكان الذي تحتله الارض (2) فيها ، الى غير ذلك من النتائج الباهرة ، التي تفسر بوضوح، ذكاء هذا الكائن المفكر ، وقدرته على الترقي والتطور.

الا ما اعظم الانسان حين يريد ان يكون عظيما !! لقد تضاءلت فى نظرته للكون جميع الموجـودات على اختلاف اقدارها ، ولم يعد يظهر سوى هذا الانسان بقدراته الخارقة وعقله الجبار .



اللوحة رقم(2)صورة للمجرة اللولبية الكبيرة من كوكبة المراة المسلسلة (أخذت هذه الصورة عن مرصد بالومار العملاق)
يلاحظ القارىء ان شكل المجرة يمكن تشبيهه بحبة عدس او رغيف من الخبز او بما شئت ان تصطلحه لهذا الرسم من أسماء

مـواقـع النجـوم :

انها مسافة شاسعة حقا تلك التي تفصل بيننا وبين مركز مجرتنا « سكة التبانة » وانها لنجوم مثل الرمل تنتظم كلها تحت سيطرة هذه المجرة وقـوة جاذبيتها الجبارة ، فكل نجم فيها يبعد عن صاحبه

1) يقول مؤلف الكتاب ، لو عمد امرؤ الى عد مليون حبة زيتون وجعل يعدها حبة فى الثانية لاستغرق ستة آلاف سنة قبل ان ينجز عدها .

2) من المعروف ان الارض تدور حول نفسها مرة فى كل 24 ساعة .

بمسافات تفوق مفهوم الارقام المتداولة بيننا ، ولا يمكن حسابها الا بالسنين الضوئية .

ان العلماء حين وجهوا منظارهم الى جهة اخرى من السماء ازدادوا اعجابا ، وامتلأت نفوسهم دهشة واكبارا ، ان الذي شاهدوه ، وايقنوا وجوده ، كان اكبر من تقديراتهم وتصوراتهم لعظمة الكون ، لقد ابصروا دون حجاب ، مجرات اخرى تسبح في الفضاء اللامحدود ، تشبه الى حد كبير مجرتنا التي تنتمي اليها ارضنا ، واخذ بعضهم يعدها قائلا : واحد ، عشرون ، مائة ، الف ، وصاح آخر بل عشرون الف مجرة وقد تصل الى مائة الف على اكثر تقدير ، ونطق من بين المراقبين عالم آخر وقال ، بل عددها يفوق مليون مجرة ، وقد يتجاوز هذا الرقم بكثير ، وتكلم عالم خامس فاكد بان ما رصده من المجرات قد يبلغ الخمسين مليونا ، انها تتوزع في السماء بشكل لا مثيل له .

وتتكاثر الظنون والمزاعم وتتباين النتائج ، ان عدد المجرات في السماء يفوق الخمسين مليونا ، انها قد تبلغ ضعف هذا العدد ، انها قد تكون مائة مليون مجرة (1) او تزيد .

وكان لزاما على العلماء ان يقفوا امام ذكر هذه النتيجة ، اذ وجدوا انفسهم عاجزين عن الاحاطة بهذه المجرات ، وضبط عددها ضبطا دقيقا لا يدع مجالا لتسرب الشكوك . فلتكن مائة مليون مجرة كما ارادوا ولننته عند هذا الحد .

من هذا العد المضني للمجرات ، انتقل العلماء الى محاولة قياس ابعادها وكان لابد ان يبدؤوا بحساب بعد اقرب مجرة الى مجرتنا ، واسفرت الدراسات والبحوث عن نتائج مهولة ومذهلة في هذا الباب .

لقد توهم « ادوين هابل » وهو يراقب المجرة المعروفة « بسديم المراة المسلسلة » التي تعتبر اقرب المجرات الى مجرتنا انها تقع منها على بعد 750 الف سنة ضوئية ، وتقبل العلماء هذه النتيجة بنوع من الحذر ومضوا يحسبون ويعدون ويصورون للتأكد من صحة ما ذكر ، ولما يمض غير وقت قصير حتى صحح احد العلماء هذا الرقم ، معلنا بان المسافة التي تفصل بين المجرتين المذكورتين قد تبلغ (1.500.000) اي مليون ونصف المليون سنة ضوئية . ولم يفت العلامة فؤاد صروف ان يسجل لنا هذا التغيير الذي حصل في حساب المسافة القائمة بين مجرتنا ومجرة المراة المسلسلة ، وذلك في الصفحة 176 من نفس كتابه الذي سبقت الاشارة اليه ، يقول هذا المؤلف : « .. ان اطراد التقدم في وسائل الرصد ، وبخاصة بعد انجاز مرقب بالومار الذي قطر مرآته مئتا بوصة ، والتصوير الضوئي ، والحل الطيفي ، والحساب الرياضي ، وما اشبه ، قد فرض تغييرات كبيرة في تقدير بعض المسافات الكونية . وعلى هذا الاساس فقد روى ليغتون ان سديم المراة المسلسلة الذي قدر « هبل » ان مسافة 750 الف سنة ضوئية تفصله عن مجرتنا يبعد عنها مليون ونصف مليون سنة ضوئية ... »

ان تغيير النتائج واختلاف الارقام لا يعني عدم صحة الابحاث التي يقوم بها العلماء ، ذلك لان الجهاز الذي استخدمه « هابل » في رصد مجرة « المراة المسلسلة » هو غير الجهاز الذي استعان به « لتغتون » وهو يصحح لنا بعد هذه المجرة عن مجرتنا .

وعلى هذا الاساس يمكننا ان نلاحظ الاختلاف في النتائج حتى في ابسط الاشياء التي يتناولها البصر ، فلو وضعنا صورة معينة ، ولتكن هذه الصورة رسما للطبيعة مثلا ، وجعلناها امام شخصين احدهما حديد البصر ، والثاني ضعيف النظر ، وطلبنا منهما ان يصفا لنا معالم الصورة ، فان النتائج التي سنحصل عليها ستكون متباينة ، فالذي كان يراه الاول يمكننا ان نصادق على صحته ، اما الثاني فقد عبر هو الآخر عما سمحت به قوة بصره ، وان الذي يعنينا من أمره هو انه لم يكن في نفسه كاذبا ومخادعا .

فاذا ما تغيرت نتائج العلماء في المستقبل ، فان مؤئل ذلك يعود بالدرجة الاولى الى الاختلاف الحاصل في قوة الاجهزة التي يرصدون بها معالم الكون ، ولن تشك ابدا في صحة النتائج التي يقدمونها سائغة الى البشرية التائهة ما دام هؤلاء العلماء يقظين حذرين يخشون الزلل ويرهبون الخطأ .

واستطاع احد الفلكيين ان يرصد سدما اخرى ومجرات ابعد بكثير من مجرة المراة المسلسلة ، فها هو العلامة « فرنربودلر » يتحدث لنا عن هذه الحقيقة في مطلع صفحة 132 من كتابه « الى عالم آخر » فيقول « لقد كان ابعد سديم استطاع هامسون اختياره بواسطة جهاز المطياف ، وهو سديم يبعد عنا بمقدار

1) في المقال السابق ذكرنا بأن عدد المجرات 100 الف مليون والصواب هو مائة مليون مجرة .

450 مليون سنة ضوئية ووجد ان سرعته القطرية تساوي 25.000 ميل في الثانية ... » .

كما تمكن العلماء من رصد مجرات ابعد من ذلك بكثير .

ففي سنة 1951 تمكن الفلكي « هامسون » هو الآخر من رصد سديم يبعد عن مجرتنا بنحو 700 مليون سنة ضوئية . كما امكن العلماء رصد مجرات وسدم حلزونية أخرى أنأى مكانا فبواسطة جهاز « بالومار » ايضا استطاع العلماء ان يرصدوا مجرات تقع على بعد سحيق من مجرتنا وجدوا بانها تبعد عنا بنحو 2.000 مليون سنة ضوئية (اي بليونين س. ض)

ولم يتوقف العقل البشري عند قياس هذه الابعاد وحساب مسافاتها التي تفوق حد التصور والخيال ، بل امتد هذا الفكر بما وهبه الله سبحانه من مواهب يخرق الحجب ويتعمق في المكان ، ويحسب الزمان ، ولم يلبث غير يسير حتى طالعنا العلماء بآيات اخرى تحمل في طياتها مظاهر العظمة في هذا الكون ، تلك المظاهر التي تزيد المؤمن ايمانا ، وتفتح عيون المنكرين والجاحدين على دلائل وجود الله سبحانه وعظمته المطلقة .

لقد صرحوا منذ أزيد من نصف قرن بأن نصف قطر الكون ، قد يبلغ عشرة بلايين س. ض ، (او 10 آلاف مليون سنة ضوئية) ، ومن المؤكد لدينا أن هذه النتيجة لم تعد اليوم تحمل صحة او حقيقة خصوصا بعد ان ثبت لدى علماء الفلك ان هناك سدما تجري في الفضاء الرحب بسرعات هائلة ومتفاوتة ، مما جعلهم يؤمنون ايمانا راسخا ، بأن عالمنا الكبير ، ذاهب في الاتساع والتمدد ، وانه لا يقف عند حدود .

ويكون لزاما علينا اذا ما أردنا أن نصحح الارقام أن نأخذ في الاعتبار والاولوية ، السرعات التي تجري بها هذه السدم ، متباعدة عن بعضها ، وعند معرفتنا لمدى سرعتها ينبغي أن نعرف التوقيت الزمني الذي اكتشفت فيه ، وبمجرد جمعنا لهذه المعلومات نستطيع ان نهتدي الى الرقم الصحيح واي رقم هذا الذي سيكون ؟؟ !!

بقي لنا ان نقول رغم المجهود الذي سنبذله فان الرقم الذي سنحصل عليه سيفقد صحته بمجرد مرور لحظة تافهة من الوقت قد لا تستمر أكثر من ومضة برق خاطف خصوصا اذا عرفنا ان هناك سدما تجري بسرعة 40.000 ميل في الثانية . فما عسانا ان نقول اليوم عن نصف قطر الكون بعد مضي نصف قرن ظلت خلالها هذه السدم تتسع وتتباعد وهذا الكون بدوره يكبر ويتمدد ، أرى انه من العبث أن نستمر في العد والحساب .

مواقع النجوم في القرآن :

اشار القرآن الكريم ، وهو كتاب الله المنزل بالحق ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الى وجود مسافات عظيمة بين النجوم قبل أن يتوصل الانسان الى هذه الحقيقة بوسائله العلمية وتجاربه العديدة المضنية بمئات القرون . ففي سورة الواقعة يقول جل شأنه « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

لقد اصبح قارىء هذه الآية يدرك اليوم اكثر من اي وقت مضى انه ازداد فهما لما كانت تهدف اليه هذه الآيات البينات من غايات وما كانت تنطوي عليه حروفها وجملها من مقاصد واسرار ظلت عقولنا في حجاب عنها حينا من الدهر ، حتى كشفت لنا ابحاث العلماء عن جوهر الآية وصدق مدلولها ، وكذلك الشأن بالنسبة لكثير من الآيات التي اهتمت اما بالانسان او الكون .

فباي وسيلة يريد هذا الانسان أن يصل الى الايمان بحقيقة الله الكبرى ، واي مسلك يود ان يختاره لنفسه منحى وسبيلا ، فاذا كانت هذه الشمس التي اقل ما يقال عنها انها عرفتنا انفسنا كما عرفت بعضنا على بعض لم تجد نفعا في هداية وارشاد ذوي الصدور الحرجة والنفوس المتذبذبة الى معرفة الله سبحانه ، فان في كتاب الله الحكيم من الحقائق العلمية ما يغني ويجدى .

لقد جمع كتاب من الآيات الباهرات ما هو كفيل بتحقيق سعادة الانسان وكان دوره في هداية الناس الى الصواب دورا حاسما ، عجزت عن القيام به هذه الشموس والاقمار التي تصبحنا وتمسينا في كل يوم ، أفلم تكن هذه الآيات البينات في عمق معانيها اقوى بهاء ونورا من تلك الانوار التي تتدفق على الارض من مختلف عوالم الكون ، واكثر نفاذا الى القلوب والعقول؟!

الا ما اكثر الذين يمرون عن آيات الله وقلوبهم عنها لاهية وعقولهم عن تفهمها شاردة ، كما يمر كثير من الناس عن آيات الله في الكون ، لا يجشمون انفسهم حتى مجرد التأمل فيها او التفكر .

ان جمل القرآن وآياته ليست الا شموســـــا مصفوفة فى سطور ، انها شموس تضيء ولا تحـــرق ، تهدي ولا تضل ، فما علينا الا ان نطهر قلوبنا وعقولنا، ونفتح كتاب الله ، وعندئذ سوف نحس بالوجود لاننا سوف نكون فى اعماق النور .

ضـــوء الشمس لا الشمس :

قبل ان نتطرق للحديث عن ذكر المقادير الهائلة التي تشعها الشمس وبعض النجوم من الضوء ، أرى من الانسب أن ناخذ فكرة عامة ومختصرة عن هـــذا النور الذي نسميه بالضوء ، ففي المقال السابق كنـــا أشرنا الى الدور البالغ الاهمية الذي تؤديه الشمــس بالنسبة لحياة ووجود الكائنات على الارض ، والذي ينبغي ان نعيره اهتماما اوفر هو أن دور هذه الكــرة النارية لا ينحصر فقط فى كونها كتلة ضخمة تــدور ارضنا فى فلكها بحكم جذبها اليها ، ان هذه الحيثيــة وحدها لا يمكن أن تضطلع بالمهام الجسام التي تنوء بها الشمس ، والمسؤوليات الثقيلة التي عليها تتحمل عبء بالنسبة لكل الكائنات الأرضية ، لولا ذلك الشعــاع الذي ينبعث منها قاطعا مسافة 150 مليونا مـــن الكيلو مترات ، او 93 مليونا من الاميــال فى مــدة لا تتعدى ثماني دقائق ليمتزج فى النهاية بتربــة الارض وناســها وحيوانها ، وكل ما لوجوده صلة بهذا الضوء الذي تهبه لنا الشمس من عمرها المديد دون مقابل .

وهذا الشعاع لا ينتهي الى الارض كما هو معروف الا بعد ان يمر بمراحل التصفية والتنقية ليكون دوره فى الاحياء نافعا ومجديا .

فما هو كنه هذا الشعاع الذي يملأ الارض نوراء ويجعلنا نحس ببهاء الطبيعة وسحر جمالها الفتان ؟ وما هو سر هذا النور الذي يبعث الدفء فى اجسامنـــا ويساعدنا على الحركة والعمل ؟ وما هو اللغز الذي يحمله هذا الشعاع الى الموجودات فتحس بوضـــوح المكان ؟ اسئلة كثيرة تموج فى افكارنا لا يمكننا ان نمر عليها دون أن نحاول جهد المستطاع أن نعطيها تفسيرا ولو مختصرا .

كيـف ينبعـث الضــوء :

اقول انه بامكان اي شخص ان يحدث فى المكان ضوءا ونورا ، فلو وضع احدنا قطعة من الحديــد فى النار مدة تكون كافية لتحويل لونها الى اللون الاحمر مثلا ، فان الناظر اليها عن قرب يستطيع أن يـــرى شعاعا ينبعث منها خصوصا اذا كان الجو معتما ، فما الذي حدث لهذه القطعة الحديدية حتى اخذت تشع .

يجيبنا على هذا السؤال العلامة فيكتور فايسكوف فى كتابه « المعرفة والتساؤل » ص 66 بقوله : « كان الاستنتاج الذي استخلص من حساب ماكسويل (1) ، ذلك ان الضوء ما هو الا انتشار مجالات كهرومغنطيسية خطوة صغيرة فقط فى ذلك الوقت ، ولكنها كانت خطوة جريئة ، وبهذا الاعتراف تم التنسيق بين عدد كبير مـــن الحقائق المبعثرة ، ومثال ذلك اننا نفهم فى الحـــال ، السبب فى ان جميع انواع المادة تبعث بالضوء ، عندما تسخن الى درجة حرارة عالية ، حيث يرجع السبب فى ذلك التركيب الكهربي للمادة ، فعند درجة الحــرارة العالية تتحرك جسيمات المادة المشحونة ، وبصفة خاصة الالكترونات حركات سريعة وعنيفة محدثة بذلك مجالات كهربية سريعة التغير هي التي تعمل على بدء انتشار المجالات فى الفضاء بسرعة الضوء ، وهكـــذا ينبعث الضوء » .

عرفنا كيف يتم انبعاث الضوء وبقي علينــــا ان نعرف الطريقة التي يتم بها نقل الضوء الى الاماكـــن المعتمة فتضيء .

الضـــوء أمـــواج وذبذبـــات :

اذا ساعدتك الظروف وأحببت أن تسافر الى بلد ما ، فانك لابد لتحقيق رغبتك ستستعين باحـــدى الوسائل التي تراها ملائمة لغايتك . اذن فلابد مـــن استعمالك لاحدى الطرق الموجودة فى تنقلك ، والطائر الذي يحلق فى الفضاء هو الآخر لم يعدم الوسيلة التي مكنته من الطيران والوصول بعد ذلك الى الهدف الذي يروم قصده وأمواج البحر التي تلتطم بالشاطىء لاشك أن شيئا ما ساعدها على أن تتدفق على الساحـــل باستمرار وأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل لا يمكنها أن تعدم الوسيلة . فلنتعمق أكثر من هذا ، فالصـــوت الذي يصدر عن كائن ما وتلتقطه أسماعنا فتميزه لاشك انه هو ايضا قد اتخذ مطية معينة ، فما هي يا ترى هذه المطية التي حملت صدى الصوت الى آذاننا مع العلم

1) ماكسويل (جيمس) 1831 — 1879 فيزيائي اسكوتلاندي صاحب النظرية فى الجاذبية المعروفــة بالنــور الكهــربائيــة

بأن موجات الصوت تنتقل في الهواء بحوالي 1120 قدما في الثانية الواحدة ؟؟

بمقدورنا جميعا أن نلاحظ هذه العملية بشكل عيني وواضح ، اذا قذف احدنا بحجر فوق سطح ماء ساكن ، فان الذي نراه هو تموجات على السطح من فعل الحجر ، فاذا اتفق أن كان احد على مقربة من مكان الحادث فانه بواسطة هذه التموجات يستطيع أن يدرك أن هناك شيئا ما قد وقع في الماء ان الموجة تكون في هذه الحالة بمثابة الخبير .

ونفس الطريقة تتم تقريبا بالنسبة لتنقل الصوت فانه بمجرد انطلاقه من أي مصدر يتحرك سطح الهواء القريب منه في مختلف الاتجاهات محدثا بذلك الاضطراب ارتفاعات وانخفاضات في ضغط الهواء ، وهذه التغيرات التي تنتج عن ضغط في الهواء هي ما تسمى بالموجة الصوتية وهي تشبه تماما الموجة التي تحدث في سطح الماء ، اما صدى الصوت فيحمله الهواء الى الاذن عن طريق الضغط الحاصل فيه ، وعند ملامسته لطبلة الاذن فانه يحدث فيها ذبذبة واهتزازا تكون مطابقة لنفس الاهتزاز الذي حصل من المصدر الاول . اما وقد عرفنا كيف يتم نقل الصوت الى الاذن فقد اصبح من الهين علينا أن نهتدي الى الكيفية التي يتم بها تنقل الضوء ، فما هي يا ترى المطايا التي تنقل عليها اضواء النجوم ، وفي مقدمتها ضوء الشمس.

ندع المجال للاجابة على هذا الموضوع لنفس المؤلف المشار اليه سابقا في الصفحة 68 من نفس الكتاب حيث يقول : « ويمكننا كذلك الاجابة على السؤال الذي اثير عن طبيعة الموجات الضوئية وهو : ما الذي يتذبذب وما الذي يحمل الموجة ؟ انها شدة المجال الكهربي والمغنطيسي التي تتذبذب اما حامل الموجة فهو الفضاء ذاته ، اذ أن المجالات الكهرو مغنطيسية صفات للفضاء فهي فضاء متوتر ، وتسير التوترات الكهربية والمغنطيسية كضوء تماما كما تسير تضاغطات الهواء وتخلخلاته في الهواء كصوت ، والموجة الكهرومغنطيسية موجة مزدوجة ، فتسير شدات المجال الكهربي والمغنطيسي معا متشابكة مع بعضها تشابكا وثيقا ، وعلى ذلك فالضوء كهرومغنطيسي وهو الكهرومغنطيسية في أنقى صورها : فالضوء موجة لمجالات كهرومغنطيسية تسير في الفضاء منفصلة عن الشحنات الكهربية التي احدثتها » .

صادرات الشمس من الضوء .

قبل أن نتحدث عن الطاقات التي تحتويها بعض النجوم من الضوء ومدى قدرتها الهائلة على الانارة ، ارى من الضروري أن نعرج على هذه الشمس مصدر الحياة في هذه الموجودات .

من المعروف أن الطاقة التي تصدرها الشمس من الضوء لا تصل كلها الى الارض ، فثلاثة اخماس منها يلتهمها الفضاء ويمتصها امتصاصا ، وقد تشاركه في هذه المادبة تلك الغيوم التي تتكاثف في الجو مؤلفة حصارا منيعا ضد تسرب كثير من هذه الطاقة الشمسية الى الارض .

ولا مراء أن الدور الذي يقوم به الفضاء وكذا الغيوم من بعده في امتصاص اشعة الشمس وتنقية الباقي الذي يصل الينا يعتبر ضروريا لاستمرار حياة الكائنات ، والا لتحول المكان الى جحيم قاتل .

فما هي يا ترى مقادير الحرارة التي تنفقها الشمس على ما حولها وما هو نصيب ارضنا منها .

يقول الدكتور احمد زكي في الصفحة 141 من كتابه مع الله في السماء ما نصه : « ... ومقادير الحرارة التي تشعها الشمس فيما حولها ، مقادير هائلة ان السنتمتر المربع الواحد من سطح الشمس يشعفيعطي في الدقيقة الواحدة 89.000 سعر حراري ، فهو يعمل عمل محرك قدرته 9 احصنة فالمتر المربع الواحد يعمل عمل محركات قدرتها 90.000 حصان ، وسطح الشمس كله يعمل في اشعاعه عمل خمسمائة وثمانين الف مليون مليون مليونحصان ، وهو عدد يكتب اختصارا فيكون 5ر8 × 2310 .

ونصيب الارض من هذا الشعاع كله يبلغ نحوا من جزء من 2.200 مليون جزء . ونصيب الميل المربع على سطح الارض منه يعادل في المتوسط 5 ملايين من الاحصنة التي تتخذ وحدة للطاقة للقدرة ... » .

هذا باختصار مجمل ما تصدره الشمس منطاقتها العظيمة تلك الطاقة التي لا تضعف قوتها او تنقص فعاليتها ، فمن اين تغرف الشمس نارها ونورها ؟ وما هي هذه القوة التي ابقت على جدواها ؟

من اين تستمد الشمس طاقتها ؟

لاشك ان الشمس استمرت تشع آلاف الملايين من السنين دون انقطاع ، ان هذه هي الحقيقة التي توصل اليها العلماء بعد أن اهتدوا الى السر الخفي الذي حافظ على جدوى الشمس وفعاليتها طوال هذه المدة المديدة من الزمن ، فبعد سلسلة طويلة من

الابحاث استطاع احد العلماء أن يثبت بأن طاقة الشمس تتولد نتيجة سلسلة من الانفجارات المتوالية تحدث حين يتبدل الهيدروجين (الذي هو احد عناصر الشمس) الى مادة جديدة هي الهيليوم ويصاحب هذا التغير صدور طاقة هائلة تنتج عنها حرارة وضوء وقد استمرت الشمس على هذا الوضع آلاف الملايين من السنين مما جعل احد العلماء يؤكد بأن صورة الشمس على وضعها الحالي لا تختلف عما كانت عليه في البداية الا اختلافا بسيطا تصعب ملاحظته ، وللبرهنة على ما أسلفنا الكلام عنه فاننا نعطي الفرصة للعلامة فؤاد صروف ليحدثنا هو الاخر عن السر الرهيب الذي اكتشفه العلماء والذي يلعب دورا حاسما في استمرار الشمس مضيئة طوال هذه المدة . جاء في الصفحة 16 من كتاب الانسان والكون ما يأتي : « ... الرأي العلمي النظري والتجريبي في الفيزياء والفلك الفيزيائي ، متفق الآن على أن طاقة الشمس تستمد أصلا من نوعين من التفاعل النووي في باطنها ، احدهما يحيل الهيدروجين الى هليوم في قلب الشمس ، وفقا لسلسلة من التفاعلات قام الدليل على صحتها ببحوث هانس بيث على الاكثر ، ويصحب التحول انطلاق مقدار ضخم من الطاقة ، وعلى هذا النمط يتحول كل ثانية ستمائة مليون طن من الهيدروجين الى 596 الف طن من الهليوم ، وتنطلق طاقة مقدارها اربعة ملايين طن من الضوء وفقا لمذهب اينشتين في تحول المادة الى طاقة ، وقد مضى على الشمس نحو ستة آلاف مليون سنة ، يجري ذلك في جوفها ، وهي محتفظة باشراقها دون نقصان » .

اضواء اخرى من شموس اخرى :

تعتبر الشمس اقرب نجم الى أرضنا ، وبحكم هذا القرب تبدو مضيئة ومشعة بخلاف النجوم الاخرى التي اتضح انها تبعد عن أرضنا بمسافات سحيقة فلو كانت شمسنا تحتل مكان احدى هذه النجوم البعيدة لما عدت أن تكون نجما غير متألق قد لا يلفت النظر او يسترعي الاهتمام ، ولما تمكنت شمسنا من أن تحافظ على الامانة التي تحملت عبءها منذ اخذ سنا بريقها يشع ويضيء عبر الزمن الطويل .

فبعد جهود متلاحقة وسلسلة من الاختراعات استطاع العلماء أن يميطوا اللثام عن وجوه شموس كثيرة العدد اتضح انها تحتوي على طاقات جبارة ، وقدرات هائلة على الانارة ، وأن اشعاعات تفيض منها على ما حولها ، كأنها شلالات لا تنقطع امداداتها مندفعة في قوة وغزارة ، ولكن بعد المسافة بيننا وبينها مسخ في اعيننا صورها الحقيقية وحجبت عن افكارنا سر عظمتها .

ولولا الوسائل التي استخدمها الانسان في رصد هذه الشموس وتتبع آيات الكون الباهرة لكانت هذه الحقائق ما تزال مطوية ومدسوسة في عالم المجهول والنسيان ، فلقد تبين للعلماء بواسطة الاجهزة التي استعملوها في الرصد أن هناك شموسا تقع على مسافات قدرت ابعادها بالسنوات الضوئية تفوق لمعان الشمس بكثير ، بحيث لو وضعت احداها مكان الشمس — لا قدر الله — لذابت من سعيرها وحرارتها العاتية جميع العناصر التي تتكون منها هذه الارض ، فلنحمد الله سبحانه ان هيأ لنا هذه الشمس التي تعد احدى آياته العظيمة الدالة على حقيقته الكبرى .

يستطيع الرائي أن يميز من بين نجوم السماء نجما يبدو متألقا ومضيئا أكثر من غيره ، هذا النجم الذي طالما تغنى به العرب حتى وصل ببعض الناس الى عبادته وتقديسه ، انه النجم المعروف « بالشعرى اليمانية » وهذا النجم الذي نحسب انه يتضاءل ويأفل اذا وضعناه بجانب الشمس ظهر للعلماء أن قطره يساوي قطر الشمس مرتين ، وأن النور الذي يسكبه على ما حوله قدر ما تبعثه الشمس من النور أربعين مرة ، وأن وزنه يساوي ضعف وزن الشمس ، وعلى هذا المنوال فان حرارة سطحه تفوق درجة الحرارة على سطح الشمس .

وكلما تعمقنا في أبحاث العلماء أكثر بدت لنا حقائق اكبر واصبحنا لا نرى في الشمس او نجم الشعرى اليمانية غير صورتين صغيرتين لنجوم اخرى اعظم من ذلك بكثير .

ففي كوكبة الجبار اكتشفت بعض النجوم تبين انها تلمع اكثر من الشمس بنحو 600 مرة ، واستطاع العلماء أيضا أن يكشفوا عن نجم شديد اللمعان من فصيلة النجوم المسماة بالعمالقة الزرقاء في كعب الجبار يزيد لمعانه عن لمعان الشمس بحوالي 20.000 مرة وينفق طاقة هائلة من الضوء .

ولم تغفل العالمة الفلكية المشهورة الدكتورة « سيسليا بين جابوشكين » (1) أن تتحدث لنا عن هذا النجم العملاق في الصفحة 46 من كتابها المفيد « مع النجوم في تطورها » حيث قالت : « ولما كان لمعان راعي الجوزاء يعادل لمعان الشمس 20.000 الف مرة ويتدفق منه 80.000 مليون طن من الضوء في الثانية فهو اذن أسرع في استهلاك مادته من الشمس بقدر 500 مرة وبالتالي ستكون حياته اقصر من حياة الشمس بنفس النسبة ، فاذا قدر للشمس أن تعيش 500 مليون عام ، فلن يقدر لراعي الجوزاء ان يعيش اكثر من 10 ملايين من السنين » .

وتستطرد العالمة الآنفة الذكر متحدثة عن انواع اخرى من النجوم في كوكبة فرساوس في الصفحة 133 من نفس الكتاب حيث تقول « يعتبر الحشد المزدوج في كوكبة فرساوس من ابدع الحشود المجرية ، والمسافة التي تفصلنا عن هذه المزدوجة تبلغ من العظم حدا يصعب معه تقديرها ، ولا زلنا حتى اليوم عاجزين عن تقديرها ولكن الذي نعرفه فعلا عن هذين الحشدين ان نجومها اللامعة تعد من اشد النجوم المعروفة تألقا. فلمعانها اشد من لمعان الشمس بما يتراوح بين عشرة آلاف مرة ومائة الف مرة » .

لا تدع العجب يستولي عليك وانت تتلقى هذه الاخبار، فليس ماذكرناه من غرائب هذه النجوم الساطعة بالحد النهائي الذي سنقف عنده في هذا المجال . فلقد تم اكتشاف نجوم اخرى ، المع بكثير من الشموس التي ذكرناها ، ويطلق عليها اسم « الحشود الكرية » وتشع هذه النجوم بقدر ما تشعه الشمس مليون مرة .

وتزداد دهشتنا ويقوى عجبنا اذا علمنا أن من النجوم ما يشع في الدقيقة قدرا يوازي ما تشعه الشمس في عام كامل .

كما ابانت المراقب الضخمة نجوما اخرى يطلق عليها اسم النجوم « فوق الجديدة » وتبين أن لهذه النجوم قدرات هائلة على الاضاءة بحيث يفوق بريقها بريق الشمس بمقدار 100 مليون مرة ، وأن الطاقة التي يشعها كل نجم من هذه النجوم في فترة 25 يوما تعادل الطاقة التي تشعها شمسنا في مليون سنة ، ومن النجوم ما هو أقوى نورا واشد لمعانا من هذا القدر . ورفعا لكل التباس او ابهام نقطف للقارىء من كتاب : « جولة عبر العلوم » لمؤلفه « ج. ن. ليونارد » هذه السطور من الصفحة 111 التي تقول بالحرف « .. ومن بين هذه المجاميع المتناهية في ضخامتها وثقل وزنها ، مجموعة « الممالقة الزرقاء » التي يفوق لمعان كل نجم من نجومها ضوء الشمس اكثر من مليون مرة ، ويتردد بريقها وتبضها كل عدة أيام كما يدور بعضها حول البعض في دورات منتظمة متلامسة سطوحها ، بينما تتبدل تيارات هائلة من الغازات المتوهجة ، ويعتقد أن هناك نجوما صغيرة تدور في داخل بعض النجوم الكبيرة من هذه المجموعة مكونة انبعاجات على فترات منتظمة فوق سطوحها اللامعة ، وهناك نجوم اخرى ترسل اشعة « اكس » ونجوم متوهجة تنفجر فجأة فيستمر وهج انفجارها لاسبوع أو اثنين مرسلا ضوء يفوق ضوء الشمس 200 مليون مرة .. » .

افلا نكون الآن مدعوين جميعا وبدون استثناء الى أن نحمد الله على هذه الشمس بعد الذي عرفناه من امر الشموس الاخرى ؟

الا ما أكثر الاسرار التي تحف بالكون وما اكثرنا غفلة عنها .

الله نور السماوات والارض

يظل الانسان مأخوذا بعد الذي عرفه من خبر هذه الأضواء وكأن قوة هذه الانوار سلبت نور بصره فلم يعد يميز ما حوله ، ويستفسر هذا المخلوق ويستفهم ، وتتوارد الخواطر على ذهنه ، فاذا هو بدوره يسأل نفسه من اين يا ترى اتت هذه النجوم بكل

1) تعد هذه العالمة من احدى دعامات الفلك في العصر الحاضر ، درست في احدى جامعات بريطانيا وتخرجت منها عام 1922 ، وحصلت بعد ذلك على الدكتوراه من جامعة هارفارد سنة 1925 ، وتعتبر من ضمن الثقات العالميين في علم الفلك ، ومرجعا هاما في موضوع النجوم المتغيرة ، وهي متزوجة من فلكي من اصل روسي يدعى «سيرجي جابوشكين » الذي يعتبر هو الآخر حجة في النجوم الكسوفية ، وللعالمة المذكورة أكثر من خمسمائة بحث علمي مكنتها من الحصول على درجات فخرية من جامعات متعددة في الولايات المتحدة واوربا كما ان لها عدة كتب في الفلك يعتبرها المتخصصون من المراجع التي لا يمكن الاستغناء عنها . (عن المترجم)

هذا الضوء وكيف استمرت هذه الكواكب النورانية تشع بالضوء عبر آلاف الملايين من السنين دون ان تضمر نارها او تنطفىء شعلتها ، واي بحر هذا الذي يمد هذه الشموس فتلألأت ؟ ويفيض عليها بالنور فتتقد شعاعا يضيء ما حوله من جنبات الكون ؟ اسئلة تظل تتراكض امام اعيننا ، ونبحث ونعلل فاذا بنا نكتشف ان في هذه الشموس قوة تتجدد باستمرار ونتعمق في البحث قليلا فاذا بنا نؤمن ايمانا قطعيا ان وجود هذه القوى لا يمكنه أن يتم بالصدفة . فلا بد اذن من وجود قوة خارقة وزعت في كل كرة نصيبها المفروض دون أن تبخسها حقا مشروعا . انها لاشك قوة الله التي تجلت على هذه العوالم فاضاءت من نوره واستمر هذا النور يتجدد ويواصل وجوده وكأنه يحكي للعالم كله أزلية الله وابديته المطلقة .

ان العقل البشري بما فطر عليه من ذكاء وخبرات يبقى في نهاية الامر في حاجة ملحة الى تفسير يعلل به هذه الظواهر الخارقة لكل عادة مألوفة تلك الظواهر التي يتم وقوعها في مختلف العوالم .

واذا بهذا العقل يحط رحاله بعد ان يعييه التجوال ، واذا بنا نسمع الجواب كاملا تردده هذه النجوم وتنشده هذه الشموس ، وتحمل صداه الى القلوب الحية والافكار النيرة هذه الانوار المنسكبة على جوانب الكون . واذا الانسان يفيق من اغفاءته ولسانه يتلو قول الله جل جلاله « الله نور السماوات والارض» انه المصدر الاسمى لكل هذه الانوار التي يرفل في بهائها هذا الكون العظيم ، انها أنوار مشرقة فتحت اعيننا على صنع الله ، واقتحمت اقفال القلوب فآمن الناس بحقيقة الله الكبرى ، « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

الكون في تمدد واتساع :

كشفت المناظير الضخمة وعلى راسها جبل بالومار ، وبما لا يدع مجالا للشك عن وجود سدم هاربة في الفضاء السحيق متنافرة عن بعضها بسرعات متفاوتة قد تصل في أعلى مداها الى نحو 50 الف ميل في الثانية الواحدة كما تبين ان هناك سدما اخرى تجري في الفضاء بقوة اقل من ذلك .

وعلى هذا الاساس يمكننا ان نقول بأن الكون في خلق مستمر ، او هو يتطور في الخلق بشكل دائب لا يعرف الفتور .

وقد تحدث العلامة فرنر بودلر في الصفحة 162 من كتابه « الى عالم آخر » عن هذه الظاهرة الخطيرة بقوله : « ... وفي عام 1951 وبواسطة منظار المائتي بوصة ، اكتشفت سديما — (يروي المؤلف هذا الخبر على لسان ميلتون هامسون احد كبار علماء الفلك) — يبعد عنا بمقدار 700 مليون سنة ضوئية وجدت انه يبتعد عنا بمقدار 50.000 ميل في الثانية الواحدة ، اي ان هذا السديم يسير في الفضاء بسرعة تعادل ربع سرعة الضوء الخ ... » .

لقد غيرت هذه الحقيقة التي اصبح العلماء اليوم يقرونها ويستدلون بها على اتساع الكون وتمدده القاعدتين اللتين وضعهما لهذا الكون كل من العالمين العبقريين السير اسحاق نيوتين وانيشتاين ، فلقد زعم الاول بأن الكون مكون من عدة مجرات وانه لا شيء وراء هذه المجرات فالكون في نظره متناه ومحدود بها ، ومن يريد ان يطلب جديدا بعدها فلن يحصل على شيء ، فليس وراء هذه المجرات الا العدم . اما انيشتاين فقد رسم لهذا الكون شكلا اسطوانيا فهو بالنسبة له خال من أية حدود ثابتة تحده ، بمعنى اننا اذا انطلقنا من أية نقطة فيه دون أن نحيد عن مسارنا الذي اتجهنا فيه فاننا سنصل في نهاية المطاف الى عين المكان الذي انطلقنا منه لاول مرة ، فالكون في نظر انيشتاين متناه ولكنه بلا حدود ثابتة .

وتلقف الناس نتائج العالمين وفي مقدمتهم العلماء والباحثون وكان الناس بين مصدق ومكذب .

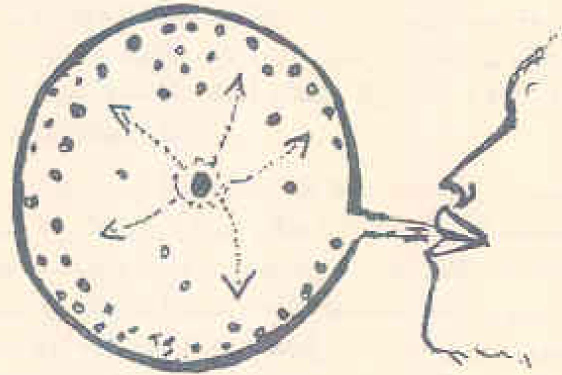
والغريب في الامر ان يكون من بين الذين نقضوا النظريتين السابقتين أحد العلماء الذين كانوا يؤازرون فكرة انيشتاين ويناصرونها ، وكان هذا العالم الذي قلب الاوضاع رأسا على عقب هو «أدوين هابل » الذي أعلن امام جمع من العلماء عن وجود سدم تهرب من بعضها في الفضاء بسرعات هائلة ، وكان هذا الاستنتاج الجديد في عالم السدم كافيا بأن يدحض كثيرا من النظريات التي وضعها بعض العلماء واساطين علم الفلك من قبل ، وكان العلماء لم يتمهلوا بل هرعوا الى آلاتهم وأجهزتهم يفتشون وينقبون، وكانت حصيلة دراساتهم وملاحظاتهم المطابقة تماما لما صرح به القرآن في هذا الشأن .

لقد تغيرت منذ تلك اللحظة التي كشف العلماء فيها عن هذا السر الخطير النظرة التي كانوا يرون بها هذا الكون ، فعالمنا الكبير قد اصبح من المؤكد الآن انه ذاهب في الاتساع الى حيث لا نعلم له مستقرا ومقاما ، وكل الذين يحاولون أن يرسموا له الحدود يجدون أن

الحدود التي وضعوها له قد بلعها هذا الكون فى احشائه ، وتبين للجميع انه من العبث وضع حدود ثابتة للكون كما يضع احدنا الحدود على خريطة بلاده او قطعة ارضه .

اجل . لم يغفل القرآن الكريم عن ذكر هذه الحقيقة العلمية ، اذ يقول جل من قائل « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » هذه هي الحقيقة التي اثبتها القرآن منذ اربعة عشر قرنا فيما يخص تطور الكون واتساعه فاي شيء حمل الينا العلم فى هذا المضمار .

انطلق العلماء يبحثون ، ويعللون ويدرسون وينقبون وتعددت نظرياتهم فتقاربت حينا وتباينت حينا آخر ؛ ويستمر البحث جاريا على قدم وساق واذا العلماء بعد حين يؤكدون بان الكون فى اتساع مستمر، ويتناقل الناس الخبر فيشيع ويذيع ، ويبحث المؤمن المسلم ، كانما هو يفكر فى حاجة ما انتبه اليها الا فى تلك الساعة ، وتنطلق اسارير وجهه بالبشر والسعادة وهو يتلو قول الله تعالى « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » . ويطوي المؤمن كتاب الله وقد زادته الآية اطمئنانا وسكينة . ان ما اثبته العلم لم يكن مخالفا فى جوهره للحقائق البينة التي وردت فى كتاب الله الحكيم فاي حجة للعاقل بعد الذي سمع ورأى واي منفذ يريد ان يخرج منه وقد طوقته هذه البراهين بما حملته من حقائق لا يجد التدليس اليها سبيلا .



الكون فى تمدد واتساع
رقم (3)



كون اينشتاين
رقم (4)

صورتان معبرتان ، حيث تشاهد فى الرسم رقم (4) الصورة التي تخيلها اينشتاين للكون . اما الصورة المقابلة لها فهي رسم توضيحي وتقريبي للكون ، وقد اتخذ شكل فقاعة الصابون ، أو كرة من المطاط تزداد كبرا ونموا كلما زدناها نفخا . (اخذت الصورتان من كتاب « الكون الاحدب » للدكتور عبد الرحيم بدر) .

قوة فوق مستوى الكون :

ان الكون كما ذكرنا فى اتساع مستمر او فى خلق جديد لا تستقر احواله او حدوده ، انه اشبه شيء بكرة من المطاط تزداد كبرا واتساعا بقدر القوة التي نفرغها فيها ، فمن يمد هذا الكون بهذه القوة المستمرة التي تنميه وتباركه ؟ ! ان المادة التي كان بالامكان أن نعتمد عليها قد ودعناها فى دائرة هذا الكون العظيم وفى كراته واجرامه ، وبقيت القوة الالاهية المطلقة تعمل عملها فى الكون كله من اصغر ذراته الى اعظم نجومه. انها القوة التي باركت الذرة التي لا ترى بالعين فوهبتها معنى من معاني العظمة ما عرفناها الا بعد أن خطا العلم خطوات جبارة . وانها القوة التي باركت هذه الذرة فكانت ارضا وكانت شمسا فماذا يريد الجاحد أن يقول وقوته ليست فى ملكه وزمامه ليس بيديه وباي شيء يمكن أن يتذرع به اليوم وهو ليس فى مسار الزمن الطويل غير لحظة تافهة عابرة .

افلا يكون رضانا بالخالق جل شانه وايماننا به سبحانه اصلح شيء لهذا الكائن المتمرد المكابر ، هذا الرضى الذي سيحل محل الشك والحيرة ، فتطمئن عندئذ نفس هذا المخلوق ، وهو بهذا الاطمئنان يستطيع ان يبدا العمل فى الطريق المستقيم الموصل الى المعرفة بالله دون عائق يحد من سيره ويفت من عزيمته وجده ، وهو بسلاحه الذي تسلح به وزاده الذي تزود به لابد أن يصل فى النهاية الى الهدف ويبلغ القصد ، وعندئذ سوف يشعر بالراحة والامان .

ان القوة الخفية التي سيطرت على هذه الكواكب والاجرام فلم تنفلت أو تنتثر هي نفس القوة التي تسيطر على كل الكائنات الاخرى فسلبت منها حرية الاختيار في البقاء والاستمرار في الحياة ، وجعلت لها نهايات لا تتعداها وحدودا لا تتخطاها ، انها القوة العظيمة التي ارتنا ضعف انفسنا وقلة حيلتنا امام الحوادث التي نلقاها او تلقانا ، فنوقن في ساعات الشدة التي تضيق علينا الانفاس أننا أضعف مما تصورناه وعرفناه .

والانسان ككل العوالم الاخرى يظل امام الازمات او العلل تعبث بجسمه من حين لآخر في حاجة ماسة وملحة الى سند وقوة ، يستمد منها العون ويرجو منها السلامة ، واذا لم يفصح بلسانه في التجائه الى هذه القوة ، ففي نظراته ما يدل على افتقاره وعوزه ، وفي زفراته المتصاعدة ما يكفي ويغني .

تراه لم يفتقر ؟ واي ركن شديد ياوى اليه ؟ تراه يجيبنا على هذا السؤال ؟

وهذه العوالم العائمة في الفضاء على اختلاف احجامها أصبح من المؤكد انها تنتظم في تناسق واحكام، وتحكمها وتقيدها قوانين هي من الدقة والكمال ما جعلها فوق مستوى الادراك .

وتتأمل السماء ، فاذا الشمس تجري كما قال الله لمستقر لها ، وتتأمل القمر ، فاذا هو يتدرج في منازله فتتغير صورته حتى يصبح في النهاية كأنه العرجون القديم .

ان كل شيء في هذا العالم يخضع للنظام والقانون الا هذا الانسان الذي كثيرا ما يتعشق الفوضى والاضطراب ، وهو رغم انفه لا يستطيع الخروج عن دائرة النظام العام الذي يهيمن على سائر اطراف الكون العظيم .

نهاية الانسان مقرونة بنهاية الكون

ما يزال قول الرسول الاكرم ينادي في الناس « بعثت انا والساعة كهاتين » . قالها الرسول العظيم منذ اربعة عشر قرنا . وقد جمع السبابة الى الوسطى ليقول للغافلين من الخلق . ما بقي للعالم من البقاء الا قدر ما تزيده الوسطى على السبابة . وانه لفرق ضئيل وانها لنهاية قريبة .

ان وجود البشرية على الارض جاء مصاحبا لبداية تحول الكون من جدته الى بلاه ، ومن بقائه واستمراره الى بداية زواله .

فلقد اثبتت البحوث العلمية ان الكون لا محالة ذاهب الى الفناء بخطى حثيثة ، وانه لا ريب سيصل الى نهايته المحتومة . ولست الآن بصدد مناقشة أو عرض بعض النظريات التي اكدت فناء العالم فهذا موضوع نتركه لفرصة لاحقة بعد ان يسدد الله الخطى لجمع هذه المقالات في كتاب في وقت قريب ان شاء الله ، ومع ذلك فلا باس ان نذكر بان السير جيمس جينز اعتقد كغيره من العلماء بأن سرعة السدم الهاربة سيأتي يوم ما تفوق سرعتها سرعة الضوء وانه سيحدث نتيجة ذلك انفراط عوالم الكون من كواكب ونجوم .

ويمكننا أن نلاحظ صورة تؤكد فناء العالم ، ان لم يكن في هذه المخلوقات التي نحن أمة من أممها ففي هذه الشموس التي عرفنا من بعضها ان تشع في وقت من الاوقات اشعاعا عظيما وتخمد الى الابد وكأنها استنفدت طاقتها وقوتها .

ان كثيرا من النجوم الخافتة كانت تشع قبل اليوم وتبعث هي الاخرى بالنور والحرارة ولكن قوتها نفدت فماتت شعلتها وانطفأ ضوؤها ان النهاية تنتظر العالم لا ريب في ذلك كما تنتظر هذه الكائنات الاخرى ومن جملتها هذا الانسان الذي يتعشق السعادة والخلود ذلك لانه خلق ليخلد ولم يكن موته في واقع الامر سوى مرحلة انتقالية الى عالم البقاء والخلود .

نهاية العالم في القرآن :

كثيرا ما اخبرنا المولى جل شأنه في محكم آيات كتابه الحكيم بقرب فناء الكون وتدرجه الى النهاية المحتومة التي تنتظره . وتحس وأنت تتلو هذه الآيات وتمعن فيها أن الكون قد انقلب رأسا على عقب واخذت كواكبه تلتطم ببعضها وتصطدم اصطداما مخيفا ورهيبا فهذه الارض ترتج وهذه الكواكب تنكدر فلا ترى لها ضوءا ونورا وهذه الجبال الراسية اخذت تنسف نسفا حتى أمست كالعهن المنفوش وفقدت متانتها وصلابتها فكانت كالصوف الهش اللين او العشب الخفيف الحمل ، وهذه السماء المحكمة البنيان تصدعت وانشقت هي الاخرى كما تنشق الدور من فعل زلزال وفتحت ابوابها والملك على ارجائها وجلين من هول الموقف انه مشهد رهيب يقطع علينا السمع والبصر والحواس حتى لكأننا لا نعي ما نسمع ونرى .

في هذه الحالة يفقد الكون نظامه الذي يربط اجزاءه ويشد اطرافه ويفقد بالتبعية استقراره وهدوءه، ومن تم ينبغي للجاهل ان يعلم بان وراء هذا الكون خلقا عظيما ابدع الخلق وابدع مع الخلق نظاما وقانونا

ومن الآيات التي تحدثت عن نهاية العالم قوله تعالى في سورة الحاقة « فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على ارجائها » .

وفي سورة الواقعة يقول جل من قائل « اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

وفي سورة النبأ . يقول جل جلاله : « ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا » .

ونتامل قوله تعالى في سورة الانشقاق ، فاذا بنا نقرا « اذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت، يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

ومن سورة التكوير نتلو قوله تعالى « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت » .

انها آيات تتحدث لنا عن هول الموقف ، ونهاية العالم بعبارات قارعة تهتز لها اعطاف القلوب ، وترنو لها الضمائر عساها ان تتيقظ وتستفيق من غفلتها وتعمل على تخليد جلائل الاعمال وصالح الاقوال والافعال والاستعداد الكامل للقاء الله سبحانه بالايمان بقدرته وتفويض المصير اليه وحسن الظن به.

للعبـــرة والذكـــرى

ان العالم كله يكدح كدحا ليلاقي ربه كما تكدح سائر الموجودات ، وان بداية الكون ونهايته ليست في حقيقة الامر الا صورة مكبرة لكدح الانسان وسعيه الى النهاية احب ام كره ، رضي ام استنكف ، وان في هذه النهايات والبدايات عبرة لاولي الالباب ، الذين يتدبرون آيات الكون فيعتبرون ويفتحون أفئدتهم للايمان بحقيقة الله الكبرى ايمان من اعتقد بكرم الله وفضله على سائر الموجودات .

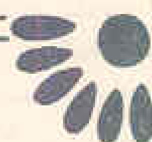
لطالما حاول الجاحدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، وابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون. وكثيرا ما حاول المراؤون ان يفسرون آيات الكون على غير وجهها انطلاقا من فكرة الالحاد ولكن الله ارى العباد في آياته دليل وجوده حين قال جل شانه « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . اللهم انك الحق المبين الذي لا يجد الباطل سبيلا الى حقيقة وجودك ، فافض علينا يا اكرم الاكرمين من بحر حقيقتك حتى لا نرى ولا نجد ولا نحس الا بها انك سميع قدير وباجابة عبدك جدير .

سلا : محمد بن محمد التطواني

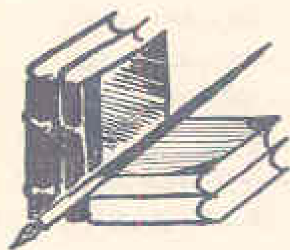


ابحاث ودراسات





* الأفعوان الاحمر
* حاجي خليفة .. وكشف الظنون
* معالم النقد في الجاهلية وصدر الاسلام
* الكتاب ((لكاة)) المثقف
* الوجادات





الأفعوان الأحمر

للاستاذ أبو عدنان عبد القادر البوشيخي

السنة النار الحمراء ترتفع . سحب الدخـــان تتمدد في اتجاهات متعددة ، وترسم على صحيفـــة السماء أشكالا هندسية وكائنات ، تبـــدو للاجســاد الملقاة على الارض كحيوانات أسطورية مرعبة . الاشكال السماوية تقابلها رسوم ارضية ، مستطيلات مربعــات دوائر متفرقة ومتناثرة في الســاحــات والشــوارع الفسيحة . احد الرسوم كان يكون دائـــرة من بنادق موجهة الى أجساد موثوقة وملقاة على الارض ، كـــان الضحايا من أعمار مختلفة ، ولم يكن في نية أصحاب البنادق اعدامهم بسرعة واراحتهم ، كان القتل يتــم ببطء وبقدر كبير من القسوة والوحشية والتفنن في وسائل التعذيب والتشفي ، مما يدل على ان الامـــر يتعلق بتصفية حسابات قديمة وتنفيس عن احقـــاد دفينة . فهذا يشعل شيجارة ويستنشق انفاسها في نشوة ثم يتقدم الى احد الموثوقين ويطفئها في شفتيه، وثان يخرج سكينا صغيرة ويحفر في صدر احدهــم حروفا لها معنى خاص ، وثالث يغرس مسمارا في كف ويطرقها الى أن تغوص في الارض، ويتقدم رابع ويوجه سنان بندقيته الى فخذ ويطعنه طعنات حادة متوالية ، ثم يعود الى مكانه منتشيا بالصرخات التي كانت تصعد وتمتزج بأصوات الانفجارات وهي تهز أطراف المدينة المنكوبة . وبين الحين والحين كان احدهم يضغط على الزناد فيتطاير الرصاص ويحصد الابرياء دون تمييـز بين الشيوخ والكهول والشبان .

كان ملقى ظهره ويداه مربوطتان خلف قفـــاه ، وبصره ينتقل بين عيون البنادق وعيون الاعداء وسحب الدخان التي كانت تحجب سماء « داكا » المحترقة . كان يبدو ثابتا رابط الجأش وصفحة وجهه خالية من تعابير الفزع والرعب التي رسمتها فوهات البنادق واسنتها اللامعة على الوجوه الاخرى . كان يبدو كمؤمن عمـــر الايمان قلبه ، واستسلم لقضاء الله وقدره ، وادرك ان ما وقع كان عقابا وعبرة . لم تكن هذه نكبته الاولـــى كانت هناك نكبات .. كالمحكوم عليه بالاعدام شنقـــا والحبل يقترب من عنقه برق امام عينيه شريط حياته الحافل بالكوارث والفواجع . كان اللون القاتم يغطـــي الشريط الا بقعا صغيرة . امعن النظـــر في بدايـــة الشريط ، ظهرت صورة متعددة الالوان ، ركز اضواء فكره وسلطها على الصورة ، لمعت المساجد والصوامع والقبب البيضاء ، داخل اطار من البساتين والحدائق والمروج ، وفي اقصى الصورة كانت أمواج « قزوين » تصطخب وتغسل أطراف المدينة ، فردوسه المفقود . « اوه يا « باكو » الحبيبة ، جنة اذربيجان الشهيدة ستظل ذكراك خالدة في قلبي ما دام ينبض بالحياة » . حاول أن يتشبث بالصورة ، الا انها تملصت من اضواء فكره وغاصت كسمكة في أمواج صور قاتمة مظاعـــة غمرت شاشة مخيلته . واستمرت الصور تتابـــع في سرعة واندفاع ، وهو يشاهد ولسان حاله يترجـــم ويروي : كانت بداية الكارثة قبل مولدي بسنوات كما حكى والدي . كانت الخلافة العثمانية تحتضر ، وتركيا في آخر حروبها ضد اليونان والحلفاء ، وكانت شعوب الشاشان والشركس مشغولة بمساعدة مسلمي تركيا ، والمدن تكاد تكون خالية من الجيوش ، وفجاة ظهرت

طلائع الجيش الاحمر واخذت تقترب من المدينة . وعندما كانت الحامية الصغيرة تستعد للدفاع جاءت رسل الشيوعيين تعلن انهم فى طريقهم لمساعدة تركيا . فعم السرور المدينة واستقبلهم سكانها بالهتافات بحياة الثورة ورجالها . وما كنا نعرف نواياهم الخبيثة. فما توسطوا المدينة حتى كشروا عن انيابهم الصفراء واخذوا يطلقون الرصاص على كل من صادفوه . وركزوا فوهات مدافعهم على بيوت الله وما نجا منها من التخريب حولوه الى اماكن للهو ومكاتب للحزب . وجمعوا علماء المدينة ومفكريها ووجهاءها واهانوهم وعذبوهم فى الساحات العمومية ـ كما يفعلون بنا الان ـ قبل أن يعدموهم شنقا . لقد اخبرني والدي ان الجثث ظلت معلقة حتى تفسخت ، فعلوا ذلك لارهاب الاخرين وبث الرعب فى قلوبهم حتى لا يفكروا فى الثورة ومقاومة حكم الحديد والنار . ومع ذلك لم تكن اللدغة قاتلة ، فقد تكونت جمعيات سرية فى جميع الاراضي الاسلامية التي نكبت بالاستعمار الاحمر للمطالبة بالحرية والاستقلال . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وزعوا منشورا يعدون فيه بالاستقلال بمجرد انتهاء الحرب ، وطلبوا من الشعوب الاسلامية ان تساعد الحكومة بكل ما تملك . فنشطت مصانعنا فى انتاج الذخيرة والدبابات والمدافع . وانتهت الحرب ، وكان النصر ، وكانت اللدغة الثانية . طلبت منا القيادة أن تقيم الاحتفالات فى جميع المدن والقرى ، وعينوا لنا يوما محددا . لا زلت أذكر ذلك اليوم الرهيب وكيف انساه . كنت شابا فى العشرين وقد ارتدينا احسن ملابسنا ، وخرجت نساؤنا وفتياتنا ، وحملنا آلات الموسيقى الشعبية ، كنا نرقص ونغني شيوخا وشبانا وأطفالا ، لا فرحا بانتصار الحلفاء وانما ابتهاجا باستقلالنا الموعود . والتقيت بخطيبتي «مردة» وكانني لم ارها من قبل ، كانت فى غاية الاناقة والجمال بملابسها الزاهية وشعرها المتدلى الى ركبتها . لم تكن الدنيا تسعنا من الفرح ، اذ كنا على اتفاق بان يتم زواجنا يوم احتفالنا بالاستقلال . قلت لها لم تبق الا ايام معدودة ، ربما نسمع الخبر السار اليوم . ازداد وجهها توردا ووضعت يدي فى يدها وغصنا فى الامواج البشرية التي كانت تصطخب رقصا وغناء فى احدى الساحات صادفنا منصة يتعاقب عليها خطباء من مدينتنا، كانوا يمجدون الدولة الواعدة وجيشها المنتصر. وبعد ان انهى الخطباء كلماتهم الحارة صعد قائد القوات الشيوعية والقى قنبلته المدوية : « لقد قررت الحكومة والحزب ترحيل شعب الشاشان الى سيبريا » ، وقبل

ان نفيق من ذهول الصدمة شاهدنا الدبابات تقترب وتطوق الجموع المعتقلة ، وتقدم الجنود مصوبي البنادق نحونا . . وهنا عاد ينظر الى عيون البنادق الموجهة نحو الصدور الملقاة على الارض . لمح ان احد الجنود يضع على ذراعه نجمة سداسية . غريب! ما كنت اظن ان الصهاينة يوجدون حتى فى صفوف الجنود ، كنت اعرف ان قائد العمليات الهندية فى الباكستان الشرقية صهيوني ، ولكني ما كنت اظن ابدا انهم يوجدون حتى فى سلك الجندية الهندية . رباه كيف تطاردنا هذه اللعنة الى هنا . لقد كانوا السبب فى كل ما حاق بنا ، هم الذين نظموا الثورة الشيوعية التي هدمت مدارسنا ومساجدنا واعدمت علماءنا وهتكت حرماتنا واخرجتنا من بلادنا . وهم الذين تآمروا مع الانجليز وغيرهم على هدم الخلافة العثمانية . والدبابات الحمراء هي التي دكت منازل ومساجد « داكا » مدينتي الثانية . . (يعني دوره بعد ، ولذلك استمر عرض الشريط. تقدم الجنودنحونا شاهري سلاحهم، وامرونا بركوب سيارات « اللورى » التي حملتنا الى قطارات المواشي . لن انسى ابدا ساعة الفراق الرهيبة ، لقد رايت « مردة » يجرها جندي فظ ، وهي تصرخ وتلوح بيديها نحوي ، وما كان فى استطاعتي ان اعمل شيئا ، لقد اخذوها مع جماعة كبيرة من فتياتنا . ثم انطلقت بنا القطارات فى رحلة الى عالم جديد مجهول . ولم يكن لنا ذنب اقترفناه الا انا مسلمون ابينا ان ننسلخ عن ديننا وحضارتنا الاسلامية ، ونذوب فى المجتمع الشيوعي الملحد والا ما كان من حقد اليهودية زوجة سطالين التي طلبت من زوجها السفاك ان ينفينا الى مجاهل سيبريا وجحيمها . ولم يكتفوا بكل هذه الجرائم فهاهم يطاردوننا الى هنا . ربي لماذا سلطت علينا هذه الطغمة الشريرة ، السنا مؤمنين وعلى حق ، اليسوا جرثومة تخريب وفساد المجتمعات؟ وهنا تذكر احدى وصايا والده . كان القطار يجتاز فيافي سيبريا المقفرة ، وقد انعدم كل اثر للخضرة والحياة ، وبعض النساء تبكي والاطفال يصرخون ويتضورون جوعا ، اذ نفذت المؤونة القليلة التي سمح لهم باخذها . كان الرجال يحاولون ان يتظاهروا بالصبر الجلد رغم الجزع البادي على الوجوه ، كانت الا عين تلتقي وتتساءل والشفاه مطبقة والوجوم يثقل الالسنة ، السؤال الوحيد الذي كان يدور فى الرؤوس هو لماذا ؟ ما هو الذنب الذي ارتكبناه حتى يحق علينا كل هذا العذاب ؟ وهنا انبرى والدي المرحوم وكانه يقوم بنفس الدور الذي يقوم به فى جامع « باكو » لقد كان احد العلماء

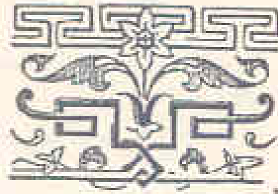
القلائل الذين نجوا من الشنق . قال : ايها الناس لا يجوز أن يتسرب الى قلوبكم واذهانكم حبة خردل من شك في حكمة الله وعدالته ، فما وقع لنا كان عقابا وجزاءا عادلا . لقد كنا أمة قوية متحدة تمتد من سينكليغ شرقا الى القرم غربا ، بما في ذلك موسكو التي يحكمها وال مسلم ، وبما في ذلك سيبيريا التي تتجه اليوم الى منفاها السحيق ، ولما جاء القياصر وامتدت أطماعهم الى بلادنا قاومناهم ووقفنا في وجوههم أكثر من قرن ، وخضنا ضدهم حروبا ضروسا لقناهم فيها دروسا لن ينسوها ابدا ، ولم يتمكنوا منا الى ان تفرقت كلمتنا ودب الشقاق بيننا ، وانصرف خاناتها الى ملذاتهم الشخصية . لاتنسوا ان مصيرنا هنا كان هو نفس مصير اخواننا بالاندلس عندما سقطت الخلافة الاموية وتحولت الولايات الى دويلات يضرب بعضها رقاب بعض ، بينما كان الاسبان يتربصون . لقد خالفنا اوامر ربنا فحق علينا عقابه . لقد اوصانا في كتابه العزيز بالاتحاد والاعتصام بحبله فقال: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فتفرقنا ، وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » فتنازعنا وفشلنا وذهبت ريحنا في الاندلس والتركستان والقوقاز والقرم وتركيا . لقد كان من اهم أسباب سقوط الخلافة العثمانية الدعوة الخبيثة الى القوميات والعصبيات التي نهى عنها الاسلام وقال عليه السلام : « دعوها انها منتنة » سقطت الخلافة وتحولت الولايات الى دول وممالك ينازع بعضها بعضا بينما الصهاينة يتربصون بفلسطين ويثبتون اقدامهم ، واذا تمكنوا لا قدر الله فتلك كارثة الكوارث وفاجعة الفواجع لان اطماعهم واحقادهم ليس لها حد ، ثقوا ان الله لن يتخلى عنا اذاما عدنا الى قرآننا وسلكنا نهجه القويم . لقد وعد ووعده الحق فقال : « ان الارض يرثها عبادي الصالحون » ، قد نموت في المنفى لكن ابناءنا واحفادنا لا بد ان يستيقظ الاسلام يوما في قلوبهم وضمائرهم ، ويدفعهم الى تحرير بلادهم احياء مجدها الغابر ، وليس ذلك بمستحيل على هذه الارض الطيبة التي قدمت للحضارة الاسلامية خدمات جليلة في التفسير والحديث والفلسفة والطب والفلك وغيرها من العلوم .

كان ابي واثقا مما يقول ، وكان ايمانه بحكمة الله وعدالته واعادة بعث الاسلام في هذه البلاد الشهيدة عميقا وراسخا . فلا زلت أذكر وصيته لي ولاخوي مصطفى وعثمان ونحن نعمل في مناجم سيبريا تحت اشعة الشمس المحرقة . لا زلت ارى صورة والدي العزيز وقد تجرد من هيئة الفقيه الواعظ ووقاره وارتدى ملابس العمال الخشنة . لقد ارغمونا جميعا على العمل ، ولم يكونوا يعطون طعاما الا للعاملين حتى الشيوخ لم يرحموهم ، كنا نرى خيرات المناجم تحملها القاطرات وتتجه غربا صوب موسكو ، وكنا نعلم ان الصهاينة الذين قادوا الثورة هم الذين يقطفون ثمار كدنا وشقائنا وينعمون به . قال والدي والعرق يتصبب من جبينه : اسمعوا يا ابنائي ، ما اوصيكم به الان قد اوصى به كل شيخ ابناءه.لتغص فكرة تحرير التركستان والقوقاز والقرم في اعماق اعماقكم لتكن هي الفكرة التي تحيون بها ولها ومن أجلها ، أوصوا أبناءكم اذا رزقكم الله ابناء وابناؤكم يوصون خلفهم . واذا قدر الله ونجوتم من هذا الجحيم ووصلتم الى احدى البلدان الاسلامية اشرحوا لاخوانكم هناك حقيقة ماساتنا . قولوا لهم لا تنسوا البلاد التي كانت درة في تاريخ الاسلام فانجبت البخاري والترمذي والفارابي والزمخشري وابن سينا والبيروني وغيرهم من العلماء الافذاذ . قولوا لهم ان الجيش الاحمر والاصفر تعاونا على هدم الاسلام في تركستان الشرقية ، وانه في سنتين فقط بطشوا بربع مليون من العلماء والمفكرين ، اما الطبقات الاخرى فتعد بالملايين . . .

وهنا ضغط احد الجنود على الزناد فتطاير الرصاص وارتفع الصراخ . كان دوره يقترب ، والصور تزدحم : عندما جاء خرتشوف حاول ان يرضي المسلمين فسمح لستين الفا من شعب الشاشان بالعودة الى بلادهم ، وكان والدي قد التحق بربه . لم تكن موتته طبيعية ، فقد مات مهموما مسموما بعدما لدغته الافعى الصهيونية ، وبعد ايام التحقت به والدتي . كنا من جملة من سمح لهم بالعودة ، فعاد اخواي ، وفضلت الذهاب الى افغانستان ومنها الى الباكستان ، وهنا رحب بي اخواني واعتبروني واحدا منهم ومنحوني الجنسية الباكستانية ، وانخرطت في سلك الجندية . عشت في « داكا » عيشة هنيئة لم يكن يكدرها الا الاخبار السوداء التي كانت تصلني تباعا من اخواي ، فقد علمت ان الذين عادوا الى بلادهم قذف بهم في شوارع المدن ، حيث كانت املاكهم قد احتلها المهاجرون اليهود والقوقاز ، واصبح السكان الاصليون مشردين لا ملجا لهم ولا ماوى . وعلمت ان اخوي هاجرا الى الشام والتحقا بالاسر الشاشانية والشركسية التي كانت قد هاجرت في بداية القرن واستقرت بالاردن وسوريا . وبعد فاجعة 67 التحقا بمنظمة تحرير سيناء وشاركا في العمليات الفدائية بجانب اخوانهم المصريين والفلسطينيين . وقتل

مصطفى فى كمين كان يعترض قافلة اسرائيلية فى طريقها الى العريش ، وبعد توقف حرب الاستنزاف وتجميد اعمال منظمة تحرير سيناء التحق عثمان بمنظمة فدائية بعكا ، وشارك فى عدة عمليات ، وعندما اكتشفت الخلية حكم عليه بعشرين سنة سجنا . كانت هذه الاخبار تصلني تباعا فتملا قلبي هما وغما والصهيونية تصول وتجول ومدافع القناة صامتة . وقبل اسابيع وصلتني اخبار سارة ، فقد علمت ان مصر حصلت على الاسلحة الهجومية التي كانت تنتظرها وان هذا الفصل سيكون فصل الحسم . وبعدها جاءت الاخبار السوداء ، لقد اختفت الاسلحة الروسية التي وصلت الى مصر ، ولا أحد يعرف أين هي ، وأخيرا استيقظنا هنا على حقيقة مذهلة عندما كنا نشاهد الدبابات الحمراء تزحف على « داكا » والصواريخ الروسية تطارد طائراتنا وتسقطها على المنازل محترقة لقد انتقلت الاسلحة الروسية الى ميناء « عدن » ومنها الى الهند ، من يصدق ؟ أسلحة موجهة الى مسلمين ليحاربوا الصهاينة ، تسلم الى الصهيوني الذي قاد العمليات الحربية فى الباكستان الشرقية ليفتك بالمسلمين ، كنت أسمع واقرا عن مخططات الصهيونية وتسخيرها للدول ، وكانت هذه الافكار تعيش فى ذهني مجردة . أما الان فانني اعيش الحقيقة . انظر الان الى فلسطين فأرى كائنا هائلا اسطوريا تمتد ذراعه اليمنى الى البيت الابيض واليسرى الى الساحة الحمراء ، اصابع اليسرى قذائف وصواريخ ، واظافر اليمنى طائرات وغواصات . عندما كان الاسطول الامريكي يقترب من خليج البنغال استبشر الكثير من ذوي النوايا الطيبة ، لكنني لم اصدق وقلت كيف يسمح هذا الكائن الاسطوري بارسال اسطوله لنصرة شعب مسلم وانقاذه ، وهو الذي لا يكره ولا يحقد الا عليه . . . وهنا دوى صوت انفجار هائل فأمال رأسه الى اليمين كانت ألسنة النار تنفجر من قلب المسجد الكبير وترتفع تحت قبة رمادية من دخان كثيف ، كانت ساعته قد أزفت وفوهة البندقية تتجه صوب صدره وسنانها الملطخ بالدماء يلمع كنجم أحمر . رفع بصره الى أعلى خيل اليه ان لسان النار يمتد فى شكل أفعوان ضخم يقوم بالعاب بهلوانية ؛ يلتف حول نفسه ويكون نجمات خماسية وسداسية ثم انحل واتجه نحوه واخذ يقترب منه ـ النجمة السداسية كانت تلمع فى ذراع الجندي الصهيوني ـ اخرج لسانا ناريا ، أحس بحرارة مفرطة تجتاحه ، حاول ان يفك يده الموثوقة وبعد اللسان الناري عنه ، غير ان سنان البندقية كان قد لامس صدره ثم غاص . فتوقف قلبه عن النبض قبل ان يتمم الشهادة وعندما كان جفنه ينسدل خيل اليه انه يرى حمامة تنفلت من قفص وتتجه صوب « باكو » وبدا له الافعوان المشتعل يتجه نحو سيناء واصلا بين داكا وعكا .

مكناس : ابو عدنان عبد القادر البوشيخي



حاجي خليفة وكشف الظنون

للاستاذ صاحب الامضاء

يعتبر كتاب « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » ذخيرة نفيسة فى المكتبة العربية وهو جدير بأن يكون موضوع عناية ودراسة .

واول ما نلاحظ عند دراستنا « للكشف » هو انه الف فى القرن الحادي عشر الهجري ، اي السابع الميلادي . وهذه الفترة هي فترة جمود فكري اذا ما قيست بعهود الازدهار، ولكنها فى الواقع امتداد لعصر تاليف الموسوعات : فى الادب ، واللغة ، والفقه ، والتراجم ... مثل نهاية الارب للنويري، وصبح الاعشى للقلقشندي ومؤلفات السيوطي ..

وهذه الحركة النشيطة فى التاليف والجمع فى عصر الجمود كانت حركة مهمة عملت على انقاذ ما تبقى من التراث ، وعلى جمع شتات ما يمكن جمعه، بعد الذى تعرض له التراث العربي من ضياع واتلاف، واغراق واحراق ، وتدمير ، وتهريب ، وقرصنة ..

وعمل حاجي خليفة فى كتابه كشف الظنون .. هو حلقة من تلك الحلقات التى عملت على التعريف بتراثنا ، ومحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه ... واذا كان عمله هذا من نوع خاص وفى ميدان معين ، فهو عمل هام يستوجب الوقوف عنده والتعرف عليه ..

اعتمد حاجي خليفة فى عمله هذا على المؤلفين الذين سبقوه فى نفس الميدان ، اي ميدان التعريف بالمؤلفات والمؤلفين ، وهذا التعريف قد يكون عاما وشاملا لجميع ضروب العلوم والفنون ، وقد يكون خاصا بضرب معين من المعرفة ، وبطبقة خاصة من طبقات ذلك الضرب المعين .

وحاجي خليفة فى الكشف يقصد الى العموم والشمول حيث اراد ان يضع فهرسا جامعا شاملا ، ومعجما يضم ما فى المكتبة العربية من مؤلفات ، وهذا عمل شاق فى حد ذاته ، بالرغم من ان الخطوات السابقة تمهد الطريق ، ومما يزيد فى صعوبة هذا العمل مضي الزمن واستداده ، وكل من سبق فى الميدان سوف يقف عند حد معين ، وعلى اللاحق ان يبتدىء من حيث انتهى السابق ..

لقد تنبه المسلمون منذ العصور الاولى الى ضرورة وضع فهرس جامع يسهل على طالب العلم قصده ، ويكون له مفتاحا بين يديه ييسر عمله .

الخطوات التى سبقت حاجي خليفة فى هذا الميدان

من اهم الخطوات التى مهدت الطريق امام مؤلف الكشف الخطوات التالية :

1 ـ خطوة ابن طيفور البغدادي المتوفى سنة 280 هـ صاحب كتاب « اخبار المؤلفين والمؤلفات » فهذه خطوة مبكرة تعتبر من الخطوات الاولى فى هذا الميدان .

2 ـ ثم كانت خطوة اخرى ، وهي عمل هام فى هذا الميدان ، تلك هي خطوة « فهرست ابن النديم » محمد بن اسحاق البغدادي المولد ، وهذه الخطوة كانت فى منتصف القرن الرابع الهجري ، فهي من الخطوات المبكرة ، لان ابن النديم هذا احترف الوراقة ، والكتابة ، فاتاحت له ظروفه معرفة الكتب العديدة ، ومؤلفيها ، واتاحت له الاطلاع على المعارف التى سادت فى زمانه ..

وكتاب الفهرست يدل على احاطة ابن النديم بمختلف علوم عصره ، ويدل على وقته فيما قرا ، أو راى ، او سمع ، وكتابه مقسم الى عشر مقالات فى عشرة جوانب من جوانب الثقافة الاسلامية :

1) اللغات والكتب المقدسة وعلوم القرآن .

2) النحو واللغة

3) الاخبار والانساب .

4) الشعر .

5) الكلام .

6) الفقه والحديث .

7) الفلسفة والعلوم القديمة .

8) الاسماء والخرافات والسحر .

9) المذاهب والاعتقادات .

10) الكيمياء .

وكل مقال مقسم الى عدة فنون يذكر فيها اسماء الكتب واخبار مؤلفيها علىاختلاف طبقاتهم واصنافهم، كالنحاة ، والرواة ، والمترسلين ، والمغنين ، والمتكلمين والفقهاء والاطباء ، والمشعوذين والمصورين والكيمائيين ..

فكتاب ابن النديم اذا يعطينا صورة واضحة عن الحصيلة العلمية الضخمة التى كانت بين يدي طلاب العلم بديار الاسلام فى منتصف القرن الرابع الهجري .

3 ـ ومن الخطوات الهامة فى هذا الميدان كتاب « مفتاح العلوم » لمحمد بن احمد الخوارزمي من القرن الرابع الهجري ايضا عاش ببلاط السامانيين الذي الف لوزيرهم العتبي اقدم دائرة معارف عربية .

وقسم الخوارزمي كتابه الى قسمين هامين :

ا ـ العلوم العربية والاسلامية :

كالشريعة ، والفقه ، والكلام ، والعروض ، والتاريخ ..

ب ـ العلوم المترجمة :

كالفلسفة والمنطق والطب والحساب والهندسة والفلك والموسيقى والحيل ـ مكانيكا ـ والكيمياء.. ثم بين مصطلح كل علم .

4 ـ وهناك خطوات اخرى كثيرة فى هذا الميدان منها كتاب « احصاء العلوم » لابي نصر الفارابي المتوفى سنة 339 هـ .

5 ـ كتاب « موضوعات العلوم » الذى صنفه عبد الرحمن البسطامي وهو كتاب حافل فى موضوعه .

6 ـ صنف الملا لطفي المقتول سنة 900 هـ كتابه «المطالب الالهية» خدمة لخزانة بايزيد العثماني

7 ـ والف معاصره السيوطي المشهور كتابه « النقاية واتمام الدراية » .

8 ـ وبعدهما الف السيد محمد امين بن صدر الدين الشرواني المتوفى سنة 1036 كتابه فى هذا الميدان وهو : « الفوائد الخاقانية » الذى اهداه للسلطان احمد الاول العثماني .

9 ـ هذا ويعتبر كتاب « مفتاح السعادة ومصباح الزيادة » من اهم الكتب فى هذا الموضوع ، وهو من الكتب التى كانت نبراسا لمؤلف كشف الظنون . ومؤلف مفتاح السعادة هو عصام الدين احمد طاشكبرى زادة المتوفى فى 968 هـ سار فى كتابه على منهج ابن النديم ، وقسم العلوم الى ست درجات ادخل فى كل درجة منها طائفة من العلوم وزمرة منها، واعطى الدرجة السادسة لعلوم الباطن وبها انهى الكتاب ، وكتاب مفتاح السعادة هذا يحتوي على مقدمات فى فضيلة العلم والتعليم والتعلم وشروط ذلك ..

ويلاحظ ان مؤلف الكشف ؛ اتكأ على هذه المقدمات وانتفع بهذا الكتاب كثيرا ، فهو قد استفاد من هذا الرصيد كله ومن غيره .. وهو يصرح في مواضع عديدة من كتابه بما استفاد من الذين سبقوه .

منهاج حاجي خليفة وطريقته

يقول مؤلف الكشف : انه قام بعمله هذا بالهام من الله تعالى وانه ابتدا عمله بتحرير اسماء الكتب بحلب ..» ويلاحظ ان صاحب الكشف بالرغم من اعتماده على الكتب السالفة الذكر وغيرها كمصادر وكمادة لكتابه قد ابتدع لنفسه منهاجا خاصا به وهذا مما ينبغي اعتباره ، انه بهذا المنهاج سهل الرجوع الى ما يقصده الباحث والطالب وذلك حيث رتب المؤلفات في كتابه على حروف المعجم من الالف الى الياء ، فهو يستقصي جميع الكتب التي الفت قبله حسب علمه ويرتبها على حروف الهجاء ترتيبا معجميا .

وبهذا العمل اصبح كشف الظنون معجما للمؤلفات بحيث يسهل على الباحث العثور على الكتب المؤلفة في اي موضوع من الموضوعات ، وبهذا العمل ايضا اصبح الكتاب مرجعا هاما لا يستغني عنه طالب العلم ، وخاصة في طبعاته الاخيرة ذات الذيول والتعاليق .

وفي ثنايا الكتاب يبدو المجهود الذي بذله المؤلف وهو مجهود سنتعرف عليه فيما بعد .

ومما يلفت النظر في كشف الظنون ، مقدمة الكتاب ، تلك المقدمة التي تبين مدى سعة اطلاع المؤلف ، ومدى عمقه في البحث ، ومدى ادراكه لحقائق العلم ، وتدل على ثقافته الواسعة وعلى ما بذله من جهد في سبيل العلم والمعرفة ..

فهو يتحدث في مقدمة الكتاب عن مختلف العلوم والفنون ويشرح فيها فائدة كل علم وكل فن ، ويتعرض لنشأة العلم ومدارسه والى المشهورين من اربابه والمشتغلين به ..

وهي مقدمة حافلة تجسم الجهد المبذول من طرف المؤلف خلال عشرين سنة في جمع شتات هذا الكتاب الذي ضمنه في نهاية الامر زهاء خمسة عشر الفا من اسماء الكتب والمؤلفات لخمسمائة وتسعة آلاف من المؤلفين في نحو ثلاثمائة فرع من فروع المعرفة .

مؤلف كشف الظنون وحياته وظروفه

يتفق كل الذين ترجموا المؤلف على انه ولد في مدينة استانبول سنة 1017 هـ اي موافق 1608 م في مطلع القرنين الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي .

كانت استانبول خلال هذه الفترة عاصمة سلاطين آل عثمان وقد عرفت ازدهارا كبيرا ، وتالق نجمها بعد ان اصبحت مركز الخلافة الاسلامية. فازدهرت بها حياة العمران بعد الفتور الذي اصابها بعد الفتح مباشرة ، الذي كان سنة 1453م فما هي الا مدة قصيرة حتى اصبحت استانبول مدينة اسلامية بكل معاني الكلمة حيث انشئت فيها المساجد الفسيحة البالغة في الروعة والجلال والجمال ، واخذ سلاطين آل عثمان يتنافسون في البناء والتشييد .. فما شئت من مساجد واضرحة ومدارس ومكتبات ، وكتاتيب قرآنية ، ودور للقراءة والقراء وللعلم وطلبته ...

فهذا المسجد السليماني افسح مساجد البلد، اسس في عهد سليمان القانوني العظيم ما بين سنة 1550 م و 1557 م ذلك السلطان الذي يمثل عصره العصر الذهبي للامبراطورية العثمانية والذي ازدهرت في عهده الحياة العلمية ، والادبية والثقافية بصفة عامة .

ومسجد بايزيد (1501 م — 1505 م) ومسجد ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ، والمسجد الجديد (ياني جامع) الذي شيد سنة 1597 م ..

الى غير ذلك من مظاهر الحضارة الاسلامية التي عرفتها المدينة مسقط راس المؤلف .

فالمؤلف اذا ولد في اوج عظمة الدولة العثمانية حيث عرفت استانبول بدورها اوج عزها ومجدها ، وحضارتها ...

الا ان الاوج احيانا يكون هو القمة التي يبدا منها الانحدار ، واذا كان الصعود يحتاج — عادة — الى بعض الفترات الطويلة فكثيرا ما يكون الانحدار بسرعة مذهلة ...!

فمؤلفنا قد فتح عينيه على مدينته الجميلة عاصمة الخلافة الاسلامية ، وهي زاهية بمآثرها وعمرانها وحضارتها الاسلامية ، وبنظام بلاطها وبانظمة الجيش فيها التى تتمثل فى استعراضاته وقوته ، واسطوله واسلحته وبنوده ، ورايات والبسته وبذلات ضباطه وقواده .. وفى موسيقاه الصاخبة التى تردد صداها المدينة وضواحيها . ذلكم الجيش الذى كان مزهوا بانتصاراته فى كل الجهات ، وفى جميع ميادين الحروب .

فتح عينيه على هذا واكثر من هذا فى طفولته، وهو قد شب وترعرع فى عهد السلطان مراد الرابع سابع عشر سلاطين بني عثمان ، الذى تربع على عرش الخلافة العثمانية ما بين سنتي 1623 م و 1640 م وهو آخر سلطان خرج الى الحرب بنفسه.

واذا كان مؤلفنا قد فتح عينيه على مظاهر الازدهار والعمران وقوة الجيش فان تلك المظاهر سرعان ما بدات تتخذ المظهر الصوري ، وكانت نتيجة لقوة الدفع التى بدات مع تأسيس الامبراطورية ..

ومن المعروف ان عهد الضعف فى الامبراطورية العثمانية يبتديء بعد موت السلطان سليمان القانوني فى منتصف القرن السادس عشر الميلادي سنة 1546 والذى خلفه ولده سليم الثاني . وفى عهد سليم هذا اصيب الاتراك بأول انهزام حربي مؤلم ومؤثر كان له ما بعده ، وذلك فى معركة ليبانتو الشهيرة سنة 1571 م بواسطة الاسطولين الاسباني والبندقي .

وفى عهد السلطان مراد الثالث (1574 — 1595) بدات سيطرة الحريم والمحظيات على شؤون الدولة .

اما فى عهد مراد الرابع الذى عايشه مؤلفنا والذى سنرى انه كان من بين مستخدميه فى الجيش فى هذا العام هجم الفرس على بغداد ، وثار الامراء لتحرير الاقاليم ومنهم الامير فخر الدين « المعني » الذى اراد تحرير لبنان ...

واستطاع الفرس بزعامة عباس الاول شاه فارس أن يستولوا على بغداد لفترة من الوقت ...

واذا كان مراد الرابع قد استطاع ان يسترجع بغداد بعد صعوبات جمة وحروب طاحنة ... فاننا سنرى ان نفسية الجيش كانت متضعضعة .

وفى الحروب مع عباس هذا ذاق مؤلفنا ويلات الحروب ، وذاق مرارة الحصار تسعة اشهر كاملة .

ولنترك المؤلف يحدثنا بنفسه عن ذلك اذ يقول:

« سافرت سفرة بغداد مع والدي ، وقاسيت الشدائد فى المحاصرة تسعة اشهر من الحرب والقتال ، وانقطاع الآمال باستيلاء القحط والغلاء وغلبة الاعداء ، ولكن البلية اذا عمت طابت ذلك تقدير العزيز العليم ، ولما رجعنا ميئوسين مخذولين ودخلنا الموصل مات والدي فى يوم من ايام ذي القعدة سنة 1035 هـ وسنه فى حدود الستين ودفن فى مقابر الجامع الكبير ومات عمي بعد شهر ... »

وهذا نص يحمل فى ثناياه ظلالا من الكآبة واليأس سواء بالنسبة لحال المؤلف او بالنسبة للوضعية العامة للمشاركين فى الحرب ..

تسعة اشهر من الحصار وانقطاع الآمال ، واستيلاء القحط والغلاء وغلبة الاعداء ..!! ثم يقول: « ورجعنا ميئوسين مخذولين » وهذه وضعية عامة بالنسبة لجميع الجيش السلطاني وينفرد المؤلف بعد ذلك ببلاياه الخاصة وهي موت الاب ثم العم !!

وهكذا نرى ان المشاكل بدات تتسرب الى جسم الدولة العثمانية ، وكانت عظمة مراد الرابع « كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد » بالرغم من انه كان مفتول العضلات ، شديد القسوة ...

والمؤلف قد شاهد حربا اخرى قبل هذه ، وهو لا يزال طري العود صغير السن فى بداية طور المراهقة لا يتجاوز عمره السادسة عشرة سنة ، والى ذلك يشير بقوله : « لما خرجت العساكر الى قتال ابراه باشا سنة 1033 هـ سافرت مع ابي وشاهدت الحرب الواقعة فى تلك السنة بناحية قيصرية ..» — قيصرية قرية بشمال سوريا — والمؤلف فى ترجمته لنفسه يتعرض للاحداث التى يراها مؤثرة فى حياته ، والتى علقت بذهنه من اجل ذلك ، ولا شك ان هذه الاحداث لها اهميتها فى واقع الامر ..

وفى هذه السفرة بالذات قد نستغرب كيف اخذه ابوه معه فى الحملة العسكرية وهو فى هذه السن المبكرة ..؟!

لكن يبدو ان اباه كان فى حاجة اليه ، ليساعده وليؤنسه ...

ويؤكد هذا الاحتمال موت ابيه فى الحملة الموالية لهذه الحملة مباشرة والتى سبقت الاشارة اليها ... فكانت عاطفة الاب الشيخ متاججة نحو طفله ، ولذلك فهو يريد ان يجعل منه رجلا صلب العود قبل الاوان ، ويريد كذلك ان يلتذ بمعاشرته اياه ... ويريد ان يدربه فى نفس الوقت على شؤون الوظيفة .

ومهما يكن من امر فان هذه الحملة نفسها تصور لنا كذلك مقدار التضعضع الذى بدا يصيب هذا الكيان الضخم كيان الامبراطورية العثمانية الواسعة الارجاء .

فالمؤلف فى هذا النص يشير الى الحرب التى دارت رحاها فى شمال سوريا واستغرقت حوالي سنة ، والتى ثار فيها آبزاه باشا القبزان حاكم مرعش (1) وارضروم (2) وبعد حرب طاحنة تغلب جيش السلطان مراد الرابع ، على ابزاه باشا وامر بقتله ولم يشفع لابزاه باشا عند السلطان ما كان من حسن بلائه فى حروب بولونيا ..!

واذا ما استعرضنا الاحداث التاريخية التى عاشها مؤلف الكشف كمواطن وكموظف فى الدولة ، وكمثقف واع ، فاننا سنرى فيما بعد كيف اعتملت هذه الاحداث فى نفسه واثرت فى شعوره ، وسنراه يرفض الوظيفة ويزهد فيها ليتفرغ الى البحث والتاليف ..

ونشير هنا الى بعض الاحداث الاخرى التى عاشها المؤلف لنعرف مقدار التعفن الاداري الذى كان من شأنه ان يزهد بعض الاحرار فى الاعمال الرسمية للدولة ...

فمراد الرابع الذى كان المؤلف من موظفيه فى حسابات الجيش ، خلفه اخوه السلطان ابراهيم من سنة 1640 – 1648 م واذا كنا قد عرفنا بعض الاحداث التى اثرت فى نفسية المؤلف والتى عاشها فى عهد السلطان مراد الرابع فلا باس ان نعطي نظرة وجيزة عن عهد ابراهيم السلطان العثماني الذى عاش المؤلف كذلك جزء من حياته فى خدمته .

فالسلطان ابراهيم فى اول عهده ترك امر تصريف شؤون الدولة الى وزيره (قرة مصطفى) وكان هذا الوزير مشهورا بالدهاء والقدرة على تسيير الامور الا انه مهما يكن من قدرته فان اسناد التصرف المطلق لوزير مهما كان امره يصبح مبعثا للدسائس والمؤامرات .. وهذا الذي حدث فعلا ففي سنة 1644 م امر السلطان ابراهيم بقطع راس الوزير نتيجة للدسائس ..!!

وبعد ذلك وقع ابراهيم تحت نفوذ امه ومحظياته ... وسيطر على السلطان ابراهيم وعلى شؤون الدولة شخص آخر لا يتسم بصفات الوزير الاول وهو (جنجي خوجة حسين) الذي زين للسلطان السير فى طريق الملذات والشهوات ...

واستنفذت الملذات والشهوات كل موارد الدولة فى عهد ابراهيم وساءت الحال ، وانهزم اسطوله امام اسطول البندقية مرة اخرى ففكر على اثر هذا الانهزام فى ذبح المسيحيين الا انه استجاب لنهي علماء الاسلام له عن ذلك واستمر يحارب ربع قرن تقريبا، فانهكت حروبه وشهواته خزينة الدولة وثارت عليه فرقة الانكشارية (3)بمساندة العلماء فخلع وشنق سنة 1648 م .

(1) مرعش : مدينة فى تركيا على حدود سوريا الشمالية فتحها صلحا ابو عبيدة .

(2) ارضروم – مدينة فى تركيا تعلو عن سطح البحر باكثر من 2000 م كانت تسمى قليقة عندما فتحها حبيب بن مسلمة سنة 23 هـ وبعدما استولى عليها السلاجقة فى القرن الخامس هـ . سموها « ارضروم » .

(3) الانكشارية فرقة من الجيش العثماني كان يؤخذ جنودها من الشبان المسيحيين الذين كان على المدن الخاضعة للاتراك ان ترسلهم سنويا لخدمة السلطان ، وكان هؤلاء الشبان ينشؤون منذ حداثتهم على الولاء للسلطان ويدربون تدريبا عسكريا دقيقا، وفى القرن السابع عشر والثامن عشر ظفرت هذه الفرقة بسلطة كبيرة ، فكانت تنصب السلاطين وتخلعهم كما تشاء ، صار التجنيد لها وراثيا منذ القرن السابع عشر ثم توقف تدريجيا تجنيد المسيحيين فيها ، وبقيت هذه الفرقة ذات نفوذ الى ان قضى عليها السلطان محمود الثاني فى مذبحة الاستانة سنة 1826 م .

هذه الاحداث كلها كانت تحت سمع وبصر المؤلف عاشها بقلبه وضميره ووجدانه .

وبعد شنق ابراهيم اصبح نفوذ الانكشارية قويا جدا في الدولة ، حيث ظفرت هذه الفرقة من الجيش بسلطة كبيرة فكانت تنصب السلاطين وتخلعهم كما تشاء .

وفي عهد ابراهيم هذا قدم المؤلف استقالته من وظيفة الجيش ، وهذه السنة التي استقال فيها هي السنة الانتقالية في عهد ابراهيم اي السنة التي قطع فيها السلطان ابراهيم راس وزيره المقتدر) قره مصطفى) ومن ثم جد السلطان في تلبية شهواته .

وليس معنى هذا اننا نربط بين حادثة القتل وحادثة الاستقالة ولكننا نربط هذه الاستقالة وبين فساد الاوضاع في ادارة الدولة .

اما السبب المباشر لاستقالة المؤلف فهو يذكره بنفسه في ترجمته لحياته في آخر تأليفه : « ميزان الحق في اختيار الاحق » حيث يشير الى نزاع وقع بينه وبين باشا خليفة الذي هضم حقوقه في الخدمة الرسمية وكان ذلك سنة 1055 هـ اي 1644م وفي هذه السنة كان المؤلف قد انتقل في عمله الى قسم تخطيط الخرائط بالجيش ، ولكنه على اثر بخس حقوقه الواجبة له ، قرر ان يعتزل الخدمة نهائيا وان يتفرغ للبحث والتاليف .

وهذه الحادثة التي يرويها لنا المؤلف كان من شأنها ان ترهق احساسه بفساد الاوضاع .

وكانت هذه الاحداث بعامة ، والاوضاع الادارية في الدولة مما يشغل بال المؤلف . ولذلك حاول ان يدلي بدلوه في اصلاح الاوضاع او على الاقل التنبيه لما هي عليه من فساد فألف كتابه « دستور العمل ، لاصلاح الخلل » — الذي سنذكره عند ذكر مؤلفاته — ولعل التاليف السالف الذكر « ميزان الحق في اختيار الاحق » هو مساهمة من المؤلف في محاولة التنبيه على ضرورة اصلاح الاوضاع . لكن الانحدار كان اقوى من ان يرده نداء مهما يكن صادقا ..!!

ابو اسامة



معالم النقد في الجاهلية وصدر الإسلام .

للأستاذ على لغزيوي .

نشـــأة النقـــد :

النقد الادبي قديم قدم الادب نفسه لانه ملازم له لاحق به ، وقد عرفه العـرب كما عرفتـه الامـم الاخرى فى اول مرحلة من مراحل نشأته فنا بسيطا ولمحات قصيرة ، وتعود نشأته عند العـــرب الى العصر الجاهلي لان اقدم ما لدينا من الادب يعـود الى ذلك العصر ، ووجود النقد ضروري حين يوجد الادب ، ورد فى كتاب (التوجيه الادبي) :

« ومنذ سمع الناس الادب الانشائي فيما انشد الشعراء من القصائد وما القى الخطباء من الخطـــب ، حرص بعضهم على ان يظهر رايه فيما سمع فاثنى على القصيدة او عابها ، وذم الخطبة او قرظها ، ووجد من الناس من يشاركه فى ذلك او يأبه عليه ، فصدرت احكام على الشعر والنثر ، وكان هذا هو اول الادب الوصفي وهو الذى نسميه نقدا » (1) .

واذا كان النقد الادبي ، الذى هو المقصود بهذا البحث الموجز ، هو فن تمييز جيد الكلام من رديئه ، وصحيحه من فاسده ، وبالتالي الحكم عليه ، فكيف كان النقد الادبي منذ العرب قديما ؟ ، وما هي معالمه ؟

معالم النقد العربي فى الجاهلية :

الملاحظة ان هذا المصطلح لم يكن معروفا متداولا فى العصر الجاهلي والعصر الاسلامي ، ولم يوجـد حتى فى المعاجم اللغوية التى الفت بعد مجيء الاسلام ، بل كانت هناك اصطلاحات اخرى مثـل : البصـــر بالشعر ، او المعرفة الشعرية ، او الفهم بالشعر ، او الدراسة فى الشعر ، وحتى كتب النقد ايضا لم تكن تستعمل كلمة نقد فى الميدان الادبي الا نادرا ، وكان قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) من أوائل من استعملها فى كتابه : (نقـد الشعـر) ، فى القـرن الرابـع الهجـري .

لقد كان النقد فى العصر الجاهلي مقدمـات اولى فى صناعة الشعر الجاهلي ، وخطرات سريعة ذاتية تعتمد على الذوق وتنظر الى البيت مستقلا او البيتين لا الى كل القصيدة كوحدة ، وبذلك جاءت نظراتهم النقدية جزئية ، ورغم ذلك فهي لا تخلو من بعض الصحة والسلامة تدل على بصر بالشعر وعلم به ، ولكن تلك الاحكام لم تكن فى القالب ثابتـة ، فكثيرا ما نجد الناقد يفضل شاعرا لاعجابه ببيت من شعره فيقول انه اشعر الشعراء ، ثم يسمع شعـــرا لغيره يعجب به فيفضله على غيره ، وما ذلك الا لان تلك الاحكام لم تكن وليدة التحليل والتمحيص ، بل هي احكام عامة وذاتية ، واذا عرفنا ان الشعر العربي مر بمراحل من التهذيب قبل ان يصل الى الصورة التى وصل الينا عليها ، فلابد من وجود احكام نقدية فى نفس تلك الفترة المفقودة هذبت ذلك الشعر الـذى وصل الينا ناضجا ، واذا كانت طفولة هذا الشعر قد غابت عنا ، فان النقد الذى كان يواكبهـا ـــ ولا

---

(1) التوجيه الادبي للدكتور طه حسين وآخرين ، ص : 5 طبعة دار الكتاب العربي بمصر 1953 .

شك انه كان فى طفولته ايضا ــ لم يصلنا كذلك ، وانما وصلت احكام بسيطة على الشعر الموجود المتمثل فى المعلقات وغيرها من اشعار الجاهليين .

وغير خاف ما للاحتكاك بين العرب فى الاسواق التى كانوا يلتقون فيها لقضاء حاجاتهم المختلفة من اثر على تطور تلك النظرات النقدية وبالتالي نضج شعرهم واكتماله تبعا لتوجيه النقد له ، واشهر تلك الاسواق : سوق عكاظ ، حيث كانت تضرب للنابغة الذبياني قبة من ادم ليحكم بين الشعراء ويعطي رايه فى القصائد التى يستمع اليها .

واذا تتبعنا الامثلة على الاحكام النقدية فى العصر الجاهلي استطعنا ان نعرف كيف كان الناقد يلقي احكامه ، ومن تلك الامثلة القديمة : حكم زوجة امرىء القيس أم جندب بين زوجها والشاعر علقمة ابن عبدة الفحل بعد ان اختلفا فى ايهما اشعر ، فقالت : لينظم كل منكما قصيدة يصف فيها فرسه، على ان تلتزما وزنا واحدا وقافية واحدة ، فصنع كل منهما قصيدة على وزن الطويل وانشدها القصيدتين ، فقالت لزوجها : « علقمة اشعر منك ، قال : كيف ؟ قالت : لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع اخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك فى زجرك ، ومريته فاتبعته بساقك . وقال علقمة :

فادركهن ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ، لم يضربه بسوط ولم يتعبه » .

واذا صحت هذه الحكاية عن أم جندب التى كانت ولا شك شاعرة ، فان النقد عندها يدل على جزئية نظرتهم بحيث يحكمون على الشاعر ببيت واحد ، ولكن راي هذه المراة هنا صريح فلم تتعصب لزوجها .

وقد كان الشاعر ايضا ينزل عند رغبة النقاد بدون شك ، ويرضي الذوق العام ، فيسير على نهج تقليدي معروف ، وقد تنبه لذلك زهير بن ابي سلمي فقال :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من لفظنا مكرورا

وكثيرا ما كان الشاعر ينظر الى شعره بنفسه، فينقحه ويهذبه ويدخل عليه بعض التحسينات كما عرف عن زهير بن ابي سلمى واستاذه أوس بن حجر ومدرستهما فى التنقيح .

وفى اخبار الاعشى نجد انه كان ينشد شعره على الصنج ، وغير خاف ما لهذه الطريقة من اثر على الاذن من الناحية الموسيقية تجعل الشاعر يحرص على ارضائها . واذا هو لم يرض الاذن العربية لم يسلم من المآخذ كما حدث للنابغة الذبياني الذى يقال انه كان يقوي فى شعره حتى قدم الى المدينة يوما فطلب اهل المدينة الى مغنية ان تغني قوله :

امن آل مية رائح أو مغتدي
عجلان ذا زاد ، وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الاسود

فلما سمعها شعر بما فى البيتين من نشاز ، فغير حركة الروي المضموم فقال :

« وبذلك تنعاب الغراب الاسود »

ومن الامثلة ايضا على الاحكام النقدية ونماذجها فى العصر الجاهلي ما يحكى عن طرفة وهو صغير انه سمع الشاعر المسيب بن علس ينشد احدى قصائده ويصف بعيره فى هذا البيت منها :

وقد أتناسى الهم عند ادكاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة هازئا : « استنوق الجمل » ، لان الصيعرية سمة خاصة بالنوق لا بالجمال تكون فى اعناقها .

ونأتي الى نوع من النضج فى النقد الذى يتمثل فى سوق عكاظ اشهر اسواق العرب ، فيروى ان النابغة كانت تضرب له قبة من ادم ويأتي الشعراء فينشدونه اشعارهم فيكون له الراي الاول والاخير ، فيشتهر الشاعر الذى استحسن شعره ونوه به ، ويذكر أن من بين الشعراء الذين نوه بهم : الاعشى والخنساء وحسان بن ثابت ، وتقول الرواية انه لما انشده حسان قصيدة منها :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحـــى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دمـا

ولدنا بني العنقاء وابني محـرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك اقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » .

ونلاحظ ان النابغة الناقد هنا ينقد حسانا نقدا سديدا من الناحية اللفظية التي تتجلى في عدم جمع الشاعر جفناته وأسيافه جمع كثرة ، ومن الناحية المعنوية التي تظهر في فخره بأولاده ، مع ان العرب يفخرون بالآباء والاجداد . واذا كان يظهر في هذا الحكم نوع من النضج فاننا نلاحظ ان مثل هـذه الاحكام التي تتناول القضية اللفظية والمعنوية نادرة في النقد الجاهلي الذي كان يهتم بالصياغة أكثـر في صورة مبسطة تناسب العصر .

ورغم ذلك فهذه الامثلة المختلفة التي رأيناهـا والتي لم نذكر منها الا القليل ، تدل دلالة قويـة على وجود النقد في الجاهلية وتعطينا الصورة التي كان عليها بحيث تظهر معالمه وسماته ، وهو كما رأينا نقد بدائي له سمات اولية يهتم بالبيت او البيتين ، وكانت الاحكام خطرات ذهن فطري متوقـد تهمـل التعليل والتحليل والتفصيل ، واذا اتى شيء من ذلك فهو جزئي بسيط ، يعتمد على الذوق الشخصي ويقصد المجال الفني الذاتي غالبا ، ولكنه مجـال ضيق على كل حال ، ليست فيه دقة وتحليل، بل هو الى العموميات أقرب ، الا ان هذا ليس عيبا فيـه ، لانه لا يزال في طوره الاولي ولان الدراسات التي تنظمه لم تكن قد ظهرت بعد ، فكان بطبيعة الحال مسايرا لروح العصر ، فالشعر الجاهلي احساس وانفعال ، وكذلك كان النقد ، ومع ذلك فهو لا يخلو من قيمة : فقد كان له كثير من الفضل في توجيه الشعراء الذين كانوا يحرصون على الابداع حتى ينال شعرهم رضى الناس ويسلم من المآخذ .

فاذا كانت تلك هي معالـم النقـد في العصـر الجاهلي ، فما هـي معالمـه وسماتـه في صـدر الاسلام ؟ .

معالم النقد الادبي في صدر الاسلام :

سوف لن نتطرق الى قلة الشعر في هذا العصر ولكننا سنتتبع معالم النقد على ضوء الشعر الموجود سواء تلك الاحكام النقدية التي صدرت على الشعـر الجاهلي او على الشعر الاسلامي المعاصر .

واذا حاولنا الوقوف على معالم النقد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لابد لنا أن نأتي بأمثلة من الاحكام في ذلك الوقت ، والمشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستمع الى الشعر ويعجب به متى كان حقا ليس فيه عبث ولا كفر ، وكان يستنشده ويتمثل به ويثيب عليه ، فيقال انه اعطى بردته لكعب ابن زهير لما انشده قصيدته :

بانت سعاد فقلبي اليـوم متبـول
متيم أثرهـا لم يفـد مكبـول

ويروى انه كان صلى الله عليه وسلم يتمثل بشعـر طرفة فيقول :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهـلا
ويأتيك بالاخبـار مـن لم تـزود

ويقول : هذا من كلام النبوة .

وكان صلى الله عليه وسلم يستنشد الخنساء بعد ان اسلمت قائلا : « هيه يا خناس » ، ويومئ بيده، كما انه كان يقول : ان من الشعر لحكمة او ان من البيان لسحرا ، وتمثله صلى الله عليه وسلم بالشعر دلالة على انه كان يعجب بما يتمثل به .

فاذا وصلنا الى الخلفاء الراشدين نجد ان عمر ابن الخطاب كان ذا بصر بالشعر وعلم به ، وقد اشتهر بذلك من بين الخلفاء الراشدين ، فكان يصدر احكاما على الشعراء الذين كان يتذوق شعرهم ويعجب به وكثيرا ما يردده ، فهو يسمي زهيرا قاضي الشعراء لهذا البيت الذي كان يعجب به :

فان الحـق مقطعـه ثـلاث
يميـن او نفـار او جـلاء

وفي كتب الادب نجد رواية عن عبد الله بـن عباس قال : خرجنا يوما مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر ، فرفع عقيرته ينشد :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
ابر واوفى ذمة من محمد

ثم وضع السوط على رحله وقال : استغفر الله العظيم ، ثم عاد فانشد حتى فرغ ، ثم قال : يا ابن عباس ، الا تنشدني لشاعر الشعراء ؟ فقلت : يا امير المؤمنين ، ومن شاعر الشعراء ؟ قال : زهير ، قلت : لم صيرته شاعر الشعراء ؟ قال : لانه لا يعاظل بين الكلامين ولا يتتبع وحشي الكلام ، ولا يمدح احدا الا بما فيه . وفي رواية اخرى انه لما ساله عن اشعر الشعراء : من هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو ان حمدا يخلد الناس اخلدوا
ولكن حمد الناس ليس بمخلد

فقال ابن عباس : ذلك زهير ... الى آخر الرواية .

يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة : « واعجابه بزهير الجاهلي انما هو اعجاب معلل ، تنبني النظرة النقدية فيه على اساس فني وخلقي معا » (2)

ونلاحظ بالطبع أن هذه النظرات والاحكام مخالفة لما الفناه بعض الشيء ، ففي هذه بعض التعليل والتفصيل نوعا ما .

وهنا لا بأس أن نذكر رواية اخرى عن عمر بن الخطاب تقول انه سال اصحابه : من اشعر الشعراء ؟ قالوا : انت اعلم يا امير المؤمنين ، قال : من الذى يقول :

الا سليمان اذ قال الاله له
قم فى البرية فاحددها عن الفند

قالوا : النابغة ، قال : فمن الذي يقول :

اتيتك عاريا خلقا ثيابي
على خوف تظن بي الظنون

قالوا : النابغة . قال : فمن الذى يقول :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة ، قال : فهذا هو اشعر العرب.

ونلاحظ فى هذه الرواية تفصيلا اكثر ، الا اننا نجد تضاربا بين هذا الحكم الذى يجعل النابغة فى القمة ، والاول الذى يجعل زهيرا فى القمة ، ولكن اذا صحت هاتان الروايتان ، فان ذلك قد لا يدل على تضارب فى افكار عمر بن الخطاب وحكامه ، وقد كان رضي الله عنه من ابصر الناس بالشعر واقدرهم على تقويمه وتمييزه ، وانما يدل هذا على ان النقد – وان كان قد اصابه نوع من التطور على يد عمر حين يعلل – فانه لا يزال من ناحية اخرى امتدادا للنقد الجاهلي ، فالناقد كثيرا ما يعجب بقول شاعر ، ولكنه حين يسمع قول شاعر آخر يؤثر فيه فيستحسنه وسرعان ما ينسى حكمه السابق فيحكم على هذا بانه اشعر الشعراء ، وما ذلك الا لان تلك الاحكام انما هي وليدة ساعتها وليس نتيجة التامل والروية ، غير أن هناك رواية اخرى لهذا الخبر الذي يروى عن عمر ، يجعل من النابغة فى رايه اشعر غطفان فقط لا اشعر العرب جميعا ، وبذلك ينتفي التناقض .

واذا كان النقد فى الجاهلية يهتم فى الغالب بالصياغة ، فان عمر يعجبه المعنى فيصدر احكامه تبعا لتاثير تلك المعاني فيه ، ورغم ذلك فاحكامه بلا شك لها قيمتها . يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة: « كان لتوجيه عمر بن الخطاب اثره العميق فى تطوير اسلوب الشعر العربي ... ومحاولة رد الشعراء الى جادة الحق ... » (3)

واذا كان اغلب النقاد او اكثرهم قد اجمعوا على ان النقد فى بداية صدر الاسلام كان جامدا ، وصورة وامتدادا للنقد الجاهلي ، فما ذلك الا لان الاحكام النقدية التى نجدها فى هذه الفترة قليلة ، باستثناء احكام عمر بن الخطاب ، وبذلك نتجاوز هذه الفترة الى الفترة التى تلتها ، فى العصر الاموي الى آخر

---

(2) الشعر والشعراء فى رحاب الخلفاء الراشدين : مقال بمجلة (العربي) عدد : 121 ديسمبر 1968 بقلم الدكتور مصطفى هدارة .
(3) نفس المرجع السابق .

القرن الاول الهجري تقريبا ، فنحاول الوقوف على معالم النقد في هذه الفترة ومدى ما اصابـــه مـــن تطـــور .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « على كل حال لا ينمو ولا يقوى في عصر صدر الاسلام ، وانما ينمو ويقوى في العصر الاموي حين استقـر العـرب في المدن والامصار وتأثروا بالحضـارات الاجنبيـة من جانبيها المادي والعقلي » (4)

وفعلا نجد الشعر في هذا العصر يزدهر تبعـا للتطور الطبيعي في البيئات المختلفة كالحجاز والشام والعراق ، كما نجد النقاد قد بـدأوا يوازنـون بيـن الشعراء ، تارة بين شعراء المذهب الواحد ، واخرى بين شعراء البيئة الواحدة ، وظهرت كلمات نقدية جديدة يرجع كل شاعر الى مذهبه، فنجدهم يقولون : جرير اشعر عند العامـة ، والفرزدق اشعـر عنـد الخاصة مثلا .

وقد كان خلفاء بني امية يعقدون المجالس الادبية يتحدث فيها الحاضـرون عن الشعـر والشعـراء ، ويلقي المادحـون قصائدهم فتنـال الاستحسـان او الاعراض والانتقاد ، فمعاوية بن ابي سفيـان كـان يقول ان اشعر اهل الجاهلية زهيـر لانه القـى عن المادحين فضول الكلام ، واشعر اهل الاسلام كعب بن زهير ومعز بن اوس .

واشتهر الخليفة عبد الملك بن مروان باحكامـه النقدية ، فيروى عنه انه قال لمادحيه : « تشبهونني مرة بالاسد ومرة بالبازي ومرة بالصقر ، اما قلتم كما قال كعب الاشقري :

ملوك ينزلـون بكـل ثغـر
اذا ما الهام يوم الروع طـارا

رزان في الامور تـرى عليهـم
من الشيخ الشمائل والنجارا

نجوم يهتـدي بهم اذا مـا
اخو الظلماء في الغمرات جارا»

ومدحه الشاعر عبد الله بن قيـس الرقيـات بقصيدة منها :

ان الاغر الذى ابـوه ابو الـ
ـعاصي عليه الوقار والحجب

يعتدل التـاج فوق مفرقـه
على جبيـن كانـه الـذهب

فقال له : تمدحني لتاج كاني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير :

انما مصعـب شهـاب من اللـ
ـه تجلت عن وجهه الظلمـاء

ملكه ملك عـزة ليـس فيـه
جبـروت منـه ولا كبريـاء

وفي هذه الاحكام نقد دقيق موجه يدل على ذوق عبد الملك العربي الخالص .

وهكذا تتوالى الاحكام النقدية ، ومنها حكـم الشعراء بعضهم على بعض ، كحكم جرير على الاخطل بانه يجيد مدح الملوك ، وحكم الاخطل على جرير بانه يغرف من بحر ، وعلى الفرزدق بانه ينحت من صخر .

واذا اتينا الى اواخر القرن الاول الهجري نجد ان النقد قد بدأ ينمو اكثر نتيجة لعدة عوامل منها : تلك المجالس الادبية التى كان يعقدهـا الخلفـاء ، والاحتكاك بين الشعراء والتنافس الادبـي بينهـم ، والمنافسات القبلية التي ظهرت حتى ماثلت العصبية الجاهلية ، بحيث تريد كل قبيلة ان يكون اشعـر الشعراء منها ، الشيء الذى يفسـر تعدد الاجوبـة كلما طرح السؤال : من اشعر الشعراء ؟ حتى قـال

الا اننا نلاحظ نضجا اكثر في هذه الفتـرة ، اديب عباسي ان الناس اصبحوا كلهم اشعر الشعراء . يقول الاستاذ طه احمد ابراهيم : « وارتقى النقـد ارتقاء محمودا في اواخر القرن الاول الهجري ، وكثر الخوض فيه وتعمق الناس في فهم الادب ، ووازنـوا بين شعر وشعر وبين شاعر وآخر ، ويمكن القـول ان النقد الصحيح يبدا من ذلـك الوقت ، وان مـا سبقه لم يكن الا نواة له أو محاولات فيه » (5) .

(4) النقد . للدكتور شوقي ضيف (سلسلة فنون الادب العربي 1) ص : 24 الطبعة 2 دار المعارف بمصر 1964 .

(5) تاريخ النقد لادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجـري للاستاذ طـه احمـد ابراهيم ص : 34 .

وهكذا نرى النقد يتطور منذ العصر الجاهلي فصدر الاسلام حتى اذا ما وصل الى اواخر القرن الاول الهجري بدأ يسير بخطوت سريعة نحو التطور الذى عرفته كل معالم الثقافة العربية ابتداء من هذا العهد .

وقد رأينا النقد فى العصر الجاهلي خطرات ذهن فطري متوقد يحكم على البيت او البيتين ، ويهمل تعليل الاحكام او يورد بعض التعليلات الجزئية ، وسار فى نفس الاتجاه تقريبا فى العصر الاسلامي مع بعض التطور الذى يتجلى فى المفاضلة بين الشعراء ، وفى غلبة طابع الاهتمام اللغوي عليه ، والمعنوي احيانا اخرى ، وهذا قد اهله ليتقبل التطور الذي ينتظره ، حيث يظهر نقاد اختصوا فى النقد وجعلوه همهم ، الشيء الذى لم نعثر له على اثر فى العصور السابقة لان المذاهب والمدارس والتيارات النقدية لم تكن قد ظهرت بعد ، وانما تظهر بعد ذلك حين تبدأ حركة التدوين فى مختلف ميادين الثقافة العربية على اوسع نطاق .

مكناس ـ علي لغزيوي



الكتاب تكأة المثقف

للأستاذ عبد الله الجراري

كانت عناية الكتاب موجهة فى هذا البلد الكريم الى دراسة القواعد العلمية ساذجة خاما بعيدة عن التعمق والتحليل المؤيد بالبحث فى النصوص واستخراج خباياها ووضع النتائج النهائية على ضوء المقدمات السليمة من الاضطراب الموقع فى الفهم المعكوس احيانا ، فحسب العالم الضيق الافق فى دروسه ان يتحدث عن النص الادبي من ناحية الاعراب وتوجيهاته ، ثم ينتقل بالطالب الى ما احتواه من معاني وبيان وبديع مقررا ذلك تقريرا لا يكاد يعدو ظاهر الاسلوب البلاغي من مجازات واستعارات وكنايات وتشبيهات دون ان يستكنه ما وراء النص من اسرار يهدف اليها التركيب العربي المتين ، وترمي اليها اشعاعات كلمته الخفيفة الحلوة الناطقة حروفها بانصع الحقائق واجلى المعاني .

هذا ما عشناه فى مدرستنا ونشأنا عليه فى دراسة الادب العربي بمتون تتناسب واياما معدودة فى السنة حالة بطبيعتها تتصادم ودراسة الادب فى المدرسة الحديثة اليوم .

فاديب العصر اذا ما تجرد لدراسة نص من النصوص نثرا كان او شعرا جند فكره ، وجمع رايه للبحث فى ذات القائل وعصره والطريقة التى ارتاى السير على منهاجها تصنيعية او تصنيما ، وهناك يأخذ يقارن بينه وبين مقلده فى الطريقة وهل تسربل بها نهائيا ، او فى بعض المميزات ، وهل اجاد فى ذلك او قارب ؟

ثم هل له ند يتراكض واياه ميدان الفن ، بعد هذا يجعل ينظر فى النص بمنظار التحليل للـدوات الكلم ومواقعها من تراكيب النص اهي متمكنة المراكز مستقرة المواقع او نابية متنغضة؟

هذه العمليات الفنية هي وحدها التى تطبع الاديب بطابع القدرة الكفيلة بفهم كل ما يهدف اليه فى محاولاته الادبية ، وماجرياته الكلامية على اختلاف الوانها ، وتباين اشكالها ، فيصيب الهدف الذى كان الوجهة الحق التى اتجه اليها الكاتب والفكرة التي عالجها فى تحبيره ، وعلى نفماتها جس مثانيه ومثالثه ، وبالطبع يطالع على قرائه بنتائج ايجابية ذات مغزى عميق لا يكاد يتجلى ويتضح لابناء المدرسة العتيقة التى كان حسب طلابها ان يلمسوا قشور النص من ظاهر الفاظه ، قانعين من عمليتهم تلك برشحات تسيل من بين حروفه لا تروي غلة الوعاة ، ولا تشفي صدور المتشبعين بالادب الحي ، اضف الى هذا ما كان يدس بين صفوف الادباء من افكار بالية تقوم على ساق الاوهام والخرافات ، وان الادب علم من العلوم التكميلية التى لا تدخل فى عريق المعرفة وجذورها — حسبه انه فن يتلهى به كل شخص عضه الدهر بنابه ، وركعت به عواصف الزمن ، وتناولته الفلكة فيمن تناولته ، حتى قالوا : « فلان ادركته حرفة الادب » الى هذا الحد يصل الادب عند المالعين ممن جفت قرائحهم ، وتحجرت اذهانهم ، وبعدوا عن رقة العاطفة ، وجودة الراي ، فانثالوا عليه انثيا لا يكيلون له انواع الحط والتنقيص ، والرمي بكل ما يمكن ان يصبح ذريعة تفت فى اعضاد الناشئين الذين انبتهم العصر ونور افكارهم وهيأهم بجبلة النشاة الاولى وشرخ الشباب والطبيعة لينغمروا فى زمرة الادباء ، ويحتكوا بالادب الحي فى جدته وطراوته . هكذا يجرؤ بعض علمائنا

وانصافهم فيضعون الادب وعلومه الاساسية على الهامش جهلا منهم لاصوله وفنونه التى فرعها قدماء المعرفة (وما كان اصح علم من تقدم) الى اثني عشر فرعا فى مقدمتها علوم البلاغة واللغة والتاريخ ـ التاريخ الذى ادى بجاهلية الى انه حديث خرافة واحاجي يتعلل بها ، وتعرض للاستجمام والتسلية ليس فكرة لعب الاستعمار فى بثها العابا مخزية كان لها الاثر السيء على بسطاء العقول وانصاف المثقفين ويكفينا ان نستدل على قنية الادب واصالته العلمية ان امام قريش ابا عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله عكف على دراسته قرابة عشرين سنة ولو لم يكن من حجة لاصالته وعراقته العلمية الا هذه العناية من احد ائمة الاسلام لكان كافيا فى خلوده الفني ووجود ذاتيته فى الحقل الثقافي المدقق .

فليس من شك فى ان وضع الادب هذا الوضع الوضيع فكرة انحدرت من اعداء العروبة ودخلاء الاسلام الذين خلقوا وما خلقوا الا ليحملوا معاول الهدم وفؤوس التحطيم لقيم العروبة والاسلام التى على اضوائها واشعاعاتها يتجلى نور الحق ، وترفرف راية العدالة فى اعلى شرفات الذكر الكريم وبيانه .

فباي وسيلة وصل ائمة البيان الى فهم الكتاب وباي عمل شقوا الطريق رغبة فى الاهتداء الى الحق وباي طريقة اصابوا الهدف وفتحوا العيون واناروا الافكار ، وحرروا العقول من قيود الجمود والخمول عدا وسيلة الادب الرفيع وعلومه الغالية ، والعمل فى جد على دراسته والكتب فى فنونه محاضرة وانشاء واشتقاقا وتاريخا وقصة ورواية . فقام الوعاة من المحررين من قيود الاستخذاء والتزمت لاستخدام الادب فى التحرير والتاليف سالكين فى المجموع نهج كتاب الشرق وطريقة رجال الاستشراق فى تناول الموضوعات وبحثها منهجيا دعامته التهذيب والتنقيح.

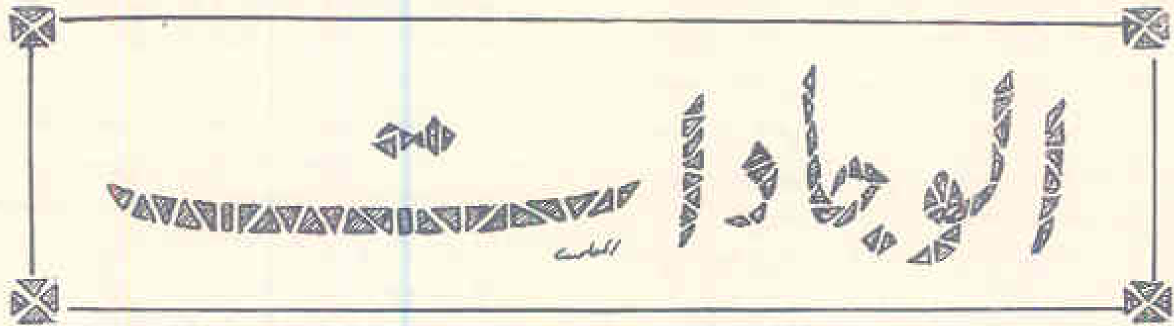
واذ نرى هذا المجهود يتكون فى غالبه من ولوع شخصي ومجهود فردي ـ توجهت اليه سهام النقد المزيج بالصحة تارة والتحامل تارة اخرى فى ظرف نكون فيه احوج ما نكون ـ للتجنيد والتشجيع لتلك الجهود وما اتسمت به من ضعف قد يكون ساورها فى جوهر الترتيب والتحرير فافقدها بهجة الاسلوب والسلاسة التى تعلو بقلم الكتاب الى اوج الفن الرفيع وتركيز الموضوعية فى اتجاه سليم من التهلهل والاضطراب .

اقول كان على مجموعة الادباء والكتاب ان يكونوا رحيبي الصدور لتقبل هذا الانتاج المتصدع الفقر والمتلون بالوان ما ابعد ما تكون عن روح القلم الجديد وتصويره الفني الرائع اقول هذا لا كمقياس ثابت على سبيل الدمومية يجري ما دامت هذه الطائفة من الكتاب تنتج من نوع هذا الانتاج المتصادم وطابع الجدة التى يعيش عليها كتاب قرن العشرين . لا !.

وانما رغبتنا الملحة فى كف الاقلام الحادة عن توجيه سهام انتقاداتها المرة التي لا جرم ان تلتقي باصحاب الانتاج المتحدث عنه فى زوايا الكسل والخمول فرارا مما قد يلاقونه امام ما كتبوا فى شتى الموضوعات ـ لا مطلقا بل تريثا منه وانتظارا لتتابع التاليف وغزارة الكتاب وفيضان بضاعته خاصة فى الموضوع الواحد وقتما يفتح المجال فيه الناقد ويتسع بين يديه ميدان الاختيار وتلك ظاهرة توجه بطبيعتها الكتاب نحو النموذج الذي يجب ان يتوفر عليه صارفة اياه عما يمكن ان يطغى على وضعه من فقر ونقص فى الشكل والجوهر . وبدون شك ينهضون للعمل على تلافي ما فات ، وتجديد ما بليت اوضاعه وانمحى اسلوبه ولم يعد استعماله صالحا حتى فى عادي الرسائل، وحديث ابسط المجالس .

اعتقد انبهذا وما اليهيستطيع المغرب ان يعتزبكتابه وادبائه ويخلق ناشئة متطورة الاقلام والاسلوب هادفة فى موضوعاتها حسبما توحي به الظروف المعايشة حيث تعلوها مسحة الجدة ، ويحوطها رواء الموضوعية الفنية ، وعندئذ نرى ثروة فكرية يتضاعف نموها وتحلق مدرستها ما ساندتها اندية تجمع فى زواياها نخب المثقفين من الشباب الذي تكون تكائه الكتاب ، وهويته البحث والتحرير ، وطبعا تغزر مادة الكتاب وبعتز اكثر من الآن وليس بيننا وبين تكوين هذه الظاهرة السارة عدا ان نفتح باب الاندية العلمية الادبية على مصراعيه اذ هو بلا شك الدافع القوي والعامل الاساسي لخلق التنافس فى الشباب الواعي والمتعطش الى المعرفة ، فما على اخوان الكتاب الا ان يجددوا النشاط لتوسيع معلمته وتمديد دائرته وليس هذا على همة وعاة الشباب ببعيد .

الرباط ـ عبد الله الجراري



للأستاذ عبد القادر زمامة

- 35 -

519 – صحة ...!!

وجدت في كناشة علمية اخبارا تتعلق بالشيخ الرحالة ابو راس المعسكري جاء فيها :

« وجرت له بفاس حكايات ومباحثات . من جملتها انه استدعي مع الشيخين: حمدون ابن الحاج. والطبيب ابن كيران – رحم الله الجميع – الى مائدة بدار احد الفضلاء . فشرب بعض الحاضرين . فلما فرغ ، قال له الشيخ ابو راس : صحة ..! فضحك الحاضرون ..!

فقال الشيخ ابو راس : هل لكم بجواز ذلك او منعه ؟ فقالوا : لا .. اذ ذاك ذكر ان الشهاب الخفاجي صرح في شرحه للشفا باستحسان ذلك. وان صاحب « المدخل » جعله من البدع . واملى من حفظه النصين ..!

فتعجب الحاضرون من حفظه وقوة عارضته ...! »

520 – في شان شراب الرب ..!

وجدت في رسالة كتبها ابو الفضل بن طاهر ابن محشرة عن يعقوب المنصور الموحدي الى اهل مدينة اشبيلية . ونصها موجود في مجموع رسائل موحدية ص 164 . ط. الرباط .

« فان الناس تجوزوا في امر الرب . تجوزا اغفلوا فيه الاجتهاد . ورتعوا حول حماه رتعا اوقعهم فيه او كاد ! وتسامحوا فيه تسامحا خرق المتعارف من الماذون فيه والمعتاد . وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على احترام . ولا يتخوف بما يكتسب من آثام .. »

521 – المراة المفرنسة ..!!

وجدت من غرائب لغة الضاد . والاضداد . نصا ذكره ابن منظور مؤلف لسان العرب جاء فيه :

« قال الليث : الفرنسة . حسن تدبير المراة لبيتها ..! ويقال : انها امراة مفرنسة ..!»

522 – لماذا لا يكتب المقامات ..؟

وجدت في كتاب نصرة الثائر على المثل السائر، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ص. 60 . ط. دمشق :

« حكى لي الشيخ فتح الدين محمد بن سيف الناس عن والده ابي عمرو . عن ابيه ابي بكر قال :

قلنا لابن عميرة كاتب الاندلس : لاي شيء ما تصنع مثل المقامات ..؟ فقال : اما الالفاظ فما اغلب عنها ..! واما تلك الاكاذيب التى تكذبها فما احسن ان اضع مثلها ..!»

523 ـ خدوج ...!

وجدت عماد الدين الاصبهاني فى الخريدة ج 1 ص 326 . ط. تونس . يترجم لخدوج هذه ويقول :

« امراة من اهل رصفة . لقبت بهذا اللقب . واسمها خديجة ابنة محمد بن كلثوم العامري . وهي شاعرة حاذقة مشهورة . ولها ترسل لا يقع مثله الا لحذاق المترسلين ..!

ومن شعرها :

فرقوا بيننا ولما اجتمعنا
فرقوا بيننا بالزور والبهتان

ما ارى فعلهم بنا اليوم الا
مثل فعل الشيطان بالانسان

لهف نفسي عليها بل لهف نفسي
منك ان بنت يا أبا مروان »

524 ـ مصرية ...!

وجدت الرحالة المقدسي البشاري فى كتابه :

« احسن التقاسيم : عند ذكر مشاهداته المفيدة فى المغرب خلال القرن الرابع الهجري .. ص 239 يقول :

«ورسومهم مصرية ..! والتجار يركبون احمرة مصرية وبغالا ..! »

525 ـ شمالا ويمنا ..!

وجدت فى مخطوطة نثير الجمان فى شعر من نظمني واياه الزمان ، لابي الوليد اسماعيل بن يوسف ابن الاحمر . فى ترجمة اخيه محمد بن يوسف ..

« لقي يوما ببعض الازقة بفاس امراة بارعة الجمال . وقد لبست ثياب حزن زرقا . وهي سافرة عن وجهها. كالقمر وهي تلطمه بيديها . ومن حواليها من النساء يهممن ان يبرقعنه . فتمنعهن بيديها فقال بديهة :

اتبعوها ليحجب الحسن فيها
ثوب حزن فزاد حسنا ومعنى

عجبا للسحاب ينشر شمسا
فتقت غيمه شمالا ويمنا

526 ـ نفلة ...!

وجدت فى كتاب (شفاء الغليل) للشهاب الخفاجي ص 206 :

« نفلة . هي بقلة اهل المغرب الدبيلة ..! وهي خراجة معروفة . كما فى طبقات الاطباء .. »

527 ـ قصب السكر بالمنكب ..!

وجدت فى نوازل المعيار للونشريسي ج 10 ص 214 :

« وسئل عن مسالة وهي أن اهل المنكب جرت عادتهم ان يكروا ارضهم لزراعة قصب السكر لثمانية اعوام ..! ويشترط بعض المكرين على المكتري ان يترك له بالموضع عند تمام المدة جذرة (كذا) القصب. وبعضهم يشترط عليه المكتري ان تكون جذرة القصب له يبيعها عند تمام مدة الكراء .. الخ »

528 ـ الرفيس ..!

وجدت فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجي ص 97 :

« الرفيس : طعام نفيس وعمله الرفسة ..! وهو من لباب البر والزبد الطري والعسل والسكر والفستق والزعفران وماء الورد الممسك ..!

وهي مولدة مبتذلة ..! »

529 ـ فى اليهود ... !

وجدت فى ديوان الصيب والجهام . والماضي والكهام وهو من نظم لسان الدين ابن الخطيب .

((قلت فى اليهود حسبما اقتضاه وقتا من الاوقات :

وعصبة شر يهود لقيتها
يجانبها داعي الهدى ويحاشيها

اذا امنوا واستوثقوا الباب اعلنوا
خبائث ما كان اللسان ليفشيها

كان رؤوس القوم عند صلاتهم
وقد اومات للارض صفر شواشيها

اقاح امالتها الرياح على الثرى
وقد اسقطت عنها بياض حواشيها))

530 ـ تاكرنا ... ! والتاكرني ... !

وجدت فى كتاب « الانساب » لابي سعيد عبد الكريم السمعاني المتوفى سنة 562 هـ 1166م ج 3 ص 7 مطبعة حيدر اباد بالهند سنة 1963 م .

« تاكرنا : وهي بلدة من بلاد الاندلس والمشهور بالانتساب اليها ابو عامر محمد بن سعيد التاكرني الكاتب الاندلسي كان من الشعراء والكتاب البلغاء . ذكره او عامر بن شهيد ..!

((قال ابن ماكولا . قاله لنا ابو عبد الله الحميدي وذكر هذه الترجمة ابن ماكولا فى موضع آخر من كتاب «الاكمال» فقال : التاكوني بالواو..!»

531 ـ جوطة اسم نهر ..!

ووجدت فى مخطوطة كتاب « التكملة » للشيخ مرتضى الزبيدي :

« جوطة بالضم . اهمله صاحب القاموس ! وهو اسم نهر بالمغرب ..! نزل عليه الشريف يحيى بن القاسم ادريس الحسني فعرف به ..! واولاده الجوطيون بفاس ونواحيه مشهورون ..!! »

ومثل هذا النص موجود فى تاج العروس .. الا انه زاد هناك . بعد الحسني . الملقب بالعدام..! والكلمة خطأ مطبعي صوابها العوام .. !

وللمؤرخين المغاربة راي آخر فى تعيين المراد من كلمة جوطة ..! وموقعها ..! لا غرض لنا بالاشارة اليه الان ..!

532 ـ الكرموص

ووجدت فى مخطوطة كتاب « التكملة » فى مادة : ك . ر . م . ص :

« والكرموص بالضم : التين بلغة المغرب » .

اما فى تاج العروس فيقول آخر مادة: ك. ر. ص :

« والكرموص بالفتح ..! التين . وقد اهمله الجماعة ..! »

533 ـ الدوغري ..!

وجدت المرحوم احمد امين فى كتابه « فيض الخاطر » ج 5 ص 204 يتحدث عن عبد الله فكري وفكاهاته التى اشتهر بها فى عصره ثم يقول :

« .. واخذ يحلل كلمة « الدوغري » وان اصلها تركى ..! والترك يكتبونها بالطاء ..!

وينطقونها بالضاد ..! فلم نكتبها نحن بالدال ..! الخ .. »

534 ـ عيون رات فاس ..

وجدت من شعر ابي عبد الله محمد ابن ادريس المتوفى سنة 1264 هـ :

« قلت اذ ورد الرسول واهدى
طرفا من حديث اهل ونـاس

مرحبا . مرحبا . واهلا . وسهلا
بعيون رات محاسن فاس

535 ـ والطنجير مفسول ..!

وجدت فى كتاب قراضة الذهب . فى نقد اشعار العرب لابن رشيق ص 26 . ط . تونس :

((وقلت انا فى صفة قـي البندق ..

طير ابابيل جاءتنا فما برحت
الا واقواسنا الطير الابابيل

يرمينها بحصى طين مسومة
كأن معدنها للرمي سجيل

تغدو على ثقة منا بأطيبها
والنار تقدح ، والطنجير مفسول.!»

536 ـ فى بلارج ..!

وجدت هذه القطعة من شعر لسان الدين ابن الخطيب فى الطائر الذي كان الاندلسيون يسمونه بلورج .. ويسمى الآن فى المغرب بلارج ...

وغربة الاوطان فى طلب العــلا
جاءت تبشر بالزمــان المقبــل

بسط الربيع لها بساط زبرجد
فمشت من العقيان فيه بارجل

مدت جناح الابنـوس مرصعـا
بالعاج مهما قهقهت بالصنـدل

537 ـ يمشي بغير وكـاء ..!

وجدت فى مصورة كتاب المدخل الى تقويـم اللسان . وتعليم البيان . لابي عبد الله محمـد بن احمد بن هشام اللخمي السبتي . الورقة رقم 30 :

« تقول : افتريت الفرو اذا لبسته . وتفرويته قال بعض الظرفاء وان لم يكن قوله حجة . ولكن ذكرنا شعره لظرفه ..!

لو تلففت فيـه رداء الكسائـي
وتفرويـت فـروة الفـــراء

لم تكن فى مسائل النحــو الا
مثل اعمى يمشي بغيـر وكـاء »

538 ـ ليستصحـوا ..!

وجدت عماد الدين الاصبهانـي فى الخريـدة ج 3 ص 571 . ط. تونس . ويذكر هذه الابيات وهي من نظم ابن الطراوة المالقي النحوي الشهير..! فى اهل بلد استسقوا فلم يمطروا ..! واقشع سحابهم بعد دنوه .. !

« خرجوا ليستسقوا وقد نشأت
سحرية قمـن بهـا رشـح

حتـى اذا اصطفـوا لدعوتهـم
وبـدا لاعينـهم بهـا نضـح

كشـف الغطـاء اجابـة لهـم
فكانهـم خرجـوا ليستصحـوا

539 ـ كمنجـا ..!

وجدت فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجي ص 167 :

« كمنجا . رباب معروف معرب كمانجه ..! عربه المحدثون كما قيل :

انهـض خليلـي وبـادر
الـى سمـاع كمنجـا

فليـس من صـد تيهـا
وراح عنا ... كمـن جا

540 ـ وصيـة ... !

وجدت فى ترجمة سيدي علي منون من كتاب نيل الابتهاج على هامش الديباج ص 208 نقلا عن فهرسة ابن غازي :

« وكانت به دعابه ..! انشدني لبعضهم :

يا معشر الاخوان اوصيكم
وصيـة الوالـد والوالـدة

لا تعملوا الاقـدام الا لمـن
كانت لكم فى وصلـه فائـدة

امـا لعلـم تستفيـدونـه
او لكريـم عنـده مائـدة »

فاس ـ عبد القادر زمامه

ديوان المجلة



يافا عروس البحر

للشاعر الكبير الاستاذ محمد بهجة الأثري

احدث قصائد الشاعر العراقي الكبير الاستاذ محمد بهجة الاثري العضو المؤسس للمجمع العلمي العراقي وعضو مجمعي القاهرة ودمشق ، خص بها ((دعوة الحق))

والقصيدة ، وهي من ذلك النسيج الرفيع العالي ، ومن فيض شاعرية الاستاذ الاثري الذي كانت فلسطين مصدر الهام للكثير من شعره ، تحمل في طياها صورة بارعة باهرة للشعر الفخم العالي الذي يواكب المعركة ضد الصهيونية والمخطط اليهودي .

يافا .. عروس البحر ، ما اجملا ! ... شفت رواء ، وازدهت مجتلى
عارية ، كاسية بالسنا ... اعجب بعري بالسنا جللا !
كغادة ، ندت الى شاطىء ، ... والماء يكسو لدنها الاخضلا ،
شف عن اللطف ولم يخفه ، ... وزاد معراها سنا اجملا .

*

ساحرة حسناء ، مسحورة ... دب بها السحر دبيب الطلا
تستوقف الناظر من روعة ، ... وتعقل المستوفز المعجلا
اربت على (فارس) في زهوها ... حسنا انيعا وهوا مثملا
مرتبعات كل أيامها ... ماشئت اعطتك جنى امثلا
الشمس كالفخت على افقها ... رقت شعاعا فوقها مرسلا (1)
والوقت فيها سحر كله ... والريح تهفو سجسجا شمألا (2)
غازلها اللطف كما تشتهي ، ... وصد عن اشواقه العذلا
ما ابهج العين بها منظرا ! ... وامتع القلب بها منهلا !

*

(1) الفخت : ضوء القمر اول ما يبدو .
(2) سجسج : معتدلة طيبة .

ثغر .. وهذا البحر وجه له ،   ما اترف الحسن ، وما اكملا !
عقد .. وهذا البحر جيد له ،   ما اروع الجيد وابهى الحلى !
زمرد . . حف بفيروزج ،   من فوقه فيروزج ظللا
دارت على البحر ، وحفت بها   خمائل كالبحر اذ تجتلى
خمائل تزهو ، وتزكو بها   روائح الخلد شذا مخضلا
شعشعت الشمس لمى ظلها   والخضرة الفضة والسلسلا
ماج شذاها مسكرا ، وانتشت   بعرفه الارواح لا بالطلا
لا تقلما الانفس فيها ، ولا   تعرى ، اذا ما دهرها امحلا
مقيل مكدود ، وترويحة   بين رؤاها تسعد المقلا
البرتقال الطيب المشتهى   على مدى الرؤية والمجتلى
كرات نار ، بل شموس على   اشجاره ، بل ذهب كللا
يا زهو « بياراته » هل خلا   ذاك الجمال الفض مما حلا

*

ذكرت يوما بين افيائها   اشهدني (الفردوس) مخضوضلا
ازهر ، فواح الشذا ، رائقا   رف نباتا ، وازدهى جدولا
لا بارد الظل ولا حاميا ،   معتدلا بينهما ، اشكلا
نضرت النعمى اساريره   كما جلون الغادة الربلا (3)
بعث به العمر اذا عاد لي   وبان ذاك الحسن لي مجملا

*

ناغيت (يافا) ، وفؤادي حنا   على (فلسطين) هوى واصطلى
كل ثرى ثم ك (يافا) رؤى   مستطرف الحسن بهيج الملا
هاج به الزهو ، وغنى له   رائيه من روعته واغتلى
يا ويلنا مما عرا عزها !   اهكذا الدهر يضيم العلى ؟
حل غراب الشؤم ارباضها ،   متى ترى العين الغراب انجلى ؟
هذا الصعيد العربي الثرى ،   لنا اخيرا ولنا اولا ..
من قبل (عاد) .. بوركت تربه   بنا كراما ، وزهت محفلا
نحن ملكناه ، وما قبلنا   من ملك الملك ومن دولا
ونحن انشانا ، وما انشات   ايدي سوانا مدنه الحفلا

---

(3) الربل : الناعمة .

ونحن اخصبنا مجادبيه ... ربا ، ونخرنا وجوه الفلا
ونحن ابتنا به حبه ... والتين والزيتون والفوفلا
ونحن اطلعنا به كالضحى ... حضارة حانية مشبلا (4)
اللغة الفصحى عماد لها ، ... والعلم ، والوحي الذى انزلا

※

قل : هلكت (يعرب) ان اثلت ... (هصبون) فى هذا الثرى معقلا
السفهاء اللؤماء الالى ... عتوا ، وعاثوا منزلا منزلا .
من دخلاء شرد عزل ... اذلة يستعطفون الملا ،
رثاث اهدام مناتين ، لو ... مر بهم طير ، هوى من علا ،
قد لازموا (المبكى) تكالى ، فذا ... لاب من الحزن ، وذا ولولا ..
.. انقلبوا مثل ذئاب الفضا ... غزى ، مساعير وغى ، جهلا ،
قد جيشوا من كل ارض ثبى ... شاكل منها الانذل الانذلا
استنفروا .. فشردوا آلفا ... وافنوا الآمن والاعزلا

※

يا نادبين (كربلا) .. انظروا ... فى كل يوم منهم (كربلا)
قد اوقدوا نارا .. وما اطفئت ، ... واوغروا الشر وقد اوغلا

※

الافعيان .. التف حبلاهما ، ... فاولدا البغي الذى استفحلا
أعور .. داني العسف ، مستكلب ... يطلع نابا للوغى اعصلا (6)
وشيخة .. شمطاء عربيدة ... تستنفر الحقد وتذكي الصلى (6)
يا دهر ، زد ما شئت من مثلة ... ويا زمان الهزل ، كن اهزلا !

※

لا نامت العين ولا لحظة ، ... وهل ينام الحر اذ يبتلى ؟
عن ترة .. اهون من تركها ... قطع الحلاقيم وحز الطلى

※

يا عار ، ما اثناك لو دام ذا ! ... يا خزي ، خزي الدهر ، ما اهولا !
اين الاعاريب ؟ الا صيرت ... جيوشها عاليها الاسفلا ؟

---

(4) المشبل : التي تلد الاشبال .
(5) الاعور : موشي دايان « دجال » وزير حرب الصهاينة .
(6) الشيخة الشمطاء : كولدا مائير رئيسة وزراء الصهاينة الغزاة .

هل يغضب اللهاث خلف العدا — السائلين السلم ان نسألا :
حتى متى .. عند خطوط اللظى — تربض ؟ لا يؤذن ان تنضلا ؟
فيم اعدت ؟ اليوم سوى — هذا ؟ ولم حرم ان تفعلا ؟
لابد ان اصبر عن قالة ، — لو قلتها ادنت الى البلى
اكتم انفاسي .. على انها — كان لقلبي كتمها اقتلا !

*

تَوَهَّجي يا جَمَراتِ الفِدَى — لا بُدَّ للأحرار أن تَبْسُلا
(حِطّينُ) .. ما تفتأُ ترنو ، عسى — وجه (صلاح الدّين) أن يمثلا
رانَ عليها الليل ، فاستطلعت — أزهرَ يجلو ليلها الأليلا
كلُّ دمٍ ، ورّدَ ذاكَ الثرى ، — سَيُطْلِع الفجرَ سناً أخضلا
يقبّل (الأقصى) ، وما حوله : — (سَيْناءَ) و(الجولان) و(الكرملا)
ويلتقي البحرَ ، فيغفو على — (يافا) .. فما أحلى ! وما أجملا !

محمد بهجة الأثري

بغداد :

أردنا

فقال الله ... تلك إرادتي

في الذكرى الثامنة عشرة للاستقلال وعودة سيد الأبطال

للشاعر مفدي زكرياء

سلوا فالق الاصباح ، من صنع الفجر ! ؟ ؟
ومن صدع الليل الرهيب ، فادبـــرت
ومن قال للصبر : انفجر ... فتدافعـت
ومن قال للمستضعفيـن : كفاكمـــو
ومن صاغ من عدل السمـاء ، قـراره
ومن شق صدر الغيب ، فانشـق بـدره
ومن جاء فينا بالرسالات ، فانبـــرت
ومن بثه السر الرهيب ، (محمـــد) (1)
هو الشعب .. من روح ابن يوسف ، روحه
هو الشعب .. وابن الشعب ، يزجي شراعه
اردنا ... فقال الله : تلك ارادتــــي !!
وسفه احلام الطغـاة ، صمودنـــا
حميتنا ... دكت جـذور (حمايـة)
لوائحنـا ... مكتوبـة ، بدمائنــا
تضوع بأنفاس الشهيـد ، حروفهـا
فلا النفي ، والتعذيب ، أوهن عزمنـا

ومن الهم الاقدار ... أن تهتك الحجرا ؟
جحافله ، تستنجد الرعب ، والذعـرا ؟
فصائله ، تغزو التواكل والصبـــرا ؟
على حائط المبكى (قفا نبك من ذكـرى)
فراح يبث الامر ... من شرع الامـر ؟
فراح يناجي ـ في صحابته ـ (بـدرا)
رسائلنا الحمراء ... تستوقف الدهرا ؟
فراح يبث السر ، من يحفظ السـرا ؟
وفي الحسن الثاني ... عجائبه الكبرى !
الى النصر ، رب ، لن يزال بـه بـرا !
وثرنا ... فقاد الله ، ثورتنا الحمرا ..
ولم نك نخشى من مكائدهم شـــرا ..
مزورة ، تخفي الخديعـة والمكـــرا
تلقفت الاجيال ، من وحيها ، سفـــرا
وتعبق في الاكوان ... تغمرها عطـــرا !
ونحن الالي ، من هد ايماننا الصخـــرا !

(1) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تهدنا الى استقلالنا ... فى استماتة فاقسمت الارواح ... ان تدفع المهرا !!
و (مؤتمر البيضاء) .. سجل صفحة مخجلة ، بيضا ، هتكنا بها السترا
ومهزلة (الاصلاح) باتت خرافة اساطيرها – ظلت – على ورق حبرا
سخرنا بأحلام الطغاة ... فسائلوا (فبريال) عنها ... يصدق الخبر الخبرا
(اذا ما الضعاف الصامدون ، تنمروا فلا قيصر فى الارض يبقى، ولا كسرى (2))!
واما اقام الظلم جسرا يعوقنا اقمنا – لنيل المجد – اشلاءنا ، جسرا !
وان واكب الاحرار للنصر (واحد (3)) وثبنا ، وسرنا – فى مواكبه ، عشرا !
وان (حسن) ابلى ، فأحسن صنعه الم يك – فى الحسنى – لوالده ، سرا ؟ !
هو المثل الاعلى ، لاقدار امة مدعمة الاركان ، افضالها تترى !
يوجهها ، العقل الرشيد ، بواقع من الشعب .. !! لم تركن،ليمنى ولا يسرى!
ويرعى حظوظ الشعب ، فيها ، بوازع من الدين ، يحدوها ، الى الخير ، واليسرى!
فكان مثالا للشعوب ، جهادنا وصدق خطابنا ، فى مسيرتنا الكبرى !
وكان مثالا ، للاشقاء ، عوننا ونجدتنا ، فى غفوة الانفس الحيرى !
وسارت ، سرايانا لجولان ، تلتقي بجولان – عزرائيل – فى ليلة الاسرا ...
وتسبق اسرافيل ، تنفخ صوره فتصعق – فى سينا – لرجفته – الصحرا !!
وترهب اسرائيل ، طيف خياله وقد ملئت ، من ظل اشباحه – ذعرا ..
وتعترف الدنيا ، باصرار جيشنا وقد ضرب الامثال ، وانتزع الفخرا ...
وتستمع الدنيا ، ندانا ... وتقتفي خطانا – الى الاهداف ، افريقيا السمرا ؟ !
ويحرق نفط العرب ، اكباد عالم مريض ، بداء النفط ، يلتمس العذرا !!
وما زال فى سينا – وجولان – جيشنا فما اغتر بالرقطاء – تنوي به غدرا !!
لئن جنحوا للسلم ، لم نغترر بها ؟ فكم قد عرفنا – من خداعهمو – الجحرا ..
وان بارحوا ارض الجدود ، وقد سنا وعاد الى الاوكار ، اكبادنا الحرى –
جنحنا الى سلم ، يصون دوامها ضمير ذكي ، بالمواعيد ، لا يغرى !
وطرف – كزرقاء اليمامة – ساهر وزند على الرشاش ... يلتزم الحذرا –
وضم صفوف ، بث فيها سمومه عدو صليبي . ولم تنفع الذكرى !!
وفى (القوم) من باع الضمير ، بلقمة ملوثة بالعار ، و (العملة الصفرا ؟ !!)
لئن حرموا اكبادنا من رغيفنا نذرنا ... نصوم الدهر ، أو نحرز النصرا
وتسمننا الاحجار ... نقضم صخرها ونبلع ان جعنا ... الشعاليل ، والجمرا !!

---

(2) هذا البيت مضمن من قصيد لي فى الذكرى السابعة للثورة الجزائرية .
(3) المراد بالواحد هنا ، جلالة الحسن الثاني نصره الله .

وان ظمئت احشاؤنــا ... فشرابنـــــا
دمانا ... ترويتا ، وتشربنا كبــــرا ..

فمدوا يدا ـ يا قومنا ـ نحم عرضنـــا
فقد دنس الاطماع ـ في دمنا ـ الظهرا ..

ولا تطمعوا في المعجــزات ... بدافــع
من العجز ... ان السحب ، لا تمطر التبرا

ولن يصلح البنيان .. لم ترس اســه
شمائل صدق ... لا تباع ، ولا تشرى !!!

دعوني ... اعش في الذكريات ، فحسبكم
وحسبي من ذكراي ، ان ابدع الشعرا ...

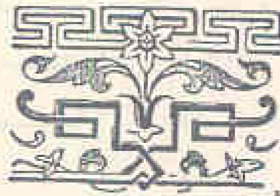
واسمو باكباري ، لمبــدع مغربـــي
فازداد ايمانا ... يجنبني الكفــرا (4)

لعل جمــال الله ، يغمــر مهجتـــي
جلالا ... احيي ، من قداسته الذكرى !!

الرباط : مغدي زكرياء

---

(4) يجنبنـــي الكفــر بالآخريــن .



دعوا النصل يشفي غيظه ...!

للأستاذ الشاعر محمد بن مولاي المهدي العلوي

بعزمتك الجلى تجيش العزائم   ويعتز دين الله والكفر راغم
ويفتر ثغر المستضام وتنتشي   قلوب اذابتها الدموع السواجم
وتنتفض الآمال جذلى نواضرا   تفتح عنها كالاقحاح المباسم
رفعنا بها هام الاباء الى العلا   أكاليل غار توجتها العمائم
بعزم أمير المؤمنين تلاحمت   اواصرنا واهتز للثار صارم
بهمته الكبرى وحاصف راية   تعزز صرح للعروبة داعم
احاط سياج المسلمين بهمة   مؤشبة ترتاع منها القوائم
والهبها حربا عوانا على العدا   ترامى فراشا في لظاها براجم
وفي نخوة الطاغوت لافح حرها   وشواظها تندك منه الدعائم
وفي الحسن الثاني المفدى لامة   وفاء عليها ظله والمكارم
والهمها الرشد المنور في الدجى   صياصي عز غيرتها الاعاجم
راى حومة الاسلام في قبضة الردى   تناوشه النكباء والخطب داهم
وترشقه الاعداء من كل مربا   ويقصونه عن ورده وهو كاظم
راى ـ ابد الله ـ العروبة باسمه   مفاجاة تكدي العدا وتهاجم
وان رحى الحرب المريرة تنتحي   ذرى قمم ((الجولان)) والشام شائم
وان رحاها من هناك مطيحة   بهيكل ((صهيون)) وفيها القواصم
وان على العرب التترس جبهة   موحدة تردي العدا وتصادم
وان حياة العز في قبضة الظبي   ومن رعشات السيف تاتي العظائم

فجرد ايمانـا وعزمـا مؤشبـا … فبالق تذكي الرعب والرعب حاطـم
قـاورة اسد غضاب كواسـر … تسير العرنضى احفظتها المظالـم
تسير فترتج الروابي وتنتشي … من الدم حتى تستفيق الصـوارم
يعن لها ((الفانتوم)) سربا من القطا … فترصده « صاروخ سام » يصالم
وما هي الا صدمة وانتفاضة … كما انتفض العصفور والنسر ضاغم
وما هي الا لمحة وشـرارة … مؤججة حتى تجذ القـوادم
ويجتث فولاذ الصواريخ ريشهـا … ويقتنص الفتح ((الميراج)) القشاعم
فصبرا بني ((الملاح)) للاسر والردى … والا « فكولدا » امكم « ستخاصـم »
وصبرا على لسع القيود فانهـا … ستند بكم اظفارهـا والبراجـم
ستبكيكم بين « الملاليـح » امكـم … وتخمش خديهـا اذن وتلاطـم
وتعول في احلافهـا مستفـزة … لاخذهم ثارا جنتـه الضراغـم



خلودا بني « الملاح » للذل انـه … لكم كالاواخي ثابـت ومـلازم
حياتكم خـزي وعـار ونقمـة … على راسكم سياطها متراكـم
بذا حكم الله المهيمـن فيكـم … واني لكم مما قضى الله عاصـم ؟
حشرتم لفيفا في « فلسطين » كلكم … ليصدق ايعـاد من الله جـازم
ابيتم بني « صهيون » الا تعسفـا … والا افتياتا انكرته العواصـم
ترضاكم « بلفور » بالوعد موبقـا … واقطعكم شؤما قرتـه الملاحـم
« فلسطين » ما كانت «لبلفور» ضيعة … له الحق في اقطاعها من يلائـم
وهل من تصير عنصر الرجس بعدما … قضى الله ان لا يرفع الذل غـارم
شرايينكم يجري الهوان بها دمـا … وتاريخكم بالعار اسـود فاحـم
شغبتم على « موسى » الكليم وجئتم … فظائع اخزى ما تكون الشتائـم
مسختم خنازيرا وخاسيء قـردة … فصائل خـزي شؤمها متقـادم
ومن بعدها رمتم غلابـا وعـزة … وهيهات ان يعتزما اللـه هـازم
ولولا حليف السوء ينضح عنكـم … لعوجلتم واستاصلتكم صـلادم
خسئتم سلالات الخنازير وانمحت … خزاياكم حتى تصـان المكـارم
لانتم وباء الارض اشـأم امـة … على المثل العليا نمتها الجرائـم
اذا ما خبت نار مكر تم لوقدهـا … اشد استعارا تصطليها الاقالـم
وفي البطشة الكبرى التي قد قدحتم … لظاها لكم اوارهـا والمغـارم

سياكلكم شواظها شــر ماكـــل — ويذريكم اعصارهـا المتشائـم
تجرائم واقتاد بغيكـم العمـى — وهيجتم الاسد الغضاب فقاومـوا
واحفظتموها ظامئات الى الدمـا — فذوقوا ، فان السيف للحيف حاسم



ابت نجدة العرب الكرام سوى الابـا — وايمانها يأبى لهـا ، والعزائـم
لئن ملؤوا كأس الردى لعدوهـم — لقد صبروا حتى استبيحت محارم
وشطت به النكباء مـن خيلائـه — وظن بأن البغي للحـق هـازم
اليس فظيعا ان شمطاء عانسـا — يهودية تشتط والشـرق واجـم ؟
و ((موشي)) بني الملاح يرعد مزبدا — ويوعد – باللخزى – بل ويهاجـم
عزيز على الاخلاق والدين والنهـى — تحكم «مايبر» و «موشي» و ((جايم))



بني الضـاد لا شلت يمين ، نضوتـم — بها العار ، وانضمت عليها المعاصـم
بني الضـاد تصديقا لوعد نبيكـم — دعوا النصل يشفي غيظه ويلاحـم
ولا تزعجوا غرثى الظبا عن حياضهـا — ومدوا لها الارسان تروى اللهـاذم
ولا تخدعوا بالسلم يزجـى مكايـدا — فان خداع السلم للسيـف ثـالـم
ولا تضعوا اوزارهـا او تمكنـوا — بناصية العدوان ثمـة حاكمـوا
خدعنا بمكر السلم حتى تمزقـت — اواصرنا منا ، وديست كرائـم
لهذا وذاك استنفر العرب واستوى — على قمة « الجولان » شهم ضبـارم
ونادى – رعاه الله – حي على الوغى — فلبته ثورا للجهـاد العواصـم
واصبح فى ثغر الزمان مـرددا — صدى الحسن الثاني وارغم ناقـم
واكبرت الاقطاب شرقا ومغربـا — مساعيه الجلى وهبت ضياغـم
صدعت – حماك الله – بالحق آمرا — ومؤتمرا حتى استقلت دعائـم
جهادك هـذا اذكرتنـا بنـوده — بنود .. صلاح الدين ، والكفر داهم
واحيت عهود اليوسفين كليهمـا — « بحطين » و « والزلاقتين » الملاحم



تفيا هذا الاطلس الشامخ الـذرى — ظلالك والتفت عليـه المكـارم
وباهى بك الشم الرواسي فى الدنى — وتاه افتخارا نجـده والتهائـم
ومد على الدنيـا سرادق عـزة — موطدة اطنابهـا والقوائـم

وواقاك هذا العيد يحمل باقة ... معطرة انفاسها والبراعم

ثلاثة اعياد نظمن قلادة ... على لبة التاريخ منها قوائم

فعيد به عاد الامام محمد ... الينا وعادت للحياة المفاهم

وعيد تحررنا بيمن جهاده ... من الحجر وانفكت قيود غواشم

وعيد له فى كل شعب مواكب ... تسير على درب الخلود تزاحم

تتوج والشعرى ترصع تاجه ... وتبتسم الدنيا له والعوالم

امام قبسنا من مناهجه الهدى ، ... مواقفه فى الخافقين ملاحم

وفجر طاقات الكفاح فطاطات ... له الكبريا هاما نعتها المظالم

ورثت علاه خلد الله ذكره ... وابقاك ذخرا ما استهلت غمائم

بك الامل افترت مباسم فجره ... وانبع روض غازلته الحمائم

ومنك ارتوت عذب البيان قرائح ... مهذبة تفتر عنها المباسم

فلا زلت للاسلام ترفع صرحه ... وتعلي هضاب المجد والله عاصم

وفى ذروة العلياء لا زلت رائدا ... يسايرك التوفيق والسعد خادم

الرباط : محمد المهدي العلوي

فاجعة الضاد..!

للاستاذ الشاعر محمد الحلوي

بمناسبة الذكرى الاربعينية لرائد الجيل وعميد الادب الخالد المرحوم طه حسين أرفع الى روحه هذه القصيدة تمجيدا لمآثيه الجسام وأياديه التي طوق بها الاجيال .

الرثيك ؟ ام ارثي النوادي في مصرا وابكيك ؟ ام ابكي الثقافة والفكرا ؟
دهى الشرق والاحداث فيه جسيمة مصاب جسيم لم يجد معه صبرا ،
وما كان رزء للكنانة وحدها ولا نجمها اللماع من افقها خرا
ولكنه رزء العروبة كلها وماتمها الباكي ومحنتها الاخرى
نعم ، سكت الصوت الذي كان عاليا يجلجل في الدنيا ويهدر في مصرا
وودع دنيانا ولم تر عينه على افقها شمسا تضيء ولا بدرا
ولا ابصر النيل الجميل الذي هفا اليه ولا الاهرام تربض في الصحرا
واغمد سيف لم يكن قبل مغمدا وشل يراع طالما نفث السحرا
وقالوا قضى طه ! فاطرقت واجما واحسست في قلبي لمصرعه جمرا
على الضاد ان تبكي وتسرف في البكا على من قضى في دعم نهضتها العمرا
فلم يك طه في العروبة قمة ولم يك سلواها ولا فكرها الحرا
ولكنه العقد الذي زان جيدها وجوهرها الزاهي الذي وشح الصدرا
اقام رهين المحبسين يجول في مجاهيل ماضيها ليكتشف الذخرا
اذا سلك الرواد سهلا معبدا تسلق طه الصعب واستسهل الوعرا
شغوفا بآداب الجدود مقدما لكل عروس من عرائسها مهرا
حديثا بناد ، او كتابا يزفه وفيضا من الابداع لا يعرف الحصرا

وشك على ضوء من العلم ناقـدا ... جسورا فعدوا الشك فى شعرهم كفرا
فكان لهذا الجيل رائده الـذي ... اضاء الدجى بالشك واستنكر الحجرا
هو الشك حتى تطمئن نفوسنا ... ولا حق ما دامت مؤرجحة حيرى
فقل لامرىء القيس المليك أصادق ... تراثك هذا ؟ لم يزل باقيا بقـرا
فلم ينس . والانسان ناس بطبعه ... ولم يبل ؛ والايام تبتلع الصخـرا
شكوك اذا الآداب لم تجن خيرها ... فقد حررت أفكار أجيالنا الاسرى
تبارك ! كم أعطى فكان عطاؤه ... سخيا وكم اهدى وما خشي الفقرا !
رياض يجول الفكر فى جنباتها ... وباقات فن تفضح الزهر والعطـرا
« مع المتنبي » رحلة تمتع الحجى ... وفى قصة « الايام » ما يجلب الذكرى
وفى نفحات « الاربعاء » روائع ... ودنيا«ابن خلدون»وفى«الفتنةالكبرى»
وفى السيرة الفيحاء ما شئت من رؤى ... وما شئت من فن يجبل الرؤى نثرا
ولم يك شيخ فى المعرة عالما ... بأنك يوما ما سوف تنشره نشرا
قلائد ينسي بعضها البعض روعة ... تتيه بها الدنيا وتزهو بها فخـرا
فلا محفل الا استضاء بفكره ... ولا مجلس الا تبوأه صـدرا
وما اغمضت عيناه الا لانه ... يرى بضياء القلب ما يهتك السترا
فمن للنوادي بعد طه يزينها ... ومن لرواد الفكر ان فقدوا البدرا ؟
تحلى به جيد الزمان وجيله ... وحلق فى أجواء أمتنا صقـرا
سلوا الغرب عن طه وعن حسناته ... اذا الشرق يوما عق ما جده البـرا
ومن عق طه واستقل جهاده ... فليس عليه بعد ، ان يعلن الكفـرا



فياخير انسان يشيع نعشه ... وفى كل صدر زفرة تحرق الصدرا
بكينا ولو يفدى حبيب بمهجة ... لكنت مفدانا ، وافضل من يشرى
ولكنه الموت الذي يفصم العرى ... ويمضي بأحباب نودعهم قسـرا
ولو كان رزء واحدا خف حمله ... ولكنها الارزاء قد اقبلت تتـرا
فبالامس ودعنا ((أمينا)) وبعده ... رأىالشرق فى ((العقاد)) فاجعةاخرى
نجوم تهاوت واحدا بعد واحد ... وليل مآس لم يزل يرقب الفجـرا
لنضمد جرحا بعد جرح مضمد ... ونمسح باليمنى الدموع وباليسـرا
فوا ثكل مصر فى كواكب افقها ! ... ووا لمغاني الفكر لو اصبحت قفرا !
وما ضر هذا الموت لو ان ركبه ... تخلف حتى يحرز العرب النصـرا
ليصنع من اعيادنا وانتصارنا ... ملاحم للاجيال تملأها كبـرا

ولكن روض العلم فى مصر مخصب   اذا جف زهر انجبت بعده زهرا
ولكن طه لم يمت فهو خالد   كمصر وكالاهرام تحتضن الدهرا
ومن وسع التاريخ عمقا وخبرة   فكيف يوارى فى جلالته قبرا !؟



ملأت عيوني منك يوم تشرفت   بركبك فاس فى مواكبها الحمرا
وما كنت ادري يوم حفلك انني   سارثيك فى تطوان فى فاسنا الصغرى
دعوت اليك الشعر فانقاد وعره   ولبت قوافيه معربدة سكرى
تترجم عن اكبارنا لمشبع   يعز علينا ان نوفيه الشكرا
اذا كنت لا تهوى المدائح والثنا   وتكره فى الشعر المراثي والفخرا
فانت الذي اسرفت فى البذل والعطا   وفجرت بالاطراء السنتنا بحرا
يقينا ستلقى فى رحابك عنترا   وتبصر قسا والمهلهل او صخرا
فتسمع منهم دون راو قصائدا   مطهرة لا لغو فيها ولا وزرا
تمنع روحا لم تزل مستهامة   ترى العيش فنا او اناشيد أو شعرا
جزيت عن الاداب والضاد منهما   لانك لم تاخذ عن الادب الاجرا
سيذكر هذا الجيل طه وفضله   على الضاد والاداب ما جدد الذكرى
الى مصر فى طه جميل عواطفي   والعرب الاحرار تعزيتي الحرى

تطوان : محمد الحلوي



للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

1 ـ سينـــاء :

سيناء يا املا تناجيه الحياه … سيناء يا نغما تردده الشفاه
احلام كل الشعب يا سيناء انـ … ـت وانت للوطن المفدى مبتغاه
آماله ورؤاه فى غفواتـه … ابدا ويقظته ، وما احلى رؤاه
انشودة التاريخ والمجد الكبيـ … ـر ، وكم قهرت على العصور من الغزاة!!
جئناك بالحرية الكبرى ، وبالتـ … ـحرير من ذل القراصنة البغاة
جئنا نقل تربك الغالي ونـر … فـع عنك يا سيناء اغلال الجناة
عادت اليك كتائب الجيش العظيـ … ـم رفيعة الاعلام عالية الجباه
عادت اليك تخط اروع صفحة … للمجد ، للنصر المظفر ، للحياة
عادت ومعجزة العبور جليلة … والدهر يشهد فى بطولتها مناه
((بارليف)) دمر ، والحصون تساقطت … واستسلم الجبناء من حب النجاة
ما بين ماسور ومقتول ومجـ … ـروح يصيح وهارب شلت يداه
سيناء تلفظه عدوا غادرا … لا يعرف اللؤم الدنيء اخا سواه
وعلى الرمال تناثرت اشلاء دبـ … ـاباته والنار تاكل فى قفاه
يا جيش مصر سلمت رمزا للفخا … ر فكم غصبت النصر من ايدي الطغاة
صنع ابن مصر المعجزات مدى الزما … ن وما اعز صنيعه يحمي حماه
يمشي الى النصر المؤزر ظافرا … حتى تخلد نصره صحف الرواة
النيل والوطن الحبيب يرددا … ن لجيش مصر البر ما صنعت يداه

والعرب والشرق الكبير بقـــدرو ... ن لجيشها البطل الهمام مدى خطاه
والله والدين العظيـم يبـارك الـ ... ابطال ما فعلوا بأعـداء الحيـــاه
سيناء جاء النصر والعيد الحبيـ ... ـب وجاء يا سيناء فجرك فى سناه
انت التراث الفذ والامـــل النبيـ ... ـل وانت يا سيناء قيثار الهداة
وتحدث القرآن عنـــك وفـــوق ار ... ضك انبياء الله ســاروا والدعـــاة
تفديك يا روح الحياة وتفتـــدي ... مسرى الرسول بكل ما امر الالـــه
الجيش قد صنع البطولات الكبا ... ر على ثراك وفوقه القى عصــــاه
فلتسلمي ولتسلمي ، ان الزمـــا ... ن لك الفداء، لك النجاة، لك النجاة
لك يا ذرى سيناء والعلم الكبيـ ... ـر عليك يخفق كل احلام الحياة
كـل احـلام الحيـاة
كـل احـلام الحيـاة

2 ـ فـــوق الشمــس :

يا فلسطيـن اسلمي ثم اسلمـي ... يا نشيد المجد عذبا فى فمـــي
انت مأساتـك صـارت مثـــلا ... ســار للعـــدوان بيـن الامــــم
قصة تحكـــي الاساطيـر ومـــا ... مثلهـــا قصـــة ظلـــم مظلـــم
فى الاعاصير التى مرت علـــى ... شعبك الحـــر صنـوف الظلـــم
والخيــام الخاشعـــات انتفضـت ... بانيــــن الثاكـــلات المؤلـــم
ورمـــت كـــل جبـــان خائـــن ... وعــــدو غاصـــب بالحمــــــم
والعــــذارى فى حناياهـــا بكــت ... بدمــــوع الثائـــر المضطــــرم
كل أم قد حكـــت اشجانهـــــا ... ذكريـــات للأســــى والألـــــم
واب قــــد مثلــت اسمــالــــه ... مكـــر صهيــــون الخبيــث الأثم
مثلت ما حــاك الاستعمـار مـــن ... كل مـــا يعلـــم او لـــم يعلـــم
دمعــــه قـــد عرفـــت اطفالـــه ... ســـره ، ســـر العذاب الملهــم
فبكـت مثـــل ابيهـــم سغبـــا ... حلـــم فزعـــهم فى الحـلـــم
هتفوا باســـم فلسطيـــن العـــلا ... وطن كــان لـهـــم فى الانجـــم
ضاع ثم افتقــــدوه فى يـــد الـ ... غاصب العــادي اللئيـم المجـرم
عرفوا فى الدمع ما قـــد عرفـــوا ... فغلـــت اضلعهـــم بالنقــــم
وحريق المسجد الاقصــى يضـــي ... ء لهم افـــق النضـــال المضــــرم
يا فلسطين اسلمـي ثم اسلمــــي ... عشت فوق الشمس فوق الانجم

الفدائيون قاموا للكفا ... ح فمرحى بالكمي المعلم

هذه حيفا ويافا ونداً ... ء دعانا للثار لم يستسلم

وجموع العائدين انتفضوا ... رفعوا راحتهم بالعلم

لم يمت فيهم اباء ومشت ... لفلسطين اسود الاجم

حرروها بالضحايا بالفدا ... بالبطولات هنا ، بالهمم ،

بنضال للعلا ، للامل الـ ... ـحر يحيا ، ليس بالمنهزم

يا بني العرب تعالوا نبتني ... من ضحايانا تمثل الهرم

ونعيد الشمس فى مشرقنا ... فى حمى الابطال ارض الحرم

لم يعد للغاصب اليوم مكا ... ن لدينا ، ارضنا من قدم

سوف نبنيها ونبني مجدنا ... مجد ماضينا العزيز الاكرم

بكتاب الله بالدين وبالـ ... ـعربي المنتمي ، بالمسلم

وطن الخلد فلسطين لنا ... ولنا القدس تفدى بالدم

ولواء للحمى نرفعه ... فى الحنايا خافق ، فى القمم

يا فلسطين وهذي حكمة ... جل فينا امر تلك الحكم

قد براك الله فينا حرة ... لم تستكيني للعدا او تهزمي

قدر سار الى غاياته ... يا فلسطين اسلمي ثم اسلمي

د . محمد عبد المنعم خفاجى

يقين

للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

الهي ... بشكرك قلبي شدا ... وباسمك رف بعمقي الصدى
وحلق فكري يناجي صباحا ... رطيب النسيم ، شذي الندى
واحسست أني كيان يموج ... ففي كل حين لعمري ابتدا
وارهفت حسي لصمت الحياة ... فالفيت صمتي اليك ندا
وانت الرحيم ، اضأت حياتي ... ولولا رضاك لضاعت سدى
اذا ضقت ذرعا ، واجهدت نفسي ... واغرى الهوى النفس واستعبدا
اذا زورق العمر خاض العباب ... وطافت عليه طيوف الردى
والوت بمجدافه العاصفات ... ولا شط امن لعيني بدا
فباسمك .. ياسي يعود رجاء ... ويحيا وجودي ، واطوي المدى

— ✲ —

تباركت .. فضلك اغنى الوجود ... فكيف لغيرك أن يعبدا
شرعت لنا منهج « الحق أعلى » ... فكان نظاما ، وكان هدى
واكملت للناس دين الحياة ... ينال العلا من به استرشدا
وشدت على العدل كل بناء ... لمجتمع بسناك اهتدى
ووعدك حق ، فرضت الجهاد ... اذا ما جهول علينا اعتدى
وكل طريق الى الحسنيين ... فاما انتصار ، واما فدا

— ✲ —

الهي .. رجوتك ، فاقبل دعائي ... فاني اليك بسطت اليدا
فباسمك .. هانت علي الصعاب ، ... ويسرت فضلك لي مددا
وما شئت غير رضاك الجميل ... فاسبل رضاك علي ردا
تسامت هباتك فوق الحياة ... وفوق الزمان ، وفوق المدى

الرباط ـ علال بن الهاشمي الفيلالي

نهاية السنين ..؟؟

للاستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الأميري

« مرت بالشاعر ... ذكرى ميلاده السادسة والخمسين ، وهو يكابد لاواء الحياة ، وهموم بلاده واولاده ، موزعا بين المشرق والمغرب ، وقد امضى يومها وحيدا فى بيت له على شاطىء « الهرهورة » بين التأمل والتألم ، ولكن حمده لله وامله به ، كان العاطفة الغلابة التي عمرت قلبه خلال هذا اليوم ، كما هو جلي من القصيدة ... التي انشاها بهذه المناسبة وخص بها « دعوة الحق » التي تنشرها معتزة شاكرة » :

تمر بي الاعوام تنضجني بما ... يلم بعمري من سرور ومن الم

واستقطر الايام وهي تجرني ... فاجري، عصارات التجارب والحكم

وتستهلك اللأواء من عزمي الذي ... يجدده الايمان والصبر والعشم

كأن رحى الاعباء وهي تنال من ... وجودي ، مبراة تدور على قلم

اذا انتقصت مني فظاهر قشرة ... ويبقى عصيا جوهر العزم والشمم

فأمضي على درب الجهاد وفي دمي ... جلى من همومي لا تنوء بها الهمم

وملء يقيني الله جل ثناؤه ... تبارك رب المجد والعون والكرم

اراه ــ وقد ضنت علي جدارتي ... وضن زماني ــ يغدق الفضل والنعم

فاحيا به ، ازداد في عمر العلى ... شبابا ، كأني لن اصير الى عدم !

المغرب ــ عمر بهاء الدين الاميري

الامة العربية..

للشاعر سليم الرافعي

تحدري ! تحدري ! من شرفات القدر !
من معقل الغيب على جنح السنا المنتصر
من (خالد) او من (علي) في الهدى او (عمر)
من (مذحج) او (تغلب) او (أسد) او (نمر)
من خطوات الفاتحين القاهرين الغير
الزاحفين بالسيوف والقنا المشتجر
الراكعين الساجدين العابدين الصبر
تحدري ! من صوت (جبريل) سرى بالسور
يعلم الشعوب من بادية او حضر
بالفتح والاسراء والاخلاص او بالكوثر
تحدري من ازل مصرف مسيطر
من لوحه المحفوظ . من كتابه المبشر
من سره الخالد . من قلمه المسطر
يا امة كانت من الاوساط خير البشر !

— * —

يا امة من (الفرات) قد جرت و (بردى)
من ضفة (النيل العظيم) وينابيع الهدى
من قمم (الاوراس) جلت قمما ومحتدا !

من شاطيء (المغرب) والاسـلام يعلـو صعـدا !
من الصحارى فى « الجزيرة » انتظرت الموعـدا
من ومضات السيف يبني الحـق والمعتقـدا
سلالـة الضـوء ! اذا روح الهـدى تجسـدا
سلالـة الايمـان ! والوحـي يسوق المـددا
سلالة الالهـام ! هـذا يومكم قـد خلـدا !
تعـود الدهـر هدانـا : عـزة وسـؤددا
سمعنـا الكـون كتابـا خالـدا فانشـدا
صلـى بنـا الكـون وصـام مسلمـا موحـدا !
ملكت الدنيا بنـا الـراي فعاشـت بلـدا !



يا أمـة من (مشـرق) مقـدس و (مغـرب)
جرى بها الضـاد كما جرى دم مـن (يعـرب)
انشاهـا الله . وقـال : اعتصمـي واقتربـي !
بالحق قامـت . ومشـت وحدهـا فى موكـب
ارادة مـن السمـاء . فـوق كـل مذهـب
حقيقـة اذا استبـدت بالرضـا والغضـب
وقدوة فى الـراي او فـى القـول او فـى القلـب
وشعلـة مـن الجـلال صـدرت عـن كوكـب
كالشهب البيـض مشـت محدقـة بالشهـب
اذا نهضـت مـن حمـاك نهضـة التـوثب
تـادرة على الزمـان قـدرة المجـرب
والعلم الابيـض والاحمـر فـوق السحـب
فاقدمـي فـى الحـرب والسلـم ولا تستعتبـي !
واسمعـي العالـم صـوت الله يهـدي والنبـي !



تهلـل المـوج مـن الغيـب يشـق العببـا
يصرخ فى الشفـاف : عـودي مدنـا وحقبـا !
عـودي الـى الجزيـرة الام : شبابـا وصبـا

انــي انــا الحـــق . اذا ما شئـــت ان انتسبـــا
المؤمـــن الفـاتـــح حولـــي مشرقـــا ومغربـــا
ايقظـت هـذا الكـــون من سباتـــه فاضطربـــا
القـدر الاكبـر مـــن جنـــدي اذا مـــا وثبـــا !
اسمعته (جبريـــل) يحيـــي بهـــداه العربـــا !
يا عـرب المشـــرق والمغـــرب شقـــوا الحجبـــا !
بيـــن الاخـــاء والوفـــاء والابـــاء : مرحبـــا !
(محمد) منكـم ، وانتـــم منـه : جـد او ابـــا
انتم بنـو الخلـــود . ابقـــى نسبـــا ومذهبـــا
انتم بنو (القـــرآن) هل جحدتـــم المنقلبـــا ؟

طرابلس ـ لبنان : سليم الرافعي

عيد لا كالأعياد

للشاعر محمد بن محمود العلمي

ردد التاريخ احلى النغم ، ... باعثا امجادنا فى الامم ،
فاعاد الثار فينا نخوة ... لصلاح الدين ، والمعتصم !
نورك اللهم تام مشرق ، ... رغم أنف الكافر المختصم
منذ (بدر) ديننا قام على ... نصرة الحق ، وحفظ الذمم
وانطلقنا لميادين الوغى ... كالبراكين رمت بالحمم
فاذا الاعداء أشلاء ، وقد ... دعمتهم غائلات النقم
فهمو فى البر والجو اصطلوا ... بسعير هائج مضطرم ،
قيدوا الطيار خوفا ، فاذا ... بالمنايا حفل من لم يفهم
وهمو فى البحر حتما غرقوا ، ... ومضوا فى ذلة للعدم
قد دهاهم من جنود الله فى ... منتداهم كل سيل عرم
بخضا الاقزام طرا عندنا ... يهدم العملاق سجن القمقم
عرب نحن ، وفى وحدتنا ، ... قد زحفنا للخلاص الاعظم
وحياة العز فينا فطرة ، ... فى حماها ابدا لم نضم
نحن جسم واحد احساسه ... صادق فى امل او ألم
ونداء المجد تثبيت لنا ، ... وامتحان عند وضع القدم
انه الايمان يهدي خطونا ، ... فى صمود للطريق الاسلم

(يوم كيبور) لصهيون غدا ... عبرة ؛ يا ليته لم يصم !
انه أشأم عيد للعدى ، ... حل فيهم منذرا بالمأتم



(حائط المبكى) عليهم قد بكى — حزنا ، فى جوه المضطرم
و بـ (شرم الشيخ) يا ويحهمو، — قد رمتهم اسد فى الاجم
لم يقدهم عاصم فى باسهم ؛ — فهم الشعب الذى لم يعصم
قد اتوا من كل فج كي يروا — ان فى قلبهم ، السهم رمي
أن فى مصرعهم موعظة ، — ظهرت فى مذهلات الرجم
بهتوا ، وارتعدوا من خوفهم : — انها شنشنة من اخزم !
غيرة الله تجلت فيهمو ، — وكفى بالله من منتقم
اعجبتهم انفس مغرورة ، — فرماهم وابل النار الحمي
واتاهم ربهم من فوقهم — بالتردي فى الفضاء المبرم
اذ غدوا فى فتنة ماحقة ؛ — لقمة فى قبضة الملتهم !
ثورة الخير على الشر لقد — فضحت منهم جميع التهم
ان صهيون كما نعرفه ، — كافر طول المدى بالانعم
ليس يجديه دهاء ، فهو لم — يك شيئا ؛ غير صل ارقم
غره استدراجه في ظلمه ، — فافاق الوغد بعد الحلم !
لن يعين الله فى عدوانها — طغمة الخصم الدخيل المجرم
فهو فى (سناء) و(الجولان) قد — تاه فى الهول، غريقا فى الدم
(جبل الشيخ) به نحسبه ، — كسوار محدق بالمعصم
ليس ما يبصره من رجفة — مثل ما قد يدعي ملء الفم
اين (دايان) و (ايبان) وما — جد من (قولدا) العجوز، الاشام؟!
اين (هيرزوك) و(عازار) ، فقد — أدركا الحق بانف مرغم ؟!
ان صهيون بما يخسره ، — جاءنا منه باحلى موسم
اصبح استعلاؤه اسطورة ، — فضحت فى عرب او عجم
وبدا الصبح لدي عينين من — بعد ليل فى البلايا ، معتم
ادركت افريقيا تدليسه — مذ سقاها سمه فى الدسم
فاذا الشيطان مخذول الخطى ، — لم يزل فى حسرة ، فى ندم !

احدث البترول فى اعدائنا — ثلمة من كبريات الثلم
باسهم صار شديدا بينهم ، — تلك عقبى المستغل النهم
ان بدانا زحفنا فى يقظة ، — فالطريق الوعر لم يختتم
تلك اموال لنا ، ان سحبت ، — متي الخصم بياس المعدم ،

نظم الطاغوت صارت مأتما ، … بالكيان الخائر المنهدم
وفلول المكر ولت هربا ، … وهوت فى جيشها المنهزم
وانطوت فى عزلة قاتلة ، … اذ تعرى كل امر مبهم
وغدت (شربورغ) فى قرصنة، … تنعت الغدر بخزي مزكم
ان فى (ميونيخ) و (فيينا) لنا … عبرة قد فتحت عين العمي
و (فلسطين) كشعب رائد ، … مستميت ، مؤمن ، محترم ،
تعطف الدنيا على مأساتها ، … ولها الاحرار اوفى الخدم !

ان (اسرائيل) عار فى الورى ، … وضلال سادر فى الظلم
غضب الله عليها ، فمضت … للخنا والخزي منذ القدم
اثقلت كاهل (موسى)، وانبت … كل بهتان ، فلم تحتشم
افسدت اخلاق قوم غفلوا ، … وتمادت فى الفسوق الاظلم :
همها ان تشهد العالم فى … محنة ، فى بؤسه المحتدم ،
حقدها ليس له حد ؛ فلم … يستتر طبعا ، ولم ينكتم .
داؤها استشرى، فلم يبرا، ولم … ينقطع قط ، ولم ينحسم .
هزات بالحق ، عنه عميت ، … وهي عن الحاجه فى صمم
فهي للغصب وللنهب غدت … للتعدي ، والتحدي ترتمي
قد ابانت عن خفاياها ، فلم … تصن العهد ، ولم تلتزم ،
شيمة الغدر توفيها لمن … يعلم السر ، ومن لم يعلم !

نحن صممنا على خوض الوغى ، … وبررنا كلنا بالقسم
من يمت منا شهيدا ، فهو قد … نال عند الله اسنى النعم
واذا عشنا ، ففي النصر لنا … عزة تزهو باغلى الشيم
حقنا فى نخوة نطلبه ، … دائما بين الورى ، لم نسأم
من محيط لخليج بيننا ، … صلة الدين ، وقربى الرحم
عيدنا ليس كأعياد مضت … فى (حزيران) ، كطعم العلقم
انه عيد كفاح صامد ، … مدهش ، فى صفنا المنسجم
لم نخن بالعهد فى شرعتنا … ابدا ! كلا ! ولم نستسلم !
والجراحات التى حلت بنا ، … لم تزل تشكو ، ولم تلتئم ،
فعيون (المسجد الاقصى) بكت … فى ضياع (القدس) دمع العندم

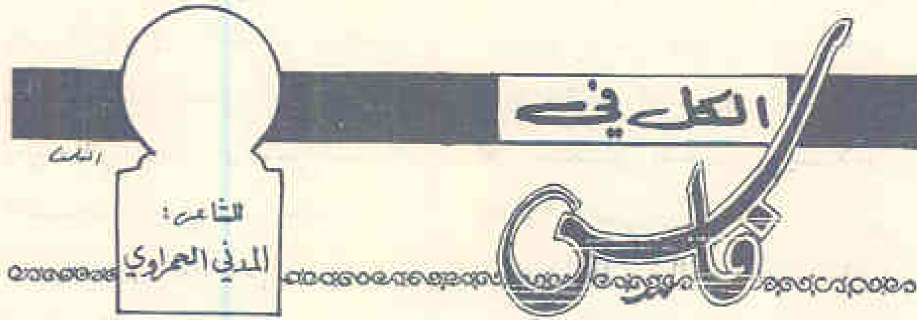
انه مسرى الرسول المصطفى ، يشتكي الحرقة المستلم
ان رب البيت يحميه ، وفي ذمة التاريخ يلوى الحرم !

روحنا فى رمضان اندفعت تنشد الطهر ، واسمى القيم
ذكريات المجد فى ايامه ، نحن بالطبع اليها ننتمي
وشموس الحق فينا بزغت ، وحمى الاسلام فيها نحتمي
واستعدنا ثقة مطلقة ، بعد ليل فى المآسي مظلم
كلما غابت بدور ها هنا ، ظهرت اقباسها فى الانجم
فاذا (الخامس) فى جنته ، تتجلى روحه من امم
رفرفت من فوقنا فى هيبة ، وتسامت فى فداء العلم !
يكبر الغيرة فى عاهلنا من سما فى شعبه الملتحم
انها النخوة فى محتده ، قد مضت نحو العلا فى شمم
انه من نسل احرار ، وهل يلد الضيغم غير الضيغم ؟
يقظ الوجدان يحمي حقنا ، باحتساب ، عينه لم تنم
قمة فى قمة يعقدها فنرى التوفيق فوق القمم
تلك روح للرباط انبلجت ، فاضافت كسبنا للمغنم
ونظام المغرب الاقصى ، كما نتوخى ، كان اقوى النظم
منذ (أدريس) تحلى عرشنا بالمعالي ، والجناب الافخم
والكرامات له مشهودة ، تتوالى بالدليل المفحم
قد رضعنا حبه فى ثدينا ، لم نحد عنه ، ولم ننفطم
فاذا الايمان عنوان لنا مقنع ، فى مشرب او مطعم
نقتدي بالحسن الثاني ، ففي وجهه نور الامام الملهم
وحفيد المصطفى ، نحن به نفتح الدنيا بهدي محكم
فهو يعطي دمه الغالي ، كما يبذل المال باقصى الكرم
شعبه فى حبه متحد ، مخلص اخلاص صب مغرم
حفظ الله (ولي العهد) من كان فى المنبت ازكى برعم

روحنا فى رمضان انبعثت ، حيث اصغت للمليك المسلم
نذكر الله ، ونتلو آيه ، ونصلي بالفؤاد المفعم
انما النصر لمن تابوا ، ومن قد اباتوا ، بالنفوس اللوم

من يكن لله ، كان الله في ... عونه ، فهو مع المترحم
يا اخي ان شئت امنا وهدى ، ... وانتصارا دائما ، فاستقم !
يا اخي صابر ، وثابر ابدا ، ... وانتبه ، والزم جهادا ، وقم !
كلنا شوق لنور باهر ... قد هدانا للطريق الاقوم
ذلك الكوثر ما أعذبه ! ... فهو يروي غلة القلب الظمي
انما العيد انتصار رائع ، ... سار يوحي روحه للقلم
والصدى يسمع من اطلسنا ، ... ويدوي فوق هام (الهرم)
تطلب القوة والعزة من ... باريء الكون ، مبدي النعم
فهو رحمان ، رحيم ، مؤمن ، ... احد ، بر ، بديع النسم
ودمشق برباط الفتح قد ... جمعتها عروة لم تفصم
(بردى) و (النيل) في شطيهما ، ... (دجلة) تروي تحايا (زمزم) ،
و (ابو رقراق) في روعته ، ... سال بالاكسير او بالبلسم !
يفخر التوام في تجديده ، ... بسجايا ، ومزايا التوام !
اننا بعض لبعض سند : ... فعهود الحق لم تنصرم
وبرغم الكفر انا وحدة : ... امة القرآن لم تنقسم !
في عناق ، وصفاء خالص ... نشكر الفضل لرب منعم
تلك بشرى النصر قد لاحت لنا ... بالمحيا المشرق المبتسم !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي



الم بفاس ؛ فان « الكل في فاس »   ولا كأنسامها والماء من آسي
ولا كمربعها في الطيب مرتبع   ولا كريحانها في طيب أنفاس
ولا كبهجتها حسن تسر به   عين ، ويجلى به مكنون احساس
ولا كتاريخها شاد اشاد بها   ـ فخرا ـ وقلدها عقود الماس
فان اقل بعده فالفضل قبل له   قد هاج شجوي فصب الشعر في كاسي
سلسالها سلسبيل كاد سائله   يخفى ـ لرقته ـ عن عين مجتاس
ينشي ويشفي كترياق تشاب به   راح ؛ فما اسعد المشتف والحاسي
وفي خمائلها ما شئت من متع   ومن رفاه ، ومن حسن ، وايناس
اذا حللت بها فالهم مرتحل   يطارد الانس منه كل وسواس
وتقبل البشريات الزهر في زمر   عليك واردة في بشر اعراس
ويستخفك من اجوائها مرح   يسقيك راحه بالانغام والطاس
والساكنون بها اخلاقهم كرمت   في كل منقبة ، ناهيك من ناس
يكاد خابرهم يقول مندهشا :   ملائك جبلوا من اصل اقداس
لهم على وارد قد حج ساحتهم   حنان ذي رحم ، وعطف مكياس
فلا يحس غريب الدار غربته   ولا يضام ولو بهمس همّاس
لا غرو ان شرفوا ، لا بدع ان كرموا   فتلك مأثرة من طيب اغراس
تراثهم من اصيل الاصل متصل   يصان من عدد التقوى باحراس
يد مباركة بالغرس قد بدأت   ارضا مبرأة من سوء ارجاس
« ادريس » صاحبها والله الهمه   مجدا به قدر فاس عاطر كاسي

باسم الاله العظيم اس بنيتها ... فبارك الله فى فرع وآساس
فكان ما كان من فضل ومن شرف ... وغر اعلامها من مثل « دراس »
وكان ما لم يزل من بحر معرفة ... ومن مجالس ضمت خير جلاس
ومن ضروع تدر العلم مندفقا ... من غير ما عنت وغير ابساس
ومن جداول انهار تفيض به ... سيلا كانه من امواج رجاس
ومن منائر بالافكار مسرجة ... لكل ملتمس يشفى بابلاس
فالمسجد القروي ليس يجهله ... باد ولا حاضر من كل اجناس
حصن العروبة والاسلام من قدم ... ومجمع الثقلين : **الجن والناس**
وموئل الملة البيضاء ، ساحتها ... ومشرق النور في دجن واغلاس
سوق اليقين لها بالجد مصطخب ... يخب فيه الهدى جياد افراس
وملتقى زمر شتى على متع ... من خمر لب ، وفى رياض اطراس
دعاة دين الهدى ، رعاة حوزته ... حماة شرعته من كل لباس
جنود حومته ، أبطال ساحته ... رواد نصرته ، عداة خناس
اصحاب رايته ، حراس لجته ... ناهيك من شهب ترمي باقباس
من كل ذي عزمة حمساء ماضية ... فليس متكلا ، ولا بنواس
عبوا من الهدي والعرفان ثم مضوا ... الى جهاد بلا سيف واتراس
وانما الحق والقرآن عدتهم ... ولا كهذين من نور وقسطاس
سارت مواكبهم فى كل مبهمة ... وكل قاصية بخير نبراس
تبث دين الهدى والله يكلاها ... ويحرس الخطو من باغ ودساس
فيالفاس ، ويالفضل جامعها ... وبالعهد من الامجاد مياس
لهفي على سلف ادلوا بمعجزة ... نعيى بميراثها ، لهفي وايجاسي
أين الفحول ؟ مضوا ؛ فالارض مقفرة ... من بعدهم اشبهت مطموس ارماس
اين المجالس من علم ومن أدب ؟ ... أين الرياض التي تزهو بقرطاس ؟

— ✻ —

اني رأيت بني قومي تخادعهم ... ريح بلا مطر ، ونشر فساس
وخلب من بروق الغرب ذو خدع ... يكاد يوقعهم فى غش نخاس
يكاد عن دينهم والضاد يفتنهم ... وفيهما عصمة من كل ابآس

— ✻ —

اذا حللت بفاس فائم جامعها ... ولا تكن مثل ذاك الزائر الناسي
وصل فيه ، وصل ما شئت من هبة ... واستنشق تسق من الزلفى باعساس

واذكر هداة هناك كان مجمعهم … وصاحين تحاموا كل ادناس
واسمع حديث السواري عن ماثرهم … وعفر الخد في آثار اكياس
وشاهد الوحشة الخرساء ناطقة … تبكي مجالسهم بغير اجراس
مضت تقاليدهم في الدرس دارسة … وجد من بعدها جديد اهواس
عرفت عهدي بها والعمر مقتبل … وفي جوانبها صولات دراس
وجئتها وبياض الشيب في ذقني … فلم اشاهد سوى بهو واحلاس



لله فاس وما تحويه من عبر … ومن مفاخر مجد خالد راس
كرسي « ادريس » بل عذراء دولته … عرين آل مرين ثم « وطاس »
مأوى « سليمان » والاملاك قاطبة … من ناصرين لدين الله حراس
ودار عز لها في كل نائبة … سعي يذيق العدى مرهوب اتعاس
وروضة الفن لم ييبس لها فنن … ولم تصب سوقها بعجز افلاس
لطاقة الصنع والابداع قد عرفت … لها ، وجادت على غير بمقباس
نور الحضارة والتمدين من افق … لها اطل على ظلماء اغباس
لولا مهارتها كنا على شظف … ولم نزاول سوى رفش وملطاس
فالام فاس ، وباقي الارض يتبعها … والحق اظهر ، لا يخفى بالباس
اني بفاس وامجاد لها تمثل … اني خبير بها ؛ فقس بمقياسي
خبرت ماضيها ، خبرت حاضرها … وقست لجتها سبرا بمرجاسي
فكان ما سرني في كل مزدحم … وجدت فيه بنيها غير انكاس
وان يكن فالني من حسن خردها … سحر يغول بانياب واضراس
فالذنب ليس سوى لناظري فانا … مانعت لكنه اراد اركاسي



وهل اطيق لذاك السحر مدفعة لا … ناهيك من فاتك بالقلب فراس
نهر « الجواهر » لا تذكر مراتعه … ولا تهيج بها شجوى واتعاسي
اخشى على القلب من ذكرى ملاعبه … فعد عن الم للقلب لحاس
واها لعهده من عهد له رغد … مضى به الدهر في يسر واسلاس
بانت مسارحه ، شطت مطارحه … وطمرته السنون تحت اكداس
ابكيه منتحبا والقلب في حرق … يرعى تذكره بعين عساس



ان الزمان الذي قد ساقني عرضـــا ... اليك يا فاس لم يعبث باحساسي
جددت عهدا قديما ظل فى خلـــدي ... ما كنت يوما بساليـــه ولا ناسي
وطفت فى نزه زهـــراء معجبـــة ... بقلب مستبصر وعين جـــساس
فلم اتارق سوى بالدمع منهمـــرا ... وبالاسى طاعنا صدري بمدعــاس
وددت لو انني اقمـــت مغتبطـــا ... لكنها خلسة من دهري القاسي
اليك من ههنـــا ودي وقافيتـــي ... والشوق يلهب بالتذكار انفاسي
اني احييك من شط المحيط فـــلا ... برحت ملهمتي وملء اطراسي
فما كفاس ـ اذا انصفت ـ حاضرة ... ولا كمسجدها ؛ فالكل فى فـــاس

الرباط : المدني الحمروي



مع الصباح ...

للشاعر محمد الأزهري

تطلع للصباح على الروابي — وسر منها الى قمم الجبال !
تأمل في حياة بعد موت — تأمل في الجمال ، وفي الجلال !

— ※ —

وكن حيا حياة الصبح والنشط — ونورا مشرقا مثل الصباح !
ولا تغفل عن الاشراق ، وانهض — الى العلياء في درب الفلاح !

— ※ —

فما الدنيا بلا روح ونور — سوى ليل يطول بلا نجوم !
وما الدنيا بلا عز ومجد — سوى موت ذليل ، بلا جحيم !

— ※ —

يقول الصبح للانسان : اشرق — بنورك في الحياة ، وفي الوجود !
بايمان ، واحسان ، وفضل — واعمال ، وعزم من حديد !

— ※ —

فانت مكرم ، ولديك فكر — ووحي قد تنزل من حكيم !
ونورك في الوجود يفوق نوري — فلا تطفئه في دنيا الغيوم !

— ※ —

باهمال ، ونوم لا تبالي — بصبح ، او حياة ، او مصير !
واهواء ، وظلم لا تبالي — بخلقك في الوجود ، ولا بنور !

— ※ —

وكن صبحا على صبح جميلا — وكن نورا على نور جليلا !
واد رسالة ، عمر ، وجاهد — ولا تنس الرسالة ، والرسولا !

— ※ —

واشرق في الصباح وفي المساء — بنور الله ، نور الانبياء !
ليهتف كوننا فرحا بنور — ويسعد بالهداية والضياء !

الرباط — محمد الازهري

اعترافات إنسان تفتحت عيناه

للشاعر
محمد علي الرباوي

انا يا رب فتى جواب آفاق الذنوب
قد علمت الآن اني كنت فى سود الدروب
عندما فتقت الشمس جلابيب السحوب
افلا ترحمني يا عالما سر الغيوب

— * —

لست يا رب ملاكا .. لست يا رب نبيا
انا انسان وانا لي ان احيى نقيا
ويدي تلعب بالحبر ولا تكتب شيا
افلا ترحمني يا فاهما نجوى القلوب

— * —

جئتك اليوم بقلب كل ما فيه جديد
ويسم الايمان رسما طاهر اللون مديد
انا ما عدت — الاهي — ذلك المرء العنيد
افلا ترحم من قد جاءك اليوم يتوب

الرباط — محمد علي الرباوي

دراسات مغربية



* القرويين ... البوية المغربية
* على هامش تأسيس مدينة فاس : نشأة المدن ، أسبابها وبواعثها
* حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار
* من أعلام الادب المغربي : محمد سليمان الروداني
* رسالة المغرب الثقافية في افريقيا
* اول سفارة ثقافية مشرقية الى الاندلس العربي
* ادباء المغرب في العصر المرابطي الاول : الاديب الكبير مالك بن المرحل



القرويين الهوية المغربية

للدكتور عبد الهادي التازي

لئن كانت هناك امة استطاعت ان تحتفظ بتراث المشرق كما يجب الاحتفاظ ، فهي بلاد المغرب وعلى الخصوص بلاد المغرب الاقصى لا لما تتميز به من تقدير زائد عميق لذلك التراث منذ الايام الاولى التي احتضنته فيها ، ولكن ايضا لان بلاد المغرب الاقصى ظلت الجهة الوحيدة التي استطاعت ان تحمي كيانها من اي تاثير خارجي كيفما كان شكله ونوعه ، ومهما بلغت قوته وامكانياته . امامنا عدد كبير من الاقطار التي خضعت ، بسبب او آخر ، لمختلف القوى التي كانت تبرز احيانا فى العصور الوسطى ، او العهود المتاخرة، كان هناك عدد من البلاد استهدفت لزحف التاتار ، وهناك عدد منها ـ ان لم نقل جلها ـ استسلم امام المد العثماني ، على ان منها طائفة غير قليلة انهارت منذ قرن أو ازيد امام الغزو الاوربي .. لكن المغرب الاقصى ظل البلد الوحيد الذي استعصى الوصول اليه على كل الفاتحين بالرغم مما بذلوه ... وحتى الغزو الاوربي الذي ركعت امام قوته ودهائه وتحايله دول اثر دول ، فى الشرق والغرب ، لم يكن له حظ يذكر فى هذا المغرب الاقصى الا لفترة جد محدودة ، وجد مرهقة بالنسبة الى الاستعمار بل كانت نذير الشؤم على وجوده ، بالمرة فى كل الجهات . ولاجل ذلك فان التراث الذي يتوفر عليه المغرب ينبغي الالتفات اليه على انه التعبير الصادق الامين للعصور الزاهية الاولى ... فاذا كان هناك فى بلاد الدنيا من يريد الوقوف على ملامح المجتمع الاسلامي فى بهائها وجمالها ومعالم الحضارة العربية فى رونقها واصالتها فلينتقل الى هذه الديار فى المغرب ليشاهد كل ما قراه عن ذلك الماضي المجيد ، فلينتقل الى هذه المغارب ليتزود من انفاس الاعراس التي كانت تتارج بنسماتها وتتضوع بعطورها تلك المشارق الفيحاء .

وان فى صدر ذلك الرصيد الضخم الذي ينعم به المغرب من تراثنا المجيد هذه المدينة التي وضع الامام ادريس حجرتها الاولى ولكانما وضعها لحي جامعي دائم الحياة تعاقب عليه كبار العلماء والفقهاء والادباء والاطباء ... ولكانما وضعها لكعبة ظلت على مر الزمن قبلة المؤمنين يحجون اليها من مختلف الافاق الاسلامية ... ولكانما وضعها لقاعدة سياسية سعت اليها مئات البعثات الدبلوماسية من مختلف جهات العالم وامسى اسمها يعني المملكة كلها... وما انفكت صاحبة الحل والعقد فى كل التطورات الهامة التي شهدتها البلاد ... ولكانما وضعها لسوق تجارية قصدها الناس بتحفهم ونفائسهم ... ولكانما وضعها لدار صناعة تجلى فيها جمال الذوق وسلامة المزاج .. ولكانما وضعها لمصحة يستجم فيها المرهقون والمتعبون وينشد العليل فى جناتها وحماتها ما يبعث فيه جذوة الحماس والمراس ... هوت اليها الافئدة وتاقت اليها النفوس فقصدها الناس متناسين اوطارهم واوطانهم وتناخى على جنباتها هواة لها وردوها من القيروان وآخرون نزلوها من الاندلس ، وسمع بهؤلاء واولئك اقوام من اقصى المشرق فتنافسوا على امتلاك

شبر على ارضها ، كانت تلك قصة الذين اخذوا يزحفون اليها من شتى المدن والقرى ممن شعروا بان مساقط رؤوسهم عادت غير محققة لما اليه يطمحون وما اليه يتوقون ، كل ما قيل عنها انما يقرب الصورة والا فان دعوة القدرة على صوغ محاسنها ومفاتنها باطلة الاساس ، زائفة القسطاس والمقياس ، لقد صاغ الهواة محاسنها في نظمهم ونثرهم ، كل التفت الى ناحية ، وكل اخذ بناصية ، حتى ليخيل الى المرء انه امام فاسات عديدة وليست فاسا واحدة . لقد عنى قوم بوفرة منابعها وتخلل عيونها الصافية في المدارج والمنعطفات ... وسحر قوم بالتميز البين بين مواسمها ، والتدرج اللين في وداع فصل واستقبال آخر : هي في الشتاء غيرها في الصيف ، وهي في الخريف غيرها في الربيع ، فما تزال في هذه المناسبة من الوان زاهية ، تعوضه المناسبة الثانية بمفاتين غيرها ... وقد سحر قوم بما احتضنته المدينة من مباهج الشرق والغرب ، فعادوا يلتمسون فيها ما ضاع من ليال في دمشق وبغداد وايام في اشبيلية وغرناطة ... كل زاوية من زواياها ... وكل خلية من خلاياها ، وجد فيها الهواة مادة صالحة للحديث ، وحتى الاضرحة والمقابر التي يسودها عادة الشعور بالمصير فانها تكون في فاس مدعاة لرحلة ممتعة في تاريخ اولئك الرجال الذين زودوا هذه المدينة بالروح التي ما انفكت سارية فيها عبر الاحقاب والدهور ... واذا كانت الفسطاط والقيروان نفحتين زكيتين من الصحابة والتابعين فان الله آثر مدينة فاس بان تكون من تأسيس آل البيت الاقربين وان تضفي عليها هذه النسبة من قبسها ونورها وفيضها واشراقها ، الامر الذي يفسر ما تواتر الناس على ترديده من أن فاس المدينة الاسلامية الرابعة بعد الحرمين الشريفين وبيت المقدس طهره الله من الرجس .

وفي مدينة فاس ، على العدوة الغربية التي تنتسب للوافدين عليها من القيروان يحتضن نصف هكتار هناك ، قلب المدينة النابض الذي ظل يهيمن — بما يمتلكه من حيوية وفعالية — على كل أجزاء الامبراطورية المغربية الفسيحة الارجاء ، المتباعدة الانحاء ... كان القلب هو (جامع القرويين) الذي يرجع له الفضل كل الفضل في استمرار الوجود الاسلامي بهذه الديار ، وفي حياة الحرف العربي بسائر اطراف افريقيا .. فان دوره لم يقتصر على استقبال المؤمنين صباح مساء لاداء صلواتهم ومناسكهم ، ولكنه تجاوزه الى المركز الذي كان مصدر اشعاع فياض على مختلف جهات المغرب الكبير وعلى بعض بلاد المشرق ومدن الاندلس ... وعندما قال المؤرخون : ((انه اقدم جامعة في العالم)) فانهم كانوا يقصدون الى انه المعهد الوحيد الذي استمر في اداء رسالته العلمية دون ما ان يتعثر فيما تعثر فيه جامع الزيتونة من ازمات وما حل بالازهر الشريف من نكسات وما نال الجامعة المستنصرية في بغداد من نكبات .

لقد ظلت المملكة المغربية بعيدة — كما اشرنا — عن التيارات السياسية العاتية التي غيرت من معالم عواصم الشرق ، فاحتفظت القرويين من أجل ذلك بكل اسرارها واخبارها ، فيما تزال بها الى الآن ((آثار من عهد الامام داود بن ادريس اواسط القرن الثالث الهجري)) وآثار من ايام الزناتيين ودولة المرابطين والموحدين ، والمرينيين والوطاسيين والسعديين والملوك العلويين ، كل له فيها احدوثة يعتز بها وكل لها عليه دالة يفتخر بها ، فاما أنها زادت من سنده ، واما انها ارشدته الى طريق تسليم او اقنعته باختيار قويم ، لقد استغنت واثرت حتى لنافست مداخلها ميزانية الدولة بما توفرت عليه من جليل العقار وفسيح الارضين وغابات الغلال ، وحتى لاضطرت الدولة — احيانا — للالتجاء الى وفر اوقافها لتسدد به خصاص النفقات الطارئة ، وتغطي به العجز الحاصل ، وكل ذلك الطريف والتالد من ثروتها انما كان يقبل بعد التحري الدقيق في طيب مصدره وحلال مورده ، سنة عرفتها القرويين منذ اول يوم من حياتها ... ولكثر ما تميز جانبها المالي كان الموسرون من أهل البلاد يضعون في مستودعها نفائسهم وكرائمهم ..

والقرويين الجامع الوحيد الذي توفر على خمسة مصادر للماء لتسديد حاجياتها ومرافقها طيلة فصول العام ، ولم نعلم عن شبكة لقنوات المياه متقنة التخطيط محكمة التوزيع كالتي سمعنا بها بمناسبة تزويد القرويين بهذه المادة الحيوية ، وحتى في احلك ايام الجفاف بفاس ظلت القرويين المعقل الوحيد الذي يتوفر على الماء الضروري .

وقد تنافس اهل فاس على السكنى في جوار القرويين وحريمها باعتباره أقرب الى تربة الجامع ، وباعتباره اكثر انارة واوفر عناية فسكنه القضاة والعدول والسراة والتجار والصواغ والوراقون والكتبيون والعلماء والاطباء الى جانب المصريات العديدة التي خصصت للموقتين والقيمين والخطباء

بهذه الناحية وقد كان لتلك المصريات منافذ يتسرب منها الايمة للجامع ، وعلاوة على المدارس الداخلية التي شيدت سواء بفاس الجديد او فاس القديم فقد بنيت الى جانب القرويين طائفة من المدارس الداخلية لاستقبال الطلاب توفرت على عدد من قاعات الدرس ، وقد طرزت ووشيت بروائع الفسيفساء ، وغدت لوحات فنية فريدة من نوعها غريبة فى بابها ، مما جعل المختصين ينعتون بعضها باعجوبة فاس ! واذا كانت المباني تقاس بمداخلها ، فان للقرويين ثمانية عشرة بابا كانت مثلا فى العظمة والروعة والاتقان ، وفيها ما لبس بالبرنز وطرز بالنقوش التي تحمل عبارات الشكر والثناء وتسجل اسماء الصانعين ، ولعل من الطريف ان نعيد الى الذاكرة ان احد هذه الابواب ـ وهو الباب الذي كان يحمل فى التاريخ القديم اسم باب الخلفاء ـ عرض فى اول مؤتمر للمهندسين المعماريين بقصر شايو اوائل ماي 1957 ، فعد من عيون الاثار الدولية .

كانت القرويين الجامع الوحيد فى دنيا الاسلام الذي يتوفر على اقدم صومعة صعدت الى الان ، وعلى نفس التصميم المربع الذي خط لها منذ احد عشر قرنا على نحو تربيع الكعبة المكرمة التي رفع عليها سيدنا بلال الآذان لاول مرة في تاريخ الاسلام ... تلك الصومعة التي كانت قدوة لسائر منارات المدينة الثمانمائة ، وقد كان منارها الاعلى اولا ، وغرفتها الدنيا ثانيا كل منهما على التوالي كان مرصدا احتوى على اقدم الساعات المائية فى العالم ، ساعة ابن الجباك ... وساعة الصنهاجي ، القرسطوني وابن العربي ثم ساعة الجاي ... الى جانب الرمليات والشوسيات والاسطرلابات ، كانت ((الغريفة)) متحفا تبارى المهندسون والموقتون والمعدلون فى ترتيبه وتزويده بما يساعد على استجلاء الظواهر الجوية ... وكما اقترن ظهور الساعات المائية فى المشرق بتركيبها فى المغرب ، فقد اقترن اختراع الساعات العصرية فى اوربا بجلبها الى غريفة الصومعة ، الامر الذي يدل على مزيد العناية بالقرويين من المتقدمين ... ولا ننسى مع هذا البرج الذي ينتصب على مقربة من الصومعة والذي شيد بعدها بخمسة قرون فى وقت شيد مثله بجانب الكتبية فى مراكش (يلاحظ اختفاء برج الحمراء) .

والقرويين الجامع الوحيد فى العالم الذي يتوفر على أثري واقدم منبر عملت فيه ايدي الفنانين من العلماء انفسهم من الذين كانوا يزاولون دروسهم على كراسي الجامع ، منبر تتنافس على اعتلائه كبار الشخصيات ، يعتبرونه مجلبة لحسن الذكر ونباهة الشأن ، وقد سعوا لاكتساب هذه المأثرة ولو ليوم واحد حتى لا تفوت عليهم الفرصة ، وكانت تتلى عليه المراسم الخطيرة الشأن ، عليه تزكى سيرة الملوك ، وتعلن مبايعتهم أول الامر ، وعليه قرئت الرسالة المفتوحة التي وجهها الامام العزفي فى القرن السادس وعليه قرىء بلاغ النصر الذي احرز عليه فى الاندلس أبو يوسف يعقوب اواسط القرن السابع ...

وقد انعكست على قباب الجامع : سواء منها القباب المضلعة والمقربصة والدائرية ، وعلى أكاليل سواريها وعقود اقواسها وافاريز أبوابها ، انعكست عبقرية الفنانين المغاربة فابدعوا فيها ما شاء الابداع ، وصاغوا على تلك القطع ما حير المهتمين بالآثار وشككهم فى مقاييسهم القديمه .

لقد كانت القرويين الجامع الاول الذي يهدى اليه نصيبه من المعارك البطولية التي كان المجاهدون الاولون يخوضون غمارها بنخوة وعزة ، وهكذا نجد على طول بلاطه الاوسط عددا من النواقيس التي اقتلعها الجنود المغاربة من اعلى الكنائس الاوربية ايام الموحدين والمرينيين ثم حولوها الى ثريات رائعة ، ولكنه بقي من معالمها حروف منقوشة باللاتينية على الناقوسين المعلقين فى القبة السادسة والثامنة ابتداء من قبة المحراب .

ولا بد ان نرجع بذاكرتنا لاروقة قصر الحمراء بغرناطة عندما نتجول ببصرنا فى صحن القرويين الفسيح الذي تقابلت على جناحيه الشرقي والغربي ظلتان بديعتان تقومان على سواري من رخام رشيقة القوام لتحميا الفوارتين المتسامتتين على الخصة الوسطى .

وقد ضمت رفوف خزانتها العلمية العنانية الكبرى ، ومكتبتها الاحمدية بعد ، من عيون المخطوطات ونفائس الموضوعات ما كان حديث المجالس ورددته مختلف المستندات وحجج الوقف مما يعطي فكرة مدققة عن المواد المدروسة والكتب المستعملة ، وقد ازدهرت التجارة فى الكتب حتى لعقدت سوق اسبوعية للمخطوطات بالمزاد العلني فى الركن الجنوبي الغربي للجامع ، وحتى لانشيء ثلاثة وثلاثون فرعا للخزانتين

بعدد من المساجد الفرعية التي كانت تابعة للقرويين سواء بفاس البالي أو فاس الجديد .

لقد آوت القرويين آلاف الاسر من مختلف الجهات المغربية ، ولها يرجع الفضل في تجمع اكبر عدد من العشائر والقبائل والمدن المتباعدة ، بل انها افرت طائفة كبرى من الاندلسيين والافريقيين ، ووجدنا الى جانب هؤلاء وأولئك نفرا من الفرس والكرد والعجم وجدوا ضالتهم في الاقتراب منها ، فلم تكن اذن قروبين فاس وحدها ولكنها كانت قرويين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، بل انها كانت قرويين العالم الاسلامي . . . وقد عرفت القرويين في تاريخها الفكري نظاما دقيقا في ايام دراستها وعطلها وتقاليد فريدة في حلقات دروسها ، فكانت فيها الحلقة ذات الاستاذ الواحد ، والحلقة ذات الاستاذين، وكانت منها الحلقات التي يقتصر فيها على المعممين من غير ان يسمح فيها للاحداث بالحضور .

وجامعة القرويين هي وحدها التي عرفت منذ تاريخ قديم بعادة تنصيب سلطان الطلبة ربيع كل عام ، يشرك فيها عاهل البلاد سلطان الطلبة ، في عرشه ومظلته ، ونحن نعلم ان العرش في مفهوم التاريخ المغربي ليس كرسيا ملبسا بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان ، ولكنه ظهر الفرس رمز الحركة الدائبة والسيرة الهادفة ، ومن هنا كان استقبال الملوك المغاربة للسفراء والرسل انما يتم على متن الخيول . . وكان سلطان الطلبة يشكل حكومة له من بين زملائه ويتقبل في يوم من أسبوع مملكته تهاني ملك البلاد في يوم مشهود يزدحم فيه الجمهور ليرى مشهد تكريم الدولة للطلاب .

واذا كانت فاس قد عرفت على أنها (كرسي المملكة) فلأن جامع القرويين ، بما يتبعه من مئات الفروع المنبثة في أرجاء المدينة ، عاد يتوفر في فترة من الفترات ، على مائة واربعين كرسيا علميا يغشاها الناس من مختلف الطبقات ، وعاد من المألوف المعهود أن على الطلبة الذين يدرسون في غير فاس أن يقصدوا القرويين في نهاية المطاف اذا كانوا يريدون لصيتهم ان يعلو ولعلمهم أن يروج ، وأصبح من المأثور المشهور ان عوائد فاس واقوالها السائرة لا تخلو من سند في الشرع أو أصل في الادب المروي .

ولقد كان للقرويين الفضل في سن نظام القيم على الفن والمشرف على الكتاب مما يعرف اليوم في الكليات برئيس القسم وكان لها فضل احياء تقليد الاجازات العلمية التي ظلت معروفة في أوساط العلماء الى ان عوضتها في بداية هذا العهد الشهادة الجامعية.

وقد اعتمد المشايخ في المرحلة الاولى من تاريخ القرويين الفكري على مؤلفات المشرق وعلى الكتب المترجمة كذلك ، لكنهم لم يلبثوا أن اخذوا يعتمدون على مؤلفاتهم ايضا عند المرحلة الثانية : مرحلة الاوج ، ولا سيما في المرحلة الثالثة : مرحلة التنظيم وبخاصة عندما ظهرت المطابع الحجرية حيث اخذت فاس تبعث بمؤلفاتها الى المشرق . .

وقد تبلورت في اركان هذه القرويين الشخصية المغربية على اتم وأكمل ما يمكن ان نتصوره من مفهوم الشخصية ، وهكذا كانت قلعة لحماية المذهب المالكي ونشره على اوسع مدى ، والامر كذلك فيما يتعلق بالعقيدة الاشعرية ، واختيارهم لرواية ورش في تلاوة القرآن ، ولرواية ابن سعادة في صحيح البخاري ، وابتكارهم للعمل الفاسي وتشبثهم بالارقام العربية ، وبترتيبهم الالفبائي ، والابجدي . . .

وقد كان للملابس الجامعية البيضاء التي تعود العلماء على ارتدائها قصة وطنية رائعة ، فيها تعبير عن امجاد الاسلام ايام صولته ، ولذلك نجد التقاليد المغربية تتمسك باللون الابيض في افراحها ومناسباتها القومية والدينية مقتدية في ذلك بالظهير الذي أصدره السلطان ابو يوسف يعقوب أواسط القرن السابع ، عندما كان يتهيأ لاستقبال سفارة من أوربا في أعقاب نصر حققه الجيش المغربي هناك .

وقد تحدث بجدوى القرويين على الاستشراق معظم الاجانب الذين كتبوا عنها : استفاد منها جيربير سيلفستر الثاني الذي نال لقب البابا والذي أدخل الارقام العربية الى أوربا ، واخذ عنها كلينار الذي ورد من جامعة لوفان ، وكوليوس من جامعة ليدن ، وتصدر ابناؤها لتدريس العربية في جامعات أوربا القديمة .

وقد ساعد التنافس فيما بين علمائها على خلق حركة فكرية كان لها جدوى على سوق العلم بفاس ، بل وسائر جهات المغرب والمشرق بما الهبته من حماس واذكته من مشاعر . . . ونشير الى النقاش الحاد الذي احتدم بين قاضي تلمسان وقاضي فاس . . . وبين السفير ابن مرزوق وبعض علماء تونس . . . وبين الاسحاقي ورجال الازهر . . . وبين الامام الونشريشي والقاضي الورياكلي ، وبين الحميدي والزموري . .

ولم يقتصر فضل القرويين على اولئك العلماء الاعلام ممن درجوا بين اساطينها ولازموا حصرها واعتلوا كراسيها ولكنه تعداه الى الفضليات من نساء فاس اللائي كن يقصدن الاروقة الخاصة بهن في الجامع ، تلك الاروقة التي تشرف على الكرسيين العلمين الهامين : الاول يقع تحت الخلوة التي تحمل في التاريخ القديم اسم الاسبوع الاعلى وتقع في الركن الجنوبي الغربي مشرفة على الصف الاول . والكرسي الثاني يقع تحت المستودع الذي توجد فيه خزانة بني مرين والذي يحمل كذلك اسم (مستودع ابن عباد) فكانت العرائس في خدورهن على بينة من امور دينهن ودنياهن لانهن تلقين في دور الفقيهات ما تلقته هؤلاء بدورهن عن شيوخهن ...

وعلى القرويين كان المغرب يعتمد في تكوين مختلف الاطر وخاصة منها الاطر الثقافية والقضائية فمنها تخرج كبار الكتاب ورجال القانون ممن زاولوا مهنتهم سواء بمدينة فاس نفسها او في مدن اخرى من المغرب ، وافريقية والاندلس ..

وقد ارتبط تاريخ المغرب الدولي والدبلوماسي بتاريخ هذه الجامعة ، فلا تكاد توجد حركة فاصلة في ماضي المغرب دون ان تجد للعلماء فيها اليد الطولى فان تطوع المجاهدين للغزو بالاندلس الى جانب عبد الرحمن الناصر كان بعد فتوى من قاضي فاس للامير ابي العباس أحمد ابن ابراهيم ابن محمد بن ادريس .. وان استجابة المرابطين لنجدة المعتمد بن عباد لم تكن الا بعد استشارة الشيخ ابن الملجوم احد رجالات القرويين ... وان اول سفارة من المغرب الى بغداد كانت بمشاركة عالم كبير تحتضن فاس رفاته تحت قبة شاخصة الى اليوم على مقربة منا هو العالم الواصل الامام سيدي أبو بكر بن العربي الذي يرقد غير بعيد عن احد سفرائنا اللامعين والعلماء ايضا هو الاديب المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب (الملقب بذي العمرين لانه كان يقضي يومه في اشغال الوظيف ويصرف جانبا من ليله في اعمال التاليف) عدد كبير منهم راح في اغراض السفارة وعادوا تاركين ذكرا طيبا جميلا كان الفضل فيه لهذه المدرسة التي لقنتهم طريق السلوك وأساس المعاملة واصلاح ذات البين الذي هو المفهوم البارز للسفارة .

ولا ادع السفارة بين قومي
ولا امشي بشر ما مشيت

وما دمنا في دور القرويين على الصعيد السياسي فلنذكر ان الفضل في تجديد اختراع (الشفرة) على العهد السعدي يرجع لاحد رجالات القرويين هو الفقيه سيدي عبد الواحد عنون الذي عهد اليه المنصور السعدي بمهمة لدى اليزابيت الاولى ملكة بريطانيا تتلخص في ابلاغ انجلترا عزم المغرب على مداهمة الممتلكات البرتغالية في الهند ، كان على السفير عنون ان يبتكر شفرة ومفتاحا لتسجيل مذكراته ونتائج مهمته امعانا في الاحتياط حتى اذا وقع في قبضة القراصنة الاوروبيين لم يقفوا على اسرار المهمة الدقيقة .

ومما يذكر من صراحة سفرائنا من العلماء ما يرويه لسان الدين ابن الخطيب :

حضرت يوما بين يدي السلطان ابي عثمان في بعض وفاد اتى عليه وجرى ذكر بعض خصومه فقلت ما اعتقد في اطراء ذلك الخصم وما عرفته عنه ، فانكر على بعض الحاضرين ممن لا تهمه مصارحة السلطان فصرفت وجهي عنه وقلت للسلطان : ايدكم الله ، تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء بل غير ذلك احق واولى ، فاذا كان السلطان قد غلب عدوه كان قد غلب غير حقير وهو اولى بفخره وجلالة قدره ، وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون اشد للحسرة واكد للفضيحة » فاستحسن السلطان ذلك وشكره عليه وخجل المعترض ...

وقد كانت القرويين المزارة الاولى التي جعلها رواد الامبراطورية المغربية في صدر ما يقومون به من مهمات عندما يصلون الى هذه البلاد ، وهكذا تيمنت بتحياتها ، فيما يتأكد ، سفارة صلاح الدين الايوبي الى المنصور الموحدي عندما وردت تطلب النجدة العسكرية من اجل انقاذ فلسطين (والتاريخ يعيد نفسه) وهكذا ايضا تردد عليها سفراء الاندلس وتونس وعقدوا لهم بها مجالس علم رفعت من سمعتهم وزادت في حظوظ نجاحهم ..

وقد كان هناك جسر آهل بين علماء فاس وعلماء المشرق يتبادلون المشورة فيما بينهم حول اهم ما جد في البلاد ، وهكذا ظلت بلاد حوض البحر المتوسط وخاصة منها تونس والاسكندرية نقاط لقاء لرجالها مع مختلف العلماء هنا وهناك ، ولذلك نجد لعلماء فاس ذكرا على كل لسان ، ونجد لمذهبهم الفقهي المالكي

ظهورا قويا فى تلك الجهات بما فيها الاسكندرية بالرغم من ان مذهب الدولة هناك كان غير ذلك . .

وكل الشخصيات المغربية التي لمع اسمهـا بالخارج كانت تنتسب الى هذه القرويين من امثال ابن بطوطة وابن خلدون وابن الوزان ممن اصبحت لهـم سمعـة عالميـة .

اننا عندما نحاول ان نستعرض امامنا اسمـاء اولئك الرجال ومذاهبهم ومداركهم فاننا سنجد انفسنا امام معجم ضخم لعدد عديد من العلماء ... ولعدد من الاراء والنظريات حول شتى الموضوعات ، ولعل من الطريف ان نشير هنا ــ على سبيل المثال ــ لنظرية احد خطباء القرويين : الامام المفتي العبدوسي ، من اهل القرن التاسع حول تحديد النسل ... لقد كان يدعو المتزوجين لذلك ، ولكن ليس على اساس التفكير العالم البريطاني مالثوس Malthus الذي كـان متأثرا بالناحية الاقتصادية فى دعوته للتحديد ، وانما كانت نظرية العبدوسي متأثرة بالناحية الخلقية ، فقد ادرك ان الناشئة على عهده تسير نحو الزيغ والتمرد والالحاد وان المربين لم يعد فى مستطاعهم ان يسيطروا على تربية ابنائهم ، وهكذا وقبل ثلاثة قرون من النظرية المالثوسية المادية البحتة نسمع عن النظرية العبدوسية التي تسموا عن ذلك لتهتم بالناحية الروحية الصرفة .

ان مس تاريخ القرويين يعني تناول تاريخ جهات المغرب كليا بما فيها المدن والقرى والسهول والجبال، ويعني تناول جوانب تاريخ المغرب كلهـا بما فيهـا التاريخ الاقليمي والتاريخ الدولي ، وان تناولها يعني اثارة كل دفائن الماضي بما فيها النواحي السياسيـة والاجتماعية وبما فيها الحياة الفكرية والمذاهب الاسلامية ، ويعني الاستعداد لرحلة طويلة مع التاريخ الى جهات بعيدة جدا عن الساحة المغربيـة : الـى الحرمين الشريفين ، الى بيت المقدس ، الى بغـداد والشام والقاهرة ، والى اسطامبول ومجاهل افريقيا ، وكان يعني الاطلاع على بعض التقارير السياسية التي كان يرفعها الدبلوماسيون الاجانب من القرويين التي كانت تتحطم عليها مخططات الاستعمار ومناوراته فى القديم والحديث ...

تلك هي حقيقة القرويين فى صفاتها الجوهرية : ارتباط بتعاليم السماء ، وتشبث بالارض المغربية ، التزام مستمر بالقيم الخلقية ، ومناهضة شرسة لكل مظاهر التفسخ والانحلال والانهزام وتعلـق مطلـق بالمقدسات التي وجدنا فيها ، عبر القرون والاجيال ، ضمان استقرارنا واستمرارنا واسرار التحامنا .

تلك هي حقيقة القرويين بما تحكيه من تاريخ صادق شائق فائق لمواقف البطولة والغيرة على حوزة البلاد وعزة الاسلام ولغة القرآن .

تلك هي القرويين بما تتوفر عليه من آثار حضارة عريقة ، فعلت وانفعلت واثرت وتأثرت ، تلـك هـي القرويين بما مر بها من اجيال اسهموا بعطائهم وعلمهم وعملهم ، بتفكيرهم وجهدهم على مر الاعوام فى اعطاء الشخصية المغربية طابعا وروحا وملامح وملامس .

تلك هي القرويين التي شدتنا بالمشرق دينـا وثقافة ، وحررت لساننا من عقاله وعمقت من احساسنا ووجداننا ... ظلت وتظل ، وسوف تظـل الهويـة الاصيلة الاثيلة للمملكة المغربية فيها وعليها اعتمـد المغرب طيلة ايام عزتـه ومنهـا وبها وجـد المغـرب الخلاص فى ايام محنته ، فالمغرب بدون قرويـين مغرب بدون هوية ، والكيان المغربي ما لـم يقم على سدى هذه القرويين يبقى كيانا غير ذي هوية ، وبالتالي كيانا مهزوزا مهددا بالتشرد والضياع .

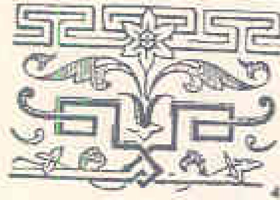
ولم يكن غريبا على المهتمين بالتاريخ المغربـي الحديث ان يسجلوا ان اول سوء تفاهم وقع بين القصر الملكي وبين الاقامة العامة كان بسبب هذه القرويين ، وان الملك محمد الخامس رحمه الله كان يرى فيهـا الضمان الوحيد للخروج بالمغرب من كبوته لان الحفاظ عليها كان يعني فى نظره الابقاء على الهوية المغربية بكل ما تعنيه من اصالة وآثالة ، وان الطرف الآخـر على العكس من ذلك يرى فى بقائها عرقلة تحول دون اذابة تلك الهوية والاجهاز عليها وتعويضها بأخرى لا تمت الى تقاليدنا ولا ماضينا بصلة ... ومن هنا كانت بدايـة تصعيد الازمة التي تفجرت بكشف « العراقيل » التي كان المستعمر يضعها امام العاهل العظيـم ، ذلـك الكشف الذي أعقبه مباشرة نفيه الى مجاهل الدنيا . وتمسكا منه وتعلقا بالقرويين فانه صعد على منبرهـا بعد عودته الظافرة للوطن ليعلن ظهر الجمعة 4 حجـة 1375 (13 يوليه 1956) عن عزمه على تحقيق ما حال « العهد البائد » دونه لهذه القرويين ، وتكريما لهـا وتعبيرا منه عما يكنه من اجلال واكبار قام بتخليـد ذكراها المائة بعد الالف حيث نزل راجلا الى المدينة العتيقة صباح الاثنين عاشر اكتوبر 1960 بصحبـة رؤساء الجامعات العالمية فى القارات الخمس واعضاء

السلك الدبلوماسي هناك حيث توجه بالخطاب « ليركز على شخصية القرويين الفذة ، وليعلن عزمه على ان يجعل منها جامعة مجهزة بكل المقومات التي تمكنها من مسايرة واقع العالم الحديث لتواصل اداء رسالتها . . »

وان القلوب اليوم لتهفو فرحا وارتياحا للاهتمام المستمر والعناية المتواصلة التي يوليها جلالة الملك الحسن الثاني من اجل بعث هذه القرويين ، والقرويينات الاخرى التي تفرعت عنها في سائر جهات المملكة ، جنوبها وشمالها ، شرقها وغربها ، واذا كان لنا ما نرجوه ، فهو ان يبارك الله تلك الخطوات الرائدة الهادفة فهو أن ندرك نحن قيمة هذه القرويينات فنعمل شبابا وشيوخا سيدات وسادة ، وبشتى الوسائل وفي كل صعيد ، على تغذية روافدها بأبنائنا وبناتنا في المدينة والقرية اذا كنا نرغب حقيقة في التشبث بشخصيتنا والتعلق بمقدساتنا والاحتفاظ بهويتنا .

واذا عظم البلاد بنوها
أنزلتهم منازل الاجلال

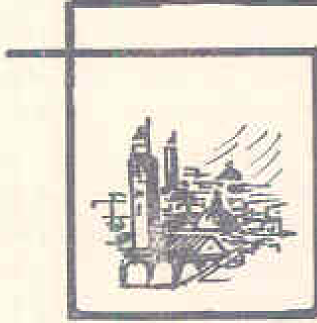
الرباط : عبد الهادي التازي



على هامش تاسيس مدينة فاس

نشأة المدن

أسبابها وبواعثها



للأستاذ عبد العلي الوزاني

— 2 —

وناخذ من تاريخ العرب قبل الاسلام قصة تدلنا على كون بعض الافراد المتازين بالقوة والكفاءة وشدة العصبية ، كانوا يفرضون ملكيتهم الخاصة فى مجتمع لا يقرها ، وانما يعارضها بواسطة بعض ابنائه الذين يملكون قدرا كبيرا من الشجاعة ، يكون كفاء لشجاعة صاحب الملكية المفروضة .

يقول المؤرخون فى تعليل حرب البسوس : ان وائل بن ربيعة قائد قبائل معد ، كان قد خاض حربا ضد بعض قبائل اليمن ، فهزمها ، فنادت به قبائل معد ملكا عليها ، فداخله زهو شديد ، وبغى على قومه ، حتى بلغ به بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، وكان له كلب صغير يقذف به فى المراعي فيعوي فلا يدخلها احد الا باذنه . وكانت جليلة امراته لها عشرة اخوة منهم جساس . فنزلت عليه يوما خالة له اسمها البسوس ، ولها ناقة اسمها سراب ، فرعت مع ابل جساس ، وكانت ابله وابل وائل مختلطة لما بينهما من المصاهرة ، فابصرها وائل فانكرها فرماها بسهم فقتلها ، فنهض جساس يطلب دم وائل فقتله ، فكانت حرب البسوس بين القبيلتين (1) .

لاحظ اولا ان مما اخذ على وائل كونه كان لا يسمح ان يرعى حماه ، وانه كانت له مراع لا يدخلها احد الا باذنه . اذ الاصل فى هذه المراعي ان تكون عامة تستفيد منها القبيلة كلها ، ولكنه جعلها موقوفة عليه ، وامر الا يدخلها احد الا باذنه ، مع انها كانت تدخل بدون اذن . ثم لاحظ ثانيا ان جساسا كان هو الفتى المعبر عن معارضة الجماعة لملكية وائل المحمية بالقوة . وما كان مقتل الناقة الا الشرارة التي فجرت نار غيرته من وائل وحنقه عليه ، بسبب استئثاره بارض تعتبرها القبيلة الكبرى من اراضيها العامة ، . واذا كان قوم وائل قد وقفوا الى جانبه فى هذه الحرب، فليس ذلك تأييدا له فى أن تكون له ملكية خاصة ، وانما جريا مع ما استقر فى نفوس الجاهليين ، من ان الواجب القبلي يفرض نصرة الاخ ظالما أو مظلوما .

ولست اريد ان اتخذ من هذا المثال صورة مطابقة لما كان يجري فى جميع المجتمعات البدائية فى هذا الصدد ، الا اني ارى فيه ملامح من احوال تلك المجتمعات التي يحكمها من قوانين التاريخ الاجتماعي مثل ما كان يحكم المجتمع العربي البدائي قبل الاسلام وقد تبين لي خلال تتبعي لظاهرة التملك عند العرب قبل الاسلام ، ان ملكية الارض كانت انواعا ثلاثة عندهم : ملكية فردية يقرها المجتمع ، ويراها امرا طبيعيا لا اعتراض عليه ؛ ولا سيما املاك ذوي السلطان ، وكانت توجد فى المدن العربية القديمة فى شمال شبه

(1) عن بطرس البستاني بتصرف .

الجزيرة وجنوبها ، وعلى وجه التحديد ، في الحيرة وغسان ومدن اليمن . وذلك لان مجتمع المدينة يتقبل الملكية الفردية بحكم طبيعته ، اذ انه ذو انظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية راقية بالنسبة الى مجتمع البوادي في ذلك التاريخ . وفي ظل النظام والقانون تبرز حقوق الفرد وتصادف الضمانة الكافية ، وفي طليعتها حقه في التملك . هذا علاوة على كون النشاط التجاري يتركز في المدن ، وتتكون بسببه ثروات طائلة لدى بعض الافراد ، وهؤلاء لا بد ان يبحثوا عن مجالات لانفاق ثرواتهم ، او استغلالها واستثمارها ، ولذلك يتجه اهتمامهم الى الماشية ــ ثروة العربي التقليدية ــ والى الارض . ولا شك ان سكان تلك المدن تملكوا الدور التي يسكنونها قبل تملكهم لاراضي الرعي والزراعة ، اقتناعا بان ملكية الارض بدات صغيرة ، ثم تحولت بمرور الزمن الى ملكيات كبيرة مارة بعدة اطوار ومراحل . والقصص العربي القديم يحدثنا عن بعض ما كان يجري في قصور الحيرة وغسان ، وكذا عن ممالك اليمن ، مما كان يعد صورة لازدهار التملك الذي كان معروفا في تلك المجتمعات المتحضرة .

واما الملكية الثانية ، فكانت هي ملكية القبائل او الملكية العامة ، وهذه كانت نوعين : ملكية قارة ثابتة ، واخرى موقتة ، الاولى كانت توجد في المجتمعات التي هي بين البداوة والحضارة ، مثل مجتمع مكة ومجتمع يثرب ومجتمع الطائف . فقريش كانت تبسط سلطانها على مجتمع مكة ، معتمدة على كثرتها العددية ، وعلى اقتصادها الضخم ، وعلى سلطتها الروحية والادبية المعترف بها بين قبائل العرب . والاوس والخزرج وبعض قبائل اليهود كانت تبسط سلطانها على مجتمع يثرب ، معتمدة على كفاءتها القتالية مقرونة بالكفاءة الاقتصادية . وكذلك الامر بالنسبة الى ثقيف في الطائف . ولا شك ان المجتمع العربي كان يومها ينظر الى هذه الملكيات بقلق كبير ، ويتحفز للانقضاض عليها وازالتها وردها الى اصلها القديم ، ولكنه لم يلبث ان عاملها بما يشبه الاعتراف ، بعد مرور ازمنة طويلة ، سيما وانه مجتمع يعطي لمرور الزمن اهمية كبيرة ، وينظر الى الظواهر القديمة نظرة فيها غير قليل من المهابة والاحترام . وكلما اوغلت في القدم ، كلما ازداد لها مهابة واحتراما . ولذلك كانت المجتمعات التي من هذا النوع ، تعطي معنى خاصا لتقدم السن ، والاجداد الذين ماتوا من عشرات السنين او مئاتها ، وينسج خيالها الشعبي كثيرا من الخرافات والاساطير حول الاحداث القديمة وابطالها القدماء . بينما كانت هناك ملكيات عامة موقتة . وهذه لا نسميها ملكيات الا من باب التجوز ، اذ الملكية في العرف الاجتماعي وفي المفهوم القانوني هي التي يكون الاستقرار ابرز خصائصها . ولكني سميتها ملكيات ، لكونها تتيح لاصحابها ان يتصرفوا ولو فترة محدودة من الزمن . والاولى ان تسمى « ملكيات تجريبية » بمعنى انها محاولة للتملك ، تجرب بها بعض القبائل حظها في الاستقرار داخل بقعة من الارض ، ولكن ما ان تاخذ في شيء من هذا الاستقرار ، حتى يزعجها عنه اما جفاف في الارض ، ونضوب في الماء ، واما عدو غاز ينثرها في رمال الصحراء ، فلا تياس ، وانما تعاود تجربة التملك في موقع آخر ، وهكذا دواليك . ومن خلال هذا نفهم ان ملكية الارض عندهم كانت كثيرة الاضطراب متارجحة بين النظام والفوضى ، اقرب الى الفوضى منها الى النظام . ولو تأملنا في الاسباب العميقة لهذا الاضطراب ، لوجدنا العلة الاساسية في ذلك ، كون المجتمع القبلي البدوي كان لا يهضم فكرة الملكية ــ والمقصود ملكية الارض ــ وينظر اليها على انها خروج عن العادات الجارية والاعراف المتوارثة ، على تفاوت في ذلك شدة ولينا ، تبعا لحظ كل جماعة او قبيلة من الحضارة ، فكلما كانت القبيلة اقرب الى البداوة كانت اشد انكارا للملكية الفردية ، وكلما كانت اقرب الى الحضارة ، كانت اقرب الى تقبلها . وبين البداوة والحضارة حلقات اخرى تسهم بشيء من الاعتدال في هذا المضمار (1) .

ان هذه الظواهر التي كانت من ابرز معالم المجتمع العربي قبل الاسلام ، تصلح لان تكون صورة مصغرة لظواهر مماثلة في مجتمعات قديمة اخرى ، مع وجود شيء من الفوارق التي يقتضيها اختلاف المواقع الجغرافية والطوابع الحضارية والخصائص السلالية . اذ ان قانون التاريخ والاجتماع يوحد الشعوب في الخطوط العامة الرئيسية ، ولكنه يترك كل شعب حرا في ان يبحث عن شخصيته الخاصة .

(1) ينكر لويس ممفورد ان تكون الملكية الفردية موجودة في المجتمعات البدائية ((المدينة على مر العصور))
ص : 192

واذا كنت قد رددت نشأة المدن الى البواعث السياسية والاقتصادية والاجتماعية (2) فليس معنى هذا انها العوامل الوحيدة فى نشأة المدن ، وانما معناه انها العوامل الرئيسية ، وتوجد الى جانبها عوامل اخرى لا تقل عنها خطورة . وفى طليعتها العامل الثقافي . والثقافة تنصرف عند اطلاقها الى هذه المعلومات الشفوية او المدونة التي تنتقل من فرد الى فرد ومن طبقة الى طبقة ومن جيل الى جيل بواسطة التعليم ، وانما تنصرف الى معناها الواسع الشامل لكل تجربة عقلية او ذوقية او وجدانية ، سواء كانت فى شكل علوم ومعارف ، أو فى شكل انظمة ادارية أو اجتماعية ، او فى شكل مهارات تقنية ، او فى اشكال اخرى من هذا القبيل . فالثقافة كانت جزءا من حياة الشعوب العقلية والاجتماعية ، قبل ان تكون المدرسة او الكلية او غيرهما من مراكز التعليم . ولم ينتظر الناس قديما نشأة هذه المراكز ليتعلموا ، وما كان فضولهم العقلي وتطلعهم الى اكتشاف المجهول ليمهلهم الى ان ينشئوا مراكز لنقل الخبرات العقلية ، بواسطة ذوي الاختصاص من افراد الهيئة الاجتماعية ، بل ما كانت حياتهم المادية والمعنوية لتتخذ شكلها الوجودي لولا دخول عنصر الثقافة فى تكوينهم العام ، باعتبارهم يمثلون حلقة فى التاريخ الانساني ذي الحلقات المتعددة ، بحيث تفرض عليهم طبيعة وجودهم ان ياخذوا عن الاولين ويردوا ما اخذوه على المتاخرين ، ويكونوا احد الجسور التي تمر بها الخبرات البشرية خلال تحركها بين اجيال الشعوب واطوار المجتمعات .

والذي يهمنا اثباته هاهنا قبل غيره ، هو ان تطور الثقافة بمعناها العام الشامل ، كان من بواعث نشأة المدن عبر مراحل التاريخ . فكيف كان ذلك ؟ لا شك ان نوع الثقافة الذي اثر تطوره فى نشأة المدن ، هو ذلك المتصل بالتجارب الحسية للانسان ، والمستوحى من احتكاكه بمشاكل حياته اليومية ، فى وقت كانت فيه الرياضات الذهنية الخالصة مما لا يدخل ضمن تجاربه العقلية . ولذلك كانت أقدم العلوم التي عرفها الانسان هي العلوم العملية ، كالهندسة أو قياس المساحات والطب والتنجيم واستحضار العقاقير والبيطرة وما اليها . وقد كان طريق التجربة والخطأ هو سبيل الانسان الى هذه العلوم ، اذ هدته اليها ضروراته الحسية ونمو خبرته العملية على مر السنين . والاولى ان نقول عن هذه العلوم انها كانت فنونا فى ابان نشأتها الاولى قبل ان تتحول الى علوم ، او قل كانت اقرب الى الفن منها الى العلم . ذلك أنها لم تكن حينئذ مؤسسة على مجموعة من القواعد والتقنينات القارة الثابتة ، وانما كانت فى سبيلها الى البحث عن هذه القواعد والتقنينات ، يتغلب فيها الجانب العملي على الجانب النظري ، ولم تتحول الى علوم حقيقية الا بعد مرور زمن طويل على ممارستها وتراكم خبرات الانسان فيها ، مع اقتران ذلك بنمو الجانب العقلي فى الانسان ، بحيث صارت عنده القدرة على دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية لاستخلاص بعض القوانين التي تتحكم فى سيرها . واقرب تلك العلوم او الفنون الى التاثير فى نشأة المدن الهندسة والحساب وقياس التربة والجغرافيا الطبيعية والبشرية وما يتصل بها من صناعات كثيرة . وكلها ضروري لتقدير المساحات ، وقياس العرض والطول ، والارتفاع والانخفاض ، والتوازن والتقابل ، ومد شبكة الطرق ، واختيار الموقع الجغرافي الصالح ، من حيث التربة والمناخ ، والقرب او البعد من شاطىء البحر او بعض الانهار ، وحساب المسافات التي تفصل المدينة عن النواحي والمراكز الحضرية القريبة او البعيدة ، لما لذلك من اهمية بالنسبة الى حاجياتها وسياستها الخارجية . وقد كانت تلك العلوم مزدهرة ازدهارا كبيرا عند قدماء الصينيين والمصريين وسكان بلاد الرافدين ، مما ساعدهم على بناء مدنهم وتخطيطها واقامة هياكلها على نحو رائع ، بعد ان مرت بمرحلتها البدائية المعتمدة على اساس التجربة والخطا . الا أن طور التجربة والخطا ظل معاصرا لطور تقدم هذه العلوم الى العصور الوسطى . فبينما كانت بعض الشعوب قد مرت بطور التجربة والخطا وبعدت عنه بزمن طويل ، كانت هناك شعوب اخرى ما زالت تتخبط فيه . ونذكر ما يقال — مثلا — من أن المولى ادريس الثاني حاول بناء مدينته مرتين قبل الاهتداء الى موقعها الحالي . كانت له تجربة خاطئة بجبل زالغ ، حيث شرع فى بناء مدينته فيه ، ولكن ما ان بنى بعض الدور وثلث السور حتى تدفق السيل ذات ليلة من اعلى الجبل ، فجرف الدور وما بنى من السور ، واكتسح الخيام وأدوات البناء وقذف بها فى سبو . ثم كانت له تجربة خاطئة ثانية . ذلك انه حاول بناء المدينة مرة اخرى ازاء نهر سبو وبالقرب من حمة خولان ، مراعيا فى ذلك القرب من الماء ومن الحمة الدافئة ، وفعلا شرع فى حفر الاساس لرفع البناء ، ولكنه عاد فنقض ما بناه ،

(2) لويس ممفورد له آراء اخرى فى شرح هذه العوامل وكذا العامل الثقافي (المدينة على مر العصور) .

متوجسا خيفة من نهر سبو نظرا لما يهدد به من سيول في فصل الشتاء . ولو كان مساعدو مؤسس مدينة فاس على شيء من معرفة بعض العلوم الضرورية لتأسيس المدن لما تكررت تلك الاخطاء . ولم تكن هذه العلوم مجهولة في ذلك العصر ، ولا في عصور بعيدة سبقته ، ولكنه تفاوت الشعوب والمجتمعات في حظوظها من الوان الثقافة . على ان هناك بعض المجتمعات التي لم تكن تشعر باكتفاء ذاتي من الوجهة الثقافية والتقنية يمكنها من انشاء مدنها بنفسها من غير مساعدة تتلقاها من الغير . وهنا نرى الخبرة العلمية تهاجر من بلد الى بلد ، وتستعار من قطر لصالح قطر آخر ، الامر الذي يدل على أن تبادل الخبرات الحضارية والثقافية ضروري لازدهار حضارة الانسان وتقدمها ، وعلى ان انشاء بعض المدن في بعض الجهات من العالم لا يكون دائما دليلا على تقدم العلوم العملية المعمارية فيها ، وعلى أن قيام مدن اخرى انما كان ثمرة تعاون بين عدة اجناس وحضارات . فانشاء مدينة كبيرة كبغداد مثلا في العصور الوسطى ، لم يكن الا بتعاون العرب والعجم ، والمسلمين وغير المسلمين سواء من اقليم المدينة او من الاقطار والامصار النائية عنها . مع الاستفادة الكبيرة من الرصيد الفارسي الضخم في المهارات التقنية ، ومن منجزات الحضارة الفارسية الكثيرة المتنوعة . وقل مثل ذلك في جل المدن الاسلامية التي نهضت في المشرق والمغرب الاسلاميين وكذا في الغرب الاسلامي ببلاد اسبانيا . فكلها اعتمد على مهارات محلية وخارجية ، بحيث امتزجت فيه الاذواق والطوابع ، وتزاوجت فيه الخبرات العلمية ذات الطابع الاصيل بأخرى مجلوبة من الخارج .

ولكن الثقافة التقنية المستعارة قد تتحول الى قابليات ذاتية اذا هي صادفت عند المستعير لها استعدادا حسنا لهضمها واستساغتها وتحويلها الى ملكات وامكانيات محلية . وكثيرا ما يكون مجتمع ما يتخبط في طور التجربة والخطا ، فاذا ما قبس من ثقافة شعب آخر ناضج علميا ، انتقل في اقرب الآجال الى طور التقعيد والتأصيل والتقنين . ان فن العمارة الاندلسي — مثلا — عبر البحر وهاجر الى المغرب ، فكان شيئا طارئا على المغاربة ، ولكنه لم يلبث ان اصبح لهم ذوقا ووجدانا وملكات عقلية وقابليات نفسية ، فاعادوا خلق ذلك الفن المعماري وتفننوا فيه . وان فن العمارة الفارسي قد فرض طابعه على المنشآت العربية في كثير من مدن الشرق الاسلامي ، ولكنه لم يلبث ان صار بالنسبة الى عرب المشرق مثل ما صار فن العمارة الاندلسي بالنسبة الى عرب المغرب والمغرب الاقصى بصفة خاصة .

وقد مرت عهود على البشرية لم تكن فيها تلك العلوم المتصلة بانشاء المدن مما يتعلم بعيدا عن ميدان التطبيق العملي . وانما كانت النظرية والتطبيق متلاحمين مختلطين ، لا سبيل الى استقلال احدهما عن الآخر . وبمقتضى ذلك لم يكن من سبيل الى تلقين تلك العلوم في صورتها القديمة ، الا عن طريق العمل التطبيقي ومن خلاله . وعليه فمن اراد تعلم هندسة المعمار فلا بد له من ممارسة عملية البناء ، ومن اراد تعلم فن مد القنوات ، فلا بد له من العمل في شق القنوات ، وقس على ذلك . ولهذا كان اصحاب العلوم المعمارية فنانين قبل كل شيء ، اساتذة كانوا او متعلمين ، يزاولون عملية الافادة والاستفادة على الطبيعة . فكان المثقف المعماري هو الفنان المعماري نفسه . وكانت العلوم المعمارية داخلة في صميم الفنون المعمارية ومتعايشة معها تعايش مداخلة واندماج . وقد نتجت عن ذلك اوضاع حضارية نجملها فيما يلي :

1) جمود الطوابع المعمارية على حالات معينة لا تتجاوزها الا نادرا ، وذلك لان النظرية مقيدة في حركتها بالتطبيق ، بحيث لا تتحرك الا بقدر ما يتحرك التطبيق ، ولا تستطيع تجاوزه قصد الابداع والابتكار، طالما بقيت مقيدة به ، لا تقوى على الانفصال عنه . وهذا هو السر في كونك تجد كثيرا من الوان حضارات قديمة استمرت عدة قرون ، متسمة بطابع واحد او يكاد يكون واحدا ، بحيث كان آخرها شبيها بأولها . والحق ان الحضارات لم تتمكن من التحرك بشيء من السرعة ، الا في الوقت الذي بدأت فيه النظرية تبتعد عن التطبيق ولو نسبيا ، وان لم تنقطع العلاقة بينهما منذ اقدم العصور والى اليوم . اذ اتيح للعلم ان يبتعد عن الفن ، وان يفترض فروضه القائمة على عنصري العقل والخيال ، قصد تصور انماط من صور الحضارة لم تكن موجودة في الواقع .

2) عند ما تنتقل نظريات العلوم المعمارية من بلد الى بلد آخر فانها لا تنتقل الا مع تطبيقاتها العملية، نظرا للاندماج القوي الذي بين الطرفين . فعوض ان تنتقل كتب النظريات العلمية — كما حصل بعد ذلك — ينتقل المعماريون انفسهم ، كما تنتقل الادوات والآلات والمواد الخام أو المواد المصنعة . لهذا كان تلاقح الحضارات ، والمعمارية منها بصفة خاصة ، تكتنفه

صعوبات كثيرة ، اذ ان بعد المسافات بين مواطن هذه الحضارات ، وبدائية وسائل النقل ، وما قد يكون بين الشعوب من صراع يصل الى حد اراقة الدماء احيانا كثيرة ، غالبا ما كان يحول دون سهولة انتقال الاشخاص والادوات والمواد . ومعلوم ان انتقال نظرية اسهل بكثير من انتقال شخص أو مادة خامة او مصنعة، ذلك ان طرق انتقال النظريات اوفر من طرق انتقال الاشخاص وايسر . وكم فنان او صانع او شاعر أو كاتب ، تعرض لنقمة بعض حكام بلده، لكونه نقل اطرافا من حضارة هذا البلد الى بلد آخر .

3) ان كثيرا من العلوم او الفنون المعمارية كانت تبقى مقصورة على طبقة محدودة،لا تتجاوزها الا نادرا، تتوارثها خلفا عن سلف ، ويأخذها المتاخر عن المتقدم، وتتسلسل فى أسرات معينة بطريقة شبه وراثية . ذلك انها انما تكون من نصيب من عنده استعداد لاخذها عن طريق الممارسة العلمية المباشرة ، اي الاحتراف المهني بلغة هذا العصر . وكثير من طبقات المجتمع فى اكثر من شعب ، كانت تربأ بنفسها أن تنزل الى مستوى العمل اليدوي ، أما لشعورها الطبقي الذي يدفعها الى احتقار الاعمال اليدوية ، واما لكونها تعيش فى عالم مثالي من التأملات والتصورات ، تستمرئه وتستغرق فيه ، مترفعة عن الواقع المحسوس ، او لغير ذلك من الاسباب . ولما بدأت النظرية تبتعد عن التطبيق كثر دارسو العلوم والفنون المعمارية ، وانجذب اليها من كان يترفع عليها من قبل، عند ما كانت جزءا من العمل اليدوي التطبيقي . فوجد من يمارس هذه العلوم نظريا ، ومن يمارسها عمليا . فكان العلماء الذين يؤلفون فى هذه العلوم ويلقون المحاضرات ، وكانت الطبقة العاملة التي تاخذ العلم فى قواعده الجاهزة ، فتحوله الى عمل تطبيقي . هذا مع الاعتراف بأن النظرية لم تنفصل عن التطبيق قط فى هذا المجال . والعلماء انفسهم لا يستطيعون البرهنة على صدق نظرياتهم الا عن طريق التجربة الحسية والاختبار العملي ، كما يحدث اليوم فى المعاهد التجريبية والمختبرات العلمية . كما ان الطبقة العاملة اضطرت الى التزود بالنظريات العلمية ودراستها ، قبل الشروع فى اخراجها الى حيز التطبيق .

4) بما ان التطبيق كان قد سبق النظرية ، فقد كان اقوى منها وانضج بعد ان وجدت وعاشت معه جنبا الى جنب . اذ لم تولد النظرية الا بعد ان كان التطبيق قد استوى على سوقه واكتمل له كثير من عناصر الجودة والاتقان . وقد يتساءل بعض الناس : اتقول ان التطبيق قد سبق النظرية ؟ واذن يكون تطبيقا لاي شيء ؟ أليس فى اساسه تطبيقا لنظرية ؟ والواقع ان اسئلة كهذه لا تخلو من مغالطة . اذ انني لا اقصد بالنظرية تلك الفكرة الاولية الساذجة التي كان يكونها الفنان الصانع عن العمل الذي يريد انجازه ، وانما اريد النظرية العلمية المقعدة ، التي هي امتن وأوسع واكثر ابعادا من الفكرة الساذجة . ولكن بعد أن وجدت النظرية ، واخذت تستقل او قل تبتعد شيئا فشيئا عن التطبيقات العملية ، متمثلة فى صورها شبه النهائية ، لم تلبث ان تفوقت على تلك التطبيقات ، وتجاوزتها الى وضع الاسس العلمية لتطبيقات أخرى تختلف عنها من وجوه عديدة . ونظرا لكون الفنون المعمارية الراجعة الى العصور الوسطى والقديمة كانت متفوقة على النظريات العلمية التي رافقتها ، فقد كانت دراستها — اي الفنون المعمارية — شاقة للغاية ، لان معرفة النظريات التي لابستها لا تفسرها التفسير الكافي . وسوف تكون مهمة عالم الآثار الذي ينتظر ان يظهر فى المستقبل سهلة نسبيا ، عند تصديه لدراسة الفن المعماري فى عصرنا هذا ، نظرا لكون العلوم الناضجة التي تقف من ورائه تشكل قاعدة عتيدة ، تبدد كثيرا من مشاق عمله .

بعد العامل الثقافي ، يجيء دور العامل التاريخي والجغرافي فى التأثير على نشأة المدن . وتوجد الخلفية التاريخية ، وراء جميع المدن التي عرفها تاريخ الانسان . اذ ان ظاهرة المدينة هي نفسها ظاهرة تاريخية فى اساسها . ولكي تفهم بعمق لا بد من ردها الى عوامل التاريخ ، سواء التاريخ القريب أو البعيد . ولم تكن لتشذ عنها شأنها فى ذلك شأن جميع الظواهر التاريخية . وخير ما نفعله فى هذا الصدد ، هو أن ناخذ بعض المدن التاريخية ، ونبحث عن عوامل التاريخ التي من وراء نشأتها ، كي تتضح لنا الامور وتتنزل منا منزلها الصحيح . لناخذ مدينة فاس مثلا ، ولنتساءل : ما هي البواعث التاريخية التي ترد اليها فى نشأتها ، وحينئذ سنجد انفسنا امام عدة بواعث . اهمها انفعال المغرب بالحضارة الاسلامية الشرقية ، عن طريق الوسطاء المهاجرين من هناك الى هنا ؛ وفى طليعتهم المولى ادريس الاول . فهذا الرجل لا شك انه كانت فى خياله مدن الشرق الاسلامي وهو يجوس خلال ربوع المغرب الاقصى . ولا شك فى انه كان شديد الشوق الى ان ينشىء هنا فى المغرب ما يضاهي به بعض ملوك الشرق . ومن ثم كان الجزء

الهام الذي يعود اليه الفضل في بنائه من مدينة فاس ، ولو تنفس به العمر لانشأ مدينة كبرى ، وربما انشأ مدنا اخرى تضاهيها ، جريا على عادة امراء البيت الهاشمي في الشرق العربي من حيث ولعهم بفن العمارة والبناء لينسوا الناس ما انشاه بنو امية من مآثر عمرانية خالدة . وبالرغم من ان المولى ادريس الثاني نشأ نشأة مغربية تكاد تكون خالصة ، فانه سار على نهج ابيه ، فاتم مشروع بناء مدينة فاس الزاهرة، نازعا منزع ابيه في العمارة والبناء . ومنها النجاح العظيم الذي صادفه المولى ادريس الاول في هذه البلاد ، الامر الذي جعله يفكر في اسس يركز عليها وجوده في المغرب . فكان اعلانه قيام الدولة هو الاساس الاول ، وكان بناؤه قسما هاما من مدينة فاس هو الاساس الثاني . فاعلانه قيام الدولة اعطى وجوده السياسي بالمغرب صفة الاشياء الثابتة ، اذ ادخل في روع المغاربة والمشارقة ان حضوره بالمغرب لم يكن مرورا عابرا ، وانما كان بقصد تغيير شخصية المغرب السياسية ، وتحويل نظره من مركز اشعاع خارجي الى مركز اشعاع داخلي ، واعطائه كيانه المستقل المتوفر على كثير من عناصر الاكتفاء الذاتي . ونفس الشيء يمكن ان نقوله عن انشائه لمدينة فاس . وما كان لشيء من ذلك ان يحصل ، لولا النجاح العظيم الذي حققه المولى ادريس هنا في المغرب .

وهناك عوامل تاريخية اخرى يطول الامر لو حاولنا استقصاءها . ولكن يمكن الالمام بشيء منها. فاذا كانت هناك العوامل التاريخية الخاصة بكل مدينة على حدة ، فلا شك في وجود عوامل تاريخية مشتركة بين عدد من المدن ، طالما كان التاريخ يعيد لفسه في امكنة وازمنة مختلفة ، ولو مع شيء من التنوع في طبيعة احداثه وملابساتها والصور التي تقع بها . ويدخل ضمن العوامل المشتركة الهجرات الجماعية التي عرفت في احقاب مختلفة من التاريخ ، نتيجة حروب كبيرة ، أو تصفيات عامة أو فتنة في الدين ، أو رغبة في مغامرة ، أو التماس لسبل العيش ، او نزوع الى الاستيطان والاستعمار ، أو ما الى ذلك من الاسباب . وحينما حلت الجماعات المهاجرة والقت عصا التسيار ، انشأت الحضارة . ابتداء من بناء المساكن ، الى زراعة الارض ، الى صناعة الالات ، الى بناء المدارس ، الى انشاء دور القضاء ، الى تكوين جهاز للحكم . فلا تمر عقود من السنين حتى تكون جميع مرافق المدينة تقريبا قد نهضت . هاجر الفينيقيون الى شواطىء المغرب فانشأوا مدينة قرطاجنة . وهاجر عرب شبه الجزيرة الى العراق وسوريا ومصر ، فانشأوا وطوروا مدنا اشهرها بغداد والبصرة والكوفة . وهاجرت جماعة منهم الى شمال افريقيا بعد الفتح وانشاءه فانشأت القيروان . وهاجر الاوروبيون من جنسيات مختلفة الى العالم الجديد ، اثناء العصور الحديثة فانشأوا النواة الاولى لاشهر المدن الامريكية . وهاجر الاسبان الى بعض أقطار امريكا اللاتينية فكانوا من وراء اشهر مدنها . وقل مثل ذلك في هجرة الفرنسيين الى الجزائر وتونس والمغرب، وفي هجرة الانجليز واجناس اخرى الى بعض بلدان افريقيا السوداء ، وفي هجرة اقوام آخرين لا يقعون تحت حصر ، الى بقاع مختلفة من انحاء العالم . كما يدخل ضمن العوامل التاريخية سقوط بلدان متقدمة في قبضة بعض الفاتحين الذين يقلون عنها شأنا في مضمار الحضارة ، اذ تضع بين ايديهم حضارتها ومهارتها في ميادين الانشاء والتعمير ، كما تهيء لهم من ادوات العمارة ما يشجعهم على بناء القصور وانشاء المدن . فهل كان لهارون الرشيد أن يبني مدينته الرائعة، لولا ما امدته به الاقطار الفارسية من أيدي ماهرة عاملة ، ومن صفائح الذهب ، والواح العاج ، وكرائم الجواهر واصناف الخشب وغيرها من روائع الحضارة الفارسية ! وهل كان لعرب الاندلس ان يتفننوا في بناء مدنهم الاندلسية الجميلة لولا استفادتهم من الامكانيات والفرص الحضارية الكثيرة التي وقعت بين ايديهم في بلاد اسبانيا ! وهنا يمكن للباحث ان يقارن بين الوجود الحضاري للعرب هنا في المغرب ، ووجودهم الحضاري هناك في اسبانيا ، او في الجزء المسمى بالاندلس ، كي يتضح له الدور الذي تلعبه الامكانيات الحضارية وتفاوتها بالنسبة الى الفاتح . لقد تم فتح العرب للاندلس عقب فتحهم للمغرب مباشرة ، وخيولهم ما زالت تتصبب عرقا ، وحول اشداقها زبد النضال . اي ان فتح البلدين كان في ظرف تاريخي واحد ، او قل ان فتح الاندلس انما كان امتدادا لفتح المغرب ، كما كان فتح شمال افريقيا امتدادا لفتح مصر . ومع ذلك فان الآثار الحضارية للفتح كانت شديدة التفاوت بين البلدين . اذ بينما كانت منشآت العرب العمرانية تنهض في اسبانيا يزحم بعضها بعضا ، ويبزه في الروعة والاتقان والافتنان ، كانت منشآتهم العمرانية التي عاصرتها او تخلفت عنها قليلا في المغرب تقل عنها شأنا وتبدو اقرب الى طابع البداوة ، حتى اضطر المغرب ان يكون تلميذا للحضارة الاسلامية الاندلسية ، يتأدب بادبها ، ويرنو الى قبابها ومآذنها وروائع زخارفها ، عله يقبس من بريقها الاخاذ . وذلك

راجع الى اختلاف البيئة المغربية عن البيئة الاسبانية، من حيث أن الاولى لم تضع بين أيدي العرب من الامكانيات والفرص الحضارية مثل ما استطاعت الثانية وضعه بين أيديهم ، وتحت اسماعهم وابصارهم ، منذ اللحظة الاولى التي وطئت فيها اقدامهم تلك الديار . وبالرغم من ان تدفق العرب المشارقة على اسبانيا بعد الفتح ، وتقاعسهم عن الهجرة الى المغرب الا قليلا ، يعتبر من العوامل المؤثرة في الاسراع بالحضارة الاندلسية الى النضج والاكتمال ، مع إبقاء الحضارة المغربية هزيلة شاحبة في نفس الوقت ، الا انه ليس وحده بمقنع ، ولا بد من رد الفضل الاكبر الى البيئة الحضارية الاسبانية الممتازة التي لم تكن البيئة الحضارية المغربية كفؤا لها حضاريا .

ومن العوامل التاريخية ان بعض المدن كانت مجرد امتداد لمدن قريبة منها سبقتها الى الوجود ، فاثرت في نشاتها ، وافادتها بخبرتها ومكتسباتها الحضارية . وذلك كسامرا بالنسبة الى بغداد ، وفاس الثانية المسماة بعدوة القرويين ، بالنسبة الى فاس الاولى المسماة بعدوة الاندلس ، قبل توحيد المدينتين. وتمتد المدن فتنشىء لها فروعا في حالة ما اذا ضاقت بسكانها ، او كانت شديدة التاثير فيمن يعيشون حولها وقرب ضواحيها ، بحيث تذكي فيهم روح الحضارة ، وتحملهم على تطوير امكانياتهم الحضارية ، او وقع شقاق كبير بين سكانها ، فاعتزلت طائفة منهم وانشات لها مدينة خاصة ، او كانت المدينة الام متباهية بشخصيتها ومظاهر امتيازها الحضاري ، فيدفع هذا التحدي قوما مجاورين لها الى مضاهاتها بمدينة اخرى. الا ان ذلك لا يعفي المدينة الثانية من الانفعال بحضارة الاولى ومحاكاتها . هذا ولقد كانت بعض المدن تطورا لمدن عتيقة سبقتها بزمن طويل . وغير خاف ان المدن تتطور باحدى طريقتين : اما ان تتطور في نفسها ، بمعنى ان معالمها وبناءاتها وطرقها تتجدد وتنالها يد التغيير ، بحيث ترى دورا تهدم ، ودورا تشاد ، وطرقا تلغى وطرقا تفتح ، وهندسة تزول ، واخرى تحل محلها . وقد حدث ذلك بالنسبة الى مدن شهيرة . واما ان تبقى على حالتها القديمة دون تغيير يذكر ، اللهم الا ما كان من بعض اللمسات الخفيفة . وفي الوقت نفسه تنشا الى جانبها مدينة حديثة بالنسبة الى الاولى ، او ربما كانت تجمع بين الطابع الحديث ، وشيء من خصائص الطابع القديم . ويصدق هذا على أكثر مدن البلاد العربية شرقا وغربا ، وعلى كثير من مدن الصين واليابان والهند وغيرها من مدن العالم .

اضف الى كل ما تقدم من العوامل التاريخية ان كل مدينة ناشئة تتاثر بالوان من الحضارات ، باعتبار ان الحضارة تتردد بين الوحدة والتعدد ، وان كل ظاهرة حضارية مدينة في وجودها لظواهر حضارية اخرى من موطنها او من مواطن خارجية ، اما بطريق مباشر او طريق غير مباشر . فاذا نحن توسعنا قليلا في ايضاح تاثير العوامل التاريخية في نشاة المدن ، امكننا القول بان ليس الماضي وحده هو الذي يؤثر فيها ، ولكن حتى المستقبل . باعتبار ان التاريخ لا يشمل الماضي وحده ، وانما يشمل الماضي والحاضر والمستقبل . ومعنى تاثر المدن في نشاتها بالمستقبل، ينصرف الى امرين : اولهما ان يراعي في تخطيطها وهيكل بنائها ومساحتها ومدى متانتها كونها لم تبن للحاضر فحسب ، ولكن حتى للمستقبل . وغالبا ما يكون هذا المستقبل بعيدا ، وحينئذ لا بد ان تكون من صلابة البنيان بحيث تقاوم الزمن ، وتثبت امام احداث الطبيعة . وبعض المدن المنشاة حديثا في المناطق التي ضربتها الزلازل روعي فيها ان تكون بناياتها منخفضة لا تتعدى طابقين او ثلاثة طوابق ، وأن تصمم تصميما يتلاءم واحتمالات المستقبل . وكذلك الامر بالنسبة الى بعض المنشآت السكنية وغيرها ، المقامة فوق أرض صلصالية يمكن أن تهوى تحت ثقل الحديد والحجارة الثقيلة . وثانيهما كونها ــ اي المدن ــ تتاثر عند انشائها بالصور الخيالية المستوحاة من احلام المستقبل . فالانسان قبل أن يتدخل لتشكيل الطبيعة او يتصدى لابتكار مظاهر الحضارة ، لا بد أن يستوحي تلك الصور المرتسمة في خياله عن تلك المظاهر كما يريدها أن تكون .

واذا كان من البديهيات عند المؤرخين اليوم ، ان الجغرافيا توجه التاريخ ، فان واجبنا في هذا المضمار، ان نبحث عن العوامل الجغرافية من حيث اثرها في نشاة المدن ، من خلال العوامل التاريخية المتحدث عنها منذ قليل . وسواء بعد ذلك أكانت هذه الجغرافيا طبيعية او بشرية ، فهي بقسميها هذين ، ذات اثر كبير في نشاة الحضارة وتطورها وتنوع اشكالها وطوابعها . فالمرابطون اختاروا موقع مدينة مراكش ، لكون طبيعته اقرب الى طبيعة الصحراء التي اقبلوا منها وهم قوم تعودوا على الطقس الجاف القريب الى الخشونة . فوقع اختيارهم على ذلك الموقع ، لانه يحقق لهم العيش في ظروف طبيعية ملائمة . ومكة كانت في شبه الجزيرة العربية محطة للقوافل التجارية المتوجهة من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى

الشمال . وكان الاجانب يعتمدون عليها بعد اضطراب الملاحة البحرية وتعرض التجارة عن طريق البحر لخطر جسيم ، الامر الذي ساعد مكة على ان تكون أهم مراكز الحجاز وابرز معالم حضارته . والادارسة اختاروا موقع مدينة فاس ، نظرا لكونه صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه ، ولتوفره على مؤهلات طبيعية رائعة . والفينيقيون اسسوا مدنهم على سواحل بعض البحار ، لكونهم كانوا امة بحرية عظيمة . فعن طريق الملاحة البحرية تعرفوا الى كافة الشعوب التي كانت لها صلة بهم . وقد تحولت جل المراكز التجارية المقامة على الساحل الفينيقي الى مدن مشهورة . وهذه مجرد امثلة بسيطة يمكن ان يقاس عليها غيرها .

وهنا تنبغي الاشارة الى ان تحكم الجغرافيا في التاريخ ، وتوجيهه هذه الوجهة او تلك ، كان أقوى في الماضي منه في الحاضر . فقبل ان يستطيع الانسان السيطرة على الطبيعة وتكييفها والتدخل في احداثها عن طريق العلم التجريبي ، كان للطبيعة سلطان كبير عليه، لا يملك ازاءها ان يفعل شيئا سوى الاستسلام في غالب الاحوال ، فاذا هو تحداها وقاوم عواملها اصابه من جراء ذلك مكروه عظيم . وهو يستطيع ـ وقد استطاع ذلك فعلا ـ ان يشتق من التحدي والاستجابة حضارة لا يستهان بها ، كما ذهب الى ذلك توينبي ؛ الا ان ذلك يكلفه تضحيات جسيمة ، ربما اقتضته حياة اجيال بكاملها . وكلما تقدم الانسان خطوة في السيطرة على الطبيعة كلما تناقصت خطوط الجغرافيا في توجيه تاريخه ، اذ اخذ يتعلم كيف يستغلها لصالحه، ويخلق من سيئاتها حسنات ، ويكيفها حسب رغبته وارادته . وما ان نصل الى العصر الحديث ، حتى نجد الانسان قد احرز على الطبيعة عدة انتصارات باهرة . فهو قد حول الصحراء الى جنات فيحاء ، واحال ماء البحر حلوا ، وانشأ المدن فوق قمم الجبال ، وجعل من ثلوجها العظيمة مهادا ممدودة لمهرة الرياضيين ، واسقط المطر الصناعي ، واباد الحشرات الضارة وجفف المستنقعات وصادر الحيوانات المفترسة في اقطار عديدة ، وانشأ المدن العائمة ، ونقل الدبابة والمصفحة والشاحنة والمدفع بواسطة الطائرة ، فضلا عن جحافل الجيوش ، وهيأ للانسان العربي المقيم في اقطار شديدة التخلف ، كثيرا من خصائص الحضارة المتهيئة لساكن أرقى المدن الاوروبية او الامريكية ، الى غير ذلك من الانتصارات المدهشة ، التي جعلت فرص الطبيعة للتحكم في حركات الانسان تتناقص بالنسبة لما كانت عليه من قبل . وبناء على ذلك لم تبق الجغرافيا توجه تاريخ الانسان بنفس القوة والفاعلية اللتين استاسدتا على الانسان في عهود مضت . هذا مع العلم بان الطبيعة لم تفقد كل سيطرتها على انسان العصر ، وبالتالي لم تفقد الجغرافيا كل قدرتها على توجيه تاريخ الانسان في الاعصر الحديثة . فطبيعة الصحراء كان لها اثر كبير في هزيمة الجيش المصري في صحراء سيناء بتلك السرعة المخيفة . وادغال فيتنام وغاباتها الكثيفة كان لها اثرها في صمود الفيتناميين امام خصومهم الاقوياء . والحدود الجغرافية القائمة بين الصين والاتحاد السوفياتي كان لها اثرها في النزاع بين البلدين الكبيرين . ووقوع جزيرة كوبا على مرمى من العالم الامريكي وضمنه ، ضيق عليها الخناق ، وحد من مفعولها الشيوعي . وصغر البقعة المعروفة بفورموزة بالنسبة الى أراضي الدولة الصينية العظيمة مما جعل جل دول العالم تعارض بقاء فورموزة عضوا في هيئة الامم المتحدة ، في الوقت الذي توجد فيه الصين الكبرى خارجها ؛ فطردت الاولى من المنتظم الدولي ، لتحتل الصين مقعدها .

ولا يفوتني ان انص على ان للباعث الديني اثره في نشأة المدن منذ العصر الحجري القديم . ولويس ممفورد له راي اجمله في كتابه ((المدينة على مر العصور)) وخلاصة رايه ان مواطن العبادة كانت تنعقد فيها تجمعات من حين لآخر ، لاقامة الطقوس الدينية . اذ علاوة على ما كان لها من مزايا طبيعية ، كانت لها قيم روحية تجذب الناس اليها . وتكرار مثل هذه التجمعات جعل من تلك المواطن مكان استقرار . وبمرور الزمن، ونشأة الوظائف الاولية للمجتمع المتحضر ، كالزراعة واستئناس الحيوان وصناعة بعض الادوات وتقسيم العمل ، وما الى ذلك ، تحولت هذه المواطن الى قرى، والقرى تحولت الى مدن بكل خصائصها ووظائفها . ويقول ممفورد في كتابه الانف الذكر ، ان مدينة الاموات سبقت مدينة الاحياء ، بمعنى انه في الوقت الذي كان الانسان ما زال لا يعرف حياة الاستقرار ، صيادا يجوب انحاء الارض ، بحثا عن الطعام ، كان الاموات يرقد بعضهم الى جانب بعض . وقد كانت زيارة قبور هؤلاء الموتى تتكرر ، اذ وجد فيها ذلك الانسان القديم ما يشده الى بقعة من الارض . وقد فات المؤلف ان يذكر ان زيارة هذه القبور كانت ضربا من العبادة ، اذ ان عبادة الموتى هي من اقدم الديانات التي عرفها التاريخ . ثم يشير لويس ممفورد الى ان حضارة قدماء المصريين لم يبق منها الا قبور

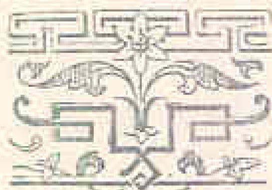
وهياكل للعبادة ، منتقلا الى العصر الحاضر ، ليذكر ان مدن الموتى هي اول ما يطالع الزائر لمدينة حديثة . اذ انه في الوقت الذي يزحف فيه سكان المدن الى الضواحي ، يكون الموتى قد سبقوهم اليها . وقد كان بودي ان يستقصي المؤلف اثر العامل الديني في نشأة المدينة ، الا انه اوجز الفكرة ايجازا شديدا . فلم ار بدا من التوسع في شرحها بقدر الامكان . واول ما اريد ايضاحه في هذا المضمار ، ان الصبغة المادية التي كان يصطبغ بها الدين يومئذ ، هي من ابرز ما اعطى العامل الديني قوة التأثير على نشأة المدن وقيام الحضارة بصفة عامة . ففكرة الله الميتافيزيقية لم تكن قد عرفت سبيلها بعد الى عقل الانسان . فكان معبوده قبرا او حجرا او حيوانا او نارا او ما الى ذلك . ومن ثم فقد ارتبطت عنده العقيدة الدينية بمظهرها المادي من طقوس وهياكل ومعابد ، بدأت بسيطة في اول الامر ، لا تزيد على حجر فوق حجر ، الى ان نهضت بناء عاليا مهيبا صامدا امام توالي الاحقاب والعصور . وبالرغم من ظهور الديانات الموحدة القائمة على الوهية ميتافيزيقية بعد ذلك بزمن طويل ، فقد بقي المظهر المادي ملازما لها . وربما كان اثرا من آثار الصبغة المادية الصرفة لاقدم الديانات التي عرفها تاريخ الانسان . ويظهر ان الجانب المادي للدين ، ضرورة حتمية بواسطتها يتأتى للانسان ان يعبر عن شعوره الديني . والا فلماذا كانت الصلاة في جميع الديانات ذات جانب مادي قوامه الحركات ؟ ولماذا كانت هذه الصلاة تقام غالبا في معابد خاصة ؟ ولماذا اقترن الدعاء الديني برفع الاكف ، او باتجاه الراس الى اعلى ، مع تحريك اللسان والشفتين ؟ الا انه كثيرا ما تكون الصلاة وكذلك الدعاء ، مجرد مناجاة باطنية للذات الالهية ، بالنسبة الى بعض الاشخاص ، سواء كانوا ممتازين في قواهم الروحية ، او كانوا متواضعين بسطاء ، لان التجربة الدينية الروحية ليست من اختصاص الممتازين وحدهم ، وانما هي مشتركة بين جميع الناس . ولا اود الاسترسال في شرح هذه القضية ، والا ابتعدت كثيرا عن الموضوع ، والحال ان ما اقصد اليه اساسا في هذا الصدد ، هو ان الصبغة المادية التي كانت طاغية على الدين ، من ابرز ما جعل مواطن العبادة من اهم الاسس التي قامت عليها مدن التاريخ القديمة . اذ ان بضعة احجار تحولت الى معبد صغير ، وهذا تحول الى هيكل ، وحول الهيكل قامت هياكل اخرى ، وهذه شدت اليها انظار جماعات كبيرة من الناس ، فكانت القرية البسيطة ، ثم كانت القرى المتجاورة ، واخيرا تحولت هذه الى مدينة ، ومن مجموعة المدن تكونت الممالك ، ثم الامبراطوريات .

وشيء آخر . وهو ان وجود مدينة متوقف على وجود مجتمع له روابطه والتزاماته ووظائفه . وهذه الامور لا تتكون في ظرف وجيز ، وانما يستغرق تكونها مئات السنين . وقد مر على الانسان زمن كانت فيه الرابطة الدينية تقوم عنده مقام الروابط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت لم تنشأ بعد . الامر الذي جعل بعض مواطن العبادة صالحة لان تكون النواة الاولى للمدينة . ولما نشأت تلك الروابط ، ظلت الرابطة الدينية تؤدي دورها الخطير في نهضة الحضارة وازدهارها . بل انها بقيت متفوقة عليها — اي الروابط — بعد وجودها واستقرارها . ومن ثم كانت الرابطة الدينية تبقى محتفظة بسلطانها ، في الوقت الذي يتعرض فيه الروابط الاخرى لاضطراب كبير . ويمكن ان تعد الاشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال عند العرب قبل الاسلام لاسباب دينية من مظاهر ذلك ، في الوقت الذي تحرف فيه احقادهم وحزازاتهم كثيرا من الروابط الاخرى . واذن فالدين ادى خدمة جليلة للمجتمع الانساني القديم ، اذ خلق بين افراد كل جماعة نوعا من الوحدة في العقيدة — والدين اجتماعي بطبيعته — وهذه نشأ عنها الشعور الجماعي ، والاستقرار في بقعة من الارض ، وبذلك تكونت اللبنة الاولى للمدينة . فما السر في تفوق الرابطة الدينية على بقية الروابط منذ ذلك الزمن السحيق ؟ ربما كان ذلك راجعا الى كون الروابط غير الدينية تتأثر كثيرا بشؤون المعاش التي هي مدار اختلاف الناس في كل زمان وكل مكان ، في الوقت الذي توجد فيه الرابطة الدينية بمنأى عن ذلك في غالب الاحوال . الامر الذي هيأ لها ان تكون من اهم الاسس التي قامت عليها حضارة الانسان في عصور متلاحقة ، من حيث ان الروابط الاخرى تعرضت لاهتزاز كبير عنيف عدة مرات ، فكانت الحروب والكوارث الانسانية التي شكلت معول هدم لحضارة الانسان . ولم تصبح الاختلافات الدينية مصدر شر مستطير للبشرية ، الا بعد ان غذاها الغرور القومي والنزعات الطائفية ، والاحقاد المتوارثة بين الشعوب ، وفساد الضمائر الدينية لدى بعض رجال الدين .

وشيء ثالث . وهو ان هذا العامل الديني لم يكن عاملا في نشأة المدينة في تاريخها القديم فحسب . وانما ظل عاملا في تشكيل المدن وتكوين الحضارة

عصورا متواصلة . فجميع المدن الاسلامية والمسيحية في العصور الوسطى ، وكذا معالم الممالك اليهودية قبلها ، واثيرها مآثر الحضارة الهندية ، كلها لا يمكن فهمها بعمق ، اذا اغفل العامل الديني . فان الدين كان منها بمثابة الروح من الجسد . هذا وان تطور الدين ، وعدم جموده على اوضاعه البدائية كان علة في قدرته على معاصرة جميع الحضارات والتأثير فيها . بحيث لم يثبت انه عجز عن مواكبة اية حضارة ماضية على كثرة الحضارات التي عرفتها البشرية . والحضارة الوحيدة التي تمردت على الدين ، هي حضارة عصرنا هذا ، بالرغم من انها لم تقو على التخلص منه بصفة نهائية ، كما لا احتاج ان اقول . **فالتمرد لا يعني** الاستقلال والانفصال ، وانما يعني انتفاضة يراد بها التخلص من سلطة ما . والى هذا المعنى ينصرف لفظ التمرد عند اطلاقه . فلو استطاعت حضارة هذا العصر ان تستقل عن الدين بصفة نهائية لما امكن وصفها بانها متمردة .

فاس : عبد العلي الوزاني



حضارة وادي درعة (المغرب) من خلال النصوص والآثار

للأستاذ محمد المنوني

– 2 –

الملحق الثالث :

نماذج من مخطوطات الخزانة (*)

وقد تبينا – سلفا – ان هذه الخزانة في فترة ازدهارها صارت تتوفر على مجموعة ضخمة من المؤلفات المتنوعة ، وفي تفسير القرآن الكريم بالخصوص كانت تستوعب ما ينيف على اربعين موضوعا . هذا فضلا عن مجموعات كبرى في التشريع والشعائر الاسلامية ، وفي المواد العربية والادبية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلك ، والطب .

ويسترعي النظر في بواقي نفس الخزانة ، ان تتوفر – الى جانب الكتب العادية – على طائفة من اصول المصنفات ، بعضها عريق في القدم ، او بخطوط المشاهير ، او عليها كتاباتهم ، هذا بالاضافة الى بعض النوادر ، وموضوعات اخرى ذات اعتبار خاص . ولتكوين فكرة عن هذه الذخائر ، سنعرض نماذج تستوعب 76 كتابا من عيون خزانة تمكروت : في اصول علمية ، ومخطوطات اخرى مهمة او نادرة بالمرة .

اولا : اصول علمية

وسياتي في مقدمتها : قطعة من مصحف شريف (رقم 1) ، وهي مكتوبة على رق الغزال بخط اندلسي ، مبسوط مليح ملون مزخرف ، وتشتمل على الحزبين الثالث والرابع ، في 88 ورقة يتخللها بتر .

الثاني : قطعة من الموطأ للامام مالك (رقم 4) ، من رواية يحيى بن يحيى المصمودي ، وهي – بدورها – مكتوبة على الرق بخط اندلسي عتيق ، وتشتمل على ثلاثة اجزاء ، يجمعها سفر واحد يبتدىء من كتاب الحج حتى ينتهي اواخر كتاب الاقضية ، على بتر في بعض اوراقها البالغ مجموع الباقي منها : 126 ورقة .

ومن مزايا هذه المخطوطة وجود كتابات بها : بالسماع والمعارضة من عام 483 هـ ، وهكذا جاء عند نهاية الجزء الاول – من هذه القطعة – بالورقة 142 :

« بلغت المقابلة والسماع – بحمد الله وعونه – على الفقيه ابي عبد الله بن الطلاع (148) رضي الله عنه ، بمدينة قرطبة » . واثر هذا : « انتهى السماع والمعارضة ، على الفقيه ابي علي حسين بن محمد رضي الله عنه ، بمدينة قرطبة حرسها الله ، في صفر ، سنة ثلاث وثمانين واربعمائة » .

وفي نهاية الجزء الثاني عند الورقة 172 :

(*) تابع للمنشور في العدد الاخير عن « حضارة وادي درعة .. » ، ولهذا جاءت فيه ارقام المراجع تابعة لارقام العدد السابق .

(148) ترجمته عند ابن بشكوال في الصلة ، نشر العطار – ع 1239 .

« بلغت المقابلة والسماع ـ بحمد الله وعونه ـ على الفقيه ابي عبد الله بن الطلاع رضي الله عنه ».

وتلو هذا : « انتهى السماع والعرض ، على الفقيه الحافظ ابي علي حسين بن محمد الغساني الجياني (149) رضي الله عنه » .

ونقدم ـ الآن ـ الاصل الثالث ، ويرتقي الى المائة الهجرية السادسة (تحت رقم 69) ، وهو السفر الاخير من « جامع الصحيح » للبخاري ، ابتداء من كتاب اللباس .

وقد كتبت الصفحات الاولى منه ـ وعددها تسعة ـ بخط مغربي يرجع ـ تقريبا ـ الى القرن 11 هـ ، وباقيه بخط اندلسي جيد ، وكان تمامه لعشر بقين من جمادى الاولى سنة 576 هـ ، على يد منتسخه : عبد الصمد بن عبد الرحمن ، وهو اسم معروف لدى الاوساط العلمية بالاندلس (150).

الرابع : كتاب « الشفا » للقاضي عياض (رقم 138) ، بخط العالم الاندلسي الذائع الصيت : محمد بن علي ابن عسكر الغساني المالقي (151) ، وفرغ من كتابته بتاريخ 3 صفر الخير ، عام 624 هـ، وخطه اندلسي متقن .

الخامس : « عقد الجواهر الثمينة ، في مذهب عالم المدينة » ، لابن شاس : عبد الله بن محمد السعدي المصري ، رقم 1103 .

يوجد منه السفران : الثاني والثالث في مجلد مبتور الطرفين ، بخط اندلسي مليح ، على يد كاتبه علي بن محمد بن علي فرج القيسي (152) ، بتاريخ اواخر ذي القعدة سنة 646 هـ، حسب آخر السفر الثاني الذى كتب بهامش خاتمته :

« بلغت المعارضة بالاصل المنتسخ منه وباصل الفقيه المحدث الضابط ابي عبد الله بن سعيد الطراز (153) . .

انتسخ من اصل الفقيه الاجل الافضل ابي بكر بن هيب (154) وقابل به ، وانتسخ الفقيه ابو بكر كتابه من كتاب ابن عمه الحاج الفقيه ابي الحسين

بن مهيب ، وهو الجالب له من مصر ، كتبه بها من اصل مؤلفه . . وقابله . .

وكان الفراغ من تعارضه في رابع ربيع الاول ، من عام السابع واربعين وستمائة » .

السادس : كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك (رقم 140)، في مخطوطة قديمة مذيلة باجازة العالم الاندلسي ابي حيان ، لتلميذه ناظر الجيش : محمد ابن يوسف الحلبي ثم المصري (155) .

السابع : كتاب «الشفا» لعياض : السفر الاول (رقم 2.225)، بخط اندلسي حسن ، كتبه ـ بمدينة مراكش ـ محمد ابن علي بن احمد الزهري ثم الرندي ، وفرغ منه في العشر الاول من شعبان ، عام 762 هـ .

الثامن : « كتاب سلاح المومن » ، لتقي الدين محمد بن محمد بن علي بن همام المصري ، (رقم 261) ، بخط تونسي مليح مقابل ، كتبه بمدرسة الشماعين من تونس ـ محمد بن محمد ابن المتيم بن . . . وفرغ منه في اليوم السابع من المحرم ، عام 803 هـ .

التاسع : « ادب الدنيا والدين » للماوردي ، بخط مشرقي جميل عام 872 هـ ، وهو يحمل رقم 1185 .

العاشر : كتاب « الشفا » لعياض من القرن 9 هـ. بخط مشرقي مبتور الاول ومذيل باسمعة واجازات رقم 2850 .

---

(149) نفس المصدر ـ 329 .
(150) ابن الابار في التكملة ، مطبعة روخس بمجريط ـ ع 1801 ، وهو يؤرخ وفاته بعام 619 .
(151) المصدر الاخير ـ ع 1011 .
(152) صلة الصلة ـ ع 282 .
(153) التكملة ـ ع 1032 .
(154) المصدر الاخير ـ ع 1031 ، ويذكر جده : باسم مهيب بالميم اوله ، وهناك ـ في خزانة تمكروت ـ تخميس الوتريات للبغدادي ، منسوب لابي بكر محمد بن مهيب ، ضمن مجموع رقم 2564 .
(155) ترجمته عند الزركلي في الاعلام ج 8 ص 27 .

الحادي عشر : « نسخة اخرى منها » رقم 287 ، من رواية الحافظ عبد العظيم المنذري ، عن ابن جبير : الرحالة الاندلسي (156) ، عن ابي محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي ، عن المؤلف ، وهي — بدورها — بخط شرقي جيد .

الثاني عشر : « نسخة خامسة منها » بنفس الخط ، رقم 2942 ، وتشتمل على الجزء الاول مبتور الاخير ، وهي مفتتحة هكذا :

« اخبرنا الشيخ .. محمد بن احمد بن ابي فرج الانصاري الاندلسي (157) بمني ، ومن اصله نقلت ، قال : اخبرنا احمد بن عمر الانصاري (158)، قال : اخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن عرف بابن الملحوم ، عن مؤلفه عياض » .

الثالث عشر : « الخصائص والمعجزات النبوية الكبرى » للسيوطي ، مجلدان : النصف الاول رقم 545 ، والثاني : رقم 190، وكلاهما بخط سوداني، وجاء في آخر الثاني :

« وكان الفراغ منه قبل الظهر يوم الاثنين ، خامس عشر من ذي الحجة عام سبعة وستين والف ... عبد الله بن احماد بن محمد بن (شكلها بفتح الباء وضم النون مخففة غير مشبعة) بن محمد كوت ، الفلاني معلم الصبيان » .

وبهامش هذا الموضع — يسارا — بخط سوداني مغاير : « بلغ سماعا وقراءة بحث وتفسير، عند شيخنا وعمنا : الفقيه الامام ، محمد بفيع ، بن الامام محمد كورد ، في مجالس آخره يوم الاربعاء ، السابع عشر من شهر رجب ، من العام السادس والتسعين والف » .

ثانيا : **مخطوطات اخرى مهمة**

وسنسير في تقديمها حسب المواد التالية :

تفسير القرآن الكريم والقراءات — الحديث الشريف — السيرة النبوية — التراجم — الفقه — اصول الفقه والمنطق — التوحيد والاخلاق — اللغة والنحو — الادب — الرياضيات — الفلك — الطب .

— ❊ —

تفسير القرآن الكريم والقراءات :

14 — « **مشكل اعراب القرآن** » — لمكي بن ابي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي ، المتوفى عام 437 هـ . نسخة تامة في مجلد بخط شرقي رقم 1717 .

15 — « **الهداية الى بلوغ النهاية** » : في علم معاني القرآن الكريم — لنفس المؤلف .

المجلد الثامن وهو الاخير ، بخط اندلسي رقم 2832 .

16 — **تفسير القرآن الكريم** لاحمد بن محمد بن احمد البسيلي التونسي ، المتوفى عام 830 هـ ، وهو التفسير الكبير .

---

(156) جاء في شجرة النور الزكية ص 175 اثناء ترجمة ابن جبير : « وحدث بالشفا عن ابي محمد التميمي ، عن القاضي عياض ، وسمع منه الحافظان : عبد العظيم المنذري ، وابو الحسن يحيى بن علي القرشي » .
وتحتفظ خزانة بالاوقاف ببغداد بمخطوطة من الشفا تشتمل على المجلد الاول ، في نسخة عتيقة مذيلة بالنص الاصلي لسماع جماعة — باسمائهم — لسائر الكتاب على ابن جبير ، وهو يذيل السماع والاجازة بتوقيعه بالخط الاندلسي ، حسب كتاب « الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف » — ص 52 — 53 .

(157) هو القرطبي مصنف التفسير والتذكرة ، وترجمته في الذيل والتكملة ، نشر دار الثقافة بيروت ، السفر الخامس — رقم 1154 ، ويرسم هذا المصدر اسم فرج بسكون الراء والحاء المهملة ، خلاف الوارد في النص الذي نعلق عليه .

(158) هو القرطبي مصنف الفهم ، وترجمته في نفح الطيب ، المطبعة الازهرية — ج 2 ص 5 .

جمع فيه املاءات شيخه ابن عرفة التونسي في دروسه التفسيرية واضاف له زيادات (159).

النصف الثاني ، في مجلد بخط مغربي مبتور الطرفين تحت رقم 2862 .

17 — **لطائف الاشارات في علم القراءات** — لاحمد بن محمد القسطلاني المصري ، المتوفى عام 923 هـ . النصف الثاني في نسختين رقم 2561 بخط مغربي ، ورقم 2951 بخط شرقي .

الحديث الشريف :

18 — **المهد الكبير ...** — لمؤلفه ابن الزهراء الورياغلي : عمر بن علي بن يوسف العثماني الريفي، كان بقيد الحياة عام 710 هـ . وهو شرح بسيط على الموطا للامام مالك ، يقع اصله في 51 سفرا ضاع معظمها ، وبقيت منه بضعة اسفار موزعة بين خزائن المخطوطات بالمغرب .

ومن حسن الحظ ان مخطوط الخزانة الناصرية يعتبر جديدا بالنسبة للمعروف — سلفا — من الكتاب ، حيث كان هو السفر الثالث من المهد الكبير ، ابتداء من باب مسح الحصباء في الصلاة ، الى اثناء كتاب الجنائز .

خط مغربي شبيه بالاندلسي خال من اسم الكتاب والمؤلف ، ويحمل رقم 2501 .

19 — **شرح غريب جامع الصحيح للبخاري** — في تعليق وجيز من تاليف محمد بن احمد بن عبد الرحمن اليفرني الفاسي ، الشهير بالمكناسي (160).

بخط مغربي ثالث مجموع رقم 709 .

20 — **الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير** ، اسم حاشية على الجامع الصغير للسيوطي — تاليف محمد بن عبد الرحمن العلقمي المصري ، المتوفى عام 969 هـ . الموجود منه المجلد الاول بخط شرقي رقم 2430 .

21 — تقريب المسالك لموطا الامام مالك — تاليف ابي العباس احمد بن الحاج المكي السدراتي السلوي، المتوفى عام 1253 هـ (161) الموجود منه مجلدان بخط مغربي : الثاني : رقم 1042 ، والرابع : رقم 2930 .

السيـــرة النبويـــة :

22 — **مختصر السيرة النبوية** — لابي بكر ابن العربي : محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي ، المتوفى عام 542 هـ .

بخط مغربي ، ثاني مجموع رقم 3061 .

23 — **فتح الصفا بشرح معاني الفاظ الشفا** ، اسم شرح على الشفا للقاضي عياض — تاليف ابن اقبرس : علي بن محمد القاهري المتوفى عام 862 هـ (162) .

الموجود : النصف الثاني منه في نسختين : الاولى : رقم 443 1 بخط شرقي عادي ، والثانية : رقم 2517 بخط شرقي منقوط على الطريقة المغربية ، كتبه احمد بن عبد الكريم بن احمد السباعي (163) ، عام 044 1 هـ بمدينة كاسنة بالسودان .

24 — **حاشية المواهب اللدنية للقسطلاني** — تاليف علي بن علي الشبراملسي المصري ، المتوفى عام 087 1 هـ .

نسخة تامة بخط شرقي في اربعة مجلدات : الثلاثة الاولى : رقم 143 2، والرابع : رقم 154 2 ، مع مجلدات اخرى منفردة تحت ارقام : 102 2 — 144 2 — 205 2 — 306 2 .

---

(159) انظر عن هذا التفسير ومختصره : محمد المنوني : « فصلة تصف الدراسة بالقرويين ايام المنصور السعدي » . مجلة «البحث العلمي» العدد السابع ، السنة الثالثة ، تعليق رقم 34 — ص 261 — 263 .

(160) ترجمته عند السراج في فهرسته التي لا تزال مخطوطة .

(161) « الاستقصا » نشر «دار الكتاب» بالدار البيضاء — ج 9 ص 46 .

(162) ترجمته عند الزركلي في الاعلام ج 5 ص 161 .

(163) هناك مؤلف آخر خطه نفس الناسخ بيده ، وهو السفر الثاني من شرح المختصر الخليلي للحطاب ، خ. ع ك 118، وفي آخره : كتبه — لنفسه — احمد بن عبد الكريم المغربي ثم السباعي بجامع الازهر ، اوائل رجب عام 1036 .

التراجـــــم :

25 ـ مجمع الاحباب ـ لمحمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي ، المتوفى عام 776 هـ (164) .

اختصر به « حلية الاولياء » لابي نعيم . الموجود منه : مجلد ضخم بخط مغربي رقم 145 1.

26 ـ **تنبيه الطالب لفهم ابن الحاجب** ـ تاليف محمد بن عبد السلام بن اسحاق الاموي .

شرح فيه غريب المختصر الفقهي لابن الحاجب وعرف برجاله .

بخط مغربي رقم 1810، مع لفت النظر الى ان المؤلف غير محمد بن عبد السلام الهواري التونسي شارح نفس المختصر .

27 ـ **بهجة المحافل واجمل الوسائل . بالتعريف برواة الشمائل** : شمائل الترمذي ـ تاليف برهان الدين : ابراهيم بن ابراهيم بن حسن اللقاني المصري ، المتوفى عام 1041 هـ .

بخط شرقي رقم 159 2 .

28 ـ **ترجمة ابي العباس بن ناصر** ـ تاليف ابي العباس احمد بن عبد الله الهشتوكي البيوركي ، المتوفى عام 136 1 هـ .

بخط مغربي اوله مجموع رقم 3070 .

29 ـ **انارة البصائر فى ترجمة الشيخ ابن** ناصر ـ « ابي العباس المذكور » ـ تاليف ابي علي حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل الدرعي ، المتوفى عام 1143 هـ .

بخط مغربي مبتور الاخير ، ثاني المجموع الآنف الذكر : 3 070 .

الفقـــــه :

30 ـ **مختصر كتاب الفصول** ـ اختصار يعلي ابن مصلين الرجراجي ، من تلامذة ابن ابي زيد القيرواني (165) .

وهو يتناول اجوبة فقهاء القرويين عن مسائل سكان الجبال ، الذين لا والي لهم ولا سلطان .

منه ثلاث نسخ بخطوط مغربية ضمن ثلاثة مجاميع ارقام : 1652 ، 3057 ، 3094 .

31 ـ **المنتخب** (فى الوثائق العدلية) ـ تاليف محمد بن يحيى بن لبابة القرطبي المتوفى عام 336 هـ بخط مغربي مبتور الطرفين رقم 2957 .

32 ـ **المنتخب** « فى الاحكام القضائية » ـ تاليف محمد بن عبد الله بن ابي زمنين القرطبي ، المتوفى عام 399 هـ .

بخط مغربي مبتور الاخير ، ثالث مجموع رقم 2816 .

33 ـ **كتاب المفيد** ـ لعبد الملك بن احمد ابن محمد ابن الاصبغ القرشي القرطبي ، المتوفى عام 436 هـ .

بخط مغربي اواخر مجموع يحمل رقم 2997.

قال ابن بشكوال (166) فى ترجمة مؤلفه : « له تاليف حسن فى الفقه والسنن » .

34 ـ **قطعة من شرح التلقين** للقاضي عبد الوهاب البغدادي ـ الشارح غير مذكور ، وقد يكون هو المازري .

مجلد مبتور الطرفين بخط مغربي رقم 877 2.

(164) ترجمته عند الزركلي فى الاعلام ج 6 ص 319 .
(165) لا تعرف له ترجمة ، وورد ذكره ـ عرضا ـ فى عداد الآخذين عن ابن ابي زيد القيرواني ، حسب « كتاب القبلة » لابي علي صالح بن عبدالحليم ، خ. ع، اول مجموع ق 985 ـ ورقة 9، 1، ومن الجدير بالملاحظة ان يعلى هذا يعتبر من المؤلفين المغاربة الاوائل ، وقد جاء ذكره ـ عرضا ـ عند ابن الزيات فى التشوف ص 26 ، وهو نفس شيكر باني الرباط .
(166) الصلـة ع 770 .

35 ـ **مفيد الحكام** فيما يعرض لهم من نوازل الاحكام لابي الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الازدي القرناطي ، المتوفى عام 530 هـ .

بخط مغربي رقم 676 .

36 ـ **نهاية الرائض في خلاصة الفرائض** ـ تأليف عبد الله بن ابي بكر بن يحيى بن عبد السلام الجدميوي السودي الطديشي السكاتي نزيل الاسكندرية 20، كان بقيد الحياة عام 699 هـ (167) .

بخط اندلسي دقيق مليح عتيق ، ويقع عنه فاتحة مجموع رقم 1647 .

وقع الفراغ من تأليفه في 27 من شهر ربيع الاول سنة 696 هـ بالاسكندرية ، ومن انتساخه يوم الاحد 12 ربيع الاول عام 702 هـ .

والكتاب ـ كما سنتبين ـ من النوادر التي لا يعرف لها ـ لحد الآن ـ وجود في مكان آخر ، وسنتعرف على اهميته البالغة بواسطة ايراد فقرات من افتتاحيته وخاتمته ، وهكذا يقول المؤلف عن ظروف تأليف نهاية الرائض :

« اما بعد : فهذا مختصر بعثني على جمعه وتلخيصه من علم المواريث والفرائض على مذهب حبر الامة ... مالك بن انس المدني الاصبحي ... من سائلي العناية به من اصحابنا من طلبة العلم ، وما رأيت من قصور همم اهل زماننا عن هذا العلم .

وقد بدات جمعه بمجاورة الخليل ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، وكملته بثغر الاسكندرية كلاها الله » .

وعن منهجه في تصنيف الكتاب يقول : « وضمنته فوائد ما تفرق وانتشر في المبسوطات من الكتب الطوال ، على الاختصار دون الاكثار ، مما لابد منه للمبتدي ، ولا غنى عنه للمنتهي : من الاصول الكلية ، والقواعد الجملية ، والضوابط المحكمة ، والهينمات الجارية من الكتاب مجرى التوطئة والاساس ، وملفقات الفرائض ومنسوباتها ، وملحها وجواهرها ، ونوادرها وشواردها ، ومعضلاتها واغاليطها ، واغربها واعجبها ، ونبذا من نظائرها ومعاياتها ، ورياضاتها ونسبياتها ، ومتشابهاتها ومحاكاتها ، على (وجه) من الضبط دون البسط ـ ما ليس في مجموع ولا مختصر بانفراده .

ورتبت ابوابه وفصوله وتاسيس اصوله احسن ترتيب، ولخصت معانيه احسن تلخيص ، وحررت حساب مسائله امكن تحرير ، وعريت فصوله من التطويل وكثرة الاقاويل ، ومثلت مسائله حسبما يقتضيه العمل من التهذيب والترتيب ، ونبهت فيه على كل معنى خفي لطيف ، لم يورد له قبل في اكثر التصانيف ذكر ، واضفت الى ذلك جملة قانونية من المسائل الحسابية والحكمية ، مما خالف فيه مالك زيد بن ثابت ومعاصره من الايمة ، والشافعي وغيره مالكا ..

وجميع ما ياتي فيه من الاصول والاعمال المجردة واللواحق العارضة . والمسائل والمنسوبات . واللغزيات ـ فمن اقاويل العلماء اخذته ، ومن كتب القدماء جمعته ، ومن مشايخي سمعته وحررته وقيدته بالمغرب والاسكندرية ومصر ، وفي زمان اقبالي على الاشتغال والاجتهاد ...

وحصرت المقصود منه في ثلاثين فصلا تشتمل عليها خمسة ابواب » .

والى هنا تنتهي مقتبسات افتتاحية « نهاية الرائض » ، وجاء في آخره في خاتمة ملحقة :

« عدة الكتب التي جمع منها هذا التصنيف نيف وثلاثون ديوانا : من كتب المالكية والشافعية من اهل هذا الشأن » .

وبعد ما عرض المؤلف اسماء هذه الدواوين قال : « مع اني زدت جملا من القواعد والضوابط والتلخيصات ، مما سمعته من مشايخي الثلاثة الفقهاء الفضلاء : ابي سليمان داوودبن علي الحيحاي بنول لمطة من اقصى المغرب سنة ثلاث وستين وستمائة ، وابي الطاهر اسماعيل بن يوسف الرعيني

(167) ترجمه السوداني في نيل الابتهاج المطبوع ـ بالقاهرة ـ على هامش الديباج ـ ص 140 ـ 141، ونقل ترجمته عن رحلة ابي القاسم التجيبي وقد تصحف في المطبوع نسب ابي سليمان الحيحاي بالبجائي .

الاشبيلي ، بثغر الاسكندرية المحروسة سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وابي محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري بمدينة مصر سنة اربع وسبعين وستمائة.

ومعظم الفضل للاول ، وعليه اتقنت الحساب، والكافي في الفرائض ، وانا — يومئذ — ابن عشرين سنة او اقل منها ، رضي الله عنهم » .

37 — **مختصر نهاية الرائض** — لعبد الله اصودي مؤلف الاصل ، ويحمل اسم « **كفاية المرتاض في تعاليل الفراض** » .

بنفس الخط وفي نفس المجموع اثر سابقه ، وجاء في آخره : « كمل التقييد والمقابلة ، والحمد لله حق حمده ، وذلك في اواخر شهر محرم ، مفتتح خمسة وسبعمائة ، قيده — بيده — لنفسه : العبد الفقير الى الله تعالى ، الغني به : يوسف بن علي الطرطوشي (168) .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الكاتب هو — نفسه — ناسخ المؤلفين قبل هذا وبعده ، حيث ان الخط يسير على نسق واحد في سائر المجموع الذي يستوعب الموضوعات الثلاثة ، غير ان الناسخ اكتفى بتسجيل اسمه مرة واحدة .

38 — **مفتاح الغوامض في اصول الفرائض** : مختصر وجيز للصودي ايضا .

نفس الخط وفي نفس المجموع ، وجاء في آخره : « كمل التقييد ، والحمد لله ، وكان الفراغ منه في الخامس لشهر ذي القعدة ، عام اربعة وسبعمائة » .

وهذا الكتاب وسابقاه من النوادر ، وكانت ثلاثتها لا تعرف الا بواسطة ابي القاسم التجيبي ، وهو يقول عنها في برنامجه (169) بمناسبة قراءتها على مؤلفها :

« كتاب نهاية الرائض في خلاصة الفرائض ، تاليف الشيخ الفقيه الفرضي الحسابي ، العابد الزاهد الصوام القوام : جمال الدين ، ابي محمد عبد الله بن ابي بكر بن يحيى بن عبد السلام ، المغربي ثم الجدميوي الصودي نزيل الاسكندرية ..

قرات جميعه عليه بالمسجد المنسوب لابي الدرداء رضي الله عنه ، داخل باب السدرة من ثغر الاسكندرية ، وصح ذلك وثبت في عدة مجالس ، آخرها في ليلة يسفر صباحها عن يوم السبت ، التاسع لشهر ربيع الثاني ، من سنة ست وتسعين وستمائة ، ثم قرات عليه جميعه بعد ذلك ، وهو كتاب جليل مفيد في بابه ، شكره اهل المعرفة بهذا الشان .

كتاب كفاية المرتاض ، في تعاليل الفراض ، وجزء فيه مفتاح الغوامض في اصول الفرائض ، كلاهما من تصنيف جمال الدين المذكور .

سمعت الكفاية عليه ، ثم قراتها ايضا ، وقرات المفتاح عودا بعد بدء عليه ايضا » .

39 — **شرح فرائض الحوفي** — لمحمد بن محمد ابن عبد الله ابن عرفة الورغمي التونسي، المتوفى عام 803 هـ .

مبتور الاخير ، بخط تونسي ، وبأوله سماع محمد بن احمد بن بلال اللواتي تلميذ المؤلف ، بتاريخ 5 شوال عام 756 هـ ، وهو مسجل تحت رقم 1861 .

40 — **اجوبة فقهية** — لاحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني المعروف بابن زاغو ، المتوفى عام 845 هـ .

اجاب بها عن اسئلة وردت عليه من سجلماسة .

بخط مغربي ، تاسعة مجموع رقم 1525 .

41 — **اجوبة فقهية** — لعبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي ، المتوفى عام 849 هـ .

(168) عالم معروف ، انظر عنه : محمد المنوني : (المولد النبوي الشريف في المغرب المريني) ، مجلة « دعوة الحق » ، العدد الاول ، السنة 12 — ص 123 ، تعليق رقم 48 .
(169) مصورة الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني عن مخطوطة الاسكوريال .

اجاب بها عن الاسئلة التي رفعه له القاضي محمد بن خليفة بن صالح الصنهاجي السجلماسي .

بخط مغربي ، رابعة مجموع رقم 2325 .

42 — **اجوبة فقهية** — لمحمدبن قاسم اللخمي شهر بالقوري ، المتوفى عام 872 هـ .

بخط مغربي فى نسختين : الاولى خامسة مجموع رقم 2726 ، والثانية : خاتمة مجموع رقم 2791 .

43 — **جواب عن اجراءات النفاليس ،** وهم — فى بعض جهات المغرب — الاعيان الحاكمون باسم الجماعات طبق القوانين المحلية —

المجيب : عبد الواحد بن احمد الرجراجي .

بخط مغربي ، ثالث مجموع رقم 1644 .

اصول الفقه والمنطق :

44 — **حل العقد والعقل ، فى شرح مختصر** السول والامل ، لابن الحاجب — تاليف الحسن بن محمد الحسيني الاسترابادي ، المتوفى عام 715 هـ (170) .

بخط شرقي عتيق منقول عن خط المؤلف، بتاريخ اوائل ربيع الثاني عام 766 هـ ، وهو يحمل رقم 1650 .

45 — **نهاية الامل فى شرح كتاب الجمل :** « جمل الخونجي فى المنطق » — تاليف محمد بن احمد بن احمد مرزوق « الحفيد » العجيسي التلمساني ، المتوفى عام 842 هـ .

بخط مغربي ، ثاني مجموع رقم 1851 .

قال ابن مرزوق فى طالعة الشرح بعد ذكر جمل الخونجي : « .. وان من اجل ما وضع عليه شرح شيخ شيوخنا .. ابي عبد الله محمد بن احمد الحسني .. وشيخنا .. ابي عثمان سعيد العقباني ، وطرقهما مختلفة ، وان كانت مقاصدهما مؤتلفة . فرايت ان اجمع بينهما باختصار ، واؤلف بين ما تضمنا من القوانين الكثيرة الانتشار ، واضيف الى ذلك ما سنحت به قريحتي الجامدة ، من ذكر بحث يلوح او تقرير فائدة ، واشير — فى الغالب — الى ما اختص به الاول من كلام بقيل ، والى ما اختص به الثاني بقال بمضمم » .

46 — **نسج الحلل لالفاظ الجمل** للخونجي — تاليف ابراهيم بن فائد بن موسى الزواوي القسنطيني ، المتوفى عام 857 هـ (171) .

بخط مغربي عتيق منقول جله من خط المؤلف مقابل ، ويحمل رقم 1859 .

التوحيد والاخلاق :

47 — **سراج الاسلام** — لابي الوليد سليمان ابن خلف التميمي الباجي، المتوفى عام 474 هـ .

بخط مغربي ، ثالث مجموع رقم 1620 .

48 — **سراج المهتدين فى آداب الصالحين** — لابي بكر ابن العربي المعافري سالف الذكر عند رقم 22 .

بخط مغربي ، ثاني مجموع رقم 2279 .

49 — **لحن العوام ، فيما يتعلق بعلم الكلام** — لعمر بن محمد بن خليل السكوني الاشبيلي نزيل تونس ، المتوفى عام 717 هـ .

نسختان بخط مغربي : احداهما خاتمة مجموع رقم 2376 ، والاخرى : فاتحة مجموع رقم 2572 .

50 — **اربعون مسالة من اصول الدين** — لنفس المؤلف .

بخط مغربي ، ثالثة مجموع رقم 2645 .

51 — **شرح العقيدة المرشدة لابن تومرت** — الشارح : محمد بن احمد بن اسماعيل ابن النقاش ؟

بخط مغربي ، سابع مجموع رقم 1627 .

---

(170) ترجمته عند الزركلي فى الاعلام — ج 2 ص 233 .

(171) ترجمته فى نيل الابتهاج ص 52 — 53 .

52 ـ **شرح العقيدة المرشدة لابن تومرت** ـ تاليف محمد بن يحيى الشيباني الطرابلسي اواسط القرن 8 هـ (172) .

بخط مغربي ، ثاني مجموع رقم 2296 .

النحـــو واللغــة :

53 ـ شرح مقدمة فى النحو لابي اسحاق عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى عام 339 هـ بخط مغربي خامس مجموع رقم 2895 .

54 ـ شرح كتاب الفصيح لثعلب ـ تاليف محمد بن احمد بن هشام اللخمي السبتي ، المتوفى عام 570 هـ .

بخط مغربي ، اول مجموع رقم 2786 .

55 ـ **شرح الجمل للزجاجي** ـ الشارح ابو اسحق ابراهيم بن احمد الغافقي السبتي المتوفى عام 710 هـ .

بخط مغربي نحو 100 ورقة من الحجم المتوسط ، ثالث مجموع رقم 2662 .

56 ـ **الشذور الذهبية . والقطع الاحمدية .**

فى اللغة التركية : عربي تركي ـ مؤلفه غير مذكور. بخط شرقي مليح ملون ، رقم 2157 .

الا د ب :

57 ـ مجموع ادبي ـ من وضع وليد بن عبد الملك بن محمد الاندلسي التدميري ، المتوفى عام 393 هـ (173)

بخط مغربي ، ثالث مجموع رقم 1543 .

58 ـ شرح مقصورة ابن دريد ـ لابن هشام اللخمي المتقدم الذكر عند رقم 63 .

بخط مغربي ، ثامن مجموع رقم 3021 .

59 ـ **كتاب التذكرة فى قبول المعذرة . وفيما** جاء فى العفو عند المقدرة ـ لمحمد بن عبد الرحيم بن محمد بن ابي العيش الخزرجي ، وقد استمر بقيد الحياة الى اواخر المائة الهجرية السابعة (174) .

قدمه مؤلفه الى المقام الرشيدي : الخليفة الموحدي : عبد الواحد بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور .

ضاع من الورقة اولى نصفها ، وباقيه بخط اندلسي عتيق على ورق قديم ، ويقع ثالث مجموع رقم 519 .

60 ـ **الروض المريع . فى صناعة البديع** ـ لابي العباس احمد بن محمد بن عثمان الازدي المراكشي ، الشهير بابن البنا ، المتوفى عام 721 هـ.

بخط مغربي عتيق ، ثاني مجموع رقم 2515 .

61 ـ **مقالة ادبية** ـ لابي جعفر بن زرقالة المري ضمنها مجموعة من الاشعار التورية التي انشدها له ابو جعفر احمد بن خاتمة المري .

بخط مغربي ، سابعة مجموع رقم 2468 .

62 ـ **خطب جمعية** ـ لمحمد بن احمد ابن مرزوق « الجد » العجيسي التلمساني ، المتوفى عام 781 هـ .

وهي التي اختطب بها فى حمراء غرناطة بالاندلس .

---

(172) هناك دراسة عن هذا الشرح ضمن لائحة مخطوطات ، فى مجلة « هسبريس » سنة 1950 ـ ص 210 ـ 212 .

(173) الغالب انه المترجم عند ابن الفرضي فى تاريخ علماء الاندلس، نشر الدار المصرية للتاليف والنشر ـ رقم 1513 .

(174) لم اقف على ترجمته ، وورد ذكره ـ عرضا ـ عند المقري ، حيث يشير الى انه كان خطيبا بتلمسان ايام زيارة الرحالة ابن رشيد لهذهالمدينة « نفح الطيب » ، الطبعة السالفة الذكر ـ ج 3 ص 142 .

الموجود اوائلها بخط مغربي، فاتحة مجموع رقم 1877 .

63 ـ **حلية الكرماء . وبهجة الندماء** ـ لمحمد بن محمد بن السخاوي المدني ، المتوفى عام 913 هـ (175) .

بخط مغربي عتيق ، رقم 874 .

64 ـ خطب جمعية ـ لمحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله المصمودي .

وهي التى اختطب بها بمسجد مسكانت من سجلماسة عام 998 هـ .

بخط مغربي ، ثالثة مجموع رقم 2817 .

65 ـ **قصيدة ابن عبد السميح** ـ وقد ازدوج في نظمها اللغة العربية باللهجة السوسية ، ونسبت هنا لابراهيم بن عبد السميح الرسموكي ، وفي المعسول (176) يؤكد انها من نظم ابي العباس احمد ابن محمد بن يعزى بن عبد السميح ، الرسموكي التاغانيني ، المتوفى عام 1080 هـ .

بخط مغربي ، ثامنة مجموع رقم 1712 .

66 ـ **كناشة** ـ من محتوياتها : نبذة من ادبيات آل ناصر : منهم واليهم :

خطوط مغربية متنوعة ، وتحمل رقم 2629 .

67 ـ **رسائل** لابي علي ابن شرحبيل سالف الذكر عند رقم 29 .

بخط مغربي ، مبتورة الاخير ، وهي اول مجموع رقم 2717 .

الرياضيات :

68 ـ **تحصيل المنى في شرح تلخيص ابن البنا** ـ تاليف يعقوب بن أيوب **الواحدي** ، كان بقيد الحياة عام 761 هـ (177) .

مبتور الاول ، بخط مغربي ، ويقع اول مجموع رقم 3046 .

69 ـ **التلخيص في شرح التلخيص ـ لاحمد** بن حسين بن علي الشهير **بابن قنفد القسنطيني** ، المتوفى عام 810 هـ .

اختصر به شرحه المطول الذى وضعه على تلخيص اعمال الحساب لابن البنا وسماه : « حط النقاب عن وجوه اعمال الحساب » .

بخط مغربي كتبه عبد الله بن محمد بن مسعود التفجروتي الدرعي ، ويقع رابع مجموع رقم 1753 .

الفلك :

70 ـ **رسالة في طريق استخدام (خاتم الفلك)** ـ لابي اسحاق ابراهيم بن يحيى **التجيبي** ، النقاش الطليطلي ، شهر بابن الزرقالة ، **وتوفي عام 493 هـ .**

بخط مغربي ، خامسة مجموع رقم 2301 .

71 ـ **رسالة في طريقة استخدام الصفيحة المشتركة لجميع العروض** ـ لنفس **المؤلف** ، وبنفس الخط والمجموع ، حيث جاءت سابعة محتوياته .

ومن الجدير بالذكر ان مؤلف الرسالتين هو الذى حقق اختراع الجهازين الفلكيين ، ويقول عنه ابن الابار (178) : « كان واحد عصره في علم العدد والرصد وعلل الازياج ، ولم **تات الاندلس** بمثله من حين فتحها المسلمون الى وقتنا هذا ، مع ثقوب الذهن ، واحكام ما يتناول **ويستنبط من الالات** النجومية ، وآخر ارصاده بقرطبة في آخر سنة ثمانين واربعمائة » .

---

(175) الظاهر انه المترجم في شجرة النور الزكية ص 269 .
(176) ج 18 ص 282 .
(177) لا يعرف عنه سوى معلومات قليلة ، انظر : محمد المنوني : « مكتبة الزاوية الحمزية » ، مجلة تطوان ، ع 8 ـ ص 151 .
(178) « التكملة » ، المطبعة الشرقية بالجزائر ـ ع 358 .

وقد تعززت هذه الشهادة من ابن الابــار ، بشهادة معاصره القفطي (179) المؤرخ الشرقـي ، وهو يقول عن ابن الزرقالة : « ابصر اهـل زمانـه بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك ، **واستنبـاط الآلات** النجومية ، وله صفيحة الزرقيال المشهورة في ايدي اهل هذا النوع ، التى جمعت من علـم الحركـات الفلكية كل بديع مع اختصارها ، ولما وردت علـى علماء هذا الشـأن بارض المشـرق حـاروا لهـا ، وعجزوا عن فهمها الا بعد التوقيف ، وله ارصاد قد رصدها ونقلت عنه .. » .

72 ــ **رسالة فى طريقة العمـل بالصفيحـة** الجامعة ... تاليف امين اوقات الصلات بغرناطة : ابي علي حسين بن احمد بن يوسف بن باصة الاسلمي اندلسي ، المعروف بالسلعلع ، والمتوفى عام 716 هـ (180) .

وهي فى طريقة استخدام الجهاز الفلكي الذى ابتكره المؤلف ، وسماه « بالصفيحة الجامعة لجميع العروض ، فى اقامة معالم الفروض » .

ورسالته هذه مكتوبة بخط مغربي ، وواقعـة ــ بدورها ــ ثالثة المجموع المتكرر الذكر .

73 ــ رسالة فى طريقة استعمال الصفيحـــة الشكازية ــ لابن البنا المتقدم الذكر عند رقم 70 .

بنفس الخط رابعة نفس المجموع .

74 ــ **شرح ارجوزه الدلالات الفلكية لابن ابي الرجال** ــ من تاليف ابن قنفد القسنطيني المتقـدم الذكر عند رقم 79 .

بخط مغربي ، مبتور الاول ، آخر مجمـوع رقم 2160 .

الطـــب :

75 ــ **المنجز بشـرح الموجـز** لابن النفيـس ــ الشارح : محمود بن احمد العينتابـي القاهـري ، المعروف بابن الامشاطي ، المتوفى عام 902 هـ (181)

مجلد يشتمل على النصف الثاني فى جزاين : الثالث مبتور الاول ، والرابع مبتور الطرفين .

وهو بخط شرقي عام 1079 هـ ، ويحمل رقم 2646 .

76 ــ **الدرر المحمولة على الهديـة المقبولـة** ــ لاحمد بن صالح الدرعي الاكتاوي ، المتوفى عـام 1147 هـ .

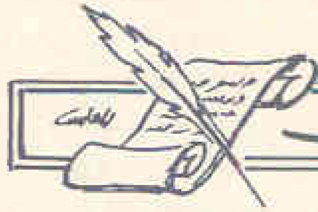
شرح فيه ارجوزته : « الهدية المقبولـة » فى الطب والعلاجات .

الموجود : النصف الثاني منه فى سفر بخـط مغربي رقم 1834 .

الربـاط ــ محمـد المنونـي

---

(179) « اخبار العلماء باخبار الحكماء ، « مطبعة السعادة » بمصر ــ ص 42 .
(180) ترجمته عند الزركلي فى «الاعلام» ج 8 ص 39 .



محمد بن سليمان الروداني 1037 - 1094 هـ / 1627 - 1683 م

للدكتور محمد الأخضر

ولد محمد بن سليمان الروداني بمدينة تارودانت عام 1037 هـ — 1627 م ، وكان علامة متضلعا في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، وخلف آثارا نثرية وشعرية . وقد اكسبه تجواله في العالم العربي القابا متعددة ، فدعي ابو عبد الله محمد بن سليمان بن الفاسي (لا علاقة له بمدينة فاس) ابن طاهر السوسي المغربي الروداني المراكشي المالكي نزيل الحرمين الشريفين . وله شيوخ كثيرون ، بالمغرب : ابو مهدي عيسى السكتاني (2) مفتي مراكش وقاضي القضاة بها ، ومحمد بن سعيد المرغيتي ، ومحمد بن ابي بكر الدلائي ، ومحمد بن ناصر الدرعي الذي لازم دروسه طوال اربع سنوات في التفسير والحديث والتصوف وغيرها من العلوم .

(1) انظر ترجمة محمد بن سليمان الروداني عند :
أ — ع. العياشي ، الرحلة ، 2 : 30 — 45 ،وملخصها عند
ب — م. اليفراني ، الصفوة ، ص. 196 — 198 .
ج — م. القادري ، التقاط .
د — م. القادري ، النشر 2 : 81 — 88 .
هـ — م. الحضيكي ، طبقات .
و — م. الناصري ، الرحلة .
ز — ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 4 : 334 — 359 ، رقم 401 .
ح — المحبي ، خلاصة الاثر .
ط — ع. كنون ، النبوغ ، 1 : 284 — 285 .
ي — م. ابن تاويت و م. عفيفي ، الادب المغربي ، ص . 313 .
ك — ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 62 ، 317 — 321 ، 2 : 118 .
ل — ك. بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، 2 : 459 (610) والملحق ، 2 : 691 .
م — د. رونو .
ن — م. السوسي ، سوس العالمة ، ص. 181 .
ص — ع. بنسودة ، دليل ، 2 : 304 .
ع — م. الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 115 116 ، رقم 773 .

(2) هو مؤلف الفتاوي المشهورة باسمه ، وصاحب الحاشية ، والشرح على صغرى السنوسي . (انظر م. السوسي ، سوس العالمة ، ص 783 .

ومن شيوخه بالجزائر العالم الكبير سعيد ابن ابراهيم المعروف بسيدي سعيد قدورة ، وتوجه الى المشرق بعد ذلك فاخذ عن اشهر الشيوخ فى كل بلد حل به ، ففي مصر لازم دروس نور الدين الاجهوري (4) ، والشهاب الخفاجي (5) ، والشهاب القليوبي (6) ومحمد بن احمد الشوبري (7) ، والشيخ سلطان (8) ، وقد اجازوه جميعا . ومن ثم قصد الحرمين الشريفين حيث جاور سنين عديدة بمكة والمدينة ، واكب على التاليف والتدريس قبل ان ينتقل الى القسطنطينية عام 1081 — 70 / 1671 ، وفي طريقه اليها توقف فى الرملة (9) حيث حضر دروس شيخ الحنفية خير الدين الرملي (10) ، واقام مدة فى دمشق حضر أثناءها دروس الشيخين محمد بن حمزة ومحمد بن بدر الدين بلبان الحنبلي (11) . ولما وصل الى القسطنطينية التى اقام فيها حولا ، نال حظوة فائقة لدى الوزير ومن دونه من رجال البلاط .

ولمحمد بن سليمان الروداني تلاميذ عديدون فى المغرب والمشرق ، منهم محمد بن ابي بكر الشبلي (12) ، ومحمد بن عبد الرحمن الفاسي (13)، والشيخ احمد بن ابي بكر بن شيخان باعلوي ، واحمد بن تاج الدين الدمشقي ، ومفتي مكة المكرمة الشيخ امام الدين بن احمد المرشدي العمري الحنفي (14)، وتلميذه عبد الله بن سالم البصري (15) .

وترجع شهرة ابن سليمان الروداني قبل كل شيء الى تضلعه فى علم الفلك ، فقد صنع ، زيادة على اسطرلابات ، ادوات تظهر غريبة فى ذلك العصر ، فى نفس الوقت الذى اخترع معاصره باسكال (1623 — 1662) الآلة الحاسبة . وسننقل فيما يلي شهادة ابي سالم العياشي الذى كانت له معرفة شخصية بالمترجم ، والذي لا يتطرق الشك الى ما قال فيه :

« وكانت له — اي للروداني — يد صناع ، يحسن غالب الحرف المهمة سيما الرقيقة العمل الرائقة الصنع ، كالطرز العجيب والصياغة المتقنة وتسفير الكتب والخرازة . وقد اخبرني انه لما كان لا يتفرغ الا فى يوم الخميس فيطلع فيه ثلاثة ازواج من السباط واكثر فيبيعها ويتقوت بها الى الخميس الآخر . وله يد طولى فى عمل الاسطرلابات وغيرها من الآلات التوقيتية ، كالارباع والدوائر والانصاف والمكانات . ومن اعجب ما رايته من صناعته انه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة بحسن احتيال ولطف تدبير الى ان لا يكاد صدعها يبين ، ويصير مثل الشعرة الرقيقة .

ومن الطف ما ابدعه وادق ما صنعه واجل ما اخترعه الآلة الجامعة النافعة فى علمي التوقيت والهيئة ، ولم يسبق الى مثلها ، ولا حاذى احد على شكلها ، بل ابتكرها بفكره الفائق ، وصنعه الرائق ،

---

(3) انظر م. القادري ، النشر ، 1 : 216 ، و ك. بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، 2 : 355 ، و الملحق ، 1 : 545 .
(4) انظر ك. بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، 2 : 317 .
(5) المصدر السابق ، 2 : 285 ، والملحق ، 2 : 396 .
(6) المصدر السابق : 2 : 364 ، والملحق ، 2 : 492 .
(7) المصدر السابق ، 1 : 181 ، 396 و 2 : 330 ، والملحق ، 1 : 307 ، 682 / 3 ، 2 : 443 ، 458 .
(8) المصدر السابق ، 1 : 294 / 4 ، 450 ، 2 : 198 ، 233 ، والملحق ، 1 : 290 ، 647 ، 651 ، 807 ، 842 ، 2 : 290 .
(9) مدينة صغيرة فى فلسطين تقع فى شمال شرق بيت المقدس .
(10) ك. بروكلمان ، الملحق ، 2 : 266 ، 312 ، 426 ، 428 .
(11) المصدر السابق ، 2 : 448 .
(12) مؤلف كتاب مشرع الراوي فى مناقب بني‌علوي . انظر ك. بروكلمان ، الملحق ، 2 : 617 .
(13) ل. بروفنسال ، مؤرخو الشرفاء ، ص . 295 ورقم 1 ، مع المراجع المذكورة هناك .
(14) انظر ك. بروكلمان ، فاتح الادب العربي ، 2 : 279 ، والملحق ، 2 : 510 .
(15) المصدر السابق ، الملحق ، 2 : 521 (931).
وهذه المعلومات مأخوذة عن ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 4 : 358 — 359 نقلا عن المحبي فى خلاصة الاثر ، وعن ابن المترجم سالم الروداني فى الامداد فى معرفة علوم الاسناد .

وهي كرة مستديرة الشكل ، منعمة الصقل ، مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتان ، يحسبها الناظر بيضة من عسجد لاشراقها ، مسطرة كلها دوائر ورسوم ، قد ركبت عليها اخرى مجوفة منقسمة نصفين ، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها ، مستديرة كالتي تحتها ، مصقلة مصبوغة بلون اخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ، ومخبر فائق ، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة ، مع سهولة المدرك لكون الاشياء فيها محسوسة ، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذى بينها مشاهد فيها وتخدم لسائر البلاد على اختلاف اعراضها واطوالها .

وحاصل القول فيها ان الوصف لا يكاد يحيط بها ، ولا يعلم قدرها ومزيتها الا من شاهدها وكانت له معرفة بالملمين ، فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر ، ويعلم ان من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان بعد ان كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره ذهنا ، قد ايد بنور الهدى والهام رباني » (16) .

والف ابن سليمان الروداني رسالة يبين فيها كيفية استعمال هذه الكرة سماها النافعة على الآلة الجامعة (17) . وقد يكون من المفيد محاولة اعادة تركيب هذه الالة اعتمادا على رسالة المؤلف ، لاخذ فكرة عن تقدم الفلك في ذلك العصر . كما الف منظومة طويلة في الفلك وشرحها (18) ، رد فيها على نظريات بعض الرياضيين معتمدا على قواعد وبراهين من عنده . ومن غريب الصدف ان الرياضي والفيزيائي الانجليزي المشهور نيوتن (1643 — 1727) اخترع بعد موت الروداني بمدة قصيرة قانون الجاذبية الارضية (سنة 1687). فاذا كان الرجلان مختلفين من حيث البلاد واللغة ، فقد شغلتهما نفس الاهتمامات في ميدان البحث والابتكار .

وقد كان مترجمنا المنجم من اكابر الفقهاء والمحدثين ايضا ، فاهله ذلك لان يشغل في مكة ، بعد رجوعه من القسطنطينية عام 1082 — 1672/71، منصب مفتي الحرمين الشريفين ، فكان له من النفوذ القوي ما يمكنه من الفصل في جميع المسائل الفقهية الخاصة والعامة ، ويجعل شريف مكة المكرمة يرجع اليه ويصدر عن رايه في جميع القضايا ، ودامت تلك المكانة السامية للروداني الى ان توفي شريف مكة عام 1093 — 1682 ، اي سنة واحدة قبل وفاة المترجم . وبعد ذلك زالت حظوته وحكم عليه بالنفي الى بيت المقدس فامتنع من الذهاب اليه متعللا بانعدام الامن في الطريق ، واخيرا ترك اسرته في مكة وذهب الى دمشق حيث عاش وحيدا لا يخالط الا قليلا من الناس ، مكبا على التاليف . وهناك الف كتابه المشهور في علم الحديث الجمع بين الكتب الخمسة والموطا (19) على نمط جامع الاصول لابن الاثير (المتوفى عام 606 هـ) الا انه اكثر منه تفصيلا ، ويحتوي فضلا على ما في موطا مالك بن انس (المتوفى عام 179) على احاديث الكتب الخمسة التي هي صحيح البخاري (المتوفى عام 256)، وصحيح مسلم (المتوفى عام 261) وسنن ابي داوود (المتوفى عام 275) ، وجامع الترمذي (المتوفى عام 279) ، وسنن النسائي (المتوفى عام 303) ومن المعلوم ان اصطلاح المحدثين في الاصل يضيف الى الكتب الخمسة السابقة سنن ابن ماجه (المتوفى عام 273) لتكون الكتب الستة الاساسية في التشريع . وقد تردد راي المحدثين خلال العصور بين اعتماد الكتب الاربعة فقط (باخراج كتابي الترمذي وابن ماجه لما فيهما من الاحاديث الضعيفة) او الكتب الخمسة (باخراج سنن ابن ماجه فقط ، او الكتب الستة جميعا (20) . وبذلك يكون المترجم

---

(16) ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 4 : 349 — 350 ، وقد كان ابو سالم العياشي اول من ادخل الى المغرب آلة من هذا النوع اهداها اليه الروداني نفسه ، واستعملها بعد ذلك ابن عبد الله العياشي في الزاوية الحمزاوية لتحقيق القبلة وتصحيح محراب مسجدها ، (انظر مجلة تطوان ، 1963 ، عدد 8 ، ص، 162 ، مقال م . المنوني .

(17) مخطوط المكتبة الحمزاوية ، عدد 168 ، (انظر المرجع السابق ، ص . 151) .

(18) طبعت المنظومة في الهند ، وعنوان شرحها: مقاصد العوالي بقلائد اللآلي ، (مخطوط عدد 146 .

(19) طبع هذا الكتاب بالهند .

(20) انظر ع. ابن خلدون ، المقدمة ، (طبعة بيروت)، ص 792 — 793 ، وكولدزيبر، دراسات حول الحديث الاسلامي ، 7 : 322 ، 327 وما بعدها .

قد تبع المعروف من تطور اصطلاح المحدثين . والف الروداني كتابا آخر اوسع من الاول واشمل ، جامعا فيه بين اربعة عشر من كتب الحديث وسماه جمع الفوائد بجامع اصول ومجمع الزوائد (21) اشتمل على احاديث الكتب الستة السابقة ، والموطأ ، ومسند الدارمي (المتوفى عام 255) ، ومسند احمد ابن حنبل (المتوفى عام 241) ، ومسند ابي يعلى الموصلي (المتوفى عام 307) ، ومسند البزار (المتوفى عام 292) ، ومعاجم الطبراني (المتوفى عام 360) الكبير والاوسط والصغير . ويعتبر رجال الحديث كتاب الروداني هذا احسن واوفى من كتاب الهيثمي (المتوفى عام 808) الذى جمع فيه من قبل احاديث هذه المسانيد كلها .

وقد الف ابن سليمان الروداني علاوة على ذلك اوائل الكتب الحديثية ، ومختصر التحرير فى أصول الحنفية (22) لابن الهمام (المتوفى عام 861) ، وشرحه ، وترجم لنفسه فى فهرسته صلة الخلف بموصول السلف (23) التى ذكر فيها كل ما قرأ من الكتب، والشيوخ الذين اخذ عنهم ، واعطى بالخصوص فكرة عن التعليم فى عصره . وله فى النحو حاشية على التسهيل ، وحاشية على التوضيح ، وكلاهما لابن مالك (المتوفى عام 672) ، وفى البلاغة مختصر تلخيص المفتاح للقزويني (المتوفى عام 739) ، وشرحه ، وفى صناعة قرض الشعر ، جدول فى العروض ، وفى طريق القوم ، منظومة فى التصوف (24) .

وكما كان ابن سليمان الروداني رياضيا ومنجما، وفقيها ومحدثا ، ونحويا ولغويا ، كان كذلك اديبا ، واكتست آثاره النثرية والشعرية طابعا خاصا ان لم نقل غريبا ، مثلما هو الحال فى الحرف الدقيقة التى كان يمارسها ، والآلات الغريبة التى يصنعها . وهذه مقطوعة شعرية يجيب بها احد اصدقائه ، وهو يحيى ابن الباشا الاحسائي ، بمناسبة مروره بالمدينة المنورة ، فى ثمانية ابيات من بحر المديد ، رويها الهمزة ، تتفرع عنها عدة ابيات مختلفة البحر والروي ، اذا ما قرئت عموديا او افقيا او جزئيا ، ويتركب من الحروف الاولى فى الابيات الاصلية كلمتا (يا يحيى خذ) اشارة الى الآية الكريمة : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » (25) :

ي يفعت .·. غرة بدوة .·. تباها
لامع .·. وجها .·. سمى .·. الذكاء
ا ارتقى .·. على الانام .·. ضياه
ساطع .·. عطره .·. شذى .·. الندا‌ء
ي يقظ .·. فطن اريب .·. لبيب
شامخ .·. المجد .·. ذكي .·. النهاء
ح حاكم .·. نظم اليتامى .·. ذكاه
بارع .·. شعرا .·. سني .·. البهاء
ي يقتضي .·. شكرا علينا .·. ثناه
باهر .·. الحسن .·. بهي .·. القناء
ا أصله .·. عند انفخام .·. حباه
رافع .·. قدرا .·. ولي .·. اللواء
خ خطبه .·. فى نسج نظم .·. بديع
بحره .·. طام .·. وفي .·. العطاء
ذ ذارشي .·. عند الخزام .·. شذاه
هامع .·. زهرا .·. زهي .·. الصباء (26)

ولا حاجة الى استخراج ما فى هذه الابيات من تكلف ومبالغة ، بحيث لا يكاد يبقى فيها شيء اذا استثنينا ما تحتوي عليه من ضروب التكرار والحشو . وقد تنبه لذلك ابو سالم العياشي فرجا من القاريء ان يتساهل مع الشاعر ، ويغض الطرف عما فى اسلوبه من ثقل ، وفى افكاره من رتابة « لما اشتملت عليه من افتان الفنون ، وبائع الفصون » .

(21) انظر ع . ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام 4 : 336 و 339 ، وم. السوسي ، سوس العالمة ، ص. 181 ..

(22) شرح هذا الكتاب المسند محمد سعيد بن محمد سنبل الشافعي (انظر ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 4 : 359) .

(23) مخطوط عدد 5 ح ، مكتوب بخط ابن المؤلف ابي بكر عام 1097 – 85 / 1686 .

(24) انظر م. السوسي ، سوس العالمة ، ص 181 .« وهذه المؤلفات يغلب على الظن انها كلها توجد فى الشرق » .

(25) السورة 19 ، الآية 12 .

(26) انظر ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 4 : 357 ، نقلا عن رحلة العياشي .

وكتب الروداني على تلك الابيات نثرا لا يقل عنها تصنعا :

« دونكها بكرا تدانيها ، لانك اخو ابيها ، اقترحها فكر بارد ، وقدحها زند خامد . قال تعالى: « يخرج الحي من الميت » وفقتها من القصائد عشرا وفوقتها من النوافح نشرا ، لتكون مكان قصيدتك بمالها ، والحسنة بعشر امثالها . ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة ، ابيات قصيدتك الباهرة ، فان لاقيتها فيافوزها بسعادتها ، او القيتها فيا خسارتها في تجارتها . فان قلت الشعر بالشعر يربى ، والتفاضل في البيع يربى ، قلت التفضيل عند المالكية حاصل ، والتحصيل بعد المعية فاصل ، وقول باهرتك ان القريض على العبيد عسير ، على بمعنى عند وسبق القلم ، فكتب محل الكاف عينا ، والشاء سينا ، تذنيبا منه بنكتة كالشمس خفاها ، والضياء دجاها .. » (27)

تدل هذه الجمل القصيرة المزدوجة السجع على قصر في النفس ونقص في الالهام . واذا كان المثل المضروب قد اختير بدراية فان الامر ليس كذلك فيما يتعلق بالآية الكريمة ومرماها البعيد عن احتمال التشبيه بانتاج هذا (الفكر البارد) و (الزند الخامد)

يستنتج مما سبق ان فكر ابن سليمان الروداني كان علميا اكثر منه ادبيا ، فكانت كتاباته النثرية والشعرية ، بما فيها من تعقيد وضروب تنسيق لا تخلو احيانا من مهارة وبراعة ، تذكر بالطرف الفنية والالات الدقيقة التي تنتجها يد الصناع . هكذا كان هذا الرجل الغريب الذي درس علاوة على كل ما تقدم علوم السحر من رمل ، واوفاق ، وسر الحرف .

وكانت وفاة محمد بن سليمان الروداني بدمشق ، في عاشر ذي القعدة الحرام عام 1094 — 31 اكتوبر 1683 (28) . ودفن بوصية منه في التربة الايجية بسفح جبل قاسيون .

الرباط — د. محمد الاخضر

---

(27) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(28) وليس عام 1682 كما حسبه ع. ابن سودة في الدليل ، ص. 304 ، ولا عام 1095 كما في بعض المصادر الاخرى . (انظر م. القادري ، النشر الكبير ، ورقة 155 ب ، وع. كنون ، النبوغ 1 : 285 .



رسالة المغرب الثقافية في افريقيا

للاستاذ
الحسن السائح

لم يكن الاطار الجغرافي الذي يعيش فيه المغرب بمنأى عن العلاقة بين هذا الاطار والحيوية الفكرية التى اتسم بها العقل المغربي أذ لا شك ان هذا الاطار وضع المغرب بين أوربا وافريقيا فكان معبر الثقافات التى لم تكن تمر فى مجرد قنوات قائمة وانما كانت تتجسد فى شخصية ابناء المغرب الذين يستوعبون هذه الثقافات ويتمثلونها ويعطونها عصارة تجربتهم

ولهذا فالاطار الجغرافي كان اطارا اجتماعيا وثقافيا لصهر عملية الاخذ والعطاء والنقل ..

واذا كان من الصعب ان نتابع تطور العلاقات الزمنية والعلاقات المكانية فى موضوع متشعب كهذا الموضوع ، فان هذا لا يمنع من البحث عن طريقة سهلة وواضحة لاقتناص الموضوع من عدة جوانب حتى نعطي نظرة تقريبية على الاقل ... وتسهيلا لذلك نتساءل اولا عن حدود المغرب ، من اين تبتدىء واين تنتهي .. ولا شك ان هذا التحديد يختلف باختلاف العصور اختلافا كبيرا ، كما نتساءل عن الحقبة او الحقب التى عاش فيها المغرب مستوعبا لحركة الاخذ والعطاء والنقل .. وهي عصور تختلف باختلاف الدول المتعاقبة عليه حيث قد تصل الحدود الى امتداد شاسع او تتقلص لاسباب سياسية او اقتصادية .. وليس من السهل ان يعالج الانسان هذه المواضيع دون ان يعتمد اعتمادا كليا على مصادر تاريخية وفقهية وسياسية ودبلوماسية وادبية وفنية .

وهذه المصادر لا تسلم من الاخطاء والاغلاط المقصودة وغير المقصوده ، اذ كثيرا ما تجاهل المؤرخون الغربيون عدة حقائق تاريخية لاعتبارات سياسية .. اضف الى ذلك ان الحضارة الافريقية لم يكتب لها أن تدون اوليس من طبيعتها ان تدون مما جعل من العسير معرفة كثير من تاريخ افريقيا ... واذا كان التاريخ المعاصر يعتمد اسسا فلسفية جديدة وبالاخص التحليلات التاريخية التى استنتجها هيجل من دراساته للتاريخ فان هذا الفيلسوف لم يجد حرجا ان يقول حين بلغ به البحث الى تاريخ افريقيا ، انها قارة بدون تاريخ .. وقد كان مجحفا فى حكمه اجحافا لا يكفره الا جهله بتاريخ افريقيا .. والواقع ان لافريقيا تاريخا حافلا

وقد اعطت افريقيا لاوربا (الانسان الاول) فقد اثبت علماء الانتربولوجي ان الانسان الاول ظهر فى افريقيا ومنها عبر عن طريق المغرب ، الى اوربا وقد عثر عن بقايا عظام لهذا الانسان فى طنجة ودبرد ديرويكي .

ويؤكد بعض علماء تطور الاجناس ان الانسان الاول (نياندرتال) من العصر الحجري ومن هذه النواحي انتشر فى عدة قارات ولا ينكرون ان يكون

سبق بانواع اخرى قبله ، ولكن الانسان الاول الذى يظهر فى اوربا جاء اليها من افريقيا لصعوبة الحياة فى بقاع ثلجية ، وسهولتها فى القارة السمراء الحارة .. ثم جاء الانسان الموستري الذى يمثل فى افريقيا وسطا بين الموستري وبين نوع آخر ذي ملامح فيكوية وباتصال الموتسترية والاريجانسية انبثقت مدنية الانسان العاقل (نيادرسال) وهو شبيه كما قلنا بالانسان (كرومانيون) Cro-Magnon الذى عثر على بقاياه سنة 1868 . وهو من الفصيلة البيضاء التى عثر عليها فى بيركول (Périgord) ويبسط علماء الاجناس الانسان فى هذه الحقبة الى عهود ثلاثة ولم يتدرج النمو الانساني فى افريقيا الا فى العصر الحجري الوسيط لمساعدة البيئة لذلك بخلاف الانسان فى اوربا حيث تعتبر الحضارة الاوريجانسا سليلة الجنس (جريبالدى) وهو من الزنوج عكس السولتري الذى يعتبر من جنس الكرومانيون القوقازي ..

واذن فالحضارة الاوربية مدينة للجنس الجريبالدي الافريقي الذى وصفه العالم (الكسندر موريه) بأنه جنس زنجي صغير الحجم من الهتنتوت والبوشمي الموجود حاليا فى وسط افريقيا .

ويفترض العلماء ان هذا الجنس بدا فى افريقيا الشمالية ونما على حوض البحر الابيض المتوسط حيث عبر اوربا الغربية والوسطى حتى العصر الحجري الحديث ، كما يرون ان ذلك قد تم منذ مليون سنة تقريبا . فاختفت كل الاشكال الناقصة ليبرز الانسان الحقيقي الذى شيد الحضارة الانسانية حيث برزت الحضارة (العاطرية) فى المغرب والحضارة (السبيلية) فى مصر والحضارة (القفصية) فى الصحراء اما بالنسبة لافريقيا فان الانسان (جريبالدي) الزنجي انتشر فى افريقيا

ويتلخص من هذا كله ان المغرب الاول عريق تاريخه ، عرف حضارتين اوليتين ، وسكنه نوعان من الاجناس ، ومنه عبر الانسان الافريقي الى اوربا والى مجاهل افريقيا . ثم ظهر من ذلك جنس الانسان (اسيلر) الذى اكتشف فى مالي وهو قريب الشكل من (البانشو) و (الجريمالدي).

هذا عن نشأة الانسان بافريقيا الشمالية والتفاعل الحضاري بين أوربا وافريقيا على الصعيد الانتروبولوجي ..

اما عن تأثير البيئة فان التشابه واضح بين سكان افريقيا الشمالية والشرق الادنى ، وهو تشابه عرقي وبيئي ايضا كما ان هذا التشابه واضح بين سكان افريقيا الشرقية والشرق الادنى فالسودان الذى يبدا من شمال نهر (زمبيزى) مارا بساحل البحر الاحمر وينتهي بوادي الاردن يرجع فى طبيعته الجغرافية الى تكونه فى عصر جيولوجي واحد . ونظرا لوحدة هذه البيئة فقد ظلت الاتصالات والهجرات متوالية فى هذه الرقعة الجغرافية .

وكان المغرب دوما نهاية المد الثقافي ، وبداية الارتياد من جديد ومن ذلك محاولة المصريين الفراعنة لعبور المحيط الاطلسي عن طريق المغرب والسفن الشراعية البردية الى أمريكا كما تؤكد ذلك تجربة المغامر السويدي المعاصر . ولا يستبعد ان يكون المغاربة قبل ذلك عرفوا هذا العالم بدليل عناصر قبلية من مطماطية ذكرها المؤرخون القدماء. وهكذا كان المغرب معبر الحضارة الفرعونية الى امريكا . كما يذكر المؤرخون هجرة العرب الحميريين من اليمن الى مصر ، ومنها الى افريقيا الشمالية مستدلين بذلك على وحدة العنصر البربري والعنصر العربي ذي الاصل الواحد من العرب العاربة .. وكما هاجر العرب الى افريقيا هاجر الاحباش الى جزيرة العرب فى حروبهم الطويلة مع العرب الى هزيمتهم (عام الفيل) . ولما جاء الاسلام هاجر المسلمون الى الحبشة ، وهاجر اليهود من خيبر الى افريقيا الشمالية لينقلوا كروم الواحات التى احرقتها الكاهنة (داهيا) لمحاولة توقيف الزحف الاسلامي على افريقيا الشمالية .

ثم جاء العرب الفاتحون الى افريقيا الشمالية لينشروا الاسلام ويوحدوا الشعوب فعبروا الى الاندلس عن طريق المغرب والى افريقيا السمراء عن طريق المغرب ايضا .. ولا شك ان هذا المعبر كان سهلا على الفاتحين العرب لوحدة البيئة الجغرافية والبشرية .. وكما جاء الفاتحون العرب عن هذا الطريق كلما ضاقت بهم البلاد الشرقية لاسباب سياسية ومذهبية حيث نرى الامويين يتوجهون الى الاندلس عبر المغرب والادارسة بعد ذلك ليستقروا فى وليلي وبني هلال يدخلون المغرب فى عهد الموحدين .. ثم نرى امتدادا آخر الى افريقيا الوسطى عن طريق الحبشة

التي هاجر اليها الازديون بعد انتصار الحجاج الثقفي فاستقروا بالزنجبار ، وهكذا وصلت الثقافة الاسلامية الى مجاهل افريقيا عن هذين الطريقين .

وكان التفاعل بين الاجناس فى هذه المنطقة عظيما فانصهرت فى وحدة حضارية مما سهل على الفنيقيين الاستقرار الحضاري فى المغرب ، بل ان علماء الاجناس البشرية يرون ان اقباط مصر وهم سكانها القدماء ينتمون الى العنصر البربري ، وان البربر تركوا اليمن واستقروا بوادي النيل وسواحل البحر الاحمر والصومال والحبشة ثم انتشروا فى افريقيا الشمالية ويعتبر منهم التوارك ، والشاوية (فى الاصل رعاة الشاه) وكان لهؤلاء جميعا خط قديم فينيقي وحضارة سامية انتشرت فى افريقيا الشمالية وامتدت الى تخوم افريقيا السوداء وبقي اثرها بارزا فى الطقوس الكهنوتية ، والزواج والدمى والرقص والرسم والفلكلور .

اما دور المغرب فى هذه الاتصالات فان موقعه الجغرافي جعله مدا للامتداد ومرحلة للتصهر والتلاقح فسكان افريقيا السمراء عبروا منه الى اوربا كما عبر هؤلاء اليها عن طريقه ، فلا غرابة ان تعج آسيا واوربا بالرجال السود والسوداوات وان ترى فيما بعد الرجل الابيض يتجول متاجرا ومقيما فى مجاهل افريقيا محاولا ترويج بضاعاته ، وتجربة اسلحته واظهار تفوقه العلمي .

ومن المغرب تطورت حضارة التوارك الذين يسمون انفسهم (بموشاك) اي الحر الشريف كما يقول البربر (امازيغ) الاحرار .. ورغم ان الفيتشية الوثنية ظلت فى افريقيا فان التوحيد السامي اثر فيها فلم تكن فى وثنية متعددة الآلهة كاليونان ، او متعددة الصور كالبوذية فهي وثنية بسيطة تكاد ان تكون نوعا من الوثنية العربية القديمة، وتدفق الهجرات للاسباب التى ذكرتها جعل سكان افريقيا الشمالية الغربية من السودانيين والمغاربة وزنوج البانتو (اي الكفرة) المنتشرين فى حوض (الكونغو) والذين وصل بعضهم فى القديم الى جنوب افريقيا وتسموا (بالزولو) ووصل آخرون منهم الى ساحل البحر الهندي ، اما سكان افريقيا الشرقية فهم من زنوج المساي وزنوج (البانتو) ومن السوحليين المنحدرين من العرب والزنوج

ولا نظن ان هذه الصلات القديمة كانت صعبة فان المؤرخ الروماني (بلين) الذى عاش فى القرن الاول للميلاد يتحدث عن عرب اليمن وتجارتهم فى الحبشة وسواحل افريقيا الشرقية ، وبطليموس اليوناني يتكلم عن وصول العرب الى ساحل (موازمبيك) للتجارة فى العاج والطيوب والتوابل والمعادن كالذهب والفضة .

ولا يجادل احد من المؤرخين ان الاسلام كان اقوى طاقة قوية جبارة هيأت الانسان ليسمو على العراقيل المختلفة ، ويصبح اداة لنقل الانسان من مرحلة التعلق بالسحر والخرافة والاجترار الى مرحلة الانسجام التام مع الكون والطبيعة . والالتحام مع الانسان نفسه لتحقيق عمل جماعي يقهر كل المعوقات النفسية والاجتماعية .

ولهذا فقد كانت المعجزة الاسلامية ان يجعل من العرب امة ، وان يجعل من عقلها ووجدانها اداة لاستقطاب المعرفة وتسخيرها لخدمة الانسان. ولنذكر اثر ذلك على صعيد افريقيا فان السفن العربية الاسلامية عبرت بالفاتحين اولا والتجار ثانيا ارخبيل الملايو وجزر الجبال القمر ، ومدغشقر ، حيث اسس العرب ممالك ما تزال قائمة الى اليوم، ووصلوا ايضا الى (مقدشو) فاسسوا مركزا بها وال (بمبه)، و (زنجبار) و (روديسيا) ، والكونغو ، وهناك حملوا الفلاحة ، القطنية والقنبية ، والنيلة ، وقصب السكر والارز ، واستخدموا الحصان والثور ، واستغلوا الارض والاشجار ..

اما فى افريقيا الشمالية فان الاسلام الذى اوقد الجذوة العربية هو الذى اوقد جذوة الفكر المغربي بكل عناصره المتساكنة به .. وقد كان عقبة بن نافع اول فاتح وصل الى جنوب المغرب حيث انتهى الى (تاكلاتين) قرب السودان ، واسلم كثير من سكانه، ويعنون بالسودان سواد البشرة .. ويرى بيرت Berth المؤرخ الانجليزي ان عقبة فتح التكرور وغانة معتمدا رواية اسلامية تتكلم عن وجود جالية اسلامية فى العقد السادس من الهجرة ، وربما اخطأ فى زعمه لان غانة تقع فى القديم على نهر النيجر قرب السينغال الذى كان امتدادا لقبيلة صنهاجة المشتق منها اسم السينغال .. والواقع ان من الصعب تحديد الخط الذى وصل اليه عقبة ، لان السودان كانت تمتد فى الشمال الى (وادي النون) كما تمتد قبائل صنهاجة وكدالة الى الجنوب .. فلا يبعد ان يلتبس وادي النون بوادي النيجر عند

الفاتحين الاولين كما يرى ذلك بعض المؤرخين . ثم جاءت دولة لمتونة لتري الامير (تزلوتان) كما عند ابن الخطيب ق (أعلام الاعلام) او (ترلوتا) كما في العبر او (يتلوتان) كما في القرطاس ، وهو امير لمتوني دان له ملوك السودان واتقاه بأداء الجزية ازيد من عشرين ملكا ، وكان يركب في مائة الف نجيب وتوفي سنة 222 ثم جاء حفيده (بالتو) بن معي بن فيولوتان بن تيكان الصنهاجي ، ثم بعده تلين بن يالتين . ثم محمد بن تيفات اللمطي وقد استشهد في السودان ثم جاء الامير يحيى الكدالي، ثم دولة ابي بكر بن عمر بن تلاكاكين وعبد الله بن ياسين الذي كان رباطه في السنغال قرب النيجر (بسان لوي) . الا يدل كل هذا على الاستمرار في التبادل البشري والثقافي بين المغرب والقارة السمراء .. فمنذ عقبة بن نافع الذي فتح افريقيا الشمالية الى السينغال ومنذ عبد الرحمن بن حبيب الذي حفر الآبار في الواحات الى موريطانيا كما في القرطاس ، الى تمركز اللمتونيين في (اضرار) والمسوفيين والكداليين في (النيجر) الى هجرة اللمتونيين الى غانة التي تعتبر اقدم مملكة زنجية في التاريخ القديم .. ولا شك ان التبادل الاقتصادي طور من الصلات بين المغرب وافريقيا على الصعيد المعماري فبنيت عدة قرى في الواحات وشيدت منازل من الطابية والخشب ، وتلك بداية الاستقرار في هذه المناطق ، وتوحدت الطوتمة بين قبائل المغرب الجنوبية وافريقيا الوسطى كما تقاربت الانغام الموسيقية والرقص والعادات والاطعمة والزي ، واصبح يحق ما يقوله مؤلف الاستبصار وهو مؤرخ مغربي قديم يرجع الى القرن الخامس الهجري . (وكلمة التوحيد والهداية متصلة من طرابلس الى مدينة غانة) .

ولقد اهتم المؤرخون العرب بالجانب الاقتصادي والاجتماعي وما يسمى بعلم الانتسولوجي وكتب عن هذا الموضوع عن افريقيا السمراء المتاخمة للمغرب كل من ابن حوقل والبكري ، والادريسي والحموي والعمري وابن خلدون بالاضافة الى ملاحظات اجتماعية صحفية بالمعنى المعاصر دونها ابن بطوطة وليون الافريقي ، وكذلك المؤرخون الافارقة كمحمد الكوتي النيجري مؤلف تاريخ السودان ، وتذكرة النسيان لمؤلف مجهول والسعدي في تاريخ السودان بالاضافة الى مصادر برتغالية واسبانية وهولندية وانجليزية لا تسلم بعضها من تعصب وتحيز ..

وتعتبر حضارة (افريقيا الغربية والوسطى) مزيجا من الحضارة البربرية التي وصلت عن طريق المغرب، والعربية عن طريق الحبشة وزنجبار. مما تكون حضارة (زنجية) بابعادها الحضارية لا العنصرية .

ولقد توغل الملثمون في افريقيا الوسطى فقضوا على ممالك غانة في عهد (تيولوتان) كما في ابن خلدون (ج 6 — ص 181) . وكانت حدود غانة من (ادرار) وبلاد التكرور (وهي السينغال) كما تمتد كذلك من نهر النيجر الى مدينة (اركى) ومن عواصمها القديمة غادربار ، وديارسي وسلا وغير ذلك من العواصم .. وقد وقف شعب (صوصو) المقيم بجنوب غانة في وجههم ثم سهلوا لهم الدخول الى اودغشت في الصحراء الكبرى . وبذلك حمل الملثمون الرسالة الثقافية المغربية الى دلتا نهر السينغال والنيجر وصنغاي وكان عهد يوسف بن تاشفين عصر القضاء على الوثنية بين زنوج افريقيا. وهكذا اسلمت غانة كلها . وفي ديوان ابي الربيع سليمان الموحدي عامل تافيلالت رسالة الى ملك غانة في موضوعات اقتصادية ، اما مملكة صنغاي فكان اسلامها في عهد زاكسي الذي اسلم سنة 400 هجرية .

كما انتشر الاسلام بمالي في عهد كونكو موسى او منسي موسى وفي عهد سعيد منسي سليمان من سلالة سوندياتا الذي كان من المثقفين الواعين والذي ضمت مملكته ما يقرب من اربعين مركزا حضريا وقرويا ، وقد حج واشتهر اسمه في الشرق وصحبه في عودته الشاعر الاندلسي ابراهيم الساحلي .

وكانت للملك كونكو موسى صلة بابي حسن المريني ، حين هناه بفتح السودان مع هدايا نفيسة فرد الهدية بأحسن منها ولكن الوفد وجده قد مات وخلفه ابنه ، ثم اخوه سليمان الذي مات ابو الحسن في عهده وصلى عليه صلاة الغائب .. وفي هذا العهد وصل ابن بطوطة الى افريقيا الغربية ليحدثنا في رحلته عن اعلام مغربية وتقاليد واعراف واحكام اسلامية .. وابن بطوطة تجول في مالي وغانا وغينيا ملاحظا انتشار الاسلام في هذا الجزء من افريقيا ، كما لاحظ ان سكان بوالاتين يحتقرون الجنس الابيض وتعرف على قاض من دكالة وتاجر من سلا وعلى

جماعة من الاباضيين فى مدينة (اغري) .. وتكلم ابن بطوطة عن انتشار العدل والامن . وتكلم عن سلطان تكدا البربري .

وبعد ابن بطوطة نقرا وصف ليون الافريقي لتمبكتو وحضارتها العلمية والاقتصادية . وجاء عصر المنصور السعدي لنجد السعديين يستولون على عدة عواصم فى صنغاي .

وقد بدا الخلاف بين المنصور وهؤلاء يوم طالب السعديون سكيا بن اسحاق بمعدن تغازي وضريبة عن جمل الملح ، ونظرا لامتناعه تقدم السعديون لمحاربته معتمدين الاسلحة الجديدة والاستعانة بالجمل للسير اليهم عبر الصحراء ، ولعل هزيمة المسلمين فى الاندلس ومحاولة البرتغال الاستيلاء على الساحل الافريقي للوصول الى الرجاء الصالح مما قوى عزيمة المنصور لغزو هذه الاقطار حتى يستطيع الجيش الاندلسي بقيادة جوذر ان يحصل على الذهب ليعزز اسطول الجهاد ، ورغم معارضة علماء المغرب والمقاومة الفقهية للفقيه احمد بابا السوداني فقد تقدم المغرب فى غزو افريقيا ونجح فى ذلك حيث حطم اطماع البرتغاليين الى حين .. وهذا ما اضعف هذه الممالك وزاد فى ضعف مالي استقلال (صنغاي) وغزو البرتغال لمالي كما اسس الملك (اوكاغو) مملكة سوتي مستوليا على تمبكتو والتوارك واستمر ذلك الى عهد (بامبارا) .

والحق ان هذه الدولة ترجع الى القرن السابع الميلادي حيث حكمها افراد من اسرة (دجة) وهم من اصل عربي ومنهم الملك (كونكو موسى) و (علي كوليس) المعروف بابن علي ثم حكمها فى اواخر عصورها محمد توري الذى كان اعظم منظم لهذه المملكة فى اطار اسلامي ، وازدهر فى عهده ازدهارا عظيما وبالاخص تمبكتو ، وكاغو ، ودجيش ، وقد نظم السلطان سيكا الدراسة فى عهده حيث كان بتمبكتو عدة مدارس اسلامية وقد حج واتصل بالامام السيوطي وكانت تحد مملكته بساحل العاج جنوبا وشمالا وبنجيرا شرقا ، وتشمل قسما من الصحراء ومالي والسنغال وسيراليون وفولتا العليا .

اما قبائل المانجو ، والحوصة وقبائل الفيلاني Fuble فقد اعتنقت الاسلام مؤخرا وانتشرت فى ساحل غينيا . ومن قبائل الفولاني المصلح الوهابي عثمان ديفيدو ، الذى استطاع ان ينشر العربية والاسلام فى قبائله . وطالما حارب الوثنية .. ولا ننسى ان نذكر ما اضطلعت به الطرق الصوفية ، كالجزولية والشاذلية والقادرية والدرقاوية والتيجانية من حمل رسالة الاسلام وثقافته الى افريقيا ، وطالما رحل الدعاة من الوعاظ والتجار الى هذه الربوع النائية .

والواقع ان الشعب المغربي منذ كان ، وهو شعب متفتح يأخذ ويعطي ويتحمل كل الصعاب ليبلغ رسالته وهكذا استطاع ان يجعل من افريقيا بلادا مسلمة .. ورغم قوة المستعمرين الذين جعلوا من الكنيسة وسيلة لمحاربة الاسلام فى افريقيا فقد ظل الزحف الاسلامي مستمرا ، وعندما عجزت الكنيسة تبنت اساليب الاسلام ، فرتلت الانجيل على نهج الهمزية والبردة ، وصلت على النبي (عيسى) بل ان بعض القسيسين خطب للمسيح على المنبر الاسلامي فى المسجد بمدينة (كابرال) بموزمبيق اظهارا لوحدة الدين .

اما الاسلام فلم ينتشر الا بثقافته الانسانية وعدائه للعنصرية اللونية والزنجية المتعصبة . والتصوير الزنجي للجنس الاسود العربي وتقدير المسلمين لبلال الحبشي .. وكان المسجد بيت الاستقرار الروحي للافريقي بعكس Youyou الكنيسة والبيعة والهيكل .

الرباط ــ الحسن السائح

الأندلس العربي

أول سفارة ثقافية مشرقية إلى

للدكتور عبد الله أنيس الطباع

في قرطبة حياة ، فالمدينة المتكئة على هضبات سيرا مورينا ، تشهد في عهد عبد الرحمن الاوسط ، مؤسس الخلافة الاموية في الاندلس اول سفارة ثقافية مشرقية ، تؤم الدولة بدعوة من الناصر لدين الله .

لقد خرج الحكم المستنصر ولي العهد باسم الخليفة ، وفي رهط كبير من الوزراء والوجوه والاعيان والعلماء ليستقبل في قلب الدولة ، ابا علي اسماعيل القالي ، بعد ان استقبل بحفاوة بالغة ومن الجزيرة الخضراء من وجوه الرعية ، ومن بياض كورة المدينة ورجالاتها العظام يتقدمهم عامل الدولة ابن رماحس .

نشأ ابو علي القالي في بلدة بمنازجرد من اعمال ديار بكر ، واقام فيها حيث تلقى ثقافته ، ثم رحل الى بغداد سنة ثلاثمائة وثلاث للهجرة ، تسعمائة وخمس عشرة للميلاد مع اهالي قالي قلا الذي نسب اليهم .

في بغداد اكب القالي على الدرس وجد في التحصيل على علماء الحديث ، وجهابذة اللغة والرواية فسمع عن البغوي ، والعدوي ، والسجستاني ، وابي محمد يحيى ابن محمد ابن صاعد ، والقاضي ، والمحاملي ، وابن عبيد ، وابي بكر بن مجاهد المقريء .

كان القالي طلعة في النحو ، والعربية ، والادب الى جانب تعمقه وفهمه للحديث واصوله : ويرجع في ذلك الى النخبة من الاساتذة الذين درس عليهم امثال درستويه ، والزجاج ، والاخفش الاصغر ونفطويه ، وابن دريد ، وابن السراج ، وابن الانباري ، وابن ابي الازهر ، وابن شقير ، والمطرز ، وجحظة ، وابن قتيبة وغيرهم ، وهم الذين تكررت روايته عنهم **في كل ما** كان يمليه من المحاضرات .

نبغ أبو علي القالي في العلوم التي برع فيها نبوغا لم يكن لاحد ممن تقدمه ، او تأخر عنه ، وعده المؤرخون اماما ثبتا ، وحجة ثقة ، فوصفه الضبي في كتابه «بغية الملتمس» ((بأنه كان علما في اللغة متقدما فيها، متقنا لها؛ فاستفاد الناس منه ، وعولوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه في غاية التقييد ، والضبط والاتقان . وقد الف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته)) .

عاش القالي في بغداد خمسا وعشرين سنة ، فبلغ فيها اوج مجده وذروة شهرته ، فكان احفظ اهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين وما عتم ان استدعاه الخليفة الناصر الى الاندلس لنشر علمه ، والاستفادة من معارفه وعلومه ، فلبى الدعوة وحط الرحال في قرطبة .

ان في استدعاء القالي من بغداد الى الاندلس ، وفي عهد عبد الرحمن الناصر الذي رفع منار العلوم والفنون ، اكثر من معنى ، فجده سلمان كان مولى للخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، وولاء القالي للامويين في تادية رسالة الثقافة والعلم في الاندلس الاموي حفظ لعهد بني امية ، ونشر رسالتهم وتحدث

عن امجادهم وتاريخهم العظيم في المشرق والمغرب العربيين .

هذا ، ومن المؤرخين من يؤكد ان الرجل ، بالرغم من مركزه العلمي في بغداد فان الحظ لم يبتسم له في كنف الدولة العباسية ، ومن هنا كان ولاء ابي علي القالي للمبدا وللدولة التي رعت جده الاول وعرفت مركزه .

من الثابت ان ابا علي القالي كان استاذا جامعيا من طراز رفيع وفي رتبة كبار المحاضرين الثقاة الذين يقدرون الرسالة الجامعية ، ويعون قيمة البحث العلمي واصول النقد والاثبات ، والموازنة والحكم ، تلك الاحكام الادبية التي يطلقونها بعد دراساتهم للنصوص، والتي هي قيمة وغاية الدراسة الجامعية الحديثة .

على هذا المنهج من البحث والدرس والتقرير كان يحاضر عالمنا في ايام الاخمسة في قرطبة ، وفي غير هذه الايام في المسجد الجامع بالزهراء امام علماء الاندلس وادبائها ، فكان يملي من حفظه ما اعمل نفسه في جمعه ، واشغل ذهنه في درسه ، حتى حوى خطيره، واحرز رفيعه، وروى جليله، وعرف دقيقه، وعلق شارده، وروى نادره ، وعلم غامضه ، ووعى واضحه .

في حدود هذا الواقع العلمي املى العالم الجليل الثقة محاضراته اللغوية والادبية التي استوعبها كتابه: « الامالي » الذي قال فيه محمد بن حزم : ((ان كتاب نوادر ابي علي مبار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب ابي علي اكثر لغة وشعرا)) .

الى جانب كتاب الامالي الف القالي كتاب الممدود والمقصور الذي رتبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصى في بابه ، وكتاب الابل ، وكتاب حلى الانسان والخيل وغيرها .

هذه الكتب التي يعتبرها النقاد ذخيرة علمية كبيرة ، والتي يرجع الفضل فيها الى الحكم المستنصر التلميذ الذي وعى علم استاذه ، واحب الادب عن طريقه واشتدت رغبته في اقتناء الكتب بسببه فأسس اكبر مكتبة في الاندلس ، لقد اجمع المؤرخون « على ان الحكم كان يحث استاذه على التاليف وينشطه بواسع العطاء » .

بلغ ابو علي القالي استاذ الحكم الخليفة الاموي ، واستاذ النخبة من العلماء والادباء والفقهاء في الاندلس مبلغا عظيما من الرفعة والشهرة فما زاده ذلك الا تواضعا واحتراما للعلم ، وتقديرا لاترابه من العلماء ، فلقد سأله الحكم المستنصر ذات يوم ((من انبل من رايته ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال محمد بن القوطية)) .

لقد كان شرفا عظيما للعالم الكبير ان يهدي مؤلفه الامالي الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ينوه بفضله على العلم والعلماء فيقول في مقدمة كتابه :

((لقد جعلت غرضي ان أودعه من يستحقه ، وابديه لمن يعلم فضله ، واجلبه لمن يعرف محله ، وانشره عند من يشرفه ، واقصد به من يعظمه ، وبقيت مدة ابتغي له مشرفا ، حتى تواترت الانباء بأن مشرقه في عصره افضل من ملك الورى ، بذال الاموال ، محقق الآمال ، مفشي المواهب ، معطي الرغائب ، امير المؤمنين ، وابن عم خاتم النبيئين ، عبد الرحمن بن محمد محي المكارم ومبتني المفاخر)) .

وبعد فاذا كان المستشرق الاسباني اميليو غرسيا كومس يعتبر القالي اول سفير للثقافة المشرقية في الاندلس ، فلا شك بأن القالي كان اول استاذ جامعي في قرطبة كرسي الخلافة ــ وحاضرة الثقافة في الاندلس العربي .

عبد الله أنيس الطباع



مالك بن المرحل

604 - 699 هـ

الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره.

للأستاذ محمد العلمي حمدان

- 3 -

مؤلفات ابن المرحل :

من خلال التآليف العديدة التى ذكرها كل من ارخ لابن المرحل فى شتى فنون اللغة والادب ، ومن خلال ما تبقى منها ، ومن خلال السلاسة والسهولة التى كان يجدها هذا الرجل فى فن القول شعرا ونثرا ، ومن خلال الاحكام التى خلفها عنه والشهادات التى رسمها له كل من عرفه ، نستطيع القول ان ابن المرحل كان ذا قلم سيال فى كثير من فنون الادب شعرا ونثرا ؛ فهذا كتاب الادب المغربي يذكر عنه انه كان الى جانب كونه شاعرا من الدرجة الاولى ، عالما مشاركا فى علوم شتى (1). ووصفه غيره بانه كان شاعرا رقيقا مطبوعا سريع البديهة رشيق اللفظ ذاكرا للادب واللغة وغيرها ، وانه استعان على ذلك بالمقاصد اللسانية من علم العربية والحفظ الجيد من الشعر والبصر بمعانيه. ونترك الآن الاحكام والشهادات واصحابها الى اماكنها فى غير هذا المكان .

وقد ضاع القسم المهم من انتاجه مع عاديات الزمان وتقلب الاوضاع المختلفة التى سبق ان اشرنا الى بعضها فى الحلقة الاولى، اما ما بقي فلا يعطينا مع الاسف الصورة الحقيقية لمعارف هذا الرجل وشاعريته وفقهه وكل ما يمكن ان نستشفه من الباقي ، هو السهولة التي عرف بها هذا الرجل فى التاليف شعرا ونظما ونثرا ، وهي اشياء شهدت بها كل المصادر التي ارخت له ، ورغم تعدد هذه المصادر مع الاسف فان الاخبار والفوائد التى تمدنا بها عن شاعرنا تكاد تكون متشابهة مما يدل على انها اخذت عن بعضها كالاحاطة فى اخبار غرناطة وفتح المتعال فى مدح النعال وازهار الرياض والذخيرة السنية ودرة الحجال وجذوة الاقتباس وغيرها ، وتنقسم تاليفه الى ثلاثة اصناف : التعليمية او النظم والنثر والشعر .

اما المنظوم من شعره وهو غالب تاليفه فهو تعليمي ويتجلى فى النحو والفقه واللغة ، ومنها الكتب التالية :

1 ـ ارجوزة فى نظم غريب القرآن لابن عزيز.

2 ـ نظم اختصار اصلاح المنطق لابن عربي .

3 ـ التبيين والتبصير فى نظم كتاب التسيير. وهي قصيدة طويلة فى علم القراءات عارض بها الشاطبية وزنا وقافية .

4 ـ الواضحة وهي قصيدة فى الفرائض .

5 ـ ارجوزة فى العروض .

6 ـ ارجوزة سماها اللؤلؤ والمرجان .

(1) الادب المغربي : للاستاذين محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ص 221 .

7 ـ سلك النحل لمسالك بن المرحل .

8 ـ نظم فصيح ثعلب سماه الموطئة يستهله بفاتحة تبين بعد الصلاة والسلام على الرسول الكريم، ما عزم على تنفيذه من تفسير وشرح لهذا الكتاب عن طريق النظم يقول :

حمدا الهي واجب لذاته
وشكره على علا صفاته

نحمده سبحانه ونشكره
ومن ذنوب سلفت نستغفره

ثم توالي افضل الصلاة
على الرسول الطاهر الصفات

محمد ذي الكلم الفصيح
والفضل والتقديس والتسبيح

وبعد هذا ما جرى في خاطري
في غير ندب نادب او امر

ان انظم الفصيح في سلوك
من رجز مهذب مسبوك

وبعض ما لا بد من تفسيره
وشرحه والقول في تقديره

ثم ينتقل الى الباب الذي يريد تناوله ، ففي باب فعلت يقول :

ورعدت سماؤنا وبرقت
كأنها قد بسمت ونطقت

كذلك الانسان في الوعيد
وفي المخيف منه والتهديد

وقد يقال في الوعيد اوعدا
وابرق الانسان ان تهددا

قال الكميت بعد كسر السجن
وهرب سار به في امن

ابرق وارعد يا يزيد انني
ليس الوعيد ضائري فامعن

هذا يزيد وابوه يشتهر
بخالد القسري ليس ينكر

وفي باب فعلت بفتح العين يقول :

وقد غبطت المرء في احواله
اغبطه بالكسر في استقباله

اعني تمنيت لنفسي مثل ما
له ولا يسلب تلك النعما

وهكذا يمضي كما يقول الاستاذ كنون مسترسل النفس ناظما زهاء الف وثلاثمائة بيت لا ينقطع ولا ينبهر ، ويكون نفسه مع ذلك انما هو خاطر يخطر في صدق ودون تكلف (2) .

9 ـ ارجوزة في النحو : وتوجد منها نسخة في الخزانة العامة في ثمان وثمانين صفحة .

10 ـ نظم الثلث من كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة بعد ترتيبه (3) .

ويظهر ان هذه المنظومات جاءت متاخرة في مراحل عمر شاعرنا اذ نجد كتاب «الادب المغربي» يذكر ان ابن المرحل قد استغل قدرته على النظم في نظم كثير من العلوم التي لا تهمنا بقدر ما تطلعنا على مرحلة الشيخوخة في التاليف (4) . ومع تاييدنا لهذا الراي فاننا نجد ما يبرره في عصر ابن المرحل وظروفه . بينما يلاحظ الاستاذ كنون الامر من زاوية اخرى فيرى في نظمه قوة وانسجاما وخلوا من الحشو والتكلف كدليل على صدوره عن قريحة شاعرة وملكة نادرة جعلت الكفيف الانفاسي يضرب بها مثلا يتجلى في الابيات التالية والاول ليس له يقول :

لقد مزقت قلبي سهام جفونها
كما مزق اللخمي مذهب مالك

وصالت على الاوصال بالقد والبها
فامست كابيات بتقطيع مالك

وملكتها رقي لرقة عطفها
وان كنت لا ارضاه ملكا لمالك

---

(2) ذكريات مشاهير رجالات المغرب (ابن المرحل) الاستاذ عبد الله كنون . .
(3) ذكريات مشاهير رجالات المغرب (ابن المرحل) الاستاذ عبد الله كنون .
(4) ص 221 .

ونادينها يا بغيتي بذل مهجتي
وما لي قليل في بديع جمالك (5)

والشاهد عندنا في البيت الثاني .

ونظم فصيح ثعلب مثال كامل على هذه القدرة التي يباشر بها موضوعه حتى جاء من السهل الممتنع لا تكاد تعثر فيه على مفخم من اللفظ رغم ما ضمنه من شرح للغريب وتفسير للمشتبه من المعاني . وهذا واقع واضح لكل من قرأ منظوماته التي تأتي على خلاف المنظومات التي كثيرا ما يطبعها التكلف والحشو والجفاف لتؤدي سبحتها التعليمية التي وضعت لها ، وقد بلغت به دقة الصنعة وسلامة اللفظ وسهولته الى تجميل منظوماته بالمحسنات البديعية من جناس وطباق ، والى استغلال التشبيهات والاستعارات في سهولة ويسر دون تعمل او تكلف مما يشهد بقدرته على الاخذ بناصية اللغة ، ومثل هذه الصنعة لن تجدها في شعره الذاتي كالغزل مثلا : حين يتعلق الامر بأحوال نفسه وحين يتطلب الامر صدق التعبير ، مما لا يدع مجالا للصنعة والتزويق ، وهو ما سنلاحظه حين نتناول شعره بالشيء من الدرس والتحليل .

كتبه النثرية : ليس لابن المرحل من كتبه النثرية التي بقيت او عناوينها ما يثير الفضول لقرائته او طرافته او دسمه فأغلبها شروح لكتب اخرى او اعادة تنظيمها، وبسرد عناوينها يتجلى ذلك في وضوح فمن كتبه النثرية :

1 ــ شرح نظمه للفصيح ويوجد مع النظم في مجلدين .

2 ــ ترتيب كتاب الامثال لابي عبيدة على حروف المعجم .

3 ــ كتاب الحلى وقد ذكره صاحب جذوة الاقتباس .

4 ــ شرح ارجوزة في العروض ذكره ابن القاضي في درة الحجال .

5 ــ كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا كما سماه المقري .

وهذا الكتاب الاخير هو الذى قد نستثنيه من الحكم السابق ، اذ يمتاز بطرافة موضوعه وبتوفر الحجج والاستدلالات الفقهية والاحاديث المروية والقصص الاخبارية والنوادر الادبية واكاد اقول انه يمثل ابن المرحل في ثقافته واطلاعه وموسوعيته ومحفوظه في مختلف ثقافات عصره ، ويمثل باعه الطويل في تناول الموضوع مهما كان تافها من جميع اوجهه في الشعر والنثر والفقه واللغة وكان أثر الجاحظ لعظيم يطل علينا بذلك الخليط الزاخر من المعلومات الشبيهة بدائرة المعارف وهذا الكتاب عبارة عن مناظرة بينه وبين ابي الربيع المذكور آنفا حول كلمة « كان ماذا » هل يعمل في ماذا الاستفهامية ما قبلها . واذ كان ابن المرحل يجيز ذلك فان ابن الربيع النحوي احد معاصريه قد انكر عليه ذلك الاستعمال وغلطه وقال : الصواب (ماذا كان) فأجابه ابن المرحل بالبيت التالي :

عاب قوم (كان ماذا)
ليت شعري لم هذا ؟

الخ (6) .

وظل النزاع بينهما ، فالف ابن المرحل في المسألة والاحتجاج لها من كلام العرب والرد على المنتقد كتابا سماه كان ماذا او كما سماه المقري كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا . ومن كلامه في ذلك قوله :

ايها القائل :

كان ماذا ليتها مدم
جنبوها قربها عدم

ليتني يا مال (7) لم ارها
انها كالنار تضطرم

يقول لك مالك : لا بد ان تصبح من تحت طبق على طبق نيران كان ماذا ؟ » ونادوا يا مالك ليقض

---

(5) نفح الطيب الجزء 2 ص 432 .
(6) بغية الوعاة للسيوطي ص 384 ــ سلوة الانفاس ج 3 ص 100 ــ النفح ج 5 ص 279 .
(7) مال : ترخيم مالك .

علينا ربك ، قال انكم ماكثون ، لقد جئناكم بالحق ، ولكن اكثركم للحق كارهون » الى كم تقيد في كان ماذا تقييدا بعد تقييد ؟ لقد حصلت منها في امر شديد ، الى كم تعيد فيها وتبدىء وتنظم وتنشيء، اغرك احتمالي لقدحك ومزحك ، وصبري على الم جرحك حتى قلت : ما لجرح بميت ايلام ، انتهزت الفرصة في اذاية صبور ودلاك حلمه بغرور حتى قلت :

كل حلم اتى بغير احتمال
حجة لاجىء اليها اللئام

تالله لو نهيت الاولى لانتهت الاخرة ، ولم تكن الفاقرة تتبعها الفاقرة ، ولكن اغضيت على القذى ، وصبرت على الاذى حتى قيل : لو قدر لانتصر ، واتصل لامر فصار ديدنا ، فلا جرم أن اتعقب كلامك والفت عليك كلامك فاقول : وانما اخاطب من سمع خطابي ونظر في كتابي : اعلم اعزك الله ان هذا الرجل المشار اليه هو الذي اثار نار كان ماذا التي احرقته حتى صاح : ليتني يا مال لم ارها .. البيت . وذلك انه سمع رجلا ينشد لي قصيدة في محفل كريم جمعني واياه ، وكان فيها : واذا عشقت يكون ماذا؟ هل له دين علي فيقتدي ويروح ؟

فقال : لحن هذا الناظم ، لا يقال كان ماذا ولا يكون ماذا ولافعل ماذا ولا افعل ماذا ؟ ولا يجوز ما كان على هذه الطريقة ولا سمع ؛ فاستشهدت عليه ببيت الجارية وهو :

فعاتبوها فذاب شوقا
ومات عشقا فكان ماذا ؟

ويقول الشاعر :

فعدك قد ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا ؟

فقال : هذا لحن ، ولا يحتج بمثل هذا . فقلت له : ايراد العلماء لهذا الشعر وقبولهم له حجة على جوازه، وهذا كثير . ذكر ابو علي البغدادي في الذيل من النوادر انبانا الزبير حدثنا اخي هارون بسنده عن وهب بن مسلم عن ابيه قال : دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق فمررنا بسعيد بن المسيب فسلمنا عليه فرد ثم قال : يا ابا سعيد من اشعر ؟ اصاحبنا أم صاحبكم ، يريد عمر بن ابي ربيعة وقيس الرقيات . فقال له ابن مساحق: حين يقولان ماذا ؟ قال : حين يقول صاحبنا :

خليلي ما بال المطايا كاننا
نراها على الادبار بالقوم تنكص..

الابيات .

ويقول صاحبكم ماذا ؟ فقال له وهب .. الخ.

وحكى ابو علي قال : قرع باب ابن الرقاع فخرجت بنية له صغيرة فقالت من هاهنا فقالوا : نحن الشعراء ، قالت وتريدون ماذا ؟ قالوا : نهاجي اباك . فقالت : تجمعتم من كل اوب ووجهة على واحد ، لا زلتم قرن واحد ، قال فاستحيو ورجعوا واستشهدت بحكاية اخرى اخرجها ابن قتيبة في عيون الاخبار قال : مر اعرابي بمؤذن وهو يقول : اشهد ان محمدا رسول الله ، بنصب رسول الله . فقال الاعرابي ويحك يفعل ماذا ؟ . وبحكاية اخرى من الكتاب المذكور قال : وصعد اليربوعي فخطب وقال : اما بعد فاني والله ما ادري ما اقول ولا فيم اقمتموني اقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : الزيت مبارك فكلوا منه وادهنوا .. (8)

ما شعر ابن المرحل فيتجلى في الدواوين التالية :

1 ـ الجولات اي المختارات ، وقد جمع فيها ما اختاره لنفسه من شعره وقد ضاع .

2 ـ الصدور والمطالع وقد ضاع ايضا .

3 ـ مدائحه النبوية وقد اعتبرها كتاب الادب المغربي غرضا من اغراض التصوف ومنها :

أ ـ الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والاخرى وهي تحتوي على قصائد في مدح النبي وذكر ميلاده وغزواته اي السيرة النبوية وقد رتبها على حروف المعجم ولزم افتتاح اباتها بحرف الروى ، وقد شرحها المؤلف ، ويوجد فيها ديوان مع

(8) نفح الطيب ج 2 ص 520 طبعة ليدن ـ وقد اوردها النبوغ المغربي كاملة .

شرحه فى خزانة الرباط العامة مخطوط رقم ج 89 وهذه صورة الصفحة الاولى منها يقول فيها :

الى المصطفى اهديت غر ثنائي
فيا طيب اهدائي وحسن هدائي

ازاهر روض تجتنى بعطارة
واسلاك در تصطفى لصفاء

اكاليل من مدح النبي محمد
بها حازت الآداب كل بهاء

اضفت الى ميلاده غزواته
وما من لي من آية وابناء

اردت رضى ربي بها فهو ارتجي
وربي كريم لا يضيع رجائي

ب ـ العشرات النبوية فى المديح ايضا وتوجد منها حسبما ذكر الاستاذ كنون نسختان بالاسكوريال وهي مجموعة من نمط الوسيلة فى كل حرف منها عشرة ابيات .

ج ـ العشرات الزهدية وهي على نمط ما قبلها فى عدد الابيات والتزام البدء بحرف الروي وتختلف عنها فى الموضوع الذى هو الزهد والترغيب عن الدنيا .

د ـ ديوان « دوبيت » صغير والدوبيت كلمة مركبة من دو الفارسية بمعنى اثنان وبيت العربية ، وهو نوع استعمل فى المشرق واستعمله المغاربة ويكون غالبا فى النسيب او الهجاء . وديوان ابن المرحل فى الدوبيت يوجد بالاسكوريال ايضا فى كراس ، ومعه قصائد اخرى (9) .

وفى حلقتنا المقبلة ، بحول الله سنتعرف على اغراض شعره وسنتناولها ببعض من التحليل والراي. وسنرى كيف انها اقدر على ابراز ملامح هذا الاديب .

فاس ـ محمد العلمي حمدان

---

(9) ذكريات مشاهير رجالات المغرب (ابن المرحل) الاستاذ عبد الله كنون .

قصة العدد

- عيون عائشة تدمع
- هب الريح .

معرض الكتب ١٨١

- موسوعة العتبات المقدسة .
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
- ثلاثة كتب عن الصحافة فى المغرب .
- دراسات نقدية : اديب بين الترجمة الذاتية وفنية القصة .
- لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب .

من أنباء العالم الإسلامي

قصة العدد



تصعد مريم عقبة حي (البيازين) في مدينة غرناطة بتثاقل وعسر . فقدماها المتمرستان على السير الطويل تحس فيهما خورا وعياء ، بل ان الخور والعياء شملا الجسد كله ، من اعلى الراس الى اسفل القدمين ، والدماغ كان مطارق الحديد العاتية تضرب فيه ، والعيون غشيتهما غمامة رقيقة ، لا تكاد تبين معهما الاشياء باحجامها واشكالها والوانها على حقيقتها ، والاشخاص لا يتميزون تميزا واضحا ، ثم ان اليد التي كانت تقبض على الحاجيات النفيسة التي هي في الحوزة تبض احتراز وتخوف .. هذه اليد لم تعد قاوية لا على الحمل ولا على الامساك ، ولا على الدفع ولا على الجذب !

انه عندما تمرض النفوس وتحار الاذهان فلا شك ان الاجسام تمرض هي ايضا ، وعندئذ يصبح كل حلو مرا ، وكل جميل قبيحا ، وكل بهيج ذميما منفرا .. وكيف لا تمرض مريم وهي ترى الحال الذي صارت اليه غرناطة المجيدة الابية الصامدة ؟ .

لقد كانت قبل اليوم تمر على بيوت الوجهاء والكبراء والوزراء وتحت يدها صنيدقات مرقومة بالصدف المطعم بالفضة ، تحتوي على عقود من الجوهر او اللؤلؤ ، او على حلي من الذهب ، المنقوش او المخرم او المرصع ... وبمجرد ما تعرض بضاعتها الثمينة تتخطفها الايدي ، ويجرى لها الثمن بالقدر الذى يملأها رضى على حرفتها .. من براعتها في حرفتها هذه انها كانت لا تكتفي بالبيع ، بل انها تشترى كذلك ، وتبادل ولا ترى مانعا في ان تقايض، لقد حذقت مهنتها على أيدي مهرة الصياغين من الذميين والمسلمين ، الى ان اعترفوا لها بالبراعة والذكاء واللباقة والحذق ، وتيقنوا منها انها عميلة متميزة بالصدق والاخلاص . فلا شبهة لغش او احتيال .

كانت تحمل الى الغواني المسلمات التيجان والعقود والاساور والاقراط وتحمل الى الفاتنات المسيحيات الصلبان المرصعة وغير المرصعة ، والقطع المستديرة التي تجسمت فيها صورة السيدة العذراء ام المسيح ، وكذلك صور بعض القديسين والقديسات تعلق في النحور اظهارا لثبات العقيدة المسيحية وتغلغلها في النفوس ... اما اليهوديات فهن لا يقربن الصلبان ولا صور القديسين ابدا ، ولكنهن يقتنين بعض الاشكال الهندسية كنجمة داود وحدوة الحصان وشكل الكف وبعض المستطيلات التي كتبت عليها طلاسم وتعاويذ باللغة العبرية ، من شأنها ان تدفع الشر عن الجمال اليهودي وترد ضرر الحاسدين واصابة عيونهم عن الكسب الوافر والحظ الظافر والرزق المتكاثر ..

غير ان خريف هذه السنة جاء بالكساد الخانق فاليهوديات لم تعد لهن رغبة في الشراء مطلقا ؛ وهم يحرصون على ما تحت ايديهم من الاموال حرصا

شديدا ، والمسلمات يغالبن مع ابائهن من اجل لقمة العيش، لقمة العيش التى يتعسر الحصول عليها يوما بعد يوم، وهم جميعا بين كل ضحى وعشية يتوقعون نداء الرحيل من الديار و لاوطان .. والنصرانيات صدرت لهن الا يشترين اي شيء ، فليتركن الخصوم وزوجاتهم وبناتهم والقريبات منهن يتخبطن فى الازمات وتعض ما باليد والبوار والكساد الى حين تتفتت عزائمهم ، وتذوب مقاومتهم ، وتتكسر شوكتهم ، ويميلون الى الاستسلام .. وهاهم فعلا قد استسلموا !

فى الطريق الى قصر الحمراء ، الى قصر الاميرة الجليلة عائشة الحرة شاهدت (مريم) ما راعها واذهلها .. احياء المولدين يضج فيها النصارى بالغناء والعزف والرقص والصخب ، ويتساقون الخمرة تساقي الماء البارد فى يوم حار ، وكلهم اشتبكوا باختلاف اعمارهم فى الرقص والعناق ومواقف التبذل .. واحياء اليهود اختلط فيها الحابل بالنابل ، والقائم بالقاعد واليائس بالمتخاذل والعابس بالباكي ، الرجال اصفرت وجوههم وخارت قواهم وارتعشت انامله‍م ودارت رؤوسهم فلا يدرون ما هم فاعلون . ان فى نفوس بعضهم من الضيق والحسرات ونيران الغضب والنقمة ما لا تقوى على اطفائه الا السيوف والرماح الفاعلة فى الصدور والنحور .. ولكن القوم لم يتعودوا على حمل السيوف والرماح ، فمن اين لهم لاذرع الجبارة والقلوب الصخرية لينازلوا ويصاولوا ويقاهروا .. يبقى ميدان الكيد والحيلة واثارة هؤلاء على اولئك ، لكن الاسبان اخذوا حذرهم من ذلك كله ، فهم فى كل لحظة متشككون فى اعدائهم ، ممتلئون حقدا عليهم ، لا استعداد عندهم لاي تنازل او تفاهم او تجاوز .. لا شيء الا الموت او النفي .

ولا تقل حيرة المسلمين عن حيرة اليهود ، انما هم يواجهون الموت مواجهة تختلف ، الموت عندهم ولا الذل ، اما الذي اعجزته الصحة فقد افرغ صناديقه العامرة لشراء السلاح والخيول ، وافرغ مطاميره لاطعام الرجال والدواب ، لا فائدة من الحرص على ذلك فانتزاعه امر محتوم من طرف الاعداء فلياخذه جند الامة المدافعة المستميتة ، وليفعل الرب بعد ذلك ما يريد ... آخرون لزموا المساجد الكبرى والصغرى وانهمكوا فى الادعية ، فلا مفزع — عند الشدة العظمى — الا الى الله ، ولي امر المؤمنين .

كان البعض قد حزم الامتعة ذات القيمة، وجهز الدواب ، وفتش عن رفقة الطريق ، ثم اتجه جنوبا الى ارض المغرب ، تاركا العقار — دارا كان او حانوتا او فندقا او حماما — عريضة لمن يتجرا وياخذه عنوة، ان ذهول القوم انساهم الاطماع البشرية الغريزية ، واوقعهم تحت طائلة غريزة اقوى واعتى هي غريزة الخوف والاندفاع عن النفس .. بقيت قلة قليلة جابهت الموقف بصمت ولا مبالاة وجمود عواطف ، والاشاعة تقول انهم عولوا على ان يندمجوا فى الاسبان دينا ولغة ومصيرا ، انهم يبررون موقفهم هذا تبريرات متنوعة : الاملاك التى افنوا شبابهم وصحتهم فى انشائها وتانيقها وتاثيثها وتعميرها والممتلكات التى حصلوا عليها بشق الانفس وبذل الاموال ..

والآخرون كذلك يفكرون : « ترى من يعوضهم عن اراضي التى عمروها وغرسوها واعتنوا بامرها حتى غدت جنة ظليلة ، ذات فواكه نادرة فى حجمها وطعمها ولونها ... والمتاجر التى لا تفتر الحركة فيها ، ولا يتوقف توارد البضائع والزبناء عليها كيف يمكن ان يترك الانسان شيئا من هذا ! كيف يمكن ان يصير الانسان فقيرا وقد كان غنيا ؟ كيف يصير لاجئا وقد كان ذا املاك وذا سطوة وجاه ؟

وهكذا تردد فى القلوب المضطربة: نحن اسبانيون فى ارض اسبانية ، فليكن مصيرنا كمصير باقي مواطنينا ... لا نريد فقرا، ولا نريد لجوءا ، ولا نريد تغييرا لاوضاعنا ... والدين لله .

مريم احزنها هذا الاضطراب فى مواقف القوم ! وهالتها الاحوال التى وصلت اليها بعض الاسر ، الجوع مزق الامعاء ، واذبل الوجوه ، والصبيان فى هذه الاسر لم يعد لهم صبر عليه ، فصرخوا ، وانتحبوا، ثم انطفا نحيبهم وتحول الى انين، انين يزيد فى فداحة الاهوال التى تعصر قلوب الآباء والامهات ... لكن عزة النفوس تمنع الايدي من ان تمتد مستجدية، مستطعمة او مستكسية، وحتى لو اذلت النفوس فان التحانن والتعاطف وابتغاء الخير لوجه الخير ، هذه العواطف السامية كلها قد غاضت من النفوس ، وصار الفرد يستاثر لنفسه وللمقربين منه بلقمة الخبز وبمغرفة المرق وجرعة الماء الصافية ،

لانه من الممكن ان اعطاها صباحا ان يفتقدها مساء ولا يجدها .

وزاد النازحون من القرى والارباض فى شدة الازمة ، فهم كالدواب الهائمة لا تعرف لها مأوى ولا مستقرا ، انما لا صبر لها على الجوع والعطش ، لذلك انطلقوا يصرخون مستنجدين ، ملحين فى الاستجداء ، ولا ينتظر ان يمنعهم الشغب الشديد من ارتكاب المخالفات والاضرار والجرائم .

... قصدت (مريم) لفورها قصر الحمراء ، ولم تلق فى طريقها من يسألها عن قصدها وعن الشخص الذى تطلب ، ولا يستمهلها الى ان يستأذن عليها .. ان الحراس والبوابين لا يختلف امرهم عن امر سكان غرناطة المنكوبين . وهكذا تخطت الدهاليز وممرات القصر حتى وقفت عند جناح الاميرة الجليلة عائشة .

ان (مريم) فى الواقع مفتونة بهذه المراة ، وهي عندها فى محل التقديس والاحترام العميقين لقد فتنتها شخصيتها اللطيفة الجذابة الساحرة ، التى تكون فى المستوى الرفيع فى حالة الاطمئنان والاستبشار ، وفى موقف الحزم والارادة والتأثير فيمن يحيط بها ويعمل تحت امرتها فى حالة الخطر والاستعجال .

هذا الجناح هو وحده الذى كانت الامور تسير فيه دون خلل ظاهر ملحوظ ، الرجال موجودون حيث يجب ان يكونوا ، والوصيفات قائمات على قدم وساق فى انجاز اعمالهن العادية ، لا اثر لتسابق او الى حزم امتعة ، كما هو الحال فى جميع انحاء غرناطة ، بما فيها القسم الكبير من قصر الحمراء ، الذى يسكنه الامير (ابو عبد الله) الذى هو اكثر سكان المملكة ـ الآن ـ اضطرابا وجزعا ... انه بصدد الاقبال على خطوة من اخطر الخطوات فى تاريخ الاسلام باسبانيا !

وجدتها تتوضأ لتصلي العصر . غسلت الاطراف ، ومسحتها بعناية فى منشفة نظيفة ، ولما وجدت (مريم) بحضورها قدمت لها ابتسامة مشرقة، عامرة بالحنان والمودة ، واستمهلتها ريثما تصلي .

توجهت الى مصلاها بخشوع ، ووقفت امام ربها الاعلى ، دون واسطة ، وفى هواء طلق ، وتحت سماء لا حجاب عليها ، وعلى بساط تلاشت زخرفته من كثرة الاستعمال ، مثل هذا الموقف الرهيب كان وما زال يهز قلب (مريم)، واقام التفكير العميق فى ذهنها، وشغلها فى خلوتها، وجعلها تقارن بين عبادة النصارى وعبادة المسلمين ، وتدرك الفارق بين الخشوع والخشوع بين التقرب والتقرب .. وما هذا منها البال حتى اسلمت على يد الاميرة عائشة ، ورغبت اليها أن تبقي الامر سرا لتمضي فى خدمة الاسلام والمسلمين فى هذا الظرف الخطير .

انها لم تفارق (ايزابيلا) الا منذ ساعات ، لقد شاهدت قداس الصباح ، وما ساده من تصنع وتعمل ، وشاهدت المراة على جلالة قدرها ومنصبها، وهي اعظم ملكات اوربا ، تقف امام الراهب ، وتتلمس اطراف ردائه ، وتطأطيء الراس امامه ، وتقوم من ركوعها مبتهجة ببركاته التي امطرها عليها ، مع عبارات التشجيع والتحريض على محاربة المسلمين الى النهاية ودون هوادة او رحمة ، ومد لها راحته فقبلتها بحرارة وايمان ... وبخشوع وانفعال .

اقتربت الاميرة الجليلة (عائشة) من زائرتها، وضعت يدها على منكبيها ملاطفة ومرحبة ، فبادرت (مريم) بوضع راسها على كتف عائشة ، وتركت هناك بعض القبلات، قبلات التقدير والشوق والمواساة القلبية .. الا انها وجدت نفسها فى حضرة امراة ثابتة القلب ، بل لعل قلبها اثبت قلب فى غرناطة ، شأنها فى ذلك شأن من بذل الجهود تلو الجهود باخلاص وايمان وشجاعة ، وما اعياه بذل الجهود ، واخيرا لم يبق امامه الا الانتظار ، وتقبل ما يأتي به تقلب الاحداث بطمأنينة كاملة ورضى تام .

قالت الاميرة عائشة :

اما زال الناس فى غرناطة الحبيبة فى احوال من الاضطراب والجزع .. صدق الله العظيم (والفتنة اشد من القتل) ، انهم يضرون انفسهم اكثر مما يضر بهم العدو ، هذا نوع من الهلاك الداخلي الذى لا يكف اي شيء ، لو ثبتنا لابعدنا عن ايديهم ثمرة النصر اياما او شهورا وربما اعواما ، ولكن اقوامنا قضاوا ـ هكذا ـ ان يتجادلوا فى مقدرة الخصم وحسن استعداده وشدة تصميمه على تحقيق مراده ... وبذلك تزيد القلوب الفزعة فزعا ، والضمائر المنهارة انهيارا ، وكأني بهم ينتظمون ساعة التسليم ، ولم يبق عندهم استعداد لسماع اصوات

الكفاح والمقاومة ، ما شاء الله ، ولا مـرد لقضائـه (يعز من يشاء ، ويذل من يشاء) .

ـ الخصم عنيد يا مولاتي ، وقد سد جميع المنافذ الموصلة الى المدينة ، وهو الان بصدد القضاء على ما تبقى من المقاومات ..

ـ طبعا ، وهذا متيسر له ، ما دام الحكام قد سلموا له مقاليد الامور ، وفاوضوه ليتنازلوا عـن كل ما طلب ، وعادوا فوثقوا بعهوده ووعوده ، فكيف تهمه ـ مع هذا ـ مقاومة الافراد والجماعات القليلة . ان الدولة هي التى من شانها ان تقاوم ، وان تثبت الى النهاية ، خصوصا وان المصير المحتوم معلوم .. ان حكام هذه البلاد رضوا بالذل والمهانة ...

ـ سيدتـــي ، هـل بلغـك ! لقـد اصـرت (ايزابيلا) على ان تحضري بنفســك فى مراسيـم التسليم ، ابو عبد الله يطاطيء الراس امام (فيرناندو) وانت تطاطئين الراس امام (ايزابيلا) ... لكن ولدك (ابا عبد الله) رفض رفضا باتـا صارما ان يقبـل بحضورك فى حفلة التسليم ، وهم بتمزيق وثيقـة المعاهـدة والتقـدم للمعـارك حتـــى المــوت ، ومن اجـل ذلـك دخلـت (ايزابيـلا) فى خصـام مع زوجها (فيرنانذو) وقابل كبرياءهـا المعـروف بعناده المشهور ... وتدخل الخواص من الرهبـــان والمستشارين المختصين فى الشؤون الاسلامية اكدوا لها الا جدوى من ذلك ، لان الديانة الاسلامية تحرم بروز المراة فى المحافل ، زيادة على انك ـ حسب خبرتهم ـ لن ترضى بذلك مطلقا ، وان ارغمت عليه فسيثور الشعب بجميع طبقاتـه من اجـل المساس بحرمتك ومقامك ، وربما حصل فى موقف التسليم ما لا تحمد عاقبته ...

ـ ابو عبد الله ثبت فى هذا الموقف ؟ عجبا ! عهدي به يتنازل الى اقصى الحدود ، ومع ذلك فاني احفظ له هذا الموقف .. انما يمكنني ان اقول لك ان ظهوري من شانه ان يشعل النار ويلهب غرناطة ثورة، هذا يعرفه ابو عبد الله ، وهو ما لا يريده ، ولا شك انه اوحى به الى مفاوضيه لتمر الامور بسلام ويخرج من هذا الموقف التاريخي العسيـــر .. متى حفلـــة التسليم على ما بلغك ؟

ـ غدا عند الضحى .

ـ هذا ما بلغني ايضا ، لهفي على بلدي الحبيب، لهفي على بني ملتي ، لهفي على الامجاد الاسلاميـــة وهي تنهار .. والهفي والهفي .. وا وجع قلبي !

واخذت عيون عائشة تدمع ، دموعا صافيـة حارة خالصة ، قلما كانت تنزل من عيونها بل مثلهـا لم ينسكب منها قط !

ـ مولاتي عائشة، لقد جمعت القليل من دراهمي ومقتنياتي من الذهب والفضة .. وجئت اليك رابطة مصيري بمصيرك ، فحيثما ذهبت اذهـب معـك ، والمتجه الذى اخترته اصاحبك اليه ، لقد احببتـك واخلصت لك دونما طمع او رهبة .. ان هذا وقت الجزع والاضطراب والخوف والتخلي عن العزيـز الغالي ... وازنت بين اهلي وعشيرتـي ومعارفـي الاسبانيين وغير الاسبانيين ورجحت ان اذهب معك او اموت معك ... ان سيدة فاضلة حصيفة يشرف الانسـان ان يسير فى ركابها .. لم يكن شعب غرناطة ولا سكان (البيازين) ولا عائلة بني سراج مخطئين حين احبوك واخلصوا لك ، وتحملوا من اجـل هـذا الحب والاخلاص البلاء العظيم . اني واثقة ان ما لا يحبك يرهبك ، اني لا ارهبـك ولكنـي احبـك هل تقبلين ان اسير فى ركابك ..؟!

هز الاميرة الجليلة هذه العواطـف النبيـلة ، التى ظهرت فى الظرف العسير من امراة اسبانيـة الاصل ، مسيحية المولد ، فقيرة العائلة ، وهبـت نفسها لها ، واشركت نفسها بمصيرها ، ووضعـت روحها فى يدها ، فى وقت اشتد فيه البلاء ، وعظم الهول ... فلم يسعها الا ان تعانقها عناقا اخويا حارا .. واخذت عيونها ـ مرة اخرى ـ تدمع ..

وقضتا معا طرفا من الليل تتذاكران ، وكانت الدلالة اكثر حديثا ، لما لها من اطلاع على الامور من خـلال تجوالهـا اليومـي فى المدينـة على الاســـر الكبيرة والمتوسطة ، من مختلف الملل . ان مثيلاتها من الدلالات يلعبن دور المخبرات ، من حيث لا يشعر احد بذلك ، اذ لهن نظرات فاحصة لا يفوتها شيء وقع ، او يمكن وقوعه ، وهن يحفظن آلاف الاسماء، ويعرفن العديد من الحالات الفردية والعائلية ، وفى آذانهن همست آلاف الشفاه بالاخبار والاسرار .. فعلى هذا فالحديث يطول ويمتد الليل بطوله ..!

كان حديث مريم هذه الليلة لا يخرج عن اخبار غرناطة واحوال اهلها ليلة التسليم وما يسود القوم من

اضطراب ويأس وخيبة ؛ انك لن تسمع الا الزفرات والبكاءوالعويل اذامررت بأحياءالمسلمين واليهود.. لكن اذا مررت بأحياء النصارى فلن ترى الا الشماتة والتشفي والتنكر لكل ما سبق من حسن جوار ومخالطة وصادق خدمة ؛ شأن كل ضعيف اذا تقوى ، وكل ذليل اذا عز ..

ذكرت لها مآت الاسر التى رحلت الى المغرب ، او التى نزحت الى جهات اخرى ، او التى ذهبت برجالها ونسائها واطفالها الى الكنائس لتعبر عن رغبتها فى الانسلاخ عن الدين الاسلامي فبارك القساوسة هذه الحركة ، فمنحوا مغفرتهم عما سبق ، ووعدوا لهم بالدعاء الخالص بين تمثال العذراء فى ظل الصليب .. وامعنوا فى كرمهم فمنحوا لكل واحد صليبا ذهبيا او فضيا او معدنيا، حسب مقام الفرد من العائلة ... وهكذا خرج الرجال وقد استبدلوا زي المسلمين بزي النصارى ، وخرجت النساء وقد كشفن وجوههن الناصعة الفاتنة التى ترمقها العيون لاول مرة ، وشوهد الصبيان تحملهم الاذرع وقد انشغلت عيونهم الفاحصة وايديهم الفتية بتصفح شكل الصلبان القريب عليهم، وبتتبع بريقها المشع ... والحقيقة يا سيدي أن اي واحد او اية واحدة لم تكن تتوفر على الشجاعة لتحدق فى وجوه بني الملة الواقعة فى المحنة ، ولو انهم وسط الانصار من متعصبي ومتعصبات الاسبان ، يصفقون لهم ويهتفن بهم ويرفعونهم على الرؤوس .. وانغمروا معهم ــ يا سيدتي ــ فى شرب الخمر جهارا وفى التهام اقراص الخبز المحشوة بلحم الخنزير النيىء ، ولم يحجموا عن تبادل العناق والقبل ومن ان يتراقصوا ...... وهكذا يا مولاتي طووا صفحة اسلام ، وفتحوا صفحة الدين الجديد بكل جراة واصرار .

واخذت عيون الاميرة عائشة تدمع من جديد ، وبمرارة اشد ، وغمغمت :

(بعد هذا كله لا يسعنا الا ان نقول : سحقا لمطامع الدنيا ، وسحقا لمتاعها الزائل .. ولا حول ولا قوة الا بالله .

وطافت مريم الدلالة ببصرها على أثاث الحجرة الثمين ، وتفحصت الحاجيات وهي ما تزال فى محلها ؛ وارادت ان تقول شيئا فتفطنت الاميرة لذلك :

ــ لا حاجة بالانسان عند الهول الاكبر الى اي متاع زائل ، فعلى هذا لن اشغل نفسي ، ولن اكلف وصيفاتي وخادماتي بالجمع والحزم والنقل والتلفيف ، سأخرج من هذا القصر خفيفة كما يخرج الهالك الى قبره . سأرحل من هنا وحيدة ، وليصحبني من شاء جزاه الله خيرا وليبق هنا من شاء ليخدم الذين سيحتلون هذا القصر ، لقد انهزمنا واستسلمنا ، ولا حق لمنهزم أن يعيش هانئا سعيدا ، النفي والتشريد اولى ، وبئس المصير ...

ماذا اقول ؟ ان مصير ولدي ابي عبد الله هو مصيري ؛ انه خجل الآن من ملاقاتي ، ولا اظنه يستطيع مواجهتي .. لكن بقائي بجانب ولدي احسن حل ... وليفعل الله ما يريد ــ أما أنا يا مولاتي فسأكون بركابك مهما كانت الحال ، لقد سلمت فى كل شيء من اجلك ...

وتحادثنا قليلا ، ومن جديد . لم اخذ النوم يداعب جفون مريم ، وبذلك تركت الاميرة لهواجس نفسها المثقلة بالهموم ، والتى هي اثقل ما يكون فى هذه الليلة المشؤومة السوداء وكادت تنفجر ضيقا وحسرة ، لولا ذكر الله الذى يشغل لسانها ، ويفيض نورا على ذهنها ، ويسبل اطمئنانا على قلبها .

وشق سكون الليل وصمته العميق صوت المؤذن يؤذن على صومعة مسجد الحمراء (الله اكبر، لا اله الا الله ... ... أصبح ولله الحمد ، الحمد لله على فضله واحسانه ، الحمد لله على جوده وكرمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ... يا واسع المغفرة ، اعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا يا كريم ..

كان هذا الدعاء بعد اذان جلجل به صوت المؤذن جاجلة مؤثرة ، كاد ان يختنق فى آخر فقراته شعورا منه بأن هذا الاذان هو آخر اذان بهذه البقعة من ديار الاسلام ، فلا اذان بعد اليوم ، ولا اقامة لصلاة .. فلا عبادة ولا قرآن ولا ذكر ولا تسبيح .. البقاء والدوام لله .

وتسرب الاذان بعباراته المؤثرة الى قلب الاميرة العميق الجزع ، لكن هذا التاثير لم تات من ورائه سوى نتيجة واحدة هي شعور الاطمئنان ، والركون

الى جانب الله ، المغيث عند الشدائد . بالله من هذا الاحساس المرير ، الذي لا يعادله ولن يعادله اي احساس عنيف مرير يماثله ولن تاتي الايام بمثله ابدا ... لقد انتهى كل شيء !

انتهت دولة الاسلام ، وانتهت حضارة الاسلام وامجاده وعظمته وعطاؤه السخي الذى استمر مئات السنين ، واصبح الكل - الآن - مهيأ للطرد والاهانة والقهر والصغار ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

وتضاربت المشاعر بعضها يتصعد ملتهبا محرقا، وبعضها يتفجر ككتل من جمار السعير ، يا لعزة الامراء الامجاد فى لحظات الانهزام والاستسلام غير الكريم ، ماذا بعد قصر الحمراء الباذخ ؟ ربما كوخ، ربما احدى الخرائب ، ربما العراء اللا محدود ، على ارض يابسة الاعشاب ، تحت سماء مثقلة بالسحب، محجوبة القمر والنجوم ... وماذا بعد الاطعمة المتنوعة الفاخرة ؟ خبز جاف ، وطعام تعافه الكلاب ، ومياه تزاحمك عليها الدواب ... وماذا بعد الافرشة اللينة ؟ والوسائد الرخصة ؟ والزرابي المبثوثة ؟ لا شيء ! ارض متربة ، واحجار صلدة ، عبء من يجلس عليها ومن يحملها سواء ... حياة لا فرق بينها وبين حياة اية دابة .

ولم تدر الاميرة عائشة كيف غلبها النعاس ، فاستسلمت الى سنة من الذ السنات التى تاخذ بتلابيب متعب منهوك ... واستمرت هذه السنة لمدة ليست طويلة مع الاسف الشديد ، اذ لم تستغرق سوى الفترة الواقعة بين طلوع الفجر وشروق الشمس ، وعندئذ استيقظ الجميع ، وبرزت شمس الضحى - لايام الخريف هذه - كئيبة ، حاجبة ضوءها عن مشهد الاستسلام ، تسليم غرناطة الحبيبة .

وتعالى ضجيج وهرج قامت من اجله فورا من مقعدها الى الشرفة ، فاذا بالخدم والحمالين قائمون بحزم الامتعة على ظهور البغال القوية ، وشدها شدا محكما ، استعدادا للسفر الطويل ، بين الاودية والشعاب وعلى قمم الجبال واعالي الوهاد والتلال

وطرق بعض الخدم الباب ، عارضين انفسهم لحمل متاع الاميرة الجليلة اذ لم يبق الا هو ... لكن الاميرة نهرت الاتباع قائلة بصوت غلب عليه الانفعال :

- اذهبوا الى حال سبيلكم ، وقولوا (لابي عبد الله) انه لا لارغبة لي فى حمل الاثقال ، يمكنه ان يأمر من ياتي بعد خروجي لياخذ من امتعة جناح هذا القصر المنكوب ، اما انا فيكفيني ان انقل الضروري من الحاجيات على هذه الدابة .

- اسرج البغلة البركية يا نعيم ، واشبعها اولا ، وخذ معها (الشقراء) ايضا ، لقد حان وقت الرحيل على ما يظهر .. مريم هل انت على استعداد؟

- نعم يا مولاتي ، فلنسارع الى خارج المدينة ، وسيلحق بنا افراد الركب ، مهما طال بهم الوقت ، لا طاقة لي بسماع هتاف الغزاة الخالية قلوبهم من الرحمة ، ولا اود ان ارى مظاهر بهجتهم وشماتتهم بنا ، ولا الدموع فى عيون الرجال حسرة منهم واسفا . ان زعقات الموت من افواه الرجال احلى فى سمع النساء من شهقات النواح ... هيا يا مريم ، (نعيم) واقف ينتظرنا .

وخرجت عائشة ولم تفلت منها اية نظرة الى الوراء ، الى القصر الذى تركته فخما رائعا من ورائها .

الرباط - محمد بن احمد اشماعو

قصة مغربية مرحة

هبّ الريح

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

بعد اربع ساعات من الضرب في طريق جبلي وعر، وقفت سيارة الركاب الحمراء على رصيفها الاخير بتطوان ..

وبدا الركاب ينزلون واحدا بعد واحد .. يطلقون ارجلهم الخدرة لتعود اليها الحياة، وينتظرون في صبر نزول احمالهم من سطح السيارة ..

ونزل ولد الحاج شلغاط يسوي طربوشه الاحمر، ويدخل تحته ما خرج من شعر أشعث منفوش، وينفض اكتاف جلبابه واذيالها .

ونظر حواليه فاذا جماعة من الطلاب أبناء المدينة الصغيرة التي قدم منها يلتفون حوله يسلمون عليه ويسالونه هل أرسل اليهم الاهل مؤونة الاسبوع ...

وبدل ان يجيب عن اسئلتهم بدا هو يسالهم عن « السي حماد »، واين يمكن ان يعثر عليه ؟

ولم يجد احدا يساعده بالجواب الصحيح رغم ان الجميع كانوا يعرفون ان « السي حماد » قاعد في قهوة « غطيس » بالغدان يأكل « السفنج » ويشرب الشاي مع جماعة من اصدقائه ..

وخرج من بينهم وهم ينظرون الى الشعر المتدلي من تحت طربوشه في غيظ .. بل لم يبخل عليه احدهم بحركة خبيثة خلف ظهره وبكلمات :

« ياك اولد شلغاط المسخوط ! » .

وذهب « شلغاط » متجاهلا ما دار خلفه مظهرا انه لم يسمع شيئا ..

كانت هذه اول مرة ياتي فيها الى تطوان بدون قفة او سلة او خنشة ..

لقد اتى لغرض خاص هذه المرة .. غرض يمكن ان نسميه ديبلوماسيا اذا راعينا طبيعته الصعبة ..

كان عليه ان يستخلص الف بسيطة من السي حماد الذي كان مدينا له بها .. وقد طال المطال بالدين حتى كاد يضيع حق المطالبة به بسبب التقادم ..

— ◆ —

وقصة المبلغ المذكور هي أن « شلفاط » قدم الى تطوان فى احدى ايام الربيع الماضي ـ وقد أوشك ربيع آخر على الدخول ـ قدم بنية شراء سلعة لدكانه بالمدينة الصغيرة .

وبالصدفة قابله السي حماد ، احد زملائه القدماء فى المدرسة القرآنية القديمة ، والذي هو اليوم معلم « قد الدنيا » كما يقول أهل العاصمة البيضاء ! ..

كان السي حماد دائما ينظر الى شلفاط باحتقار شديد لا يعرف الاخر سببه ، وكثيرا ما كان ينادبه « بالجلافط » ، وهي كلمة لا يحبها ولد الحاج شلفاط كثيرا .. وما يزال هذا الاخير يذكر اليوم الذي ضربه فيه السي حماد على طربوشه حتى توقف عند أذنيه .

ولكن هنا فى تطوان ، وبعد كل هذه السنين ، ظهر له كل ذلك كذكريات جميلة لايام طفولة سعيدة .. وخصوصا حين فتح « السي حماد » ذراعيه وعانقه وضرب على ظهره بكثير من الحنان والمحبة تأثر لهما شلفاط تأثرا بليغا ..

وذهب به الى مقهى « كونتيننتال » الفخم حيث طلب له عصيرا « أورتشاطة » كبير ، ودفع ثمنها من جيبه فى الحال مع ريال فضي ثقيل بقشيشا للساقي ، الشيء الذي بهر شلفاط واخرجه عن واقعه كتاجر صغير فى دكان نصف موجوداته فيران ..

وساعد الجو داخل المقهى الفخم بمراياه وادواته البراقة وخدمه الانيقين ، ورواده المهندمين على الهاب احلامه بأنه داخل مدينة الكنوز ..

كان السي حماد شاعرا معروفا فى الاوساط الادبية والفنية فى المدينة .. وكانت خفته وظرفه وحضور بديهته تخففان من التعاسة واللعنات التي تعقب مغامراته ومهاتراته وخصوصا مع النساء والضحايا الساذجين من المعارف السطحيين مثل ولد الحاج شلفاط ..

كان جيب السي حماد خاويا تلك الايام .. وكانت المسافة بينه وبين آخر بسيطة امسكها بطريقة شريفة لا تقل عن شهر كامل .. وهي دهر طويل من الجفاف والقحط بالنسبة اليه ..

وحين يخلو جيب السي حماد من الفلوس يبدأ دمه يغلي ، وجلده يأكل ، ورأسه يدور كالآلة الحاسبة لتخرج باقتراح يمكن الحصول به على مال ..

وحين يحصل على اي مبلغ يغلي دمه ايضا ، ويأكل جلده وتدور رأسه حتى يصرفه ! ويقول لرفاقه ان للفلوس فى جيبه لمس النار .. لا يستريح حتى يصرفها ..

وقد جرب ، حتى الآن ، جميع ابواب الرزق .. ذهب بشهادة تعيينه استاذا الى جميع المتاجر الكبرى التي تتعامل مع الموظفين بالتقسيط ، فكان يشتري منها اشياء ثم يبيعها بنصف ثمنها ويسحق المبلغ فى نفس اليوم .. وبدأت الحوالات تصله ليدفع الاقساط فكان يتجاهلها ..

وبدأ يستلف من اصدقائه والمقربين ثم اصدقائه الابعدين ، ثم اي انسان يرد عليه السلام حتى عاد لا يستطيع الحركة فى خط مستقيم داخل المدينة .. الايدي تمتد اليه من كل جانب مطالبة بدينها ..

وكان ، ليصل الى غرفته الصغيرة داخل المدينة، يضطر الى الدوران حول سور بتطوان ودخولها من « باب الجياف » حتى لا يمر بدكان أو دائن يطالبه بما له عليه ..

وشكرا لله على ان الغرفة التي كان يسكنها لم يكن صاحبها يتقاضى عنها اجرا .. فقد كانت ناديا أدبيا للجماعة استبد به هو دون الجميع ..

وفى اليوم الذي التقى فيه بولد الحاج شلفاط كانت اصابعه تأكله ، ودمه يجري كالفولاذ الذائب فى عروقه .. وهو يبحث عن ضحية بأي ثمن ..

وحين رآه علق على وجهه ابتسامة عريضة ، وذهب اليه فعانقه وضمه بحرارة كبيرة بحيث تحسس بصدره حجم حافظة نقوده ..

ولم ينطق فى محضره بكلمة « شلفاط » ، بالمرة .. فقد كانت ، نوعا ما ، لا تعجب الرجل .. كان يدعو بولد الحاج فقط ..

.. نهار كبير هذا يا أخي .. نهار كبير بمعنى الكلمة ! .. يا ترى كيف جرى ورايتك هذه المرة ؟ كيف تأتي الى تطوان ولا اراك لاقدمك الى اصدقائي من ابناء العائلات الكبيرة واصحاب النفوذ ؟ ! ..

قال له الكلمة الاخيرة سرا فى أذنه ، ومال عليه وقرص اصبعه الصغرى .. ونظر شلفاط اليه بعينيه الزجاجيتين الزرقاوين وابتسم عن اسنان صبغتها

السجاير بلون البن المقلي وقد ربطت بين شفتيه أسلاك لعاب بيضاء كخيوط العنكبوت ..

وحرك راسه فى بلاهة ، وقال شيئا لم يهتم له السي حماد .. كانت طريقة كلام شلفاط غريبة .. لم يكن ينطق الكلمات بل كان يبلعها وتحمـر عيناه وتطرفان كان شيئا ما فعلا فى حلقه .

ووضع السي حماد يده على كتفه ، واقترب من اذنيه ، ونظر يمينا ويسارا ثم همس :

« وهناك شيء » آخر — شيء آخر .. اعني آخر بمعنى الكلمة ! » .

ورسم فى الجو بيديه صورة خصر نحيل وارداف مكتنزة ، ظنها شلفاط زجاجة مشروب مرطب .

« هل انت باق هنا الليلة ؟ » .

ولم ينتظر جوابه :

« هكذا تعجبني . ! لقد قلتها لك الف مـرة .. حين تلقاني فى تطوان سأريك كيف يعيش الناس .. الناس .. اعني الناس بمعنى الكلمة » .

وفى المقهى اشترى بآخر ما كان فى جيبه علبة سجاير « لاكي سترايك » . التي كان يعرف مفعول رائحتها على شبان مدينته .. كانوا لا يدخنون الا فى مناسبات خاصة .. فى الاعياد مثلا .. وخصوصا عيد المولد حين يذهبون الى طنجـة للفرجـة على الاحتفالات ، وصرف ما جمعوه من نقود اثناء العام على الملذات ..

وحين فتح العلبة وقدمها لشلفاط اخذ هـذا سيجارة وتمتم بشيء لم يسمعه السي حماد الذي كان مشغولا باشعالها له واشعال سيجارته بسرعة ليعود الى اتمام حديثه عن الفتاتين الموجودتين عنده فى مكان ما حتى يجد صديقا يذهب معه ..

وقدم ثلاثة شبان انيقون ، فقام السـي حماد وصافحهم واحدا واحدا وقدمهم الى :

« الاستاذ ابن الحاج من عائلتي ومن اغنى تجار مدينتنا .. يبيع ويشتري بالجملة .. وله ثقافة عالية رغم انه لم يحصل الا على الشهادة الابتدائية .. انتم تعرفون الذين يثقفون انفسهم بانفسهم دائما احسن منا نحن ابناء المدارس الذين نكره الدراسة .. تفضلـوا معنـا .. »

وبدأ يقدمهم الى شلفاط بالقاب ضخمة وتواريخ عائلية مثيرة .. فكان شلفاط يحرك شفتيـه بكلمة « تشرفنا » فلا يخرج الا ريح ساخن مـن حلقـه لا يسمعـه احـد .

— ماذا ستشربـون ؟

— . . . .

— هكذا يعجبني وماذا تشرب انت ؟

— نفس الشـي ..

— برافو .. برافو للناقدين على فكرة قرات مقالتك الاخيرة فى الانيس .. هات يـدك يا اخـي اصافحك .. انها روعة .. واعني روعة بمعنى الكلمة .. انها تستحق التهنئة .. لقد كنا نتحدث عنها انـا والاخ ابن الحاج قبل حضوركم بقليل ..

— حقيقة ؟ وماذا لفت نظر الاخ فيها بالخصوص؟ وتدخل السي حماد لينقذ صاحبه من الحرج :

— قال لي انه اعجب بطريقة تناول الموضوع .. كان شيئا جديدا عليه بالمرة .. والان ماذا نأكل كختم .. اعرف انك تفضل القواقع .. حتى انا .. وانت ؟ « كالاماريس » وانت ؟ سردين مقلي ؟ جميل .. جميل .. لقد كملت . !

قالها وهو يفرك يديه ، ويدفع شلفاط بغمزته ، ويغمز له بعينه غمزة فيها كثير من المعاني ، وشلفاط يمسح العرق البارد الذي تصبب عليه قبل لحظة حين ساله كاتب المقال عما قرأ فيه .. كان يفكر انه مستعد للانتحار اذا كان ذلك سينقذه من ان يعرفوا عنه انه امي لا يقرا ولا يكتب ..

وبلع ريقه بصعوبة ، وخرج من فمه فحيح ساخن حين ساله الساقي عما يطلب كختم .. انقذه السـي حمـاد ؟

— صديقي مغرم بالانتشوباس .. يحبها اكثر من حب ابن زيدون لولادة .. وروميو لجولييـت على فكرة .. اليوم لقيت فتاة تشبه ولادة بالضبـط .. اليس كذلك يابن الحاج ؟

وغمزه بغمزته .. فبلع الاخر ريقه .. واحمرت عيناه .. وبدأ يتمتم بينما كان السي حماد قد دخل فى صلـب قصتـه ..

وتناول الجماعة كؤوسهم ، وهموا بالنهوض .. فغمز السي حماد رفيقه بغمزته :

— ادفع دوري ودورك .. لقد نسيت محفظتي في البيـت ..

والتفت الى الجماعة :

— الى اين الان ؟ سنجملها كالعادة .. ايه ؟ دورة كاملة .. كاملة .. واعني كاملة بمعنى الكلمة ..

والتفت الى ولد الحاج بينما تقدم الجماعة نحو الباب ، فقال له بهمس :

— انك ستحضر يوما تاريخيا .. اتعرف انك محظوظا حظا لا حدود له لحضورك فى هذا اليـوم ، وفى هذه الساعة بالذات ؟ سوف ترى العجـب .. العجب .. واعني العجب بمعنى الكلمة .. وادخل ذراعه فى ذراعه وخرجا من المقهى الكبير الى الممر الزاخر بالحسان والولدان ..

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية عشرة صباحا اليوم يوم احد ، وقد اخذ الشارع الرئيسي زينتـه وبهجته فكان الازدحام فيه لذيذا ممتعا ..

وامسك السي حماد بيد رفيقه يشق به الزحام كانه يفرجه فى حديقة من ممتلكاته :

— انظر .. انظر .. انظر يا اخي .. حين اقول لك انظر ، لا بد ان تنظر .. ارايت تلك الغزالة ؟ لقد نظرت اليك نظرة عجيبة .. عجيبة .. واعني عجيبة بمعنى الكلمـة ..

وامسك بيده فشدها الى صدره ونظر اليه فاذا ابتسامة بلهاء على وجهه الاحمر .. فقال السي حماد :

« اتعرف ان لعينيك الزرقاوين اثرا كبيرا على الفتيات .. لقد لاحظت ذلك منذ مدة .. كل واحدة كانت تنظر الى عينيك بافتتان كبير .. حتى بدات اغار منك .. اذا بقيت هنا يوما آخر .. فقط يوما آخـر فسوف تغزو قلوب جميع فتيات تطوان .. »

وضحك شلفاط حتى ظهر الضرس المسوس فى آخر الصف الاسفل من أسنانه .. واحس السي حماد برغبة شديدة فى الصراخ .. ولكنـه كان ذا قـدرة عجيبة على قلب شعوره ، اذ يمكنه ان يمشي مـدة طويلة وحذاؤه اليمنى فى رجله اليسـرى دون ان يتضايـق .

ومرت الجماعة على حانات المدينة باجمعها وكلما وصل دور السي حماد دفعه عنه شلفاط باضافة الى دوره .. وحين اقترب وقت الذهاب الى حيث ينظر البنات اخذه السي حماد الى احدى المباني الضخمة واشار اليه ان ينتظره ، ودخل ثم خرج من باب آخر الى الشارع تاركا شلفاط يراقب الباب حتى نزل الليل !

ولم يره بعد ذلك الا فى الصيف بعد ستة اشهر حين انتهت الدراسة ، وعاد السي حماد الى مدينتـه الصغيرة حيث وجد شلفاط ينتظـره .. وكالعـادة استطاع غسل دماغه بجملة واحدة ..

وفى ذلك الصيف كان السي حماد ياخذ كل يوم شيئا من دكان شلفاط ويضيف ثمنه الى الحسـاب الكبير حتى انتهى المبلغ الى الف بسيطة .

كان السي حماد يتقاضى الفا وثلاثمائة بسيطة اجرته كاستاذ ، يصرفها فى نفس الليلة .. كان دائما لا يبقى منها لفطوره مليم واحد .. والجميع يعرفون ذلك .. وفى الصباح يبحث عن اعقاب سجايـر الامـس ليدخنهـا .

ومر الصيف وبدات الدراسة ، واخذت الرسل تمشي وتعود بين شلفاط والسي حماد .. وموضوع المراسلة كان دائما الفلوس .. وفى النهايـة قـرر شلفاط الحضور بنفسه لاخذ المبلغ « بالسياسة » او « بالقوة » اذا اقتضى الامر ..

الا ان القوة سوف لن تنفعه لانه لا حجة له عليه الا اعترافه .. وهذه لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا فى مثل هذه الظروف ..

كانت مشكلة شلفاط الكبيرة هي اصغر مشاكل السي حماد .. فقد كان غارقا فى المتاعب تلك الايام حتى الاذنين .. ولولا خوفه من القبض عليه لطـول اهماله دفع حوالات المتاجر ، وتهديدهم له بابـلاغ البوليس لما فكر نهائيا فى هذه المشـاكل ..

وقد صارت المدينة بالنسبة اليه المنطقة الحامية التي كادت تبلغ درجة الغليان .. كل بقعة فيها تكويه .. فلم يعد يستطيع وضع قدميه على الارض ..

وبدا يفكر فى الهروب ..

كانت مشاكل زوجته التي جاء بها أبوه اليه حين رفض ان يرسل لها شيئا تعيش عليه تكبر كل يوم .. اخوها يهدده بالقتل اذا لم يكتب عليها الصـداق .. والفتاة حبلى .. وهو لا يريد ان يعترف بالمولود .. ويخاف أن يستدعي الى المحكمة فيخسر وظيفه .. الى جانب مشاكل اخرى لا يعرف عنها احد شيئا .

وجاء شلفاط ليضيف الى الكرنفال قناعا ولحنا جديدين .. فكان القشة التي قصفت ظهر الجمل ..

كان السي حماد في مقهى « الفـدان » يلقـى النكات ، ويشرب الشاي من كأس عامر بالنحل حين احس بيد مائعة تلمس اكتافه ، فشعر غريزيا بخطـر مفـاجـىء ..

والتفت .. فاذا حدسه صادق .. لقد وجـد نفـسه وجها لوجه امام شلفاط . فالتفت يحييه ويريد ان يعانقه الا أن هذا كان باردا كالسمكة حتى انه بذل جهدا غير قليل ليدفعه قبل ان يعانقه ..

وفي هذه المرة لم يسع السي حماد الا ان يسمع لكلمات شلفاط التي اعتاد ان يمليها .. لقد تدرب هذا عليها كثيرا .. سنة كاملة واربع ساعات في طريقه الى تطوان .. حتى حفظها ، رغم صعوبتها ، عن ظهر قلب .. فتنحنح وبدا :

ــ الفلوس او المخزن .. فهمتيشي ؟ اقول لك .. الفلوس او المخزن .. فهمتيشي ؟

وكانه حاكي تلمت ابرته ..

ونظر السي حماد الى جماعة اصدقائه فوجـد الجميع ينظرون اليه وعلى وجوههم ابتسامات التشفي من المواقف الحرجة التي وجد نفسه فيها في الصباح الباكر هذه المرة .. ونظر اليهم بعين ملؤها التحدي ، ورفع يدا فوضعها على كتف شلفاط الذي كان لا يرغب بالمرة في وجودها هناك، وصاح فيه : (الاستاذ سليمان جاء لاستخلاص دين منه)

ــ يا اخي هذه المرة جئت في الوقت المناسب تماما .. اتعرف ماذا كان يقول لي الاستاذ سليمان ؟ انه اكبر شخصيات تطوان تأثيرا في جميع الميادين .. يجلس مع الخليفة « وفرانكو » على مائدة واحـدة ، اتعرف ذلك ؟

ورد شلفـاط ؟

ساعرف الفلوس او المخزن !

فتجاهل السي حماد اصراره ، واستمر في كلامه:

ــ اتعرف ماذا كان يقول لي الان ؟ كان اولا يهنيني بنجاح قصتي في الاذاعة .. اتعرف ذلك ؟ الم تسمع اسمي في الاذاعة بالامس ؟ لقد قالوه اكثر من مرة .. اخوك الفائز بالجائزة الاولى .. بالفي بسيطة .. اتتصور ذلك .. سوف استلم المبلغ غدا .. وكذلك اجرتي انت تعرف اليوم الاحد .. غدا الاثنين ، وسوف اقبض اجرتي غدا! .. آخر الشهر .. انت تعرف غدا على الساعة الثانية عشرة لا بد .. ولا بد تقابلني في مبنى النيابة .. نيابة التربية والثقافة أتعرفها طبعا وحين اقبض اسلمك المبلغ .. اتفقنا ؟

وامسك بيد شلفاط المائعة فشد عليها دون رغبة منه وقال له :

ــ والان .. تريد كأس شاي معنا ام لـك اغراض تريد قضاءها الان ؟

وذهب شلفاط فتنفس السي حماد بعمق لنجاته من هذه المصيبة .. وما كاد يقعد حتى صاح فيـه صديقه المختار :

ــ اخو فطمة .. اخو فطمة آت . !

فقام السي حماد ليختبىء داخل المقهى بسرعة .. وبقي هناك حتى مر الخطر .. اخو فطمة هو اخو زوجته الذي يطلب منه صداقها او يقتله .. وهو دباغ شديد البأس لا يعرف المزاح مع الاولاد كما يكرر دائما حين يلتقي بالسي حماد ..



وكان ذلك كثيرا على اعصاب السي حماد .. فرغم انه معتاد على مثل هذه الحياة الا انه بدا يحس بالخطر يحدق به من كل جانب .. لذلك قرر نهائيـا الهروب من المدينة الى حيث لا يمكن العثور عليه ..



وعاد الى مكانه من الجماعة وهو يحاول ان يعلق ابتسامة على شفتيه ويتفادى عيون صديقه عبد السلام.

كان عبد السلام يعرف السي حماد منذ ان كانا طفلين صغيرين ــ وهو الشخص الوحيـد الذي لا يستطيع السي حماد ان يكذب عليـه .. لا لفضيلـة الصداقة .. بل لان عبد السلام يكشف جميع اكاذيبه بسرعة وفي عين المكان .. الا اذا اتفقا على الكذبة .. وخصوصا في محضر الجنس اللطيف ..

ونظر اليه عبد السلام ثم ناداه بصوت مرتفـــع فالتفت هذا فجأة :

ـــ ماذا تريـــد ؟

ـــ ماذا تريد انت ؟ اعني مـــاذا ستفعـــل ؟ اعتقد ان اذيال ملابسك بدات تلتهب .. لم تبق الا بضع ساعات وتشتعل النار فيك ..

ـــ ماذا تعني ؟ انني لا افهمك .

ـــ انك تفهم كل كلمة اقولها .. حتى القعر !

ولم يسع السي حماد الا ان يعلن افلاســـه .. ويبدأ في رسم خطة النجاة ..

وفارق الجماعة هناك على أن يلتقوا بعد الظهر ، وذهب وحده في اتجاه مبنى النيابة ..

وقبيل الغداء جاء يطلب عبد السلام من القســـم الداخلي ، فأخرجوه له من المطعم فأخذه دون أن يترك له الفرصة لاتمام طعامه .

ـــ ما هذا ؟ ماذا اصابك ؟

ـــ لقد انتهى كل شيء .. جواز السفر حصلت عليه اليوم .. كان مع البشير طول نهار أمس وهـــو يبحث عني .. وقد وعدته ان اعطيه خمسمائة بسيطة .. دعك الآن .. تعال .. لا تفكر في الاكل .. اليوم الاحد وهو آخر ايامي في تطوان .. سوف نجعله احدا .. انما احد بمعنى الكلمة ..

والتقيا بشلفاط في الشارع العام فحياه السي حماد بحركة مسرحية كبيرة كشر لها شلفاط ، وقال لـــــه :

ـــ غدا الساعة العاشرة صباحا في مبنـــى النيـابـــة !

ولم يجب شلفاط .. كانت عيناه بارزتان اكثر من اي وقت آخر ، وكأن رعدة اصابت مؤخرته .. وفغر فاه واللعاب كخيوط العنكبوت بين شفتين ..

وردد عبد السلام على مسمع من السي حماد :

ـــ آلملعوق آشلفاط .. اش كتب الله عليك !

وكان بقية الجماعة ينتظرون في بيت صديقـــه المختار ، وهناك بسطت آخر تفاصيل الرحلة المجهولة .. السي حماد ذاهب الى الشرق !

انه سيصل الى هناك ويفتح الطريق لبقية الجماعة .. سيكتب لهم عن الاحوال هناك ، ويهيىء لهم الجـو المناسب للقدوم ..

وفي تلك الليلة فاضت المأكولات والمشروبات ، والسي حماد يدفع الدورة بعد الدورة محتجا بجنون اذا حاول اي واحد من الجماعة أن يدفع ..

هذه ليلتي الاخيرة .. الاخيرة .. فينبغـــي ان تكون الاخيرة بمعنى الكلمة ..

وانحنى عليه صديقه عبد السلام ليسأله من اين هذا الفيض المالي المفاجىء ، فانحنى عليه قبـــل ان ينطق بسؤالـــه :

« شف واسكت .. مكتوبة في باب التوت » .

وعرف عبد السلام بطريقة ما ان السي حماد قد اخذ اجرته في ذلك اليوم .. ذهب يستعطف المكلف بالحسابات بجميع ما لديه من حيل كموت الام والاب وانهيار البيت على العائلة ، وجميع امـــراض الدنيـــا القاتلة حتى الان قلبه فاعطاه أجرته في يوم الاحد .. ماذا يهم يوم واحد قبل الميعاد المحدد اذا كان سينقذ ارواحا بتلك الكثرة من الفناء .. ولم يكن السي حماد يتحاشى ان يأتي بأضخم الاعذار ليحصل على أتفـــه أشياء ـــ سيجارة مثلا ... ويحرك اكتافه قائلا :

ـــ ماذا يهم ؟ المهم الحصول عليها !



وفي صباح الاثنين ، بكر شلفاط الى قاعة النيابة حيث شهد المحاسب يفتح صناديقه ويـــوزع ظروف الاجور على الموظفين حتى آخر موظف ثـــم يقفلهـــا ويذهب ، والسي حماد لم يحضر ..

كان السي حماد مسافرا ذلك المساء الى القصر الكبير ومنه الى ما وراء الحدود ، الى الداخلية ..

وخرج شلفاط يذرع المدينة ويبحث في كل مكان يمكن ان يوجد به السي حماد ..

وكان السي حماد يتناول الغداء الاخير في بيت صديقه المختار مع بقية الجماعة .. وحين لم يبـــق لقيام السيارة الا نصف ساعة ، قام الموكب لـــوداع السي حماد الراحل الى الشرق ..

واقتضى النظر السديد انه ليس من الحكمة ان يظهر في شوارع المدينة المزروعة بالالغام .. عفوا .. بالدائنين والمتربصين ، وأولهم شلفاط ..

وعرج الموكب في طريقه يخترق دروب « الطرنكات » المسقوفة المظلمة ثم يخرج الى «العيون» فالطلعة .

وكان يقع المحظور .. فرغم أن الموكب رسم طريقه بدقة خلال الشوارع الخالية من الدكاكين التي كان السي حماد مدينا بمبالغ مالية لاصحابها فقد وجدنا انفسنا امام آخر دكان قبل تسلق الجبل .

واستمهلنا السي حماد ليفكر في طريقة عبور هذا اللغم دون تفجيره .. فاقترح المهدي :

— لنقفل عيوننا ونمر !

ورددت الاوركسترا تشكيلة من اللعنات ..

واقترح عبد السلام :

— عندي تعديل على خطة المهدي .. نقفل عيوننا ونطلق سيقاننا للريح ونحن نصيح !

وتدخل عبد الواحد هامسا في تآمر :

— لماذا لا يقفل اثنان منا عليه الباب على الطريقة الكلاسيكية ؟

ولكن السي حماد كان قد تسلل من بيننا وانبطح على بطنه زاحفا تحت عتبة الدكان ..

وانفجر اللغم .. لسوء حظه كان الرجل خارجا لصلاة العصر على عجل فداس بحذائه الضخم المرقع بمطاط العجلات ، والمشبع بمياه الوضوء على راس السي حماد وغرز راس عكازه في مؤخرته فزجر هذا وصرخ في نزع عظيم ثم قفز الى قدميه وانطلق يعوي ، والرجل فاغر الفم ممسك قلبه بيديه ..

وانطلقنا خلفه نحن نشق الريح ..

وفي النهاية تسلقنا اطراف جبل « درسة » بين الصخور ثم الى حيث تقف السيارة الخارجة من تطوان لتلتقط ركاب الضاحية ..

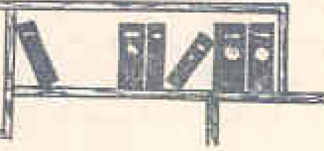
ووقفت الجماعة تودعه كل يقدم نصيحة او طلبا وهو يحني رأسه ويبدي الاسف لفراق الجماعة .. عبد السلام فقط كان يعرف أن السي حماد يوشك ان يصرخ .. انه يكره مثل تلك المواقف .. ويريد التلخص منها بأسرع ما يمكن ..

واقبلت السيارة الحمراء لتحمل السي حماد الى مصيره المجهول .. وودعه الجميع وصعد الى السيارة بسرعة .. وتنهد عبد السلام حين تحركت السيارة مبتعدة .. كان يفكر لو انها تأخرت دقائق اكثر من ذلك لاشتعل السي حماد كلفافة من التبن اليابس داخل فرن احمر .

احمد عبد السلام البقالي

معرض الكتب

موسوعة العتبات المقدسة



تاليف : الاستاذ جعفر الخليلي
للمؤرخ الكبير الاستاذ عجاج نويهض

كتب المؤرخ الكبير الاستاذ عجاج نويهض صاحب حاضر العالم الاسلامي وبروتوكولات حكماء صهيون والمؤلفات الاخرى التعليق التالي « لدعوة الحق » عن موسوعة « العتبات المقدسة » (11 مجلدا) التى اصدرها الباحث والصحفي العراقي المعروف الاستاذ جعفر الخليلي:

اعتقد ان الاذهان العربية فى عالم الضاد آسيويا وافريقيا ومهجرا ، قد تلفتت باجلال واكبار الى المشروع الكبير الذي يضطلع بعبئه الاستاذ الخليلي ، اعني « موسوعة العتبات المقدسة » ، منذ خمس سنوات وقد اطلت عليه السادسة ، وهو اخذ الله بيده وزاده توفيقا ، كلما اصدر جزءا من هذه الموسوعة الفريدة ، وهالات النور تتلالا من ابوابها الى محاريبها ، اعتلى راية جديدة ، واذا بالآفاق امامه يراها على رحبها مليئة بالخصب العلمي ، وكانها على موعد معه ليتم هذا العمل الجبار مدماكا بعد مدماك ، على السوي المشبع الذي انتهجه ، وبالدقة التي هي من اصل جبلته وفطرته . اني بكل اعظام لعمله هذا استاذنه فى ان احييه تحيتي هذه من لبنان .



ولكن اذا كان قاريء من القراء الكرام يتبادر الى ذهنه اني بهذه التحية اقصد ان اتناول كل جزء من اجزاء المجموعة مما صدر منها الى اليوم ، وامامي منها احد عشر جزءا اتخذت شكلا فنيا واحدا ، جميلا أنيقا ، متمنطقا زيا سويا متماثلا ، فليسمح لي القاريء اني لست فاعلا هذا ، وحتى لو اردته ، فالمجال اضيق من ان يتسع له بحال . وهناك سبب آخر يثنيني عن ذلك ، وهو ان القاريء امسى فى آفاق الضاد اوسع علما مني بفضل الموسوعة ، هذا من ناحية ، ثم اني اريد اليوم واضع الموسوعة نفسه ، والموسوعة ثمرة من ثمراته ، وحسنة من حسناته ، وهذا من ناحية اخرى .



وقد يتبادر الى الذهن ايضا ان فن الموسوعات من حيث هو يحتاج الى بعض الكلام . وعن هذا اني راغب ايضا ، فمن شعر فى نفسه المجاعة الى هذا الغذاء ، فيجده مهيئا شهيا فى الست والاربعين صفحة ، الاولى من الجزء الاول الذي جعله المؤلف الكامل الفن « مدخلا » الى الموسوعة ، ولا احسب ان توطئة اخرى اكثر استيفاء واحاطة يأمل القاريء ان يظفر بها فى موطن آخر ، مما يتعلق بهذا الباب.

ولن اتناول المزايا الرائقة الجميلة ، المتجلية في التأليف وحسن نسقه . فهذا شيء معروف في الاستاذ الخليلي ، فهو القاص الماهر لفن القصة الحديث في العراق ، ويكفي ان يعلم اهل الادب الذين في اقاصي عالم الضاد ان الاستاذ الخليلي لما وضع كتابه « كنت معهم في السجن » ، قبل اليوم بخمس عشرة سنة تقريبا ، لم يعمد الى خياله يمتطيه الى غايته ، كما يفعل كثيرون من اهل القصة الموضوعة ، ولكنه اديب اجتماعي ملتزم الاصلاح الخلقي في رسالته ، فانه عانى مشقة الحصول على الاذن الرسمي من المراجع المسؤولة حتى اذن له في دخول السجن ليخالط المسجونين في ((علاليهم)) غير العاجية ، ويحادث كلا منهم ويخالطه لا مخالطة المستعلي جاء يسال من فوق . بل مخالطة الاخ الحر لاخيه السجين ، يقوم معه ويقعد ، ويطير ان طار ، ويشاركه الاطوار النفسية ، وهذه ما اكثرها يسبح فيها السجين ، وكل هذا « وامرهم » بالسوية ، لا فضل « لحر » على « سجين » الا بالتقوى ، واني اتخيل «الزائر» والنازلين في رحاب «بيت الخالة» ((متكئين فيها على الارائك)) . هنا مصاصة الفن و « فيتامينه » . وقد احسن الاستاذ الخليلي بان شرح قصة المسعى للحصول على الاذن لدخول السجن ، فكانت اشهى قصة في الكتاب . اما عالم ((السجين)) فحدث عنه ولا حرج .



قلت ان هدفي الطواف من حول الخليلي نفسه. واحسب اني لو قصدته ثوا مستغنيا عما قلته الى الآن ، لانقلب كلامي فيه ضربا من رخيص المدح مما مثله في الاسواق ، ولله الحمد الف مرة ، فلا « ممدوحي » يقبل ، ولا انا اقبل بمثل ذلك ، ولا اصفه ، ولكني انظر الى ((الخليلي)) عن طريق « الكيمياء » ، فاجده على هذه الصورة :

1 ـ هيأته العناية ليكون مركبا من عدة عناصر كريمة ، فهو من الذين جاءوا دنيانا العروبية ليؤدي رسالة .

2 ـ رسالته هذه بدات ومظهرها « القصة » ، ولكن وراء القصة شيئا آخر ابعد مدى : الدخول الى افق النفس الانسانية وعلاج امراضها ـ وهنا هي النفس العربية .

2 ـ ناحية من رسالته « صحافية » والصحافة وسيلة من الوسائل عنده الى دخول افق النفس الانسانية . اليس للوطن نفس تتعذب وتجرح وتصيح ! امجرد « الاخبار » هو ما يقضي لبانة الصحافي الثائر في سبيل وطنه . « رسالة » الصحافة تهبط من فوق ، ورسالة «الاخبار» تزحف كالرتيلاء من تحت .

4 ـ وعلى الغالب في امتنا العربية ؛ جاهلية واسلاما ، ان نرى بيئة البيت والاسرة ، والتماع المثل العليا ، وجري التربية على سنن صحيح من الاجداد والآباء الى الابناء والاحفاد ، كل هذا هو الثروة الاولى الحقيقية . فامة بلا « مثل عليا » وتطبيق ذلك في التربية ، يقضي بمعين الفضيلة في البيوتات الى الجفاف . وحينئذ لا يفيد ((احصاء العدد)) مهما تبلغ ارقامه من الضخامة . اتبيعني احيانا الفا بواحد ولست انت ولا انا بالمغبون ؟ « فالخليلي » معدنه الطيب الكريم من معدن اسرته الطيبة الكريمة . فلا غرابة !

5 ـ ومن جمالات ادب النفس وادب الذهن في الامة العربية « الشعر » السليقي . فالخليلي قطعة نفيسة في هذا المعدن كله .

6 ـ اذا كانت العناية العليا تهيىء الرجل لرسالة ما ، واذا كانت هذه الرسالة في سبيل المجموع ، القوم ، الامة ، فالخليلي اراه من الذين انطووا تحت اجنحة العراق الجعفري المنصوري المأموني ، ليعمل مع رجالات العراق الاباة وشبابه الفائر الثائر ، لفك رقاب المحتلين وقت الثورة ، ادى الخليلي قسطه كما اداه غيره . لكل وطن عربي صرخة عميقة ، بعد الحرب العالمية الاولى ، وصرخة العراق كانت مجلجلة ، ومن فوقها كانت ترفرف اجنحة الملائكة ، شهداء العراق في ثورة العراق سنة العشرين احياء عند ربهم يرزقون .

7 ـ يقولون « التخصص » وما اليه ، واننا في عصر تقسيم العلوم الى دروب ودوائر وحلقات ومشاريع ، وان الذي ((يتخصص)) في شيء من هذا ، فليحصر ذهنه وعقله وجهده فيه ، ولا يطمع في التخصص في عدة اشياء ، كلمة حق ليس فيها باطل . ولكن يدخلها الباطل متى ما جئنا الى سيرة هذا الوطن العربي المعذب ، فانه يبتلع جميع « الاختصاصات » على وجه الارض لكي يبقى

نفسه وبنيه انياب الطامعين فيه . الطبيب والمهندس على اختلاف انواعهما ، وعلماء الطبيعة طرا ، اساتذة الجامعات والمعاهد والمدارس بغير استثناء . جميع هؤلاء على الراس والعين اختصاصهم .

8 ـ اما « الاختصاصي » في خدمة هـذا الوطن العربي ، فعليـه ان يحتـوي علـى جميـع « اختصاصات » النضال ، بعقلـه وقلبـه ، وبيده ولسانه ، وصوته وقلمه ، ومطلق حسه وشعوره ، في يقظته ومنامه ، من « كنت معهم في السجن » الى « موسوعة العتبات المقدسة » .

— * —

9 ـ النضال يتنوع وغايته واحدة وجوهره واحد . اني من جهتي لا ارى فرقـا بيـن ان يكـون ((جعفـر الخليلـي)) اليـوم فـي اغوار الاردن مع « ياسر عرفات » ، او ان يكـون متقلدا سلاح قلمه في سبيل « العتبات » . ومتى ما انجز هذا البطل «الخليلي» معركة هذه «الموسوعة» فكأنه في نظري خرج من معركة قتالية حربية ، فالظفر ظفر ، عن طريق السيف ام عن طريق القلـم .

— * —

اقف هنا مستجيبا نداء نفسي ان احاسبها : هل استطعت على مسمع من القاريء العربي الكريم ، تحت اي سماء كان في ارض العرب ، ان انقل صورة ((الخليلي)) التي له عندي ، الى من يريـد ان يعلم من هو « جعفر الخليلي » ! ان الذين يعلمونه من اصحاب الاذهان الواعية ، هم اكثر ولله الحمد من الذين يجهلونه . فتحيتـي هذه ، في ظـلال فضله ، لا اراها الامن لزوم ما لا يلزم ، ولكن الحقيقة اولى ان تقال وتعلن ، لا ان يكتفي بان علمـا تعلـم ، والوجه الاول اوجب واحزم .

صدقني القاريء الكريم ، وهو اخي في عروبة امتي في كل صقع ، أم لم يصدق ، فاني ما جئت بهذه التحية الى الاستاذ الخليلي لاسمعه رنين كـلام مبهرج . فانه ، حفظه الله ، في نظري مـن الذيـن اغدتهم العناية بالعزم الماضي ، ولذا تراه يومـا في العراق ويوما في لبنان ، في سبيل ما هو بسبيله من طباعة كتبه وكلها عرائس نفائس ، واصـلا الليـل بالنهار ، ووقته نهب الواجبـات ، بيـن بسـاط الريح او السيارة ، او انفاق الليـل في البحـث والتدقيق ، والامة العربية صار حظها من « الادباء » و « العلماء » حظا وافرا راجحا كبيرا ولله الحمد ، ولكن « العلماء » العامليـن الذيـن يستطيعـون ان يجمعوا بين الصدور والسطور جمعا يتحول الى تأدية رسالة ، قلال . والقلة العاملة خيـر من الكثـرة المجترة .

— * —

العالم العربي والعالم الاسلامي ، يرحبان ابدا ((بموسوعة العتبات المقدسة)) . متى يزور الخليلي لبنـان ؟

((راس المتن)) ـ عجاج نويهض

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء
للحسين بن محمد الراغب الاصفهاني المتوفى عام 502

عرض : الاستاذ محمد بن تاويت

اعيد طبع هذا الكتاب ضمن منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ، وقد قالت هذه الدار ، انها « وقد اخذت على عاتقها تعميما للثقافة وحفظا للتراث العربي ، نشر هذا الكتاب بحلة جديدة تسهل معها الافادة منه ، ترجو ان تكون قد اسهمت فى احياء آثارنا الفكرية ، التى كانت لها اليد الطولى فى رقي الحضارة وتقدم الانسانية » .

هذه كلمة طيبة صادرة من هذه الدار ، وهذه غاية نبيلة تسعى اليها ، وامنية كلنا نتمناها ، ولكن هل عقدت العزائم لها ؟ هذا ما نرجىء الجواب عنه الى ما بعد .

تقع هذه النشرة للكتاب فى خمسين واربعمائة والف صفحة ، هكذا 1450 ، من القطع الكبير ، فهو من كتبنا الضخام فى الادب العربي وقد جعله صاحبه ، فى خمسة وعشرين حدا :

الاول — فى العقل والعلم والجهل وما يتعلق بهما .

الثاني — فى السيادة وذويها واتباعها .

الثالث — فى الانصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والتكبر .

الرابع — فى النصرة والاخلاق والمزح والحياء والامانة والخيانة والرفعة والنذالة .

الخامس — فى ذكر الابوة والبنوة ومدحهما وذمهما والاقارب .

السادس — فى الشكر والمدح والذم والاغتياب والادعية والتهنئة والهدية .

السابع — فى الهمم والجد والآمال .

الثامن — فى الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر .

التاسع — فى العطاء والاستعطاء .

العاشر — فى الاطعمة والاكلة والقرى واوصاف الاطعمة .

الحادي عشر — فى الشرب والشراب واحوالهما وآلاتهما .

الثاني عشر — فى الاخوانيات

الثالث عشر — فى الغزل ومتعلقاته .

الرابع عشر — فى الشجاعة وما يتعلق بها .

الخامس عشر — فى التزوج والازواج والطلاق والعفة والتدييث .

السادس عشر — فى المجونات والسخف .

السابع عشر — فى خلق الناس واسمائهم .

الثامن عشر — فى الملابس والفرش .

التاسع عشر — فى ذم الدنيا واكشاف النوب.

العشرون — فى الديانات والعبادات .

الحادي والعشرون — فى الموت واحواله .

الثاني والعشرون — فى الاسماء والازمنة والامكنة والمياه و لاشجار والنيران .

الثالث والعشرون — فى الملائكة والجن .

الرابع والعشرون — فى الحيوانات .

الخامس والعشرون — فى فنون مختلفة ، وهو آخر الحدود ، كما قال المؤلف .

هكذا وضع المؤلف تسميته للكتاب ، وقد ضمن **كل حد من حدوده ، ابوابا او فصولا عديدة** ، تصل اقصاها الى اربعة عشر، كما فى الثالث عشر، وادناها لا تتعدى اثنين ، كما فى التاسع عشر ، والباقي فيه العشرة ، كالاول ، والثمانية كالثاني والعشرين، ودون ذلك فى غيرها .

اما الناشرون، فلم يـزدوا على ان يضعـوا فى فهارسهم ارقام الصفحات التى وردت فيها الحدود وفصولها ، وهنا نتوجه بالكلام الى ما صنعته « دار مكتبة الحياة » فى نشرتها هذه .

لقد اقدمت على نشر الكتاب ، فى حلته التي زعمت، ولم تعين لهذا العمل من يليق به من رجاله، ولهذا لم تذكر من اشرف على اخراج هذه الطبعـة الجديدة ، فكان من نتيجة هذا التهور الطباعي ، ان لم تسلم اية صفحة من التصحيف بالنقط او الشكل او الهمز ، اما فيما عدا هذا النوع من التصحيف ، فاننا نذكر من أمثلته ما يلي :

فى الصفحة 49 « قيل لدغفل ، بم ادركت هذا العلم؟ فقال بلسان سؤول وقاب عقول » فتصحـف هكذا « بلسان سؤال .. »

وفى الصفحة 60 وردت الآية « بالسنة حداد» مصحفة « بالسنة مداد » .

وفى الصفحة 65 « قال الحجاج لابي الجهيـر النخاس » تصفح بابي الجهمة .

وفى الصفحة 73 ورد البيتان :

ولرب خصم جاهدين ذوي شـذا
تقـذى عيونهـم بهتـر هاتـر

لذ ظارتهم علـى ما ساءهـم
وخبـات باطلهـم بحـق ظاهـر

هكـذا :

،،، ،،، جاحـديـن ،،، ،،

لـقـد ،، ،، ،،

وهذا الاخير زيادة فى التصحيف ، ينكسر به البيت ، وما أكثر ما نجد فى هذه النشرة من اختلال الاوزان ، لم يعلق عليها الا مرة واحدة فى الصفحـة 601 على هذا البيت :

فتى ماله كالبحـر يمنع صاديـا
من الري منه وكـدره اجاجـه

بأن « عجز البيت مختل » وزاد فقال « ولـم نعثر عليه فى ديوان الفرزدق » وهو كذلك . ولكن كثيرا من الاشعار اخطيء فى نسبته وسكت عليه وهو احد التعاليق الثلاثة ، التى جاءت على هـذه الصفحات التى تعد ببضع عشرة من المائات

والتعليق الثاني ورد فى الصفحة 228 علـى كلمة الطلح فى البيـت :

موقح الوجه قليـل الصفـح
كلامه مثـل عصـي الطالـح

هكذا « اي معوج » ولا نـدري لمـن هـذان التعليقان ، اما التعليق الثالث فقد ورد فى الصفحة 164 من الجزء الثالث ، حول البيت :

فهل ضربة الرومي جاعلة لكـم
ابا ككليب او اخا مثـل دارم

فقد اتى به المؤلف منسوبا لجرير ، فعلق عليه ، بانه للفرزدق وليس لجرير .

وهنا نجد المعلق يثبت نفسه باسم « بهيج » ولعله بهيج عثمان ، زميلنا فى الطلب بكلية الآداب ، من جامعة فؤاد الاول ،، فهل اشرف هذا الزميل على اخراج هذه النسخة ؟ لا نظن ، لاننا نعرفه كزميليه، محيي الدين بواب ، ومصباح غالونجي ، من نجباء

الزملاء اللبنانيين ، الذين وصفهم استاذنا مصطفى السقا ، رحمه الله ، حينما اطلع على اول بحث لهم في اسئلة الاولى ، بأنهم في معرفتهم بالثقافة المصرية لا يختلفون عن زملائهم المصريين ، فاختصوا بهذا الشفوف دون زملائهم من المغاربة والعراقيين وغيرهم .

وفي الصفحة 74 ورد البيت :

ومشهد قد كفيت الغائبين بـه
في مجمع من نواصي الناس مشهود

هكذا :

... ... الغابين بـه

لم بيت ابي تمام :

لا المنطق اللغـو يزكـو في محافـله
يوما ولا حجة الملهـوف تستلب

هكذا :

لا المنطق اللخي ... ...
... ... يستـلب

وفي الصفحة 84 ورد بيت الحطيئة :

فهذا بديـه لا كتحبيـر قائـل
اذا ما اراد القول زوره شهـرا

هكـذا :

فهذا بدايـة ... ...

وفي الصفحة 89 سقطت « قال » من العبارة « .. انا من الغاوين » ، فقال : ما معنى هذا ؟ قال : قال الله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون » .

وفي الصفحة 91 ، ورد في معـرض ما جـاء موزونا بلا قصد ، قول النبي صلى الله عليه وسلم :

انـا النبـي لاكـذب
انا ابـن عبـد المطلـب

فتصحف هكذا :

انـا النبـي لا اكـذب

وفي الصفحة 94 سقط « الا » من العبارة ، وكثير من النحويين لا يميلون من الشعر الا الى ما فيه اعراب مستغرب ومعنى مستصعب وفيها ورد البيت :

اخذنا باطراف الاحاديث بيننـا
وسالت باعناق المطي الاباطـح

هكذا :

اخذنـا باطـراف الحديـث

ولا يستقيم بذلك الوزن كما نرى

وفي الصفحة 107 وردت لآية : « ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته » بالدال بدل الزاي . والغريب انه ورد في التصحيفات المستهجنة .

وفي الصفحة 134 ، ورد الحديث : « واذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ، فعليك بنفسك .. » تصحف « شحا » بشيخا هكذا : واذا رايت شيخا مطاعـا ..

وفي الصفحة التالية ، قال قـاص : يا قـوم اشكروا اذ لم يكن الملائكة نجاسة ، فكانوا يخرون علينا، ويلطخون ثيابنا » تصحفت « اذ » باذا ..

وفي الصفحة بعدها ، قيل لعالم : ما بال عانة المراة تنبت اكثف ؟ فقال لقربها من السماد ، فصحفت « عانة » باعانة ..

وفي الصفحة 144 وردت العبارة : « ذاكـر العلماء فالمذاكرة جلاء القلوب » فصحف « ذكـر » فعل امر ، بذاكرا ، اسما منصوبا .

وفي الصفحة 157 ، ورد ، قال قيس بـن عاصم لبنيه : اذا سدتم فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فصحف هكذا « اذا سدت فسودوا .. »

وفي الصفحة 160 ورد البيت :

اذا مقرم منا ذرا حـد نابـه
تخمط فينا ناب آخـر مقـرم

وفي الصفحة 384 ورد بيت المتنبي :

فظنوني مدحتهم كثيرا
وانت بما مدحتهم مرادي

فصحف « مدحتهم » لاولى بمدحهم .

وفي الصفحة 391 ورد بيت ابن الرومي :

لا يبالي الشتم عرض
كله شتم وذم

فصحف « شتم » بشم

وفي الصفحة 395 ورد البيت :

لا امنع العوذ بالفصال ولا
ابتاع الا قريبة الاجل

هكذا :

لا منع العود بالفصال ولا

وقد تكرر ورود اعود مصحفة بالدال في عدة اماكن من النسخة .

وفي الصفحة 401 ورد البيت :

وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا
فخنت واما قلت قولا بلا علم

فصحفت « اما » الثانية بما .

وفيها ورد « وسعى الى عبد الملك بن مروان في عبد الحميد » ولا شك انه تحريف لمروان بن محمد ، الذي اختص به عبد الحميد .

وفي الصفحة التالية تكرر التصحيف في البيت السالف هكذا : « وانت امرؤ ما ائتمنتك خاليا » ففيه اخلال بالوزن والمعنى .

وفي الصفحة 404 ورد البيت :

اذا لم تجد بجميل الكلام
فما ذا الذي بعده تبذل

فسقط منه « ذا » واختل الوزن

وفي الصفحة 407 ورد « اول من خاطب بذلك امير المؤمنين » مصحفا « خاطب » عن خوطب ، وهو الذي يقتضيه السياق فيه .

وفي الصفحة 410 ورد بيت لابي الشمر هكذا :

ليهنك الفتح مشفوعا حسا وزكا
وصاحبتك الليالي غضة ضحكا

فلم نهتد لقوله «حسا» في البيت ، والمعتاد من الناشر انه يضع علامة استفهام على البيت الذي يتبهم عليه ، ولكنه لم يفعل هنا ، بل وضع عدة علامات للاستفهام في ابيات معروفة بمتناول الدواوين كما سنشير الى بعضها .

وفي الصفحة 416 ورد « بفيه الثرى وحمى خيبرا فانه خيسرى ابن خاسر » والصواب في الاسجاع ، كما في اللسان والتاج : « بفيه البرى وحمى خيبرى .. فانه خيسرى » والخيسرى الخاسر ، كما هو فيهما وفي القاموس ، فيكون « ابن » فيه مصحفة عن « اي » هكذا «خيسرى ، اي خاسر » وفي الصحاح الخيسرى الضلال ، كالخسرة والخسار ، وبذلك قولهم رجل خيسرى ، من قبيل الوصف بالمصدر ، ولخيبرى . هكذا هي الحية ، كما ذكر في المعاجم السائغة .

وفي الصفحة 420 ورد بيت عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة ام عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

مصحفا هكذا « لا تصحبينا »

وفي الصفحة 422 سقطت « من » في العبارة « فلا تحتشم من احد في استرداد الظروف »

وفي الصفحة 434 وردت العبارة « ثلاثة لا يعادون ، المزكوم والرمد والجرب » فتصحفت هكذا « لا يعدن » عن لا يعادون .

وفي الصفحة 446 ورد بيت ابي فراس :

هكـذا :

فلا للحـم ولا عصـب ولا ثمـن

وفي الصفحة 322 ورد البيت :

يا رب مالـي لا احـب حشـده
وكل خنزيـر يحـب ولـده

هكـذا :

يا رب مالي لا احـب حشـوده

وفي الصفحة التالية وردت العبارة « كان بين عمرو بن العاص وبين ابنه عبد الله ثنتا عشرة سنة» فصحفت (اثنا عشر سنة)

وفيها « اريد ان اسبق اولادي في اليتـم قبل ان يسبقوني في العقوق » فصحفت « اليتم » باليتيم .

وفي الصفحة 326 ورد « اني ولدت اثنتـي عشرة بنتا » مصحفة باثني عشرة .

وفي الصفحة التالية ورد الحديث: « ما بيت وبر ولا مدر اكرم من بيت فيه يتيم » فسقطت الواو من « وبـر »

وفي الصفحة 333 ورد البيت :

وليس بديعـا بان تحتـذى
مذاهـب آسادهـا الاشبـل

هكـذا :

وليس بديعـان بان تحتـذى

وفي الصفحة التالية ، ورد البيت :

ولو علم الشيحان اد ويعـرب الخ ..

هكذا : ولو علم الشيخان ادو يعرب

وفي الصفحة 337 وردت الآية « يميز الخبيث من الطيب » محرفة بيتبع الخبيث من الطيب .

وفي الصفحة 350 ورد « فساد رخمـة وشواها » هكذا : « فسادر خمسة وشواها » .

وفي الصفحة 352 ورد بيت دعبل :

ان بني عمرو لاعجوبة الخ ..

هكذا : ان بني عمر ولاعجوبة

وفي الصفحة 360 ورد البيت :

اما اذا لقـي العـدو فثعـلب
وعلى الاقارب شبه ليث ضيغم

هكـذا :

اذا ما القـى العـدو فثعلـب

(فاختل بهذا الوزن واضطرب المعنى)

وفي الصفحة التالية سقط النون من البيت :

اعان على الدهر اذ حـل بركـه
كفى الدهر لو وكلته بي كافيـا

وفي الصفحة بعدها سقط لفظ الجلالة «الله» من قوله : محمد بن عبد الله الازدي .

وفي التي تليها ، ورد البيت :

ونحن بنو عم على ذات بيننـا
زرابي فينـا بغضـة وتنافـس

هكـذا :

ذرابي فيها بغضـة وتنافـس

وفي الصفحة 274 وردت العبارة « قـم .. اتطا بساطي وتترحم على عدوي » هكذا : « أقم ..» الـخ .

وفيها « فجزاه مسلمة خيرا ، وقال من اصطنع فليصطنع مثل هذا » فحرف هكذا « فجزاه سليمان .. وقال لا اصطنع فليصطنع ..»

وفي الصفحة 378 ورد المثل « هو اكفر مـن ناشرة » فصحف « اكفر » باكثر

وفي الصفحة 382 ورد « اذا لا تمدحه ولا علم لك به » مصحفا هكذا : لا تمدح لا علم .. لعلـك رايته الخ .

هكـــذا :

اذا مقـرم منـاذرا حدثنـا بـه
..	..	..

وفي الصفحة 163 وردت العبارة : « وايـن ترتع ، وكـم بها ينتـفع ؟ قالـت : ترتـع في أرض السـلطان ، ولي منها قوتي وقوت عيالي » فتصحفت هكذا : « .. وبكم بها ينتفع ؟

وفي الصفحة 173 ، وردت العبارة : « لا احد امر عيشا واكد تعبا واطول فكرة من الملك العـارف بالمعاد »

فصحفت هكذا : « لا احـد امـر .. .. واطول من فكرة .. » فزيـدت « من » بعـد أطـول خطـا .

وفي الصفحة 167 وردت العبارة « فاذ قـد ابيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع احدى اذنيـك صحفت « فاقطع احد اذنيك » .

وفي الصفحة 168 ، سقطت «في» من العبارة: « سعى في اهل العراق سعي الام البرة ، وجمع منهم المال جمع الذرة » .

وفي الصفحة 161 ، ورد البيت :

« يكون ، كما شاءوا ، القضاء كانـه
بامرهـم في الخلـق سـار وواقـع

هكـــذا :

يكون كمـا شـاء والقضـــاء كانـه

وفي الصفحة 247 وردت العبارة : « فالرمح قد يقتل به وان عدم السـنـان والـزج » فتصحفت هذه ، بالزنج » .

وفي الصفحة التالية ، ورد البيت :

يكاشرنـي واعـلم ان كلانـا
على ما ساء صاحبه حريص

فتصحفت « أن » المخففة بانا .

وفي الصفحة 259 وردت البيت :

كيـف يزهـو مـن رجيعـه
أبـــد الهـــر ضجيعـــه

فتصحف هكذا « ابا الدهر ضجيعه » .

وفي الصفحة 261 كتبت العبارة : « أولك نطفة مذرة » هكذا .. « او لك نطفة »

وفي الصفحة التالية : كان عمر بن الخطاب ، يسـرع المشي ، فقيل له في ذلـك .. فتصحفت « في » بلـي

وفي التي بعد هذه ورد أسم « جذيمة » بالزاي بدل الذال .

وفي الصفحة 268 ورد البيت :

عطست بانف شامـخ وتناولـت
يداي الثريا قاعدا غيـر قائـم

فسقطت الواو من « تناولت » .

وفي الصفحة 275 وردت الآية : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولـك » فتصحفـت « فظا » بمظا .

وفي الصفحة 276 وردت الآية : « فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين » فسقطت الفاء اولا وفتحت همزة « فاني »

وفي الصفحة 304 ورد بيـت ابي تمـام : اقدام عمرو في سماحـة حاتم الخ .. هكـذا : اقدام عمر وفي سماحة حاتم .

وفي الصفحة 309 سـقـط من الآيـة « ومـا يستوي البحران ، هذا عذب فرات سائـغ شرابـه وهذا ملح أجاج » (سائغ شرابه)

وفي الصفحة 313 ورد البيت :

كانه التيس قد اودى به هـرم
فلا لحم ولا عـــب ولا ثمـن

تهون علينا فى المعالي نفوسنـا
ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

فصحف « يبغلـه »

وفيها جعل هذا الشطر لابي الطيب « على قدر اهل العزم تأتي العزائم » كأنه بيت هكذا :

علـى قـدر اهـل العزم تأتي العزائم

ويتكرر هذا الصنيع فى مواضع من هذه النسخة ، كما نجد فى 450 و 492 و 503 و 521 و 542 ، وقد يعكس فيجعل البيتان بيتا واحدا ، من غير نظر الى الوزن غالبا والبحر ايضا .

وفى الصفحة التالية ، ورد بيت ابي تمام :
بنو الهمم الهوامـد والنفوس الخوامـد والمروءات النيام هكذا : بنوا لهمم .. والنفوس .

وفى الصفحة 453 ورد « اذا جاء الجبن حارت العين » فسقطت تاء التأنيث من « حارت » هكذا : حار العيـن .

وفى الصفحة 469 ورد « خط لي هذا الثوب وسامحني فى الاجرة » فصحف « الثوب » بالثواب

وفى الصفحة 477 ورد الحديث « رحم الله امرا سهل البيع سهل الشراء » فصحفت « امرا » بامرء وشكلت الهمزة بالكسر .

وفى الصفحة 491 ورد قول ابي الدرداء «احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرك كأنك تموت غدا » فحرفت « لدنياك » بلآخرتك .

وفى الصفحة التاليـة ، ورد بيـت المـرقش الاصغر : اجمل العيش ان رزقك آت الخ .. فشكل اجمل بضم اللام واضيف الى العيش الذى كسر وفتحت همزة ان وضم القاف من رزقك ، فكان فى هذا ما يشبه التعمد فى التصحيف ، ولولا كثرته ، لما عرجنا عليه بالذكر ، شان غيره .

وفى الصفحة 503 ورد البيت :

فللموت خير للفتى من قعـوده
عديما ومن مولى تدب عقاربـه

هكذا : ولا الموت خير للفتى من قعوده

وفيه « وما من خصلة تكون للغني مدحا الا وتكون للفقير ذما » فحرف هكذا : « وما من خصلة تكون الغني مدحا ولا تكون الخ »

وفى الصفحة 506 صحفت الدال بالزاي فى العبارة « وجعل بين كل ذراع اربـع اسطوانـات » وكثيرا ما وقع هذا والعكس فى هذه النسخة .

وفى الصفحة 507 ورد فى وصـف فقيـر « ما له حول ولا قول ولا مال ولا حال » فصحف « قول » بمعقول .

وفى الصفحة 508 صحف بيت طرفة هكذا :

ان تنـل منفسـة لا تلقنـا
ترف الخيل ولا نكبـو لضـر

وصوابـه : ان تنـل .. فرح الخير ...

وفيه رواية هكذا :

ان نصادف منفسـا لا تلفنـا
فرح الخير ولا نكبـو لضـر

وفى الصفحة 512 حذفت الياء من روى هذا البيت :

كسراج دهنه قـوت له
فاذا غرقته فيـه طفـي

وفى الصفحة التالية ، وردت الاية « حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب » هكذا : وقد اخذنا مترفيهم الـخ ..

وليس هذا ونحوه مما ورد محرفا او مصحفا فى آي القرآن الكريم ، من عمل الراغب ، الذى يعد من اعظم دارسيه ، وكتابه فى غريبه آية فى ذلك .

وفى الصفحة 523 ورد بيت المتنبي :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله الخ.. فصحف « جمع » بجتب .

وفى الصفحة 557 وردت العبارة : « الخلف ان تعد ومن نيتك ان لا تفعل » هكذا : « الخلف ان تعدو من نيتك .. »

وفى الصفحة 559 ورد البيت :

أعلى الصراط تريد رعية حرمتي
أم فى الحساب تمني بالانعام

فصحف « تمني » بتمن .

وفى الصفحة 562 ورد البيت :

واني اذا اوعدته او وعدته
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

هكذا : وان وان اوعدته او وعدته .

وفى الصفحة 567 ورد بيت ابي تمام :
ممطرا لي بالجاه والمال لا القاك الا مستوهبا او وهوبا

مصحفا هكذا : ممطوالي بالمال والجاه الخ ..

وفى الصفحة 569 ورد بيت ابي تمام هكذا :

واذا رايت ابا يزيد فى الوغى
وبداه تبدي غارة وتعيدا

فجعل الناشر بعده علامة استفهام وكان الائق به ان يعود الى الديوان ، فيجد البيت هكذا :

واذا رايت ابا يزيد فى ندى
ووغى ومبدى غارة ومعيدا

ويشبه بذلك ايضا .

وفى الصفحة 574 ورد بيت المتنبي :

وله وان وهب الملوك مواهب
در الملوك لدرها اغبار

فحرف هكذا : وهب الملوك وسدتيم بمواهب .

وفى الصفحة 596 وردت العبارة « والله ما يقيم القار فى دارك الا لحب الوطن» فسقطت اللام من « لحب » وقد ثبتت فيما بعد بها .

وفى الصفحة 598 ورد البيت :
ومريدا من جفاه
ومهينا من اجله

فحرف « اجله » باذله ، ففسد به سياق الابيات والقصد منها .

وفى الصفحة 638 سقط « او بيوت امهاتكم » من الآية : ليس على الاعمى حرج الى قوله : ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخواتكم .

وفى الصفحة 651 نونت « اذا » فى : « فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون »

وفى الصفحة 657 ورد البيت :

وكلبك ابصر بالمتقين من الام بابنتها الزائرة مصحفة « الزائرة » بالزاهدة ، ويروى :

وكلبك اراف بالمتقين مالام بابنتها الزائرة

وفى الصفحة 675 ورد « الحث على مبادرة الشباب بتناول المسرات والخمور » مصحفا « الشباب » بالشيب

وفى الصفحة 682 ورد البيت : اصرف سفاتج هذا الشرب عن رجل له بضاعته فى الشرب مزجاة مصحفة «بضاعته » ببضعته .

وفى الصفحة 686 وردت الآية « يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه » محرفة « كلما » بقلما .

تكتفي بهذه التصحيفات او التحريفات فى بعضها ، واقفين عند المجلد الاول الذى يضم نصف الكتاب ، وفى العدد القابل سنتناول المجلد الثاني ان شاء الله .

تطوان ــ محمد بن تاويت

ثلاثة كتب عن الصحافة في المغرب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

- بالالمانيـة : (صحافة المغـرب) للدكتور احمد مدنـر
- بالفرنسيـة : (الصحافة المغربية) للاستاذ كريستيان سوريـو
- فرنسي عربي . (فهرس عام للدوريات العربية)للاستاذ عبد الغني احمد بيوض .

ما اكثر ما كتب عن المغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بالخصوص من طرف غير ابنائه ، وما اغرب الموضوعات التى تطرق اليها المؤلفون من شتى اللغات ، ولكن اجود ماكتب عن المغرب كان بعـد سنة 1950 بالذات لانه الظرف الذى التـقى فيـه الصراع على اشده بين الاستعمار والحرية ، وهنـا يلتقي التغيير الذي يلمس فى الكتابـات الحديثـة للغرب عن المغرب .

واذا كانت كتابات هؤلاء بالامس القريب تعتبر تمهيدا للتخطيط فى اجل البقاء الاستعمـاري فـان الكتابة بعد ذلك اصبحت تلتقي فى خط آخر كانت الديبلوماسية تلعب دورا هاما فى بلورة هذا الخط ، ولذلك فـرعان ما انقلب هـذا المفهـوم واصبحـت الكتابات التى تصدر من مختلف الدور والمطابع تتجه اتجاها لا اقول انه يخدم المعسكرات المتحالفة جميعه ولكن بعضها هي التى انحازت نحو نوع من الاسلوب القديـم .

صحافـة المغـرب :

من الكتب التى اخترت فى هذا العرض ثلاثة كتب تتجه نحو موضوع واحد وهي : (صحافـة المغرب) باللغة الالمانية و (الصحافـة المغربيـة) باللغة الفرنسية و (فهرس عام للدوريـات العربيـة باللغتين العربية والفرنسية .

والكتاب الذي نتعرض اليه اولا وهو مؤلـف (صحافة المغرب) وهو من الكتب المهمة التى تخدم المغرب ، وتتناوله بتقدير خصوصـا وانـه صـدر حديثا .. وفى موضوع حـاس .

واذا كنت قد اخترته فى هذه الظروف بالذات وهي الظروف التى مر الاحتفال فيها بالسنة الدولية للكتاب فانني قد وضعت هذا الكتاب فى مكانه من الناحية التاريخية بصفة عامة .

وهكذا ففى نطاق (السنة الدولية للكتـاب) التى قررت منظمة اليونيسكو الاحتفال بها فى السنة الماضية لتعميم تداول الكتاب بين اكبر عـدد مـن الناس فى مختلف البلدان تظم احتفال بمديريـة الشؤون الثقافية المغربية بالرباط سلم خلالها سفير المانيا الفيدرالية مجموعة من الكتب القيمة بلغ عددها 227 كتابا فى مختلف الفنون والعلوم والاداب كهدية لدعم الخزانات المغربية ومساهمة منها فى تنشيط

الحركة الثقافية وتدعيم اواصر الصداقة بين البلدين .

وانطلاقا من هذا الخبر احببت ان اختار هذا الكتاب من بين المجموعة وفي موضوع مغربي مهم يعتبر الاول من نوعه .

والكتاب صدر (بهامبورج) بالمانيا الغربية عن صحافة المغرب الكبير : (ليبيا – وتونس – والجزائر – والمغرب) حيث يعتبر الكتاب الوحيد الذى صدر لحد الآن فى هذا الموضوع مما يمكننا ان ندرك اهمية فصوله ، وقيمته كمادة جديدة طريفة بالنسبة للقاريء الاوربي على العموم .. والالماني على الخصوص والذي عودنا الدأب على اغناء مكتبته بالمعرفة الانسانية باستمرار .

والكتاب صدر باللغة الالمانية فى حوالي مائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط ، فى اخراج جميل ، وتبويب مفصل ، بذل فيه مؤلفه الاستاذ احمد مدثر جهودا مشكورة خصوصا اذا ما اشرنا الى ان مواده هذه قد صرف فيها وقتا طويلا ، وجهدا مضنيا فى المامه بموضوع الكتاب بالصورة التى تم بها انجازه بصورة موفقة .

واذا كان الكتاب قد افرد للمغرب وحده 65 صفحة تناول فيها بصورة خاطفة الحقبة التي ظهرت فيها الصحافة بالمغرب ، وظروف هذه الحقبة ، التى ساعدت على ذلك بتناول التطورات الوطنية الصحافة المغربية ، خصوصا التى صدرت باللغة العربية ، وما تولد عنها من اتجاهات انتقل بعدها الحديث عن تاريخ عدد من الصحف والمجلات فتناول منها 112 صحيفة ومجلة على اختلاف لغاتها فى بحثه هذا .

ونفس الاسلوب سلكه فى بقية فصول الكتاب وهو يتناول بالدرس صحافة الجزائر – تونس – وليبيا منها يلقى الضوء الذي توخاه المؤلف ارتباط هذا الموضوع مع بعضه بمنطق علمي يستمد من الوثائع التاريخية العميقة التى يستهدفها المؤمنون بواقع وحدة المغرب العربي الكبير فى ابعاده وقدرته الكامنة فى هذه الوحدة بالنسبة لهذه الدول الافضل .

وقد امتازت كتابة الاستاذ مدثر فى كتابه (الصحافة العربية بالمغرب الكبير) باسلوب طري ، وتحليل جديد ، امتاز بالطريقة التى نهجها وهي التى نحاول تلخيصها فى النقط التالية :

اولا – حاول المؤلف ان يستفيد من كل ما نشر فى الموضوع من آراء وافكار حسب الظروف التى كتبت فيها ، والاهداف التى ترتكز عليها ، وانتهى الى الطريقة التى لخصها فى مدخل كل فصل من فصول كتابه مما يجعل القاريء يرتاح للاختصار المفيد من جهة ، وان اخذ صورة واضحة من غير ترجيح او تقدير من جهة اخرى ؛ وهي طريقة تكاد تنعدم فى الاسلوب العربي الذى لا زال يجري وراء البحث عن استكمال عناصر موضوعاته ومصادره واعتبارا لضعف وثائقه الغير المنظمة والغير المتسقة فى صورة تجعل تهافت المكتبة العربية تسير فى طريق اكتمال مختلف جوانب ضعفها .

ثانيا – اما الجانب الثاني فهو ان البحث قد انصب على الجرائد ذات الفعالية من الناحية السياسية ، وقيمة الصحيفة من حيث مبدؤها ، تقدمها فى دراسة مستقلة فى موضوعها واسلوبها ونهجها السياسي ؛ ما يجعل القاريء يلتقي مع التسلسل التاريخي للتطور الذى توصل اليه اسلوب كل جريدة ومنهجها الذى تعمل من اجله ، بل وصدرت لبلورته . والذب عن حقيقته واهدافه .

ثالثا – اما من حيث الشكل فان المؤلف حاول جهده ان ياتي بالحالة المدنية – كما يقال – لكل صحيفة فقدم لنا المسؤول عن الصحيفة ورئيس تحريرها واسلوبها ونهجها ، ولغتها مما يقرب من اخذ نظرة متكاملة عن الصحيفة المدروسة فى صورة اقرب ما تكون الى درس ادبي جامع .

رابعا – اما الجانب الجديد فى الكتاب وموضوعه فهو الجانب العادي المتصل بوسائل الطبع ، وعدد المطبوع من كل صحيفة ، ونسبة التوزيع ، والثمن والاعلانات والاشهار ثم قيمة هذه العناصر المادية وتاثيرها بالنسبة للصحيفة من عدة اعتبارات وهذا الفصل يعتبر من الاهمية بمكان بالنسبة لمجموع الكتاب ، وبعد ، فقد لا اكون مغاليا اذا قلت بان هذا الاسلوب بتخطيطه ومنهجيه ينعدم فى الكتاب العربي الذي يتصل بعدة جوانب وبقائمة طويلة وعريضة تماما او يكاد خاصة بالنسبة لهذا الموضوع الدقيق من المصادر .

والذى اتمناه هو ان يتم تعريب هذا الكتاب حرفيا للاستفادة من تخطيطه العلمي الدقيق لاننا

في موضوعاتنا التي يتهافت عليها اليوم العالم العربي احوج ما تكون في الوقت الراهن الى هذا الاسلوب بالخصوص لاستكمال الثقافة الانسانية .

الصحافة المغربية

اما الكتاب الجديد الذي صدر بفرنسا عن (الصحافة المغربية) او صحافة المغرب العربي الكبير) فهو بقلم سيدة فرنسية محترمة مسؤولة عن مركز للبحث الجامعي وهو لا يعني صدور كتاب وكفى ، ولكنه يشير الى ان الاهتمام بالموضوع المغربي الجديد قد اخذ طريقه الى العالم الخارجي بعد ان اصبح للمغرب كيانه الكامل وقدرته على حماية هذا الكيان . وهذه الاشارة لا تعني جانبا خاصا ولكنها تؤكد في وضوح اهمية هذا الكتاب خصوصا وان الكتب الصادرة بغير اللغة العربية وفي الخارج والتي تتحدث عن المغرب وعن بلدان افريقية كثيرة ومتنوعة.

وكتاب (الصحافة المغربية) للاستاذة سوربو هو من نوع جديد وهذا ما سنحاول تحديده في هذا العرض ..

صدر في باريس العاصمة الفرنسية ويتناول المغرب في موضوع حساس وهام ونادر ، بل وشائك ايضا ، هذابالاضافة الى انه جديد حتى بالنسبة للغة الفرنسية نفسها .

والكتاب يحمل عنوان : (الصحافة المغربية في ليبيا وتونس والمغرب والجزائر) . ويتناول الكتاب بصفة عامة بالدرس :

ـ تطور الصحافة بدول المغرب العربي .

ـ وحال الصحافة في المغرب الاقصى سنة 1965 .

ومؤلفة الكتاب هي السيدة كريستيان سوربو المستعربة الفرنسية المتفطنة للبحث العلمي ، وموضوعها هذا هو رسالة جامعية تقدمت بها المؤلفة المذكورة لنيل الدكتوراه من كلية الآداب باكس آن بروفانس) بتاريخ 25 يناير 1967 تحت اشراف روجير لي تورنو ومانتران دوباش من كبار الاساتذة الفرنسيين .

يقع هذا الكتاب في 369 صفحة من الحجم المتوسط مطبوع علىورق ممتاز ، وطباعة انيقة وتوزيع مبسط .

وقد قسمت المؤلفة كتابها كما يلي :

اولا ـ تقديم الكتاب وهو للاستاذ روجير لوتورنو الذي تحدث فيه عن الكتاب الجديد والصحافة ودورها في افريقيا العربية بالخصوص ، والرسالة التي قامت بها .

ـ وتوطئة للمؤلفة عن موضوع كتابها بصفة عامة .

ـ ومدخل ، قد مهدت في صفحاته الست لموضوع كتابها عن دول المغرب العربي الاربع موضحة الطريقة والخط الذي انطلقت منه بالرغم من الصعوبات وعدم توفر المراجع والمواد في مكان واحد سواء بالنسبة للمراجع الادارية او ادارات الصحف المعنية بالدراسة لاعتبارات قاهرة في الحالتين معا .

ثانيا ـ اقسام الكتاب الثلاثة وتتناول هذه :

ـ التطور التاريخي للصحافة المغربية

ـ الصحافة المغربية سنة 1965 .

ـ التنظيم والمشاكل الحالية للصحافة المغربية بصفة عامة .

ثالثا ـ الفهارس والجداول .

ومن خلال هذا العرض الاولي الذي القيناه على مواد الكتاب نرى ان الكاتبة قد اقدمت على موضوع واسع دقيق رغم تفرق مواده ومصادره ، وتفرق المراكز الموجودة فيها على مساحة عريضة .

واذا كان لابد لنا ان نلتقي مع المؤلفة في موضوعات كتابها فاننا يمكننا ان نوضح قبل ذلك بان الكتاب ينقسم الى جزئين :

ـ جزء تاريخي

ـ وجزء تطبيقي

ويتناول الجزء الاول دراسة عن بداية الصحافة في دول المغرب كما حددتها :

في ليبيا :	1827 / 1011
في تونس :	1838 / 1883
في الجزائر منذ	/ 1830
في المغرب :	1820 / 1912

وقد قسمت المؤلفة كل فترة الى فترات .

اما الجزء الثاني فهو المتعلق بالصحافة المغربية في دوله الاربع في سنة 1965 وقد اختارت المؤلفة هذه السنة بالذات لانها سجلت في دول المغرب الاربعة احداثا هامة .

اما الجزء الخاص بالمغرب من هذه الدراسة فيشمل الصفحات من 251 الى 284 ويتناول :

ــ الصحافة المغربية في سنة 1965 وياخذ بالدرس :

الجريدة الحكومية (الانباء) ثم الصحافة الوطنية وتعني بها صحافة الاحزاب والمنظمات السياسية .

ثم تتناول الصحف الاجنبية الفرنسية والاسبانية وصحف ماس .

وتنتهي الكاتبة من هذا الفصل بالسؤال التالي: فما هي الصحافة المغربية ؟..



واذا كان الكتاب يعطي صورة متكاملة لموضوع الصحافة في دول المغرب العربي عبر المراحل التي قطعتها منذ ظهورها حتى الآن فاننا نؤكد ان الكتاب بالنسبة للمغرب الاقصى يتوفر على معلومات مهمة لها اهميتها .

وارى ان المؤلفة المحترمة قد فاتها الكثير من الصحف التي لم تطلع عليها .

وفاتها ايضا كثير من الدراسات المتفرقة في عدد من المجلات لم تطلع ايضا عليها على ما يظهر .

يبقى ان نسجل هنا ان المغرب الاقصى يعتبر اول بلد في افريقية صدرت فيه الصحافة وذلك حسب راي صاحبة الكتاب باعتبار سنة 1820 كانت اول سنة سجلتها الكاتبة في كتابها هذا ، وهو مهم جدا مما يجعلنا نوليه الاهتمام اللائق .

فهرس عام للدوريات العربية

والفهرس المعني ليس كتابا من نوع الكتب ، ولكنه موسوعة مهمة تعززت بها المكتبة العربية عامة ، ومكتبة المغرب العربي بصفة خاصة ، لانها تضم شتات تراث ليس من السهولة بمكان ان نجمعه حسب دوله فاحرى ان نوحده مع بعضه .. مما يزيد في اهمية الفهرس الذى نحاول اليوم التعرف عليه ، وتقريب مواده من القارىء . نظرا لاهميته البالغة في هذا المجال .

ويعتبر هذا الفهرس فريدا من نوعه في اللغة العربية باعتبار موضوعه ومواده . واذا كان ظهوره يعتبر حدثا في حد ذاته فان توفر المكتبة المغربية عليه ستفسح المجال للنسج على منواله مما سيضبط مواد مكتبتنا الصحافية من جهة ، ويبسط ذخائر خزانتنا بين ايدي الباحثين والمهتمين .

وقد صدر هذا الفهرس بباريس عن دار علوم الانسان بمساعدة لجنة الجمهورية الفرنسية في اليونسكو وتناول بالعرض 3200 مجلة وجريدة عربية صدرت في الفترة الواقعة ما بين سنة 1800 و 1965 اي في فترة تمتد الى مائة وخمسة وستين سنة ظهرت فيها اول نشرة باللغة العربية مع بزوغ القرن التاسع عشر ..



وقد وضع هذا الفهرس الامين بالمكتبة الوطنية الفرنسية الاستاذ عبد الغني احمد بيوض بمشاركة الاستاذين حسن حنفي والحبيب الفقي .

واذا كان هذا الفهرس قد وضع في اسلوب معجمي صرف يتناول معلومات محددة باسلوب لم يسبق اليه على ما نعلم اذا استثنينا فهرس صحف مكتبة تطوان ؛ فان الغاية المستهدفة من الفهرس في ترتيبه الابجدي هو الاشارة الى الدوريات العربية المحفوظة حاليا فيما يقرب من عشرين مكتبة في مصر ، ودول شمال افريقية ، وفي باريس ، وفي سان باولو بالبرازيل ، وفي بينو سيراس بالارجنتين بامريكا الجنوبية .

ويعتبر الاساتذة الذين تعاونوا لتهيىء هذا الفهرس انه تكملة للفهرس الوارد في كتاب (تاريخ الصحافة العربية) للعلامة فليب دي طرازي و (فهرس دار الكتب المصرية) كما لا يفوتني ان اضيف اليهما الفهرس الوارد في كتاب (صحافة المغرب العربي الكبير) الصادر باللغة الالمانية والذى

اختار مؤلفه ان يقدم للقاريء الالماني اضخم مجموعة من صحف شمال افريقية فجاء معجمه جديدا من نوعه ، ويشتمل على 112 صحيفة ومجلة مغربية مما سبقت الاشارة اليه .

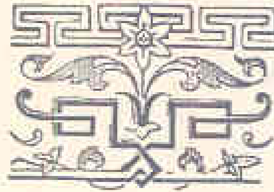
— ※ —

واذا كان الفهرس الذي نتناوله بالعرض يضم 3200 مجلة وجريدة عربية فانه يحتوي على 174 مجلة وجريدة ونشرة صدرت باللغة العربية بالمغرب ومراكز وجودها باسلوب علمي يسهل على الباحث في عدد من الجهات حاول الفهرس ان يضبط اماكن الرجوع اليها .

ويظهر من هذه المجموعة ان الصحف المغربية هي وحدها المجموعة التى لا تجتمع في مركز واحد معين يسهل تناولها ، فكان على الباحثين ان يشيروا الى الاسباب التى جعلت مجموعتنا على هذه الصورة مما نتمنى معه ان تجد الآن عناية لجمعها وفهرستها بصورة موحدة وميسرة في عالم اصبح فيه للبحث العلمي عالمه وامكانياته .

وتلك هي امنيتنا الصادقة ونحن نقدم هذا الفهرس الذي يحملنا الى التنويه بمؤلفه ، وبالتقدير المؤسسة التى رعته الى ان ظهر للوجود .

سلا — زين العابدين الكتاني



دراسات نقدية

أديب بين الترجمة الذاتية وفنية القصة

تاليف: الدكتور طه حسين * عرض: الاستاذ محمد محمد الخطابي

قد يتبادر الى ذهن الكثيرين أن تناول عمل من اعمال كتابنا الكبار او عمالقة ادبنا العربي فى العصر الحديث ـ كما اعتاد البعض أن يقولوا ـ قد يتبادر الى اذهانهم للوهلة الاولى ان مثل هذا الصنيع مجازفة يقحم المتناول للعمل الادبي نفسه بها فى امر جد خطير، ويخيل اليه ان جرائه فى هذا المضمار جراة من نوع خاص ، ذلك انه يتخيل ـ اذا ضربنا لذلك مثلا سريعا ـ يتخيل نفسه امام صرح قائم منيع قد احكمت ابوابه وقد حوى بداخله كنوزا نفيسة ليس من اليسير بلوغها أو على الاقل الاطلاع عليها ، ولتاكيد هذا الادعاء اسوق هنا ـ على سبيل المثال ـ الكلمات التالية لناقد شاب صرح بها عندما امتدت يداه لاول مرة لتتناول احد اعمال كاتبنا الكبير الذي نحن بصدده، الا وهو عميد الادب العرب الدكتور طه حسين ، لقد كانت هذه الكلمات بمثابة تبرير لجراة الكاتب وتبديد لغمامة من الارتباك والحيرة احاطت به من حيث لا يدري ، يقول : « قبل أن ابدا حديثي عن هذا الكتاب للدكتور طه حسين لا بد من كلمة سريعة انفي بها عن نفسي فكرة قد تخطر بأذهان بعض القراء ، وهي انني بكتابتي عنه احاول أن اجترىء على عمل من اعمال عملاق ادبنا العربي وانا الذي لا ازال نكرة فى عالم الادب بالقياس اليه على الاقل لعل هذا الاجتراء يفيدني شهرة وصيتا ... » (1) وكان فى امكان الناقد ان يعض الطرف عن صاحب العمل لينعم فيه بكيفية اوسع وادق فى العمل الادبي نفسه .

ولا انكر على نفسي التي الفيتها كحال صاحبنا ، ذلك انها تعلم جيدا من هو طه حسين وما مكانته ، وتتلمس بوضوح الاثر البليغ الذي ما زال يفعل فعلته بين اوساطنا الادبية حتى اليوم .. حقا انه عملاق شامخ الفكر ، ثاقب النظر ، واسع الخيال يطل علينا بهامته العالية ليحدث فى حياتنا الفكرية والادبية بدراساته الجريئة حركة وانبعاثا جديدين مخلفا من ورائه ثورة فكرية لن يخمد لها اجيج ... ولكن على الرغم من ذلك كله دعنا نتحايل على هذا العملاق الكبير ونسرق من جعبته شيئا ما لنتمعن فى اصالته ومدى عمق محتواه ، وليكن ـ هذه المرة ـ كتابه او قصته او احاديثه التي تحت عنوان : « اديب » .

اديب هل هو ترجمة ذاتية مواراة ام عمل فني متكامل ؟؟

انه ليطيب للانسان فى كثير من الاحيان ان يعبر عن نفسه ومشاعره واحاسيسه او عن احداث مرت به فى حياته وكان لها بليغ الاثر عليه .

والانسان نزاع ، بطبعه ، الى الماضي ، باك عليه ، ذاكر له شاك من الزمان لضياعه وفقده ، ولما تبين

(1) « فى القصة القصيرة » للاستاذ دوارة ، الصفحة الاولى ، نشر « الالف كتاب » القاهرة .

للانسان ان رجعته الى الماضي رجعة مستحيلة الحدوث فانه صار يبحث له عن اساليب اخرى ليعيش « وهما »ذلك الماضي الغابر ومن ثم كان يكثر التحدث عنه حتى ولو كان الكلام في غير مواطن التعبير عن الذات ، ولكن هل يحدث هذا مع كل الناس ؟ هل اي انسان تخدعه مشاعره واحاسيسه فينسى او يتناسى ما كان يتوخاه من فعل او صنيع لينطلق مع موجات الذكرى التي يغريه ما بها من متع روحية تغذي نفسه وتسيطر عليها ويأبى هو بالتالي الا ان ينقلها للآخرين بكيفية مباشرة أو العكس ؟ في يقيني ان الاجابة عن هذا السؤال بالنفي ..

فلا شك ان كلا منا له ماض منقض وذكرى او ذكريات عاشها في طور الطفولة او في شرخ الشباب ولكن ليس كل منا يجره الحديث عنها في كل حين ، صحيح انها جزء من حياتنا قد تولى او شطر من عمرنا قد انقضى ولا بد ان ينعكس على ما يصدر عن أنفسنا من اعمال فنية هي المرآة التي نرى فيها انفسنا والتي نصوغها في قوالب مختلفة لها مسمياتها المعروفة في ميدان الخلق الفني ، ولكن طريقة هذا الانعكاس غالبا ما لا يكون – او ينبغي له الا يكون – مباشرا تقريريا لا يكلف القارىء كبير عناء في استكناه خفاياه ومعرفة حقيقته فيحرم بالتالي – من متع شتى قد يجدها فيما يقتنيه من اعمال الآخرين ، أما اذا كان ما يقدمه لنا الكاتب شيئا يعود عليه بالمتعة هو .. قبل ان يعود علينا نحن ، ويترك في نفسه من الاثر ابلغ ما يتركه في انفسنا فان ذلك لا يعدو ان يكون فنا ناقصا او غير ناضج ، ونعني بهذا الكاتب الذي يزج بنفسه في عالم التجربة للترجمة عن مشاعر الآخرين دون أن يعيش هذه التجربة معايشة حقيقية كما يوجد من الكتاب من يتعذر عليه التعبير بوسائل فنية دون اخرى كالقصة او الرواية على سبيل المثال ، ولست أزعم هنا البتة ان الجوانب الاخرى من التعبير التي تعتمد على السرد (عن طريق التقرير المباشر) دون اللجوء الى استعمال الرمز او الاشارة .. الخ . ليست فنا أو على الاقل لا يدخل في اطاره ، بل انه فن ولا شك ولكن تحقيقه هو الآخر يحتاج الى مهارة فائقة وجراءة خاصة ليندرج تحت ماتسميه بالمذكرات او الاعترافات أو التراجم الذاتية ، وهذا اللون من الكتابة لون جميل وشيق ومغر في نفس الوقت ، غير انه لكي يرقى الى المستوى اللائق به أو ليكسب قيمته الفنية الحقيقية، فانه يتطلب من صاحبه أن يكون صادقا فيما يكتب أو يترجم ، أمينا في نقل الاحداث او الوقائع ، اذ عليه ان يصور لنا كل ما مر به في رحلته الحياتية الشاقة من احداث أو صادفته من مباهج ومسرات أو احزان وآلام ، وهنا رأس الرمح في رفع قيمة هذا الفن .. هنا يكمن السر الذي حبب هذا الفن الى نفوس الناس ذلك لانهم يبحثون دوما عن « المتناقض » من الذات نفسها ، وعما خفي منها ؛ لهذا السبب لم يكن من الغرابة في شيء أن تحظى – على سبيل المثال – مذكرات الاديب الروسي المقليم ماكسيم غوركي التي ضمنها في كتابه «حياتي» بنجاح كبير ، ولم يكن غريبا ايضا ان تنال اعترافات جان جاك روسو او اندريه جيد او غيرهما من الادباء الذين خاضوا غمار هذا الفن،من ذيوع الصيت والشهرة الشيء الكثير غير ان الجراة لا تواتي جميع الكتاب ، وربما اعترف البعض منهم بان ما قاله في قصة مثلا او مسرحية يعبر بالتحديد عما يشعره او يحس به ويلقي بذلك مزيدا من الاضواء على اعماله ، والامثلة من هذا القبيل كثيرة جدا ، فالكاتب الفرنسي « غوستاف فلوبير » كان يقول في اخريات ايامه : « ان مدام بوفاري هي انا » كما ان الكاتب الاسباني المعروف سرفانتس أجاب حينما سالوه وهو على فراش الموت : من الذي تقصد بدون كيخوته بطل قصتك الرائعة ؟ قال « لا اقصد احدا غيري » الخ .

فالادب اذن انما هو تعبير عن الذات في حالاتها المختلفة وهو في الوقت نفسه تعبير عن اشياء اخرى ترتبط بهذه الذات او تحيط بها .. وطريق التعبير الذاتي او الترجمة الذاتية طريق سهل واضح عند البعض كما انه طريق غامض وصعب عند الاخرين ، وكلا التعبيرين له مستواه الفني وله مزاياه وعيوبه التي تحدد قيمته التي تضمن له الخلود او الزوال ، لذا لم يكن من باب الصدفة ان تخلد أعمال أدبية مثلما خلدت اخرى او ان ينال بعضها من الشهرة والذيوع ما لم تحظ به غيرها : عند هذا الحد – يمكن القول – بأن الاديب مسئول عما يقدم أو ينتج من اعمال ، وما يقدمه او ينتجه هو الذي يقرر وجوده ويثبت ذاته دون دخل لصاحبه أو ذيوع صيته وشهرته فيه ، لانه ربما كانت هذه الشهرة في مجال غير الذي نحن بصدده ، وكم من أديب لم تظفر رواياته بالنجاح بقدر ما ظفرت واحدة او اثنتان منها جميعا .

واذا نحن القينا المسئولية كلها على الكاتب او الاديب بصفته صانعا لهذا الادب فذلك لانه اليه يؤول الفخر والاعجاب او النقيصة والصغر فيما ينتجه .. اذا اتفقنا على هذا كله آن لنا أن نتساءل عن هذا العمل

الذي بين ايدينا الان الذي تحت عنوان : « أديـــب » لعميد الادب العربي الدكتور طه حسين .

فهل اديب هذا الا صورة واضحة صريحة لطـــه حسين نفسه في فترة معينة من فترات حياته التـــي بسط فيها الحديث في اعمال أخرى غير هذا العمل ؟ هل « اديب » هذا انما هو امتداد لعمل مشهور ترجم فيه طه حسين لحياته ــ دون شك ــ وهو « الايام » ام « اديب » هذا عمل قائم بذاته كتبه مؤلفه بدافع ما ؟ هل هو قصة لم تخضع للمقاييس المتعارف عليها في هذا الباب ام هو سلسلة أحاديث ورسائل متلاحقة .. أم ما ذا ؟؟

كل هذه التساؤلات ــ لا ريب ــ انها تواجه القارىء المجد عند قراءته لهذا الكتاب ، لانه واجد فيه (طه حسين) الرجل لا المؤلف وهو يفصح عن نفسه دون خوف أو تردد في بعض المواطن وببعض التحفظ في اخـــرى ..

فماذا اذن في « اديب » هذا وماذا عن كاتبه ؟ !

يصور لنا الدكتور طه حسين في هذا الكتـــاب شطرا من حياة شخصين متحابين ، كلاهما منحدر من اقاصي الصعيد .. الى المدينة العامرة (القاهـــرة) ليلتحقا بالازهر الشريف ثم بالجامعة المصرية وبعـــد مدة سيحظى أحدهما وهو الاديب المتوخى الحديث عنه ، سيحظى بفرصة سفر الى فرنســا ليواصل تعليمه هناك غير انه قبيل سفره يواجه بعض المشاكل التي سرعان ما يتغلب عليها بسهولة ، وعند وصولـــه الى فرنسا نجده يعتاد منذ الوهلة الاولـــى على الحيـــاة الجديدة التي لا عهد له بها من قبل ، هذه الحياة التي قوامها اللهو والمرح والمجون ، وقبل ان يصل الـــى باريس عند نزوله بمدينة مرسيليا يلتقي باحد الفنادق بفتاة تعمل في هذا الفندق ويتعلق بها تعلقا شديدا ، وينسى زوجته المطلقة في مصر « حميدة » ويهيـــم هوى وصبابة بهذه الفتاة « فرنند » ثم نجده سرعان ما يقتنع بأن الماء فعلا انما هو شراب الحمير وان النبيذ المعتق والجعة الجيدة خير شراب للانسان وتمتـــد يداه الى الكاس منذ الايام الاولى بل انه لا يتـــورع ان يسكر حتى الثمالة وهو بعد حديث العهد بالوصول الى هذه البيئة المتحللة الماجنة من بيئة محافظة كالقاهرة حيث الوقار والحشمة والنهي عن الفحشاء والمنكر ، وما أن يصل باريس حتى يعود الى موسيليا من جديد ومنها الى كان صحبة فرنند .. واثناء اسفـــاره أو مسامراته هذه اعتاد على مراسلة صديقه الذي ظل في القاهرة ، وبعد ان يختلف الى السربون ويجتهد اجتهادا لا نظير له نراه ينقلب فجأة دون مسببات : « يكفي ان تعلم ان صديقك الذي كان جادا كل الجد ، متصرفا الى الانصراف ، قد فارق اللذة والحب وقطع الاسباب كلها بينه وبين حميدة وفرنند ويكفي أن تعلم ان صديقـك هذا قد فارق الجد وقطع الاسباب كلها بينه وبيـــن الدرس ووصل الاسباب بينه وبين « الين » ... وداعا ايها الصديق ان « الين » تضيق بانصرافي عنها اليك، ولكن مضيت في هذا الحديث لتمزقن كتابي اليـــك تمزيقا فلانصرفن عنك اليها ولاستقبلن معها حياة المساء في باريس المضطربة فمن يـدري عـم يسفـر لنـا الصبـــاح ؟ ! (2)

على هذا النحو اصبحت حياة « اديبنـــا » في باريس حياة لهو وعبث ومجون متواصل حتى يصل به الامر في النهاية الى جنون مطبق يعترف به في اسطر قليلة لصديقه ويؤكد له انه مقبل على هذا الجنون : « وداعا يا سيدي اني لأرى شبح الجنون بغيضا مزعجا ولكني مع ذلك لا اهابه ولا اتأخر عنه ، وانما اقدم عليه اقدام المحب الجريىء » ثم يضيف : « وكيف احجم عن الجنون وقد اتخذ لنفسه صورة اليه ؟ » .

وحينما يزوره صاحبه في فرنسا لا يحظى بلقائه وتضيع منهما فرصة غالية طالما ترقباها معا ، ويعود الصاحب الى مصر من غير ان يراه ، ويكتب اليه مرة وهو في مصر قائلا : « الين فرنسية لا تريد ان تهجر وطنها ولا ان تفارق باريس وان اعطيت مـــلء الارض ذهبا ، فاقامتي في فرنسا قضاء محتوم لا مندوحة لي عنه ، وشهد الله ما اجد لذلك الما ، وانما اجد فيـــه اللذة كل اللذة » .

وبعد ثلاثة اشهر يعود فيلتقي بصديقه وينكر هذا الاخير عليه صورته غير أن صوته وضحكاته العراض لم تتغير ، يجده غارقا في المجون والسكر يشـــرب ويجد في آن واحد فهو « ان حزن لا يعدل بالكتـــاب شيئا ، وصاحبي ان سر لا يعدل بالشراب شيئا ، وهو مسرف في صحبة الكتاب ، يأخذ المجلد الضخم فلا يكاد ينصرف عنه حتى يزدرده ازدرادا ، وصاحبـــي مسرف في الشراب اذا أقبل الليل عليـــه لم تكفـــه

(2) « أديـــب » صفحـــة 163 .

الزجاجة او الزجاجتان من معتق النبيذ وانما يشرب حتى يعجز عن الشرب وهو لا يعجز عن الشـــرب الا حين تعجز يده عن تناول الزجاجة وصب شيء من روحها فى القدح ، واذا انتهى العجز بصاحبي الى هذا الحـد لبث مكانه لا يريم ، نائما كالمستيقــظ ومستيقظـا كالنـائـم .. »

ويقضي صديقه فى باريس زهاء سنة ولكن الحال تغيرت عن سابقتها فى مصر .. أين المناقشات الجادة الهادئة .. أين السهرات اللطيفة ، كل ذلك لم يعد له وجود الا غرارا ، ذلك لان صاحبنا ينقطع الى « الين » دون غيرهـــا .

واخيرا يصاب صاحبنا بالجنون وتخيل اليـــه اوهام غريبة بعد ان يطرح على فراش المرض ثم الموت يتخيل نفسه بانه المانيا ، انه النـــازي القـــادر وان الصحف الفرنسية مجتمعة على طرده من باريس المدينة التي وقف بجانبها وساندها وساعدها لما هوجمت ، وهم ايضا ان الحلفاء اجمعوا على نفيـــه الى المغرب الاقصى ، بعد ان انقلب عليه اهل باريس جميعا مـــن سكان وصحف وأساتذة .

ثم نستنتج من احدى الرسائل التي كتبهـــا فى شهر نوفمبر انه كان قد خطب فتاة من أستـــاذ مـــن اساتذته بالسربون ، وهذا ما غاظ الين التي طالما تغنى بحبها والتي انصرفت عنه بعد أن علمت بامـــر هـــذه الخطبة ونصل الى نهاية هذا العراك عندما تحمل ــ ذات مساء صاحبة البيت الذي كان يقيم فيه صاحبنا حقيبة ومعها خطاب من صديقه الاديب خلاصته انه لن يعود اليه برده .

بعد ان بلغ به الجنون مداه ، وبعد ان اصبـــح لا امل بتاتا فى علاجه، فقدمت له الحقيبة واوصته بغرفة مغلقة منذ عام ، بها كتب كثيرة . ولما اطلع صاحبنـــا على كل ذلك اذا به يقف على ادب حزين رائع صريح لا عهد للغتنا بمثله فيما يكتب أدباؤنا الشبان ، ومن ثم هم بنشره ، ومن بينه كان هذا الكتاب .

محمد الخطابـــي



لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب

تأليف : الاستاذ احمد زياد — تقديم : الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

صدر مؤخرا عن دار الكتاب المغربية ، مؤلف للاستاذ أحمد زياد ، المعروف بكتاباته الادبية والصحفية منذ عدة سنوات .

وهذا الكتاب يقع فى حوالي 260 صفحة من الحجم المتوسط فى طباعة جيدة وورق ابيض ناصع واخراج بديع .

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام ومقدمة :

— القسم الاول :

— يتحدث فيه عن تطور الحركة الفكرية فى المغرب

— وظهور حركة التاليف .

— القسم الثاني :

— يبرز فيه الحركة الفكرية من خلال النقد الادبي

— ثم نجد موضوعين آخرين بهذا القسم هما :

— راي وتحليل .

— كلمة اخيرة .

— اما القسم الاخير فهو خاص ببعض القصص منها

— الحاج طرزان .

— درب النضال .

— عكيدة .

ونحن يهمنا فى هذا التقديم ان نطلع القارىء الكريم على بعض جوانب هذا الكتاب الذي يتناول بالتاريخ لفترات مهمة من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب فى مختلف صورها الادبية والسياسية والاجتماعية .

*

بعد كلمة الاهداء التي تنم عن نضال المؤلف ، نجد مقدمة يذكر فيها الاستاذ زياد ان كتابه انما هو وليد عمل احب أن يعرف فيه باحداث الحركة الفكرية والسياسية فيقول : « انني لم اسلك فى هذه المحاولة مسلك المؤرخين والباحثين وانما آثرت أن اقوم بجولة عبر معالم من تاريخ الحركة الفكرية فى هذا البلد العزيز ، استرجع فيها ذكريات من ماض ربما يكون قد اصبح بعيدا من حيث الظرف الزمني ، الا انني اعتبره قريبا من حيث مكانته فى نفسي وروحي ، كما أن نيتي اتجهت فيما اتجهت اليه أن اذكر اولئك الذين ما يزالون احياء فى نشأة هذه الحركة وتكوينها ورعايتها بعطائهم الفكري ، وان اخلد من مضى منهم « لأن الحياة دقائق وثوان ، فى حين ان الذكر للانسان عمر ثان » .

*

فى القسم الأول يذكر المؤلف بأن الاستعراض الذي قام به لتاريخ الحركة الفكرية بالمغرب عاش اغلب اطواره لكن فضل أن ينطلق فى جولته الفكرية عبر

مراحل ابتداء من سنة 1909 الى حدود 1952 وهي فترة تسجل الاعمال الفكرية لنحو نصف قرن .

وقد انطلق الاستاذ زياد فى كتاباته مستشهدا أولا بنضال الحركة السلفية التي ظهرت فى المغرب والتي كان ظرف فرض الحماية بمثابة عامل استعجال لوجودها . لقد بدات هذه الحركة اول امرها وهي تحتضن الارهاصات الاولى للحركتين الفكرية والسياسية على السواء لكن الحركة السياسية كانت تختبىء وراء الحركة الفكرية فى حين كانت الحركة الفكرية بدورها ذات ابعاد سياسية ومن الصعب – يقول المؤلف – ان نعثر على ما يسجل الدلائل المادية لهاتين الحركتين اللتين استمرتا لمدة اربعين سنة كاملة اللهم الا ما هو موجود فى بعض الصحف والمستندات والوثائق مثل مجلة « الفتح » التي كان يصدرها المجاهد محب الدين الخطيب ، وصحيفة الشهاب الجزائرية التي كان يصدرها المجاهد المصلح عبد الحميد بن باديس ، ومجلة « العروة الوثقى » التي كان يصدرها المرحوم جمال الدين الافغاني والتي كانت لسانا معبرا عن الايديولوجية الاسلامية .

فالذين كانوا يكتبون فى هذه المجلات كانوا مضطرين الى امضاء مقالاتهم باسماء مستعارة والذي يجعلنا نعلم انها صادرة عن مغاربة كلمة – المغرب – التي توضع الى جانب الامضاء ومضمون البحث والمقال ، ومن كتاب هذه الفترة الذين امكن التعرف عليهم فيما بعد : الشيخ محمد بن العربي العلوي من فاس ، والاستاذ عبد السلام بنونة من تطوان ، والاستاذ المجاهد المرحوم محمد غازي ، والسيد محمد الجاي من الدار البيضاء ، وما كتبه هؤلاء يعتبر خليطا من الافكار الدينية والسياسية وباسلوب من الحق أن لا نقيمه بأسلوب العصر ومن الحق ايضا أن نصفه بانه كان اسلوبا مؤثرا واضعا طابعه على الانتاج العربي ولو بدرجات متفاوتة من الصعود والتوسط والهبوط ، ويمكن تصنيف هذا النوع من الانتاج فى بداية هذه الحركة فى صنف المقالة السياسية ، بل انه يعتبر من بعض الوجوه بداية لظهورها فى المغرب .

*

ثم ينقلنا المؤلف الى الاطلاع على نماذج من هذه الاساليب المكتوبة فى باب المقالات السياسية فنجده يقدم لنا وثيقة تتضمن دراسة مبسطة وغير معمقة لمشروع دستور مولاي حفيظ نشرت بجريدة « لسان المغرب » التي كانت تصدر بمدينة طنجة يعبر كاتب هذه الدراسة عن رأيه فى تحقيق النظام النيابي ومبدا الشورى فيقول : (1) « بما أن الوقت قد دعا الى الاصلاح ، والشبيبة العصرية قد هللت قلوبها وانشرحت صدورها له ، وجلالة سلطاننا الجديد (عبد الحفيظ) يعرف لزومه ، فنحن لا نألو جهدا فى المناداة بطلبه على صفحات الجرائد من جلالته ؛ وهو يعلم اننا ما قلدناه بيعتنا واخترناه لامامتنا وخطبنا وده رغبة منا وطوعا من غير ان يجلب علينا بخيل ولا رجال ، الا املا ان ينقذنا من وهدة السقوط التي اوصلنا اليها الجهل والاستبداد . فعلى جلالته ان يحقق رجاءنا وان يبرهن لكل عن اهليته ، ومقدرته على ترقية شعبه وعلى رغبته فى الاصلاح وجدارته بادارة ما قلدته امته والذي نرجوه منه اولا وقبل كل شيء هو فتح المدارس ونشر المعارف ، وان يكون التعليم الابتدائي اجباريا ، وان يولي ذوي الكفاءة والاستحقاق والاهلية ، ويقرب اليه ذوي العقول الراجحة والافكار الحرة الراقية ؛ وليحترز من الوشاة والجواسيس الذين يشوهون له رعاياه ويحولون بينهم وبينه ؛ وفى بلاطه الشريف ، من هذه المكروبات القتالة جيش كبير ، فان لم يتحرز منها ويقاومها نقلت اليه جراثيم موبئة معدية ، وبما أن يدا واحدة لا تقدر على انهاض شعب من وهدة سقوطه ، ولا على اصلاح ادارة مختلة كادارة حكومتنا فيجب ان تكون الايدي المتصرفة، والعقول المفكرة والافكار المدبرة كثيرة متكاتفة على العمل . وعليه فلا مناص ولا محيد لجلالته ان يمنح امته نعمة الدستور ومجلس النواب واعطاءها حرية العمل والفكر لتقوم باصلاح بلادها اقتداء بدول الدنيا الحاضرة المسلمة والمسيحية ، والدول الحاضرة يوم كانت مستبدة وسلطتها مطلقة لم تكن لها كلمة مسموعة ولا ما يدل على انها دول تديرة ، وحيث خلص الله تلك الارواح من شبكة الاستبداد والرق نهضت تلك الدول من وهدة سقوطها وتنقلت فى اطوار الكمالات حتى وصلت اليوم الى ما وصلت اليه وكفى حجة على هذا امة اليابان ... التي كانت فى مؤخرة الدول قبل اربعين سنة ... »

وهذا نموذج آخر من كتابات الفترات التي جاءت مع مطلع القرن العشرين والخطاب فيها موجه الى مدير مجلة « المغرب » من المرحوم الاديب محمد حصار حيث يقول :

1) راجع ص 15 من الكتاب الذي نتولى تقديمه .

الاستاذ صالح مدير مجلة « المغرب » .

« كنت على اهبة السفر رغم الثلوج والأمطار الى جبال الاطلس الشامخ قصد القيام بالمهمة التي وعدت بها القراء في العدد السابق ، اذ القى الي البريد من احد المحررين النبلاء الرسالة الآتية :

سيدي المدير العظيم :

وقفت البارحة على رؤيا عجيبة ! وها انا اسرع بقصها عليكم لعلكم تعدلون عن السفر الذي تريدونه :

دخلت الى الفراش والبال مشغول برحلتكم ، ولا بدع ، فانكم تعلمون شدة تمسكي بكم واعتنائي بصحتكم احتفاظا بالمجلة — واذا كانت الصراحة من دلائل الاخلاص — فازيد واحتفاظا ايضا بالمرتب الطفيف الذي اتقاضاه بفضل وجودكم ، الا ان ذلك لم يمنعني من الاستسلام الى النوم حينا ، فرايت كأن القيامة قامت ، وجعلت انظر يمينا وشمالا فوقع بصري عليكم، وانتم في تلك الدار كأنتم في هاته ، لا تبديل ولا تغيير ، وهذا كما لا يخفاكم من علامات الخير والصلاح ، وفي الحين نفسه وقعت يدي في جيب سراويلي على « جواز التجول » بامضاء مدير الأمن العام ، الذي استعمله — اي الجواز لا المدير — في جولاتي الصحفية منذ تفضلتم باستغلال كفاءتي في العمل ، فاذهلني ذلك احوال الاخرة ، ولم يبق في بالي سوى اني صحفي وان الواجب يقضي على بأن اسبق غيري من زملائي الكرام في التقاط الاخبار والابراق بها الى (مجلة المغرب) كما كنت افعل من قبل .

فاسرعت الى الجنة ووصلتها بفضل هذا الجواز من غير أن يعترضني في الطريق من موقف وحساب وصراط وما عدا ذلك من المحن التي يكابدها سائر الخلق ، واعني منها الصحفيون لماتعلمون ان الله فضلنا على عباده بالحرية في كلتا الدارين .

ووجدت رضوان واقفا على باب الجنة يسبح الله ويقدسه بصوت يملأ الفضاء عظمة واجلالا وبيده مفاتيح ثقيلة من الابريز الوهاج ، وبينما هو كذلك ، اذ دنا منه رجل واستأذنه في الدخول ، فقال له رضوان : من انت ؟ فأجابه الرجل : انا مسلم ، فقال له رضوان : ان الدين عند الله الاسلام ، تفضل يا أخي ، فقد نزلت اهلا وحللت سهلا ، وبعد هنيهة اتى الرجل وقال ، انا نصراني ، فقال له رضوان . ادخل بسلام ، ان الله يحب من احب ابن مريم عليه السلام ، ولم يكد يدخل النصراني حتى وقف ثالث على الباب يستأذن ايضا ، فقال له رضوان ومن انت ؟ فأجاب الرجل : انا يهودي، فقال له رضوان انت من ابناء موسى كليم الله ، تفضل اذا فان في الجنة متسعا للجميع ، واذ ذاك مثلت أمامي الصهيونية ففهمت ان رضوان لم تصله اخبار « آخر ساعة » التي نشرتها الجرائد ، وهممت ان اقول له : « ليس اليهود كلهم من ابناء موسى ، فان منهم من جعلوا « جنتهم الموعودة » في تلك الدار ، ولم يبق لهم حظ في هاته » .. ولكن حينما دخل اليهودي الجنة واخذ رضوان في قفل الباب ، فلم يشعر الا ورابع يجذبه من ردائه ويطلب الدخول كالاخرين ، فقال له بغضب : من انت ؟ من انت ؟ فاجاب الرجل : انا بربري فقال رضوان — في شيء من الغرابة — بربري ؟ كلمة لا اعرفها ولا اجد فيها شيئا من لسان الجزيرة ، فاذهب عني ، ان الناس هنا لا يتكلمون الا بالعربية وهي اللغة الرسمية بهاته الدار ... فاجابه الرجل : كيف لا ادخل وانا من نسل آدم عليه السلام ، فقال رضوان — بعدما اجتهد وكتب كلمة « بربري » على ورقة من البردي بقلم من ذهب — : انتظر قليلا حتى أذهب الى آدم واساله عن رهطك ، ثم دخل واغلق الباب وراءه ، وبعد دقائق قليلة رجع وقال للرجل : ان آدم عليه السلام لا يعرف له نسلا يدعى بربري ... وكنت في غيبة رضوان ابرقت المشكلة الى المجلة فاذاعتها في اقل من لمح البصر .. فاجتمع جمهور عظيم من الناس حول « البربري » عرفت منهم : حماد الراوية ، وجهينة الاخبار ، وخلف بن فرح السميسير الشاعر الاندلسي المشهور ، والفرزدق ، وابا العتاهية وعمر ابن ابي ربيعة الذي كان قابضا على يد الخنساء رغم ابيضاض شعرها واحديداب ظهرها ، وانضم اليهم جماعة من مؤرخي العرب والنسابين منهم : صاحب كتاب الجمان في اخبار الزمان ، والطبري والكلبي ، والمسعودي ، وابن حزم ، وابن زرع ، والبكري ، والمقري وغيرهم فلما انتهى رضوان ، تقدم خلف ابن حزم السميسير الاندلسي — وهو يهز راسه استحسانا لما جاء به الملك الصادق — وانشد :

رايت آدم في نومي فقلت له
ابا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك قال : اذا
حواء طالق ان كان الذي زعموا

فانبرى نحوه صاحب كتاب « الجمان » وقال : « لا ! لا ان البرابر من نسل آدم عليه السلام خلافا لما زعمت ، وهم من بني حام ، وقد تنازعوا مع بني سام ، فغلب بنو حام ، وانتصر بنو سام عليهم ؛

فانهزم بنو حام أمامهم الى بلاد المغرب وتناسلوا بـه واتصلت شعوبهم من أرض مصر الى آخر المغـرب وتخوم السودان ، ومع ذلك بقي عدد كبير منهـم فى فلسطين حتى زمن داود عليه السلام ، وكان ملكهم من بلاد كنعان يسمى جالوت ، فلما قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، أمر باجلائهم من بلاد كنعان وفلسطين الى أرض المغرب ، فانتشـروا هناك ، وكثر عددهم حتى ضاقت بهم تلك البـلاد وامتلأت منهم الجبال والكهوف والرمال ، وتدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة ، فمنهم مـن تنصر ، ومنهم من تهود ، ومنهم من تمجس ، الى أن جاء الاسلام فاسلموا جميعا ، وكان فيهم رؤسـاء وملوك وكهان ، ولهم حروب وملاحم عظام مع مـن حاربهم وقارعهم من الامم » .

ولقصة البربر فى كتاب الاستاذ زياد اطوار غريبة تجلت فى الحوار الذي اقامه بين رضوان والكلبي ، حيث يحاول رضوان أن يبعد العرب عن البربر فيكون جواب البربري هذه الابيات الشعرية : (2)

ايها السائـل عنـا أصلنـا
قيس عيـلان بنـو الغـر الاول

نحن ما نحن بنـو بـر النـدى
طارد الازمة نحـار الابـل

قد بنى المجد فأورى زنـده
وكفانا كل خطـب ذي جلـل

فلنا الفخر بقيـس انـه
جدنا الاكبر فكـاك الابـل

ان قيسا قيس عيلان هـم
معدن الخير على الخير دلـل

حسبي البربر قومي انهـم
ملكوا الارض باطراف الاسـل

ثم نجد شاعرا آخر يخاطب رضوان قائلا :

الا ايها الساعي لفرقة بيننـا
توقف هداك الله سبل الاطالـب

فاقسم انا والاعاريب اخـوة
تناولنا جد كريم المناسـب

ابونا أبوهم قيس عيلان فى الذرى
له حرمة تشفى غليل المحـارب

وبر بن قيس عصبة مضريـة
وفى الفرع فى احسابها والذوائب

فنحن وهم ركن منيع واخـوة
على رغم افراد لئام المناقـب

انه خطاب موجه منذ مطلع القرن الاول حتى الان الى الذين يحاولون التفرقة بين العرب والبربر .

*

وننتقل .. بعد أن قمنا بعرض للاساليب الادبيـة التي طبعت تاريخ الحركة الفكرية ببلادنا . الى نـوع خاص من الكتابات ويتعلق الامر بصفة خاصة بجانب النقد الادبي ، فتاريخ النقد الادبي فى بلادنا عمره قصير ومع ذلك فانه يستحق التدوين لانه يقترن بالكفـاح الفكري الذي واكب النضال السياسي وتجدر الاشارة الى أن النقد الادبي فى المغرب تأثر فى بعض مراحله بما كان يجري فى بلدان المشرق العربي وبمصر خاصة

وقد تحدث المؤلف فى هذا القسم عن اسلـوب النقد الادبي الذي كان يتبعه فى كتاباته النقدية لمـا يقراه سواء لكتاب مغاربة أو مشارقة ، ولذلك نجده يقول عن الحركة النقدية : « لم تقتصر الحركة النقدية فى هذه الفترة على تقييم الانتاج الصادر فى المغرب ، بل ان البعض من الكتاب كان يتناول حتى الانتـاج الشرقي ليوضع فى الميزان ، ومن هذا القبيل ذلـك التعقيب الذي نشرته بمجلة « المغرب » .

بعد هذا نجد الاستاذ زياد يتحدث عن الدور الذي لعبته المجلات المغربية التي كانت تصدر فى هـذه الفترة ولاسيما مجلة « رسالة المغرب » حيث كانت ميدانا خصبا للكتابات الادبية والنقدية وان هذا العرض لا يسمح بتقديم نماذج مما أورده المؤلف فى كتابه فمن اراد التوسع فعليه أن يرجع الى الكتاب نفسه .

*

اما جانب القصة فى الكتاب فهو طريف جدا يبرز براعة المؤلف فى حبك تصويره للفصول والشخصيات واختيار الاسلوب والعبارات مما جعله يتفوق فى تناوله لشخصية طارزان الاسطورية .

---

2) هذه الابيات تنسب لعبيدة بن قيس العقيلي .

واخيرا ان هذه المعالم التي اطلع الكاتب القراء على بدايتها ونشأتها من خلال جولاته في البحث عن تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب ، تعتبر تراثا ثقافيا يصح الاعتزاز به كل الاعتزاز ذلك لانه تراث انصهر من جهود شاقة ومضنية ، كانت الصعوبات تحيط به من كل جانب وتواكبه في كل فترة من الفترات التي عاشها .

❊

ان الاستاذ احمد زياد بذل جهودا يشكر عليها في ابراز معالم تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب خلال عهودها الاولى وقد تكون الملاحظة الوحيدة التي يمكن توجيهها اليه — في نظرنا — كونه لا يحيل القارىء على المراجع التي اعتمدها في ذكره لبعض الوقائع والاحداث التي سردها في كتابه المفيد الذي أرجو له الذيوع والرواج

الرباط : عبد الرحيم بن سلامة



من أنباء العالم الإسلامي

المغـــــرب :

❋ دشن ولي العهد الامير سيدي محمد مساء يوم الجمعة بفندق حسان المعرض الفني الذي اقامه الفنان حسن الكلاوي فى نطاق حملة تدعيم المجهود الحربي ، وقد كان ولي العهد مرفوقا بالاميرات الجليلات للا مريم وللا اسماء وللا حسناء ، ومحفوفا بالسيد محمد عواد الوزير المشرف على تربيته والسيد ابراهيم فرج عامل الرباط وسلا .

وبعد ما وقع صاحب السمو الملكي ولي العهد وشقيقاته الاميرات على الدفتر الذهبي قام سمو الامير بجولة فى المعرض لمشاهدة مختلف اللوحات الفنية المعروضة ، وكان الفنان السيد حسن الكلاوي يقدم بعض الشروح المتعلقة باللوحات .

❋ جرت مساء يوم السبت 22 — 11 — 73 بمسرح محمد الخامس حفلة دشن خلالها صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد معرضا ثقافيا اقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة تحت شعار : الثقافة الوطنية فى عهد الاستقلال .

وهكذا وصل ولي العهد الى مسرح محمد الخامس رفقة اخيه صاحب السمو الملكي الامير مولاي رشيد والسيد محمد عواد الوزير المشرف على تربية ولي العهد والسيد ابراهيم فرج عامل الرباط وسلا .

وقد وجد سمو الامير فى استقباله الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة .

وبعد ان قطع ولي العهد الشريط الرمزي للمعرض طاف بمختلف الاروقة التى تعكس النشاط الثقافي والفني فى المغرب والمنشورات الثقافية والمدرسية وصورا عن الحفريات والتنقيبات الاثرية والفنون الشعبية .

وبعد ذلك القى السيد الوزير خطابا جاء فيه :

« مولاي صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة لا استطيع ان اصف مبلغ الغبطة التى اشعر بها فى هذه اللحظة السعيدة فقد اولانا جلالة والدكم العظيم من العناية ما يطلق لساني والسنة كافة المثقفين بالثناء العاطر والامتنان العميق عندما تفضل فاذن لسموكم برئاسة هذا الحفل وتدشين هذه الظاهرة الثقافية الكبرى .

ان تاريخ النهضة المغربية فى هذه البلاد يرتبط اوثق ارتباط بحياة امرائنا الاماجد الذين يساهمون بهذه النهضة مساهمة فعالة فى مختلف المراحل منذ نشأتهم الاولى وطيلة شبابهم وعند اكتمال نضجهم وتحملهم لاكبر المسؤوليات ويكفينا ان نرجع الى الوراء الى ما قبل الاستقلال ونستعرض تلك المنظمات الوطنية والمؤسسات الثقافية العلمية والرياضية التى كانت نعم السند ونعم المدد لدفع عجلة النهضة الى الامام ابان الكفاح من اجل الحرية والوحدة والاستقلال لنرى انه ما من واحدة منها فى الجنوب و الشمال الا وهي مرتبطة كل الارتباط بحياة والدكم الكريم ولي عهد المملكة وامير الاطلس آنذاك مولاي الحسن بن محمد ، لقد كانت زياراته لها وخطبه فى قاعاتها وجولاته فى جنباتها تحت رعاية جدكم المقدس اب المغرب الحديث محمد الخامس طيب الله ثراه هي المحرك الاكبر لحماس القائمين عليها والموجه الدائم لنشاطها والضمانة الكبرى لاستمرارها فى رسالتها رغما عن كل العراقيل والمعوقات التى كان الاستعمار وضعها فى الطريق .

ففي اليوم الذى كان والدكم وهو ولي للعهد يزور معهدا او يترأس احتفالا او يدشن مدرسة

كانت الفرحة تغمر الشعب من اقصاه الى اقصاه والامل يملأ قلب كل مواطن ومواطنة لان زيارة امير جليل طموح من طراز الحسن الثاني لم تكن بمحض الصدف فهو لا يحرك قدميه الا لامر مهم مضمون العواقب محمود النتائج ، ولما عاد جدكم المقدس ووالدكم المعظم يحملان وثيقة الاستقلال والحرية والوحدة انطلق الشعب من عقاله ، فاقبل صانعو الفكر ومبدعو الكلمة ومصورو الاحاسيس وملحنو الاهازيج على الابداع والانشاء والابتكار وكان من رعاية العرش العلوي الشريف هذه الحصيلة الثقافية المتنوعة التي تشاهدون اليوم بعض جوانبها في المعرض الثقافي .

وها انتم اليوم يا صاحب السمو الملكي تقومون بنفس الدور لا ينال شرف رعايتكم الا من جد واجتهد وقدم للوطن شيئا جديدا ومجهودا نافعا وبالرغم عن مشاغلكم المدرسية لا تتأخرون عن ابراز رعايتكم المولوية لكافة وجوه النشاط الثقافي الوطني وحيث ما حللتم وارتحلتم تكونون اكبر حافز لبذل المزيد من الجهد المثمر والمزيد من العمل الصالح حرصا من سموكم ومن جلالة والدكم على ازدهار الوطن المغربي ورفعة الدولة المغربية .

وقد ظلت ابواب المعرض مفتوحة لمدة اسبوع حتى يمكن جمهور المثقفين من زيارة اقسام المعرض الستة والتي تضم الكتب والصحف والمجلات والمتاحف والفنون والصور والنشاط الثقافي المغربي

* افتتح الموسم الجامعي 73-74 برئاسة السيد الداي ولد سيدي بابا وزير التربية الوطنية وجرى الاحتفال في مدرج ابن خلدون لكلية الاداب والعلوم الانسانية ، والقى الدكتور جعفر الكتاني بهذه المناسبة كلمة اعلن فيها عن افتتاح السنة الدراسية الجامعية الجديدة ثم القى الدكتور عباس الجيراري محاضرة افتتاح الموسم الجامعي وكانت بعنوان التيار الفقهي المرابطي ومدى تأثيره على الفكر والاداب .

حضر حفل الافتتاح عدد كبير من السادة الوزراء والشخصيات وبعض اعضاء السلك الدبلوماسي وعمداء كليات جامعة محمد الخامس ، واساتذة وطلبة الجامعة .

* يتوفر المغرب حاليا على 77 خزانة للكتب ، منها 33 خزانة تابعة للادارة العامة للثقافة ، و 35 تابعة للمجالس البلدية .

وفي سنة 1972 فتحت عشر خزانات جديدة في مختلف انحاء المغرب . وقد وضع 4063 مؤلفا رهن اشارة هذه الخزانات التي قررت المساهمة في نمو نشاطها كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق والكويت وبلجيكا وفرنسا وامريكا ، وذلك في نطاق التعاون الثقافي مع المغرب .

وخلال العام الماضي انفقت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مبلغ 33 مليون فرنك في هذا الميدان .

* الحياة الادارية والاقتصادية بالمغرب الاقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة ، تقدم بها حسن علي حسن .

* اعلن الاستاذ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ان السنة القادمة ستكون سنة حاسمة ومنطلقا كبيرا للثقافة ببلادنا وبعثها ، وهذه بشرى ليست مجرد وعد خال من التنفيذ ولا مجرد مغامرة ، ولكنها قائمة على مخطط مدروس .

جاء ذلك في الكلمة التي القاها السيد الوزير اثناء رئاسته بالمركز الوطني للشباب بغابة المعمورة اكبر تجمع ثقافي على الصعيد الوطني يساهم فيه رؤساء كافة الجمعيات الثقافية المغربية .

وعبر السيد الوزير في مستهل كلمته عن سعادته بهذا الاجتماع الذي كان حريصا على تنظيمه منذ زمن غير بعيد ، ولكن الفرصة اتت اليوم حتى يكون لقاء على كلام مفيد خاصة ونحن مقبلون على سنة جديدة بكل معاني الجدة ، سنة مليئة بالاحداث ومنطلقا للطبقات الفكرية التي طالما اصابها التعويق والتعطيل .

ولاحظ ان كل ما في الافق يبشر بأن هذه السنة ستكون سنة مباركة على الثقافة والمثقفين ، كما ان هذا اللقاء هو توديع لسنة واجهت فيها الوزارة عددا من المصاعب ووجدت كثيرا من الاسس غير قائمة، وكثيرا من الجهود غير منتظمة .

واعرب السيد الوزير عن اعتقاده ان هذا اللقاء يعد فرصة طيبة لتبادل الرأي ووجهات النظر حول

مفهوم الثقافة ونوع الثقافة الذي ينبغي تنشيطه في بلادنا خلال السنوات القادمة ، والنصيب الذي تضطلع به الجمعيات الثقافية وما هي العلاقة التي يجب ان تكون قائمة بين هذه الجمعيات والهيئات المسئولة عن الثقافة .

وانتقل سيادته بعد هذه المقدمة لابداء بعض الملاحظات والاقتراحات فاشار في اول الامر الى ان كثيرا ما نرى في مدينة واحدة عدة جمعيات تتنافس فيما بينها الا ان مجهودها يتكرر.

لذا، ينبغي على كل جمعية ان تختص بنوع معين من النشاط الثقافي حتى يكون هناك تكامل وعدم تداخل في المسئوليات .

واقترح السيد الوزير كذلك انشاء اتحاد للهيئات الثقافية كلها حتى تكون لهذا الاتحاد الكلمة العليا في تقييم النشاط وتقييم التشجيع الذي يتعين منحه للجمعيات .

واعطى للحاضرين نظرة عن الخطوط العريضة للنشاط الثقافي الذي سيقبل عليه المغرب فذكر ان الوزارة تنوي احياء ذكريات عدة عظماء مغاربة ، كما تنوي الدعوة الى عقد مؤتمر للادباء المسلمين .

واضاف يقول بانه ينتظرنا قريبا الاسبوع الثقافي الجزائري ، ثم بعده الاسبوع التونسي ، وينتظرنا كذلك معرض الكتاب المغربي يضم كافة الكتاب ، تتاح لهم خلاله فرصة التحدث في جلسات خاصة عن مؤلفاتهم وستكون تلك فرصة مواتية للتعريف بالعبقرية الناشئة واحاطة الجمهور المغربي علما بها .

واعاد السيد الوزير الى الاذهان ان الوزارة تعتزم ايضا تنظيم اسبوع القرآن الكريم والتعريف بكل طبعاته وانواع التفاسير التي فسر بها الكتاب المنزل وانواع القراءات التي قرىء بها .

ومن الذكريات التي تؤمل الاحتفال بها يقول الوزير ذكرى طارق بن زياد الذي كان واليا على طنجة وانطلق لنشر اشعة الاسلام في اطراف العالم .

وعلاوة على ذلك فان الوزارة مقبلة على تشييد اكبر مسجد بطنجة يمكن القول عنه انه سيكون اكبر مسجد في المغرب .

ومن الذكريات التي تعتزم الوزارة تخليدها ذكرى لسان الدين بن الخطيب الذي مضت على وفاته ستة قرون ، وهو من الرجال القلائل الذين تركوا آثارا جليلة

❋ وجهت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ، كما هو معلوم ، دعوة الى السادة : الشيخ حسين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقا ، وعضو مجلس البحوث الاسلامية ، والاستاذ الدكتور محمد الغزالي المدير العام للدعوة والارشاد بوزارة الاوقاف المصرية ، والاستاذ محمد المبارك مستشار الملك فيصل للمشاركة في الدروس الحسنية التي تنظم بامر من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كل سنة بمناسبة شهر رمضان المعظم ، وقد اعدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بهذه المناسبة برنامجا ثقافيا على مستوى الاقاليم لالقاء محاضرات عديدة بمختلف انحاء المملكة .

وقبل ان يغادر وفد السادة العلماء مطار الدار البيضاء ادلى الشيخ حسين مخلوف بتصريح عبر فيه عن ارتساماته بمناسبة زيارته الثانية للمغرب قال فيه :

لقد تشرفنا بزيارة هذه البلاد وسعدنا بها كل السعادة ، ورأينا فيها قوة عظيمة جدا للدفاع عن الاسلام والغيرة الاسلامية .

ورأينا على راس هذه القوة اماما لها هو جلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله وادام عهده وايد ملكه .

لقد رأينا الاسلام هنا ناميا جدا ورأينا الرغبة في الجهاد لنصرة الاسلام ولاعلاء كلمة الاسلام ولانقاذ بلاد الاسلام من المحن التي اصابتها .

لقد رأينا هنا ما سرنا وما اثلج صدورنا ، ونحمد الله تعالى ان كانت هذه البلاد هي الفاتحة في ميدان الجهاد والتي نشرت النهضة الاسلامية ونشرت الوعي الاسلامي واقامت التضامن الاسلامي بين المسلمين .
فكان جلالة الملك اول من قام بهذه الدعوة الاسلامية الجليلة ، فالله سبحانه وتعالى يديم عهده ويؤيد ملكه ويحفظه ويحفظ هذا الشعب ويديم عليه هذه النعمة .

هذه الحالة الظاهرة كنت قد ادركتها في المرة الماضية ، ولكني في هذه المرة رأيت دلائلها ورأيتها نامية جدا ورأيت الشعب المغربي يتسابق الى اعطاء الدم لمناصرة المجاهدين .. وكان امامهم في ذلك

جلالة الملك حفظه الله حيث أعطى من دمه الغالي ما يمكن ان يكون قوة للجهاد وباعثا للنهضة وداعيا الى ان يكون المجاهدون فى سبيل الله جدا من اجل الشهادة فى سبيل الله ، والله سبحانه وتعالى يؤيد هذه البلاد ويحفظها حصنا منيعا .

ثم تحدث الاستاذ الدكتور محمد الغزالي فقال :

ان الواقع الذي عشناه كان أعظم من الخيال الذي تمثلناه فى انفسنا قبل ان نجيء هذا البلد العزيز .. واعتقادنا ان المغرب جدير باستعادة ماضيه المجيد ، فلا شك اننا نحن المسلمين والمغاربة فى طليعة الذين قضوا على ظلمات القرون الوسطى ودور المغاربة فى احياء التراث الانساني والثقافة العالمية لا يستطيع انكاره الا مكابر او متعصب .

ولله الحمد شعرنا بأن المغرب ماض فى سلم الصعود بخطوات ثابتة وان ملكه أمير المؤمنين الحسن الثاني يقوده قيادة حكيمة اساسها الايمان بالله والتوكل عليه وجمع شتات الامة الاسلامية والنظر اليها على انها وحدة متكاملة يشد بعضها ازر البعض الآخر .

والانطباع الاول فى نفسي ان اواصر القرابة بين المغاربة وبين المسلمين واضحة فكلا الشعبين متدين ، وطبيعة التدين تكاد تكون مفتاح شخصيته ، واذا نودي باسم الله لبى ، واذا نوشد ان يعود الى تراثه الاصيل عاد ، وفى فؤاده حماس وفى قلبه حرارة .

ونحن نعلم ان الغزو الثقافي الذي فرضته أوربا على العالم العربي والاسلامي قد تغلغل فى قوانيننا وفى تقاليدنا وفى لغتنا وفى جوانب كثيرة من حياتنا ، لكن الجسد الاصيل يستطيع ان يتغلب على الامراض العارضة وان يبقى بقوته وسلامته .

ونحن لاحظنا المغرب بدا ينتفض وكما قلت يمضي فى سلم الصعود بخطى ثابتة ، فهو يعرب لغته وأدبه وادارته وتقاليده وهو تشبث بتراثه الاسلامي ، لا يريد ان ينفك عنه ، ومما أثلج صدورنا ان المغرب فى تاريخه الحديث اخذ ينتقل بنشاطه من الصعيد المحلي الى الصعيد العربي والاسلامي الواسع .

ورأينا التجريدة المغربية فى سوريا وفى مصر وفى كلا البلدين ، رأيناها تؤدي واجبها الاسلامي خاصة وان أرض الاسلام واحدة وان مصيرهم مشترك وان مستقبلهم واحد ، ولذلك فان روح الايمان التي بثها امير المومنين الحسن الثاني فى امته وفى الكيان العربي والاسلامي كله يرجى ان تتمخض عن نهضة أكبر وعن مستقبل مشرق .

※ صدر فى دمشق مرسوم رئاسي يمنح لقب بطل الجمهورية العربية السورية الى كل من الجنرال عبد السلام الصفريوي قائد التجردة المغربية فى جبهة الجولان والشهيد الكولونيل عبد القادر العلام .

وبمقتضى هذا المرسوم فان الجنرال الصفريوي والمرحوم الكولونيل العلام هما من أول الضباط غير السوريين الذين وقع منحهم هذا التشريف العسكري تقديرا لدورهم الحيوي فى معركة الشرف .

※ القى الدكتور برند مانويل فايشر يوم الجمعة 30 نوفمبر بالمركز الثقافي بالدار البيضاء محاضرة عن الشاعر جلال الدين الرومي المتوفى سنة 1273 بمناسبة مرور 700 سنة على وفاته .

والدكتور فايشر مستشرق الماني ، ويشغل منصب أستاذ الآداب العربية بجامعة المانية ـ زوريخ ـ

وتحدث الدكتور فايشر فى محاضرته عن حياة الشاعر الفيلسوف الايراني جلال الدين الرومي الذي يعتبر مؤلفه ـ المثنوى ـ من اروع الاعمال الشعرية التاملية فى الفكر والشعر الايراني بالاضافة الى ديوانه العظيم : شمس الدين ، كما تحدث المحاضر الالماني عن التاثير الذي خلقه الشعر الفارسي عموما فى الآداب الالمانية التي تعرفت على الفكر الفارسي فى القرن التاسع عشر .

هذا واعد معهد جوته الالماني بالدار البيضاء برنامجا ثقافيا حيا وممتعا خلال شهري نوفمبر ودسمبر ، اشتمل على محاضرة قيمة عن العالم الثالث باللغة الفرنسية ، ومحاضرة اخرى عن مدينة فاس ومعرض الفنان ليوفرو بنيوس 1873 ـ 1938 .

※ اعتزمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة اقامة مهرجان ضخم لاحياء ذكرى ذي الوزارتين وذي العمرين لسان الدين ابن الخطيب بمناسبة مرور ستمائة عام على وفاته .

ومعلوم ان لسان الدين ابن الخطيب الاندلسي يوجد ضريحه بباب محروق بمدينة فاس .

وقد تشكلت لجنة تحضيرية برئاسة الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب وعضوية شخصيات اخرى لاعداد هذا المهرجان وتحديد الموضوعات التي سيتناولها الاعضاء والمساهمون المختصون في تاريخ الاندلس وآدابه واعلامه .

كما تعتزم الوزارة طبع بعض المخطوطات والكتب التي انتجتها هذه العبقرية الفذة ، ولم يسبق نشرها او طبعها .

وسيقع هذا الاحتفال الثقافي في السنة القادمة.

الجزائر :

❊ تعلن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ان تحديدها لميعاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المزمع انعقاده بمدينة بجاية كان على أساس عطلة الربيع المقررة في التعليم الثانوي ، وحيث تغيرت هذه العطلة حسبما جاء في العدد الاخير من الجريدة الرسمية ، فقد ترتب على ذلك ميعاد الملتقى بحيث سينعقد من الفاتح الى الثاني عشر من ربيع الاول 1394 هـ الموافق الخامس والعشرين مارس الى الخامس من ابريل 1974 م ، في نفس المدينة ، بجاية ، وبنفس جدول الاعمال الذي هو كالآتي :

1 ــ وضع الاقليات والجاليات عموما ، والاسلامية خصوصا ، في كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء ، والمفكرين ، ورجال الاعلام نحوها .

2 ــ دور الفكر اليوم وعلى مر العصور في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل .

3 ــ مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطها .

4 ــ مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم ، والفنون ، والتراث الانساني على العموم . عوامل ازدهارهما ــ اسباب انحطاطهما وشروط انبعاثهما .

5 ــ الانية والاصالة مع التفتح والعالمية. معنى هذه المفاهيم ــ مدى امكانية التوفيق بينها ــ درجة اهمية التوفيق في عالم اليوم بالنسبة للفرد ، والمجتمع ، ومصير الانسانية كلها .

❊ اقيم بالمكتبة الوطنية بالعاصمة في الاسبوع الاول من شتنبر الماضي وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الرابع لبلدان عدم الانحياز معرض عن بلدان عدم الانحياز تضمن كتبا من هذه الدول وعنها ، وعددا من التحف والملابس والادوات التقليدية من دول عدم الانحياز ايضا . وقد أقيم المعرض تحت رعاية الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة .

❊ اقيم بقصر الامم بضواحي العاصمة وهو مكان انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز وبنفس المناسبة معرض للرسم لعدد من الفنانين الجزائريين الذين يمثلون مختلف المدارس الفنية .

❊ اقيم عرض لمنجزات الجزائر الثقافية والزراعية والصناعية والسياحية وصور تمثل طبيعة الجزائر المختلفة ، عرض كل ذلك بقصر الامم بطريقة (الحائط الحي) وهو شاشة كبيرة تعرض المناظر فيها بآلات (الكترونية) موكبة خلفها .

❊ في اطار النشاطات الثقافية والتربوية والدينية وفي اطار احياء ليالي شهر رمضان المعظم أقيمت في كامل انحاء القطر الجزائري محاضرات ومسامرات وندوات ثقافية شملت مختلف المواضيع وخاصة منها الدينية، وتميزت منها مواضيع الجهاد ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ونزول القرآن .

❊ نظمت بقاعة الموقار بالعاصمة يوم 17 اكتوبر الماضي ندوة فكرية تحت عنوان (دور المثقفين في المعركة تناول فيها الكلمة كل من الدكتور عبد الله ركيبي فتحدث عن (دور المثقف في المعركة) ، والاستاذ علي بن محمد فتحدث عن (التعبئة النفسية في المعركة) ، ثم تحدث السيد محجوب بوشناقة عن (دور الاعلام في المعركة) .



* صدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الكتب التاليـــة :

— ما لا تذروه الرياح (قصة) لعرعار محمد العالي

— مصري في باريس ليحيى حقي (بالفرنسيـــة) ترجمة عن العربية لعطية ابو النجا

— بيت العبودية (بالفرنسية) لاحمد صفريوي.

— اعمال المؤتمر الاول لدراسات ثقافات البحر الابيض المتوسط المتاثرة بالفكر العربي البربري، اعداد ميشلين غالي بمساعدة دافيد مارشال

— مختارات من القصص البلغارية ، تقديم صالـــح دميري (بالفرنسية)

— النموذج الجزائري للتنمية (عـــرض شامـــل للسنوات العشر 1962 — 1972) لجان كلـــود مارتيز (بالفرنسـية)

* عرضت التلفزة الجزائريـــة بمناسبـــة يوم الهجرة فيلما جديدا عنوانـــه (التائهـــون) للمخـرج الفنان محمد شويـــخ ، وهو فيلـــم يتحدث عن الهجرة من خلال قصة حياة مغترب جزائري بفرنسا عاش تحت تاثير الدعاية هناك ، ولد وشب وعمل وتزوج وانجب في فرنسا ، ولم يسعد في حياته فانفصل عن زوجته وعاد الى وطنه ليجد الحقيقة مغايرة لتلك الدعايات المغرضة التـــي كان يسمعها في فرنسا .

والفيلم من وضع واخراج الفنان محمد شويـــخ الذي اخرج من قبل فيلم المصب ، وكان من قبـــل ممثـــلا .

* انشا مواطن جزائري يقيم بمدينة الهافر بفرنسا دارا للسينما تحتوي على 517 مقعدا لعرض الافـــلام العربية فقط ، وهذه اول سينما عربيـــة في اقليـــم النورماندي ويبلغ عدد افراد الجالية العربية في الهافر تسعة آلاف شخص .

* القى الاستاذ مصطفى ورداد مديـــر التربيـــة والثقافة بقسنطينة محاضرة بدار نقابة العمال تحت عنوان : (تطور التعليم بالجزائر) ، استعرض فيهـــا جميع المراحل والاطوار التي مر بها التعليم في الجزائر منذ عهد الاتراك ثم فترة الاحتلال الفرنسي ثم فترة ما بعد الاحتلال حتى الآن .

* نظم المركز الثقافي الاسلامي بقسنطينة بالعاصمـــة محاضـــرة القاهـــا بالفرنسيـــة الاستاذ محفوظ قـــداش استـــاذ التاريـــخ بجامعة الجزائر تحت عنوان : (الجزائر في العهـــد العثمـــانـــي) .

* نوقشت في الفترة الاخيرة رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ طاهر حمروني المدرس بكليـــة الآداب بجامعة الجزائر ، وكان موضوعها : ((منهـــج المرزوقي في شرح الشعر)) وتمت مناقشته بكليـــة الآداب جامعة القاهرة ، وكانت لجنة المناقشة مكونة برئاسة الدكتور حسين نصار وعضوية الدكتورين عبد العزيز الاهواني واحمد الحوفي .

وبعد اجراء المناقشة منحته اللجنـــة درجـــة الماجستير بتقدير جيد جدا .

* يعد الاستاذ طاهر حمروني المدرس بكليـــة الآداب بجامعة الجزائر رسالة دكتـــوراه موضوعهـــا ((شراح المتنبي)) وذلك بكلية الاداب بجامعة القاهرة، تحت اشراف الدكتور حسين نصار ، وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

تـــونـــس :

* (الورقات عن الحضارة العربيـــة بافريقيـــا التونسية) القسم الثالث للمرحوم الاستـــاذ حســـن حسني عبد الوهاب ، وجمع وتحقيق الاستـــاذ محمد العروسي المطوي ، صدر عن مكتبة المنار بتونس ويقع في 545 صفحة متوسطة .

* يزور بيروت الآن فيليب ، من كلية الليســـه كاردو الفرنسيـــة في تونس بغية الاطلاع على مخطوطات امين الريحاني العربية وما كتب عنه استكمالا لكتابـــه اطروحة في اللغة الفرنسية عنوانها : ((أمين الريحاني وادب الرحلة في النهضة الحديثة)) وستقدم هـــذه الاطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة السوربون بباريس باشراف المستشرق بيار فيسمار . وتتضمن دراسة مقارنة بين الريحاني وعدد من ادباء التـــراث العـــربـــي .

※ توفي في تونس الدكتور الطاهر الخميري وقد كان رحمه الله من خيرة مثقفي القطر الشقيق ، وله مشاركات قيمة في مختلف مجالات الآداب والثقافة واللغات بصفة خاصة ، والف عدة كتب بالعربية والانجليزية ، منها كتابه القيم ((زعماء الادب العربي المعاصر)) بالانجليزية وترجمة مسرحية شكسبير الشهيرة ((عطيل)) وقد نال درجة الدكتوراه على أطروحة مفهوم العصبية عند ابن خلدون .

※ حقق الاستاذ محمد بن الطاهر المجذوب خريج الجامع الاعظم بتونس كتاب ((عوالي الامام مسلم)) بالنسبة لشخصية الامام البخاري رضي الله عنهما ، وهي اربعون حديثا ، جمع العلامة الهمام ابن حجر العسقلاني .

ويندرج نشر هذا الكتاب في عداد الكتب الدينية التي توالي الدار التونسية للنشر اصدارها تزكية للروح الديني وتمكينا للناس من مصادر ومراجع يجدون فيها طلبتهم الروحية ، ويفقهون بها مقاصد الشريعة .

وقد جمع ابن حجر العسقلاني في هذا الكتاب «عوالي مسلم» التي تميز بها على شيخه البخاري و40 حديثا ، شرفت بقرب السماع من الرسول صلى الله عليه وسلم لقلة طبقات رواتها ، وبعد اسنادها عن الخلل ، وقارن بين اسنادها لدى الامام مسلم واسنادها لدى شيخه الامام البخاري فجاءت اقرب الى الرسول عليه السلام .

والكتاب لم يسبق نشره فقام الاستاذ السيد محمد بن الطاهر المجذوب بتحقيقه فقدم له ، وعرف بالاسانيد ووضع لها جداول تفصيلية مقارنة وفهارس علمية ، تنم كلها عن العناية والتضلع اللذين اتسم بهما المحقق .

وقد تم طبع هذا الكتاب في رمضان 1393 ، الموافق لاكتوبر 1973 بمطبعة الدار التونسية للنشر .

مالي :

※ يقول الصحفي الامريكي (جون جنتر) في كتابه (داخل افريقيا) بعد أن عرض بساطة العقيدة الاسلامية : (.. هذا واحد من الاسباب التي تعلن : لماذا خط الاسلام مسالكه الكبرى في قلب افريقيا المعاصرة ؛ فعدد المسلمين يكاد يتضمن ثلث مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت ... وليس في الاسلام تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول (البانتو) أو (الزنوج) الى رحابه.

※ اصدرت دار النشر والطبع في مالي مؤخرا كتابا بعنوان : (تطبيق مبادىء الاسلام في افريقيا السوداء) وهو من تاليف بابا مختار نمباى نجوس الحاصل على مؤهل عال في الشريعة الاسلامية وعلى ديلوم معاهد الدراسات العليا في كراتشي ـ باكستان ـ وباريس ـ فرنسا .. وعلى عدة جوائز في تفسير القرآن الكريم .. ويقوم بابا مختار باعداد برنامج (الالمام بالاسلام) الذي يذيعه راديو مالي ..

وقد وجهت صحيفة (ليسور) التي تصدر في مالي عدة أسئلة الى المؤلف عن الكتاب فقال :

ان الكتاب ينقسم الى خمسة ابواب :

1 ـ اقوال لبعض الشهود عن صور لممارسة الدين في الدول الافريقية الواقعة جنوب الصحراء وفي الشرق .

2 ـ حياة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، منذ مولده الى وفاته .

3 ـ باب بعنوان : ما هو الاسلام ، وهو تفسير لقواعد الاسلام الخمس ، وهي : الايمان والصلاة والزكاة والصيام والحج ...

4 ـ نقل القرآن وترجمته .

5 ـ نقل الاسماء الحسنى وترجمتها .

واشار المؤلف الى ما دعا اليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم من نشر العلم وقال : ان هذه الدعوة التي اطلقها الرسول بين قومه في صحراء العرب منذ حوالي 14 قرنا سوف يستمر رنينها في اذن كل انسان عاقل .. وبالاحرى في اذن المؤمن الذي حصل على المعارف الدينية .. وهذا ما حملني على ان أؤلف هذا الكتاب .

واضاف : وهناك سبب آخر وهو ان الاسلام وهو دين كامل وشامل ما زال يساء فهمه في افريقيا السوداء .. اذ يرى البعض انه يحرم كل شيء ويصم كل شيء بانه اثم .. وهذا ما يؤدي الى فساد منطق

الانسان الذي تصل اليه الصورة مشوهة .. ومما يشكل اكبر تهديد للاسلام فى افريقيا السوداء هو أساسا نقص المعلومات وكذلك الافتقار الى الجدية فى اتباع قواعد الدين .

وعزا المؤلف ذلك الى عدة عوامل منها ما يتعلق بملقني القرآن الذين يكتفون بتلقين الشباب المسلم آيات من الكتاب الكريم دون اهتمام بشرح معناها او مدلولها له .. ومنها ان اغلب الشباب الذين تلقوا العلم فى المدارس الفرنسية يجاهرون بعداء شديد لمبادىء القرآن الكريم ويرون انها بالغة التزمت فى حين أنهم يجهلون كل شيء عن الدين ..

وسئل المؤلف عن النصيحة التي يمكن ان تقدم لانسان القرن العشرين الذي يواجه التقدم ويريد مع ذلك العمل بقواعد الدين .. فقال : ان الاجابة على ذلك تتمثل فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا .. واعمل لآخرتك كانك تموت غدا .

واضاف : ان ذلك ينبغي أن يكون سلوك انسان القرن العشرين ، الذي يواجه التقدم ويريد مع ذلك الالتزام بالدين ..

نيجيريا :

※ قرر المسلمون فى نيجيريا تشكيل هيئة مركزية لهم هي المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وان يكون الحاج ابو بكر سلطان سوكوتو والزعيم الروحي لمسلمي نيجيريا رئيسا عاما للمجلس . هذا وقد اصدر المجلس بلاغا أعلن فيه انه سيكون الناطق باسم جميع المنظمات الاسلامية فى جميع انحاء نيجيريا .

※ صدرت اخيرا ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة اليوروبا الشائعة فى نيجيريا .

※ ستقام فى مدينة (ايبادان) و (كادونا) بنيجيريا محطة اذاعية اسلامية وستكون هذه المحطة اول محطة اذاعية اسلامية تقام فى افريقيا وفى جنوب الصحاري ..

السينغال :

※ تسلم رئيس جمهورية السنغال ليوبولد سيدار سنغور شيكا قيمته ستين مليون فرنك افريقي من سفير المملكة العربية السعودية للمساهمة فى انشاء المعهد الاسلامي فى داكار .

وكانت المملكة العربية السعودية قد تبرعت من قبل بمبلغ 40 مليون فرنك لاقامة اسس هذا المعهد الذي زار الملك فيصل الموقع الذي يشيد فيه عند زيارته الرسمية للسنغال .

وقد توجه وفد من الرابطة التي تقوم بانشاء المعهد الى السفير السعودي لشكره على هذه المساهمة التي بلغت 100 مليون فرنك .

ويجري تمويل انشاء المعهد الاسلامي من الهبات الشخصية للافراد او التي تدفعها بعض الدول .

※ فى مدينة داكار سيلتقي الوزراء الافريقيون المسؤولون عن تطبيق العلوم والتكنولوجيا فى مجال التنمية . وسيبدأ الاجتماع الذي سيتم انعقاده تحت رعاية اليونسكو فى يوم 21 يناير سنة 1974 ويستمر حتى 30 منه .

واهم الاهداف التي يرمي المؤتمر الى تحقيقها هي :

اولا ـ اتاحة فرصة تمكن الـ 37 دولة المشتركة فى الاجتماع من تبادل المعلومات الخاصة بالسياسة العلمية المتبعة فى كل منها .

ثانيا ـ تحسين وتطوير السياسة العلمية .

ثالثا ـ تشجيع القيام بعمل الابحاث العلمية كجزء هام فى عملية تحقيق التقدم .

رابعا ـ الحث على الابتكار والتجديد كعامل مساعد فى زيادة الانتاج .

خامسا ـ دراسة الدور الذي يسند الى العلم فى الانشطة التي تقوم بها الحكومات عموما .

سادسا ـ تعزيز التعاون الدولي لتحقيق هذه الاهداف .

ان مؤتمر داكار الذي سيطلق عليه اسم مؤتمر CASTAFRICA وكلمة CAST تعني ((مؤتمر تطبيق العلم والتكنولوجيا)) ، سيتبع نفس النظام الذي اتبعته المؤتمرات الاقليمية التي عقدت فى امريكا

اللاتينية سنة 1965 ، وفى آسيا سنة 1968 ، وفى اوربا سنة 1970 .

الفـــابـــــون :

❊ اعلن رئيس جمهورية الفابون اعتناقه للدين الاسلامي فى احتفال اقيم فى مدينة ليبرفيل وحضره بعض وفود الدول العربية من السعودية وابو ظبـــي .

الســـــودان :

❊ تسعى الحكومة السودانية الى وضع برامج طويلة المدى من اجل نشر اللغة العربية فى جنوب السودان ، وذلك بعد ان حلت مشكلة الجنوب بشكل نهائي وعاد ابناؤه الى بلدهم .. وتبذل وزارة التربية والتعليم فى السودان جهودا مشكورة من اجل نشر اللغة العربية فى المدارس الخاصة بمختلف المراحل ..

ونستطيع ادراك خطورة المشكلة اذا عرفنا الحقائق الرقمية التالية :

1 ــ يقدر عدد سكان المديريات الجنوبية باربعة ملايين نسمة ، ويبلغ عدد الاطفال الذين هم فى سن التعليم مليون و 392 الف ، والمقيدون بالمدارس حوالي 80 الفـــا .

2 ــ عدد التلاميذ الذين تلقوا تعليمهم باللغات المحلية والاوروبية فى الغابات 25 الفا ..

3 ــ عدد اللغات غير العربية فى السودان 120 لغة ، وفى الجنوب وحده 20 لغة ..

❊ يعد الاستاذ ابراهيم امين ابو بكر من السودان رسالة الدكتوراه فى النحو فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر تحت اشراف الدكتور احمد حسن كحيل ، وقد اطلع على مراجع المعهد وبعض مخطوطاته لاختيار واحدة منها للعمل فيها .

دار الســـــــلام :

❊ يعمل التربويون حاليا فى تنزانيا فى اعداد برنامج للتربية الصحية سيشمل حوالي مليون شخص، وسيعمل البرنامج تحت شعار سواحلي يقول MTU .N. AFYA وترجمته التقريبية (الشخص السليم صحيا شخص كامل) .

وقد نظم هذه الحملة معهد تعليم الكبار التابع لجامعة دار السلام .. وسيشمل البرنامج دراسة 75 الف جماعة فى نواحي متفرقة ، يشرح لهم بوضوح اسباب الاصابة بأمراض الملاريا ، الدودة الشريطية ، الدوسنطاريا والسل ، وهي امراض منتشرة لدرجة كبيرة بين الاهالي ، وكذلك يشرح لهم النتائج المترتبة على الاصابة بهذه الامراض ، ثم يعرفهم بطريقة مقاومتهـــا .

افـــريقيــــا :

❊ فى اعقاب العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية ومواجهة الامة العربية ذلك العدوان وتحقيق النصر على الاعداء .. وقفت شعوب الافريقية عديدة الى جانب البلاد العربية ، تعلن تأيدها للحق العربـــي ، وتقوم فى نفس الوقت بقطع علاقاتها مع دويلة العدوان

وفيما يلي بعض المعلومات عن البلاد الافريقية التي قامت بقطع علاقاتها مع اسرائيل قبل العدوان ، وخلال الحرب وبعدها ..

اسم البلد	العاصمة	عدد السكان	نسبة المسلمين	
تانزانيا	دار السلام	13312000	6000000	٪50
توجـــو	لومـــي	2700000	935000	٪45
اثيوبيــا	اديس ابابا	25000000	15000000	٪60
داهومي	بورتونوفو	2500000	1500000	٪60
روانـــدا	كيفالـــي	4500000	2160000	٪48
زائيري	ليوبولدفيل	16700000	5845000	٪35
السنغـــال	داكــار	3238٫200	76290	٪95
تشاد	فورت لامي	100000	275000	٪35
كابون	ليبرفيــل	1000000	275000	٪35
غينيـــا	كوناكــري	3700000	3495000	٪95
غــانـــا	أكـــرا	8200000	2706000	٪33
غينيا الاستوائية	باتا	1740000	52200	٪30
فولتا العليا	وانمادوقو	5100000	2805000	٪55
كاميـــرون	دوالا	5500000	3025000	٪55
كونغو	برازافيــل	900000	315000	٪35
كينيـــا	نيروبـــي	9900000	3267000	٪33
ليبريـــا	مونروفيا	2500000	1125000	٪45

مالاجاسي	تاناناريف	6500000	1735000	25٪
مالي	باماكو	5800000	5000000	90٪
النيجر	نيامي	3174665	2825450	89٪
نيجيريا	لاغوس	58300000	43725000	75٪
افريقيا الوسطى	—	1400000	840000	60٪
بروندي		—	1584000	—
يوغندا	كمبالا	7900000	1738000	22٪

※ منحت جائزة لوتس ، للادب الافريقي والاسيوي هذا العام لاربعة من كتاب القارتين ، وهم : كاتب ياسين من الجزائر ، عثمان سيبني من السنغال، الشاعر (توبون) من الفيتنام الجنوبية ، الروائي المسرحي جيمس نجوجي من كينيا .

وقد سلمت الجوائز للفائزين فى مؤتمر ادباء افريقيا وآسيا المنعقد مؤخرا فى كازاخستان بالاتحاد السوفياتي .

غينيا :

※ اكد سعادة سفير غينيا لدى المملكة العربية السعودية ان الدلائل تشير الى زيادة عدد الحجاج الغينيين هذا العام .. وقال ان ذلك جاء نتيجة للعناية التي يجدها الحجاج فى المملكة وما يشعرون به من امن واستقرار ، واشاد سعادته بالدور الكبير الذي تضطلع به حكومة جلالة الملك فيصل تجاه حجاج بيت الله الحرام الذي تضاعف وحشدت له الامكانيات المالية والبشرية على حد سواء ..

وقال : ان حكومة بلاده تستعد منذ الان لترتيب وتنظيم امور حجاج غينيا .

يوغندة :

※ قررت حكومة يوغندا اعتقال اي اسرائيل يدخل الى البلاد ، حتى ولو كان سائحا .. اعلن ذلك راديو اوغندا ، وقال ان اي اسرائيلي سيسلم الى المقاومة الفلسطينية فور اعتقاله .

※ طلب الرئيس الاوغندي عيدي امين من رجال الامن فى بلاده اعتقال جميع الهيبيين فى أوغندة وقال انه فى الوقت الذي ترحب فيه اوغندا بالسياح الا انها لا ترغب من السماح بدخول الهيبيين الى أراضيها .

جمهورية مصر العربية :

※ قالت صحيفة (اخبار اليوم) القاهرية ان مجلس الوزراء المصري ناقش السياسة الدينية الجديدة فى مصر .. وان قرارات ستصدر فى اطار هذه السياسة تتعلق بجمع التراث الاسلامي من مختلف بلاد العالم واعادة تصويره بالميكروفيلم ، وتطوير مكتبة الازهر ، وتنظيم ارسال بعثات الى مصر من البلاد الاسلامية .. وتنظيم البعثات الاسلامية .. وتقرر كذلك انشاء ادارة او هيئة بوزارة الثقافة للمحافظة على الآثار الاسلامية والمعمار الاثري الاسلامي .

※ اهدى الرئيس انور السادات وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى الى الاديب المقعد صبحي الجيار (46 سنة) الذي يرقد على ظهره مشلولا منذ 22 عاما . الجيار كتب اكثر من قصة وعمل أدبي ومسرحي ، وقد فازت مسرحية كوميدية كتبها عام 1958 بجائزة نادي القصة ثم منحته وزارة الثقافة التفرغ عام 1965 ليسجل تجربته مع المرض من خلال عمل ادبي باسم ((ربع قرن من القيود)) قال عنه العقاد انه عمل يقترب من العمل الادبي الكبير لطه حسين ((الايام)) .

※ الممثل المصري المعروف الفنان فتوح نشاطي صدر له عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ((خمسون عاما فى خدمة المسرح)) ويضم الكتاب صفحات رائعة مشرقة منتزعة من سيرة حياة المؤلف فى 248 صفحة حجم كبير .

※ فى العدد 16 من مطبوعات الجديد التي يشرف على تحريرها الدكتور رشاد رشدي صدر الديوان الثالث للشاعر المذيع فاروق شوشة بعنوان : ((لؤلؤة فى القلب)) وفى العدد 17 ظهرت الطبعة الثانية من كتاب ((العبقرية فى الفن)) للدكتور مصطفى سويف .

※ الدكتور تمام حسان عميد كلية دار العلوم بالقاهرة فاز بالجزائزة الاولى فى مسابقة المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي بالمغرب عن بحثه ((القرائن النحوية واطراح العامل والاعرابين التقديري والمحلي)) .

※ نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة الدكتوراه التي قدمها طه مصطفى ابو كريشة وعنوانها : ((النقد العربي القديم بين المذاهب النقدية الحديثة)) وكانت الرسالة باشراف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

※ نال علي محمد علي الفقي خبير اللغة العربية بالتعليم الاعدادي شهادة الدكتوراه فى الادب الحديث من كلية دار العلوم بالقاهرة ، وكان موضوع رسالته ((الكاتب احمد حسن الزيات)) .

※ صدر فى مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة الكتب التالية : ((نظرة فى منجد الاداب والعلوم)) لعبد الله كنون فى 180 صفحة ، حجم كبير . و ((تنمية اللغة العربية فى العصر الحديث)) للدكتور ابراهيم السمرائي فى 262 صفحة حجم كبير . و ((حركة النقد الادبي الحديث فى فلسطين)) للدكتور هاشم ياغي فى 342 صفحة ، حجم كبير . و ((الرواية فى العراق تطورها وأثر الفكر فيها)) للدكتور يوسف عز الدين فى 222 صفحة ، حجم كبير .

※ نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة رسالة دكتوراه فى التاريخ الاسلامي قدمها حسن علي حسن وموضوعها ((الحياة الادارية والاقتصادية بالمغرب الاقصى فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة)).

※ كتاب كمال الملاخ الذي صدر فى القاهرة « بيكاسو .. البليونير الصعلوك » هو الكتاب العربي الوحيد الذي ذهب الى معرض اعمال بيكاسو المقام الان بمدينة افينيون بجنوب فرنسا ، ويضم 201 لوحة من اعمال بيكاسو ، كما يضم اجمل ما كتب عن الفنان الراحل .

※ قررت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة تخصيص جائزة للثقافة العربية قيمتها 500 جنيه لاحسن كتاب باللغة العربية صادر خلال السنوات الثلاث الماضية يتناول موضوعها يتصل باحد ميادين الحضارة العربية ويكشف عن قيمتها واصالتها .

※ نوقشت الدكتوراه المقدمة من الواعظ احمد محمد قاسم الى قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، وكان موضوعها ((الانباري واثره فى النحو)) حصلت الرسالة على مرتبة الشرف الاولى والتوصية بطبعها وتبادلها مع الجامعات الاخرى .

※ يجري الآن اعداد قاعة تحمل اسم الشاعر الراحل عبد الرحمن صدقي فى دار الكتب بالقاهرة تخصص لمكتبته التى اهداها الى الدار، وتضم 28916 كتابا ومؤلفا باللغات العربية والاجنبية .

※ صدرت فى سلسلة كتاب اليوم بالقاهرة رواية ((الحفيد)) تأليف عبد الحميد جودة السحار وهي رواية انسانية زاخرة بشتى الاحاسيس والانفعالات تصور مشاعر كل اب وابن وابنة فى صراع الحياة .

※ صدر عن دار المعارف بالقاهرة ((عالم الاسلام)) تأليف الدكتور حسين مؤنس وهو دراسة شاملة لعالم الاسلام وقيام مجتمعه وتطور نظمه وحضارته فى 602 صفحة .

※ اتفق الشاعر فوزي عطوي مع دار الهلال فى القاهرة على اصدار كتابه ((خليل مطران شاعر الاقطار العربية)) فى سلسلة ((كتاب الهلال)) .

※ دور الثقافة الجماهيرية بالاسكندرية عقدت مؤخرا عدة لقاءات ادبية مفتوحة مع الشعراء والنقاد والكتاب : صالح جودت ، دكتور عبد القادر القط ، فؤاد طمان ، جون جلوفر ، ابراهيم عامر ، عبد العليم قباني ، دكتور يسري سلامة .

※ صدرت فى القاهرة طبعة جديدة من كتاب انيس منصور « اعجب رحلات فى التاريخ » سجل الكتاب رقما قياسيا فى التوزيع يقع فى 800 صفحة ونفد فى اربعة شهور .

※ الدكتورة نعمات احمد فؤاد صدر لها فى سلسلة اقرا عن دار المعارف بمصر ((أحمد رامي ، قصة شاعر واغنية)) .

※ نشرت مجلة الشبان المسلمين التي تصدر هنا ، النداء الذي وجهته رابطة العالم الاسلامي بان تمنح الاقليات الاسلامية فى الفيلبين حقوقها الانسانية .

※ تقرر تأجيل موعد انعقاد المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين الذي ينظمه مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة الى ما بعد شهر نوفمبر القادم .

* (ملامح من هذا الدين) تأليف الشيخ معوض عوض ابراهيم يقع فى قرابة (200) صفحة من سلسلة دراسات فى الاسلام التي يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، تناول فيه جوانب عدة من الاسلام قارن فيها بين حقائق الاسلام وأباطيل الجاهلية الحديثة .

* صدرت عن (جماعة انصار السنة المحمدية) بالقاهرة (مجلة التوحيد) وآخر عدد منها 6 كان حافلا بعدة مقالات قيمة منها : لماذا التوحيد ، العقيدة الصحيحة ، مظاهر التربية الاسلامية ، الاقتصاد فى الاسلام ، الاطمئنان النفسي فى القرآن الكريم ، موازنة بين شريعة الله وشريعة الناس ، اليهود فى كتبهم .

* اعلن احد الاساتذة المصريين الذي قام بزيارة المدن الاسلامية فى خط المدن الواقعة جنوب الصحراء الكبرى كمدينة كانو فى (نايجيريا) بان عددا هائلا من المخطوطات الاندلسية ما زالت محفوظة فى تلك المدن وهي تكشف الوجه المشرق للحضارة الاندلسية التي ظن الكثيرون ان معالمها قد اندثرت بعد الهجمة الصليبية على الاندلس المسلمة .

* نوقشت بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة — رسالة الدكتوره المقدمة من طرف الاستاذ نزيه حماد ، بعنوان احكام القبض فى العقود فى الفقه الاسلامي ، وكانت لجنة المناقشة : الاستاذ الدكتور محمد زكرياء البورديسي مشرفا والاستاذ الشيخ عبد العظيم معاني ، والاستاذ الدكتور زكرياء احمد البري عضوين ، وقد منح مقدم الرسالة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* (الحسبة وظيفة اجتماعية) فى (64) صفحة من تأليف الدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي رئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون — بجامعة الازهر — والرسالة من هدايا مجلة الازهر 1393 ، يقول فى المقدمة : (وكانت الحسبة) فى اهدافها الاجتماعية مما شرعه الاسلام دعما للفضائل والمكارم والمحامد فى المجتمع وتحية لبواعث الانحراف وشطط السلوك ، حتى يظل البناء الاجتماعي قويا متماسكا يقوى على المواجهة ، ويظل على دنيا الناس بما قاله الله فى كتابه المجيد (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

* (صور من البلاغة المحمدية) من تأليف الدكتور عبد الحميد محمد العبيسي مدرس البلاغة والنقد الادبي بجامعة الازهر ، والكتاب دراسة تحليلية بيانية لخمسة عشر حديثا من الاحاديث النبوية المشهورة وهي مختارة وذات اتجاهات عظيمة فى التربية والسلوك فى شتى المجالات .

* صور فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح ابو غدة من كبار علماء الحديث والمشتغلين بنصوصه واعلامه من مكتبة المعهد ، تسمية الضعفاء المتروكين للنسائي .

* (فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم) من سلسلة مجتمع البحوث الاسلامية ، العدد (65) فى 300 صفحة من تأليف علي عبد العظيم ، يقول عنه امين مجمع البحوث الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار : وكتاب (فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم) لمؤلفه الاستاذ علي عبد العظيم ، يأخذ بفكر القارىء الى مسالك الآيات البينات فى تكوين نظرية المعرفة ، تلك النظرية التي تعتبر مدخلا الى البحث الذي يثق فيه العقل ، ويطمئن عليه القلب (من الصفحة 6 من نفس الكتاب) .

* وصل الى القاهرة مواطن بوذي من تايلند اسمه (كانونج بونجو) وقد اعتنق الاسلام هو واولاده البالغ عددهم اربعة عشر ، وقد اطلق على نفسه (محمد فريد) وكان قد اعلن اسلامه فى جنوب تايلند ثم نظم ابناء قريته من المسلمين حملة تبرعات جمعوا فيها مبلغ (500) دينار دفعوها اليه ليؤدي فريضة الحج .

* (اليهود والانبياء) من تأليف توفيق علي وهبة فى 48 صفحة وهو من هدايا مجلة الازهر 1393 ، يقول فى صفحة 5 منه (ان التاريخ ليشهد بالاعتداءات اليهودية الوحشية على الانبياء ، فقتلوا بعضهم وكذبوا البعض الآخر بعد ان عذبوهم وآذوهم والصقوا بهم التهم الباطلة ما هم منزهون عنها بحكم كونهم انبياء) .

* (العقل عند الشيعة الامامية) للدكتور رشدي محمد عرسان عليان ، وهو : (بحث موضوعي للدليل الرابع من ادلة الاحكام الشرعية مقارن بآراء المذاهب الاسلامية) والكتاب رسالة دكتوراه حصل عليها المؤلف من كلية الشريعة والقانون فى الازهر ، وطبع فى

مطبعة دار السلام ببغداد 1973 ، ويقع فى 486 صفحة متوسطة .

* وافقت الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة على طبع الجزء الساقط من تهذيب اللغة لابى منصور الازهري الذى طبعته الهيئة منذ سبع سنوات، وقد قام بتحقيق هذا الجزء الاستاذ رشيد عبد الرحمن العبيدي المدرس بجامعة بغداد، الذي نوقشت بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ رسالته عن ابي منصور الازهري.

وقد اسندت مراجعة هذا الجزء الساقط الى الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، وينتظر صدوره فى الاشهر القادمة .

* يصدر قريبا عن مكتبة دار التراث بالقاهرة ، والمكتبة العتيقة بتونس .

أ ـ مشارق الانوار للقاضي عياض ، طبعة بالتصوير ((الاوفست)) فى مجلدين .

ب ـ الدين والدولة ، زين الطبري الطيب ، طبعة بالتصوير ((الاوفست)) 160 صفحة من القطع الكبير .

ج ـ الجواهر السنية فى الشعراء التونسية ، لبيرم لرابع ، وقد حققه الدكتور الهادي الغزي عن نسخة وحيدة .

* المختار (من الانوار فى صحبة الاخيار) للامام عبد الوهاب الشعراني ، من سلسلة البحوث الاسلامية ، عدد 64 فى صفحة 139 وهو من تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن عميرة والاستاذ طلعت غنام .

فى صفحة 3 منه يقول امين مجمع البحوث الاسلامية (الامام الشيخ عبد الوهاب الشعراني علم من اعلام ائمة التصوف الذين مارسوا فن التربية ، وتهذيب الاتباع ، فكان له من تجاربه حصاد وفير من قواعد السلوك ، وآداب المعاملة ، صاغها لاتباعه جمانا ودررا ، فكان لهم منها ارشادات سامية واشعاعات مضيئة تنير لهم معالم طريق الحياة الصحيحة ، وتكشف لهم عما تشتمل عليه الآداب الاسلامية من شفافية ورقة فى مراعاة ادق مشاعر الاخوة الاسلامية، واخفى الاحاسيس الانسانية التي ينبغي للمسلم ان يكون مرهفا ، ودقيقا فى اتباعها عند معاملته لاخيه المسلم ، متحليا بطابعها الاسلامي ، لتدوم المحبة بينهما فى الله.

* نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر يوم السبت 29 شتنبر 1973 رسالة الدكتوراه المقدمة من حازم طه مجد المدرس بكلية آداب الموصل عن المبرد وثقافته وادبه ، وذلك امام لجنة مؤلفة من الاساتذة الدكاترة :

محمد عبد المنعم خفاجي المشرف على الرسالة

عبد الرحمن عثمان عضوا
عبد الحميد يونس عضوا

* تدرس وزارة التربية المصرية مشروعا لتوحيد زي الطالبات فى جميع مراحل الدراسة بما يتلاءم وتعاليم الاسلام ويحفظ للجيل الجديد اخلاقه وثقافته وقوميته الاصيلة .

* نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من نصر الدين احمد منوفي وموضوعها « الشلوبين واثره فى الدراسات النحوية »

* (100 يوم فى الكويت) ؛ كتاب يقع فى 169 صفحة من نشر دار النشر للجميع بالاسكندرية .

* (الحسنة والسيئة) لابن تيمية فى 150 صفحة من القطع الكبير وهو من تحقيق وتقديم محمد جميل احمد غازي من العلماء الشباب ، والكتاب من رسائل ابن تيمية الجيدة التي لم تلق العناية اللائقة بها.

* اطلع الاستاذ محمد الانور حامد عيسى العضو الفني بمجمع البحوث الاسلامية بالازهر على المخطوطات التي تخدم موضوع رسالته لنيل الدكتوراه وموضوعها تحقيق وتحليل تبصرة الادلة ، لابي المعين النسفي الحنفي ، والرسالة مسجلة بكلية اصول الدين ، جامعة الازهر باشراف الدكتور عثمان عبد المنعم عيش .

* يباشر الاستاذ السيد أحمد صقر تصحيح التجارب لهذه الكتب :

أ ـ المصنف لابن ابي شيبة .

ب ـ الفقيه والمتفقه ؛ للخطيب البغدادي .

ج ـ شرح السنة ، للبغوي .

ويقوم بطبع هذه الكتب مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ، وتتولى طبعها مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

كما يصدر قريبا للاستاذ المحقق عن المطبعة المذكورة كتاب الصاحبي فى اللغة لابن فارس .

* سجل الاستاذ حامد محمد أمين ، رسالة دكتوراه بعنوان ((الاحكام اللغوية بين ابن فارس وابن سيدة)) بكلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر ـ باشراف الاستاذ الشيخ ابراهيم محمد نجا .

* سجل الاستاذ محمد ابراهيم حود الفلسطيني بكلية الآداب جامعة عين شمس رسالة دكتوراه ، موضوعها ((شعر صفي الدين الحلي)) تحقيق ودراسة باشراف الاستاذ الدكتور ماهر حسن فهمي .

* يقوم الاستاذ حسين البدري ، بتحقيق كتاب الضوء لاسفراييني ، لنيل شهادة الدكتوراه من كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر ـ باشراف الاستاذ الشيخ المظيم الشناوي .

* اللواء الركن محمود شيت خطاب ، رئيس لجنة المصطلحات العسكرية فى جامعة الدول العربية وعضو المجامع العلمية العربية ، فى القاهرة ودمشق وبغداد عاد الى بغداد بعد ان اشرف على طبع المعجم العسكري والمصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، حيث مكث خمس سنوات فى القاهرة لهذه المهمة الجليلة .

* يعمل الاستاذ انور السيد محمد الشريف ، فى موضوع ((العامل السياسي فى شعر العصر العباسي الاول)) باشراف الدكتور يوسف خليل ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ .

* يعد الاستاذ محمد محمد ابراهيم زغروت ، الرسالة ماجستير عن الجيش فى عهدي المرابطين والموحدين بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة باشراف الدكتور علي حسن حبية .

* يعمل الاستاذ محمد اسماعيل ابو الريش ، فى تحقيق شخصية ((ابن جزي واثره فى الفقه الاسلامي)) رسالة الدكتوراه باشراف الاستاذ الشيخ سليمان رمضان بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الازهر ـ .

* ((رسائل اليهم)) من تاليف مصطفى الكيك ونشر مكتبة علاء بالاسكندرية ، يقع فى 200 صفحة من القطع الكبير ، وهو مجموعة من الرسائل بعث بها المؤلف الى طائفة من كتاب مصر يناقش فيها آراءهم فى الدين والعلم والغيبيات .

* ((محمد رسول الله)) من تاليف مولاي محمد علي ، فى أكثر من 300 صفحة من القطع المتوسط ترجمه عن الانجليزية مصطفى فهمي وعبد الحميد جودة السحار ، والكتاب فى 34 فصلا قصارا وقد نشرته مكتبة مصر بالقاهرة .

* فرغ الرائد رشيد مجيد التكريتي من كتابة رسالته للماجستير وهي بعنوان : ((قضية فلسطين فى الشعر العراقي الحديث)) ، والتي تقدم بها الى كلية دار العلوم فى القاهرة ، باشراف الدكتور عبد الحميد بلبع .

* عقد مجلس البحوث الاسلامية بالازهر اجتماعا برئاسة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر بحث خلاله موضوع البدعة الاستعمارية الداعية الى استبدال الحروف العربية باللاتينية ، واصدر بعد الاجتماع نداء الى جميع المسلمين فى العالم حثهم فيه على تعلم اللغة العربية وذكرهم بان قيام الدين الاسلامي موقف على العلم بلغة كتابه المنزل وسنة نبيه المرسل سواء فى ذلك هدايته الروحية وروابطه الاجتماعية ، وحذر المجمع من البدعة الاستعمارية ، وهي اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة بعض اللغات التي يتحدث بها المسلمون فى آسيا وافريقيا .

وقد حاول اعداء الاسلام من قديم الترويج لهذه البدعة لاحلالها محل الحروف العربية فى اللغة العربية ولكنهم اخفقوا فى ذلك اخفاقا كاملا ، والحروف اللاتينية كما ثبتت علميا قاصرة فى تصوير الاصوات اللغوية بغير اللغة التي نشأت لها .. ونبه المجمع المسلمين الى ان معرفتهم بالحروف العربية والفهم لها فى لغاتهم القومية يديم صلتهم بالتراث الاسلامي الذي

كتب بالعربية على مدى اربعة عشر قرنا فى جميع الاقطار الاسلامية من مشرق الى غرب افريقيا ..

※ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الثاني ، ويشمل — العصر العباسي الاول فى الشرق ومصر والمغرب والاندلس — تاليف الدكتور حسن ابراهيم حسن ، الطبعة الثامنة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، فى 506 صفحة .

※ (اسد الغابة فى معرفة الصحابة) لعز الدين ابن الاثير ، المجلد السادس ، العدد 41 ، والمجلد السابع الاعداد من 43 الى 45 ، تحقيق الاستاذين محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور ، القاهرة ، دار الشعب للطباعة والنشر .

※ قرر مجمع البحوث الاسلامية الموجود مقره بالقاهرة اصدار دائرة معارف قرآنية تضم الفاظ القرآن الكريم ومعانيه اللغوية المبسطة مع معجم تاريخي وجغرافي مبسط يشمل خرائط رصد الاماكن والمعالم الاثرية الواردة فى القرآن الكريم .

※ ((الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب والسنة)) ، للحافظ شمس الدين الذهبي ، تحقيق الاستاذين : عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشى ، الجزء الثاني ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة فى 503 صفحة .

※ اصدر السيد وزير الثقافة الاستاذ يوسف السباعي قرارا باختيار الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة .

※ قالت صحيفة (اخبار اليوم) القاهرية ان مجلس الوزراء المصري ناقش السياسة الدينية الجديدة فى مصر .. وان قرارات ستصدر فى اطار هذه السياسة تتعلق بجمع التراث الاسلامي من مختلف بلاد العالم واعادة تصويره بالميكروفيلم ، وتطوير مكتبة الازهر ، وتنظيم ارسال بعثات الى مصر من البلاد الاسلامية .. وتنظيم البعثات الاسلامية .. وتقرر كذلك انشاء ادارة او هيئة بوزارة الثقافة للمحافظة على الاثار الاسلامية والمعمارية الاثري الاسلامي ..

※ ((اعلام النبوة)) لابى الحسن الماوردي ، مراجعة الاستاذ طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ، مكتبة الكليات الازهرية ، فى 223 صفحة .

※ ((تاريخ التمدن الاسلامي)) الجزء الثالث ، تاليف جورجي زيدان ، ومراجعة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، دار الهلال ، فى 279 صفحة .

※ ((مواكب الحرية فى مصر الاسلامية)) تاليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، رئيس قسم الادب بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة ، فى 155 صفحة .

※ ((ديوان ابن الفارض)) ابو حفص عمر بن علي ابن المرشد بن علي الحموي المصري ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، فى 128 صفحة .

※ ((ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل)) ، تاليف الاستاذ محمد السيد الجليند مدرس الفلسفة المساعد بكلية دار العلوم ، عالج فيه موقف ابن تيمية من المتكلمين والصوفية والباطنية ، كما بين منهجه من الالهيات ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

※ ((المحلى ، فى المذهب الظاهري)) تاليف الامام ابى محمد بن حزم الاندلسي ، تحقيق محمد منير الدمشقي ، تصحيح حسن زيدان طلبه ، الجزء الثالث عشر ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، فى 556 صفحة .

※ ((ابن سعيد الاندلسي ، حياته وتراثه الفكري والادبي)) تاليف الاستاذ محسن حامد العبادي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، فى 326 صفحة .

※ تالفت بعثة معهد المخطوطات التابعة لجامعة الدول العربية العلمية لانتقاء وتصوير المخطوطات العربية فى مكتبات ايران الزاخرة بنوادر المخطوطات ، برئاسة المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق مدير المخطوطات وعضوية كل من السادة الاساتذة : محمد رشاد عبد اللطيف السكرتير الثاني ، والمصور احمد سالم عبد السلام السكرتير الثالث ، وعلي عبد المحسن زكي المعار من دار الكتب .

ومن المقرر ان تقضي البعثة اربعة اشهر بين مكتبات ايران وما تضمنه من كتب التراث الاسلامي العظيم .

* الدكتور عبد السلام عواد ، الاستاذ بكلية الالسن ، بصدد تحقيق كتاب اللمع لابن جني معتمدا فى التحقيق على النسخ الموجودة بالقاهرة ، مع مطابقتها على نسخة حصل عليها من لنينغراد ، ومما يذكر ان كتاب اللمع كان موضوع رسالة الماجستير التي حصل عليها الاستاذ حسين شرف من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة منذ عدة سنوات . وسيصدر قريبا عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة .

* نوقشت فى كلية الآداب بجامعة القاهرة رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ عبد الله الغنيم المدرس بكلية الآداب بالكويت ، وكان موضوعها ((ابو عبيد البكري)) جغرافيا وتحقيق الجزء الخاص بجزيرة العرب من كتابه المسالك والممالك ، وقد ناقشته لجنة برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل وعضوية الدكتورين صفي الدين ابو العز ومحمد السيد غلاب ، وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الماجستير بتقدير ممتاز .

* يقوم الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم المدرس بكلية التربية بجامعة المنصورة بتحقيق الكتابين التاليين :

1 ـ ((كشف الكربة فى رفع الطلبة)) ، تاليف ابي السرور البكري الصديقي عن نسخة مكتبة سوهاج .

2 ـ ((أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات)) ، تاليف احمد شلبي ابن عبد الغني عن نسخة حصل عليها من مكتبة جامعة بيل بأمريكا .

* نوقشت فى دار العلوم بجامعة القاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من الاستاذ حسين محمد شرف وموضوعها كتاب ((الافعال)) لابي عثمان السرقسطي تحقيقا ودراسة .

وقد ناقشته لجنة مكونة برئاسة الدكتور تمام حسان وعضوية الدكتور حسين نصار والاستاذ علي النجدي ناصف .

وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى مع التصوية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة .

* يعد الاستاذ محمود بسيوني فودة ، من القاهرة رسالة دكتوراه موضوعها الطبرسي مفسرا ، وذلك فى كلية اصول الدين بجامعة الازهر ، تحت اشراف الدكتور محمد سعيد طنطاوي الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* يعد الاستاذ محمد انور ابراهيم من اندونسيا رسالة موضوعها اصول الفقه قبل التدوين وبعده ، وذلك فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر ، تحت اشراف الدكتور عبد الغني عبد الخالق ، وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* الاستاذ احمد عبد الرحمن الشريف ، الموظف بوزارة الاوقاف بالقاهرة ، وهو بصدد اعداد رسالة دكتوراه ، فى قسم الفلسفة بكلية اصول الدين بجامعة الازهر ، وقد اطلع على عدد من المخطوطات لاختيار موضوع مناسب للعمل فيه .

* انتخب الدكتور احمد محمد الحوفي عضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

* يعد الاستاذ فايز نجيب اسكندر ، رسالة ماجستير موضوعها فن الحرب والقتال لدى المسلمين والصليبيين فى النصف الاول من القرن 13 ، وذلك فى كلية الآداب بالاسكندرية تحت اشراف الدكتور جوزيف نسيم يوسف .

* يعد الاستاذ ابراهيم سلمان محمد ، من العراق رسالة دكتوراه موضوعها ((علي بن بويه ودوره فى تأسيس الدولة البويهية)) ، وذلك تحت اشراف الدكتور سعد زغلول عبد الحميد عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

الجمهورية العربية السورية :

* صدر مؤخرا كتاب بعنوان ((حقيقة الامة العربية وعوامل حفظها وتمزقها)) لجلال السيد ، وهو احد ثلاثة اسسوا حزب البعث العربي الاشتراكي ..

وفي الكتاب عثرات كثيرة وفيه امور جيدة تستحق الاطلاع .. ومما قاله عن الاخوان المسلمين : ((انهم هم الذين مهدوا للشعب في مصر ان ينخرط في الدفاع عن فلسطين ، وهم الذين وقفوا دون الانفجارات الشعوبية في الفكر والسياسة ، وكانوا اقوى العناصر التي احبطت فكرة قلب الحروف العربية الى لاتينية ..

* (الجنى الداني في حروف المعاني) للحسن ابن قاسم المرادي ، وتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل ، من مطبوعات المكتبة العربية بحلب ، وهو في 604 صفحة ، وفهارسه في 62 صفحة ، ويتضمن الكتاب بالدرس والتفصيل معاني الحروف وما شابهها من الاسماء والافعال في اللغة العربية ، ومقدمة الكتاب للمحققين في 18 صفحة .

* صدر مكتب الفارابي بدمشق ((من اسرار المنهج الرباني)) وبه عرض لطائفة من أهم الاحكام الشرعية مقرونة ببيان أهم آثارها الاجتماعية ، تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، في 100 صفحة .

* صدر عن مكتبة الشهباء بحلب دراسة جديدة للاديب الحلبي محمد خير حلواني بعنوان ((سحيم عبد بني الحسحاس)) .

* الدكتور بكري شيخ أمين المدرس في كلية الآداب بجامعة حلب انتهى من فهرسة الاعلام الواردة في لسان العرب لابن منظور متبعا في طريقة فهرسته أرقام الاجزاء والصفحات في طبعة بولاق ، وفي الوقت ذاته اسم المادة اللغوية التي ورد فيها ذكر العلم . وقد بلغت هذه الفهرسة حوالي 500 صفحة من الحجم الكبير .

* اعد الشاعر السوري نهاد رضا للطبع ديوانه السابع ((هل يحبني انا ؟)) وسينتهي قريبا من طباعة ديوانه الخامس والسادس ، وهما ((موعدنا في القمر)) و ((احتجاب الفارس الاخضر)) وكان قد اصدر في العام الماضي في دمشق دواوينه الاربعة الاولى .

* وافق مجلس جامعة دمشق على الاشتراك في مؤتمر العلوم الاساسية وعلم التشريح المزمع عقده في مطلع الشهر الجاري بلندن ؛ وكذلك الاشتراك في المؤتمر العلمي العربي السابع المقرر عقده في القاهرة خلال الشهر الجاري ايضا .

* (الموسوعة الموجزة) موسوعة في المعارف الانسانية مبوبة حسب الحروف الهجائية . صدر جزؤها الخامس من المجلد الثاني للاستاذ حسان بدر الكاتب ، وهذا الجزء يتضمن حرف الجيم ، ويقع في 118 صفحة ، وطبع في مطبعة الف باء بدمشق .

* الدكتور فخر الدين قباوة مدرس النحو والادب في جامعة حلب يعكف على طبع كتاب ((شرح الملوك في التصريف)) لابن يعيش ، نشر المكتبة العربية بحلب ، كما يعكف على اعادة طبع كتاب ((شرح القصائد العشر)) للتبريزي بتحقيقه وشرحه ونشر دار الاصمعي بحلب .

* انجز مجمع اللغة العربية بدمشق في تعابير ومصطلحات أول مشروع معجم سياحي في الوطن العربي سيصدر عن الاتحاد العربي للسياحة بلغات ثلاث عربي — انجليزي — فرنسي .

* عثرت مديرية الآثار والمتاحف السورية في دمشق على ضريح في مقبرة (باب النصر) في دمشق ، طوله 3 امتار من المرمر ، وقد نقشت عليه آية الكرسي كاملة ؛ وترجح المديرية ان هذا القبر هو للخليفة الاموي عبد الملك بن مروان المتوفى سنة 86 هـ ومما يذكر في هذا الصدد ان في عهد هذا الخليفة نقلت الدواوين من الفارسية والرومية الى العربية .

* الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى) من تأليف عمر عبد السلام تدمري ، والكتاب دراسة تاريخية عن الحياة الثقافية في طرابلس ، وتعريف باشهر اعلامها في مختلف العلوم والفنون . والكتاب جزء من رسالة تقدم بها المؤلف الى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، ونال بها شهادة الماجستير ؛ وقد طبع في دار فلسطين للتأليف والترجمة في بيروت ، ويقع في 370 صفحة متوسطة الحجم .

* يعد الاستاذ عبد الكريم محمد الشريف ، من سوريا ، رسالة ماجستير موضوعها : شرح أبيات الجمل للاعلم الشنتمري ، وذلك في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية تحت اشراف الدكتور حسن ظاظا وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة الرسالة المقدمة من الاستاذ وليد ابراهيم قصاب ، من

سوريا ، وكان موضوعها : « قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم » ظهورها وتطورها ، وكانت لجنة المناقشة برئاسة الدكتور يوسف خليف وعضوية الدكتورين أحمد كمال زكي وابراهيم عبد الرحمن .

وبعد اجراء المناقشة منحته اللجنة درجة الماجستير بتقدير ممتاز .

الجمهورية اللبنانية :

※ صدر عن دار الشروق بلبنان ثلاثة كتب في شهر واحد للدكتور بكري شيخ امين المدرس في كلية الآداب بجامعة حلب : الاول ((مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني)) والثاني ((التعبير الفني في القرآن)) والثالث ((أدب الحديث النبوي)) ، كما صدر له عن دار صادر في بيروت كتاب ((الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية)) الذي نال به الدكتوراه واعتبر دراسة اولى من نوعها في موضوعها ، ويضم الكتاب 715 صفحة .

※ أصدرت مؤسسة دار الريحاني في بيروت ((سجل التوبة)) لفيلسوف الفريكة امين الريحاني في طبعة ثالثة تقع في 112 صفحة وتضم اربع قصص ومسرحية .

※ وصل الى بيروت روجر مونرو ، أستاذ زائر في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، لمتابعة دراسته حول أدب الريحاني الانجليزي المنشور وغير المنشور ، وانهاء أطروحته للدكتوراه التي يعدها في اللغة الانجليزية في جامعة بيزكلي بكاليفورنيا وعنوانها : ((التطور في ادب امين الريحاني)) ويركز مونرو على العلاقة الفكرية القائمة بين فيلسوف الفريكة وعدد من المفكرين الغربيين أمثال كارلل وسبنسر وهكسلي وامرسون وثورو وغيرهم .

※ ((الثابت والمتحول : بحث في الاتباع والابداع عند العرب)) عنوان رسالة دكتوراه في الادب العربي قدمها الشاعر ادونيس في الجامعة اليسوعية معهد الاداب الشرقية ، ونوقشت في قاعة محاضرات المعهد .

※ صدر عن مكتبة لبنان في بيروت ((معجم الاخطاء الشائعة)) تأليف محمد العدناني وهو معجم يعالج الاخطاء اللغوية الشائعة ويبين تصويباتها مع الشرح والامثلة ، ويقع في364 صفحة ، حجم كبير ومجلد .

※ تواصل مجلة الفكر الاسلامي الراقية التي تصدرها دار الفتوى ببيروت ، ويرعاها سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد ، ويرأس تحريرها فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي ، نشاطها ودعوتها للفكر الاسلامي الصحيح ، في وقت اشتدت فيه ضراوة التوجيه الاجنبي ، وحاولت الايديولوجيات المختلفة البراقة تقاسم الناس والاوطان في شد وجذب ، ونشطت فيه المادية الالحادية تطمس معالم الطريق الحق حتى بين جماعة المسلمين ... وفي ديارهم .

فنتمنى للزميلة مزيدا من الرقي والشفوف واطرادا مستمرا في استقطاب أصحاب الراي الناضج

المملكة الاردنية الهاشمية :

※ أطلع الدكتور نهاد الموسى ، المدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، بالجامعة الاردنية ، على مخطوطات اللغة والنحو ، ثم صور كتاب ((الفصول)) في النحو لابن الدهان وغريب القرآن وتفسيره عن الفضل بن محمد اليزيدي ليعمل على تحقيقهما .

※ يستعد الاستاذ شفيق جاسر الاردني ، لمناقشة رسالته في الماجستير وموضوعها – تحقيق الجزء الاول من كتاب الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام – لابي الحجاج يوسف بن محمد ابراهيم الانصاري الاندلسي ، والرسالة باشراف الاستاذ الدكتور حسن حبشي – كلية الآداب – بجامعة عين شمس .

※ يعد مجلس البحث العلمي الاردني مشروعا لاصدار فهرست موحد يتضمن قوائم وبطاقات تسجل كافة الكتب والمراجع والمخطوطات والدوريات الموجودة في جميع مكتبات المملكة ، ويتبع ذلك انشاء مركز التوثيق والفهرس الموحد ليعمل على تقديم الخدمات للمواطنين والمؤسسات لمعرفة مكان اي مرجع يريدونه والنسخ المتوفرة عنه وتسهيل الحصول عليه.

※ صدر في عمان كتاب ((تاريخ الاردن المعاصر – عهد الامارة)) للدكتور علي محافظة .

ويتحدث الكتاب عن التاريخ الاردني منذ نشوء الامارة الاردنية سنة 1921 وحتى الاستقلال 1946 .

* يعمل الاستاذ محمد احمد اسماعيل الخاروف، الاردني ، في رسالة دكتوراه عن الموازن والمكاييل والمقاييس الاسلامية وتطبيقها على الموازين والمكاييل والمقاييس الحالية بكلية الالهيات جامعة طهران ، باشراف الاستاذ الدكتور ابو القاسم اجتهادي .

* قررت اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر ترجمة المصطلحات الاسلامية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية كوسيلة للتعريف بالفكر الاسلامي والتراث الخالد في العالم ؛ ولقد أعربت وزارة الاوقاف الاردنية عن استعدادها للتعاون مع اللجنة بطباعة ونشر منجزاتها في مطبعة وزارة الاوقاف .

* المؤتمر الرابع للموسيقى العربية تقرر عقده في بغداد خلال شهر فبراير .

* قررت اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر ترجمة المصطلحات الاسلامية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية كوسيلة للتعريب بالفكر الاسلامي والتراث الخالد في العالم ، ولقد اعربت وزارة الاوقاف الاردنية عن استعدادها للتعاون مع اللجنة بطباعة ونشر منجزاتها في مطبعة وزارة الاوقاف .

* ذكرت جريدة القدس التي تصدر في الضفة الغربية المحتلة من الاردن ان المستوطنين اليهود في مستعمرة كريات أربع قاموا بانتهاك جديد لحرمة المسجد الابراهيمي الشريف في الخليل ، وذلك بتغطية صحن الحرم الابراهيمي بقطع من القماش المقوى ..

* صرح وزير الاوقاف وشؤون المقدسات الاسلامية الاردني بأن عدد الحجاج الاردنيين المقرر وصولهم الى الحج لاداء فريضة الحج هذا العام سيتراوح ما بين 25 الى 30 الف حاج اردني .. وكان عدد حجاج العام الماضي يزيد عن 10 آلاف حاج عن العام الذي قبله ..

* قررت اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر ترجمة المصطلحات الاسلامية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية كوسيلة التعريف بالفكر الاسلامي والتراث الخالد في العالم ، ومن المقرر ان تتكفل وزارة الاوقاف الاردنية بطباعة ونشر مشروعات اللجنة في مطبعة وزارة الاوقاف .

* قررت اللجنة الاردنية للترجمة والنشر في الاردن رفع كتاب الى رئيس الوزراء بالموافقة على انشاء مجمع لغوي في الاردن على غرار المجامع اللغوية في كل من مصر وسوريا والعراق .

المملكة العربية السعودية :

* يوالي المسؤولون في الجامعة الاسلامية اهتمامهم وعنايتهم بالمكتبة العامة وتزويدها بمجموعات كثيرة من الكتب الحديثة والمراجع المهمة في مختلف العلوم والفنون حتى تستطيع المكتبة ان تلبي حاجات القراء والباحثين وطالبي المعرفة السليمة في كافة العلوم الاسلامية والعربية المختلفة .

ولم يقتصر المسئولون على شراء وتأمين الكتب والرسائل المطبوعة فقط بل اخذوا منذ مدة يعلنون على تصوير بعض المخطوطات والرسائل المهمة من المكتبات العلمية في داخل المملكة وخارجها من أجل توفير المادة العلمية النادرة للباحثين وعشاق العلم والمعرفة ، وسوف يواصل المسئولون جهودهم في هذا السبيل حتى تنمو هذه المجموعات ويزداد عطاؤها ونفعها على وجه اكمل وانفع ان شاء الله .

ولما كان تصنيف الكتب وفهرستها اصبح من العلوم الضرورية في هذا العصر وافردت بعض الجامعات قسما خاصا لتعليم هذه المادة والتخصص فيها لتيسير البحث العلمي وجعله في متناول القارىء بسرعة حتى لا يضيع وقت القارىء في البحث عن الكتاب ، فقد ادرك المسئولون فائدة هذا النوع من التخصص واستقدموا خبيرا في تصنيف الكتب من كلية الشريعة بالازهر ليقوم بتصنيف وفهرسة مكتبات الجامعة الاسلامية بالتعاون مع موظفي هذه المكتبات من أجل تحقيق هذه المهمة ، وعما قريب ان شاء الله سيتم العمل في هذا المجال الهام في عالم المكتبات .

ومن ناحية اخرى فلا يزال العمل يجري بهمة ونشاط في وضع اللمسات الاخيرة على المكتبة العامة الجديدة التي اوشكت على الانتهاء ، ويجري الآن تأثيثها وتجهيزها بكافة الادوات والاجهزة المتطورة

الحديثة حيث تنتقل المكتبة بقسميها المنفصلين الى المبنى الجديد فتكون مكتبة كبيرة واحدة ، وقد صمم مبنى المكتبة الجديدة وفق احدث التصاميم المتقدمة الجديدة وخصصت بها صالة كبيرة واسعة لمطالعة الكتب تتسع لاكثر من مائة الف كتاب ، كما هيئت فى المبنى الجديد الاقسام الادارية والفنية التي يتشكل منها الجهاز الوظيفي للمكتبة ، كما خصصت بعض الغرف للباحثين في مختلف المجالات العلمية وخصصت كذلك صالة للمراجع الاجنبية وغرفة بها جهاز مكروفيلم لقراءة الاشرطة المسجلة وقسم لتجليد الكتب ومعرض للكتب الجديدة وغير ذلك من الاقسام الاخـرى .

* تبرعت رابطة العالم الاسلامي بمبلغ 12 الف ريال سعودي ايقدم سنويا للمدرسة لعربية فى كراتشي، والتي يشرف عليها الشيخ محمد يوسف البلـوري ، وذلك تشجيعا لها على نشر الثقافة الاسلامية وخدمة لغة القرآن الكريم وتعاليمه السمحاء ..

* صدر عن سلسلة المكتبة الصغيرة فى الرياض ((من عبد الحميد الكاتب الكاتب الى الكتاب والموظفين)) تأليف عبد العزيز الرفاعي ، فى 96 صفحة .

* بعث الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز الى الاستاذ ابو بكر موري بوتو ، رئيس الجمعية الاسلامية اليابانية بلفت نظـره الى وجود اخطاء عديدة فى الآيات القرآنية بالمصحف الشريف المترجمة معانيه الى اللغة اليابانية .. وذلك بالتقديم والتأخير فى بعض آياتـه ، وطلب توقيـف توزيعه الى ان يتم تصحيح الاخطاء ، محافظـة علـى القرآن الكريـم ..

* صدرت للشيخ عبد الله الرويشد الاديب السعودي الكتب التالية : ((ايام فى تونس)) طبعـة ثانية و « قادة الفكر الاسلامي عبر العصور » و « الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ)) .

* يصدر الباحث السعودي الشيخ زيد بن فياض كتاب بعنوان ((فصول فى الدين والادب والاجتماع)) فى نحو خمسمائة صفحة وتقديم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

* عدد الطلاب الاجانب فى جامعة الرياض بلـغ خلال العام الدراسي 1392 – 1393 ستمائة وستة عشر طالبا من مختلف الجنسيات العربية والاسلامية وقد تخرج منهم خلال الدورة الاولى هذا العـام 47 طالبا فى مختلف التخصصات . كما انه من المتوقـع قبول 10 ٪ من الطلاب الاجانب خلال العام الدراسي الحالي. هذا بالاضافة الى 180 منحة ينتظر ان تقدمها جامعة الرياض لابناء الدول العربية والاسلامية .

* « الطير الابابيل » ديوان شعري جديد للشاعر الحجازي ابراهيم هاشم الفلالي صدر فى القاهرة فى القاهرة فى 180 صفحة .

* علن مدرس امريكي الجنسية اسلامه لدى فضيلة قاضي محكمة الظهران .. المدرس هـو البروفسور توماس جبسون – 31 عاما – يعمل بكلية البترول والمعادن .

* عقد مجلس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة اجتماعا برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيـز بن بـاز رئيس الجامعة نوقشت خلاله بعض الامـور الهامـة المتعلقة بالجامعة ..

* علم ان مجلة جديده ستصدرها باللغة الانجليـزية ادارة الصحافـة والنشـر برابطـة العالم الاسلامي ، وتهتم بنشر المقـالات والبحـوث الاسلامية فى العالم .

وعلم ان العدد الاول من هذه المجلة الشهريـة صدر خلال هذا الشهر .

ويتضمـن العـدد الاول من المجلـة هـذه الموضوعات : من هدى القرآن الكريم – من هـدي النبوة – فاتحة العدد للامين العام لرابطـة العالـم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز – ليلة القدر – تفسير للسورة مترجم من خلال القرآن لشهيد الاسلام سيد قطب – حاضر العالم الاسلامي .

* تقرر ايفاد ستة من المدرسين السعوديـين المؤهلين تاهيلا علميا على حساب وزارة المعـارف السعودية لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية فى مدارس الولاية الشمالية الغربية بنيجريا ، وسـوف تتخذ الاجراءات اللازمة لمباشرة عملهم فى نيجريا مع

بداية العام الدراسي الجاري ، ويأتي هذا نتيجة للمباحثات التي جرت في الرياض بين وزير المعارف السعودية ووزير التربية في شمال نيجريا .

※ قررت وزارة المعارف السعودية ترشيح عدد كبير من المدرسين للتدريس في الخليج العربي والجزائر مساهمة من المملكة في دعم الهيئة التعليمية وستصرف الوزارة لكل واحد من هؤلاء المدرسين راتبه مضاعفا على الا يقل ما يصرف له عن 1 500 ريال شهريا الى جانب الاكرامية المقطوعة التي تعادل راتب شهرين .

※ صدر عن سلسلة المكتبة الصغيرة التي يصدرها في الرياض الاديب السعودي المعروف عبد العزيز الرفاعي طبعة ثانية لكتاب ((عبقري من ينبع ـ ابو دلف الخزرجي)) وهو من تاليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ومصدر بمقدمة كتبها عبد العزيز الرفاعي .

※ نشر الدكتور فرهود في العام الماضي كتاب العروض لابن جني . وتعتزم جامعة الرياض نشر الجزء الثاني من كتاب الايضاح لابي علي الفارسي ، وبنشر هذا الجزء يتم الكتاب الذي ظهر الجزء الاول منه منذ عامين .

※ الدكتور حسن شاذلي فرهود ، استاذ النحو المساعد بكلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ الذي أعد للنشر كتاب ((مختصر القوافي)) لابن جني ، سيصدر قريبا بالمجلد الثالث من مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ .

※ صدر في مكة المكرمة ((عواطف وعواصف)) مجموعة اقاصيص تاليف محمد طاهر فلبان في 82 صفحة .

※ تلقى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز رسالة من سكرتير الشئون الخارجية للاتحاد الاسترالي لجمعيات الطلبة المسلمين بفكتوريا .. حول نتائج المؤتمر السنوي الذي عقده الاتحاد في شهر مايو الماضي ..

وقد بعث الامين العام للرابطة رسالة شكر وتهنئة بنجاح المؤتمر وطلب ارسال المقررات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر .. كما وعد بارسال مجموعة كبيرة من الكتب الاسلامية الى الاتحاد ..

※ رشح المواطن السعودي الاستاذ محمد مسعود السياري لرئاسة المركز الاسلامي في واشنطن خلفا للدكتور محمد العيني. والاستاذ السياري مبتعث من قبل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لنيل الدكتوراه في الولايات المتحده الامريكية .

※ علم ان مجلس الوزراء وافق على مشروع التوسعة الاضافية لميناء جدة الاسلامي والذي يعتبر من احدث موانيء البحر الاحمر ، وفي الشرق الاوسط ايضا .. كما علم ان التوسعة الجديدة ستشمل انشاء ارصفة جديدة .

※ صرح وكيل وزارة الصحة بأن مشروع توسعة المستشفى العام بعرفات .. ومستشفى جبل الرحمة .. وانشاء ستة مراكز صحية في المشاعر المقدسة هي من اهم المشاريع التي تقوم الوزارة بتنفيذها هذا العام وذلك حتى تؤدي خدماتها لحجاج بيت الله الحرام .

الجمهورية العراقية :

※ (ادب القاضي) للماوردي : تحقيق الاستاذ محي هلال السرحان وهو من مطبوعات رئاسة ديوان الاوقاف (احياء التراث الاسلامي) ببغداد .

وكتاب (ادب القاضي) في الحقيقة جزءان من كتاب (الحاوي الكبير) الموسوعة الضخمة في فقه الشافعية الذي يقع في اكثر من ثلاثين جزء حتى قال فيه ابن خلكان : (لم يطالعه احد الا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب) والحاوي هو شرح للمختصر الذي الفه المزني المتوفى سنة 264 هـ تلميذ الامام الشافعي .

والماوردي في كتاب (الحاوي) يجمع كافة الفروع الفقهية المنطوية تحت المسألة التي يوردها المزني فيستوعب المذهب واختلاف الفقهاء وادلتهم .

وهذا الكتاب لم يطبع الى الآن لتفرق اجزائه في مكتبات العالم في الغرب والشرق الا أن الاستاذ محي هلال السرحان قام بتحقيق ما يخص القضاء منه

فأصدره تحت اسم (ادب القاضي) في جزئين ، وقد نال به شهادة الماجستير من جامعة بغداد بدرجة امتياز

* (دفاع عن ابي هريرة) من تاليف عبد المنعم صلح العالي في 515 صفحة كبيرة ، صدر عن مكتبة النهضة ببغداد .

والكتاب ثمرة جهد ومكابدة وممارسة وتتبع متصل وتدقيق كبير في كتب الحديث وعلومه ، وقد التزم مؤلفه المنهج العلمي في الرجوع الى اصح المصادر واقدمها والترجيح بين الروايات والوصول الى نتائج وحقائق جديدة كشف عنها بحثه لاول مرة.

وقد ختم المؤلف كتابه برسم 54 لوحة تضمنت خرائط اسانيد الاحاديث التي خرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابي هريرة ، وفائدة ذلك كبيرة في معرفة الرواة الذين تداولوا احاديث ابي هريرة ومعرفة الطرق الصحيحة التي وردت منها ، وفي بيان اصح الطرق اليه تبعا لكثافة المرويات التي وردت منها في الصحيحين - كما اوضح المؤلف .

* (القول المختار في تحريم الاحتكار) للسيد عبد الله عبد المنعم الهيتي امام وخطيب جامع الحلة الكبير ، قدم له الشيخ شاكر البدري ، مطبعة سلمان الاعظمي - بغداد - في 32 صفحة متوسطة الحجم .

* وصلت الى مكتبة الاوقاف العامة ببغدادالكمية الاولى من المخطوطات العربية المصورة والتي كانت طلبت تصويرها من مكتبات تركيا ، ومن هذه المصورات:

- رسائل للجاحظ .
- مجامع ادبية .
- وقفيات شامية .
- جمهرة الامثال .
- رسائل في الفروسية .
- رسائل لغوية ونحوية .
- كتاب المنتخب .
- احكام الوقوف .
- كتاب الانواء والازمنة ومعرفة اعيان الكواكب .
- مختصر تاريخ الاسلام (للذهبي) .
- احكام الاوقاف .
- كتاب العلم في باب اثم من كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم (للبخاري) .
- اسنى الشواهد في ذكر مناقب ابي ايوب الانصاري
- القرب في النحو (لابن عصفور) .
- بغية المرتاد لتصحيح العتاد (للقدسي) .
- صحيفة العذراء (ج 201) .
- الانوار ومحاسن الاشعار .
- اسماء شعراء الحماسة .
- كتاب الحدائق (لابي محمد الابهري) .
- ناقص اللغة الف باء في علم الباء .
- كتاب المناصب الحربية في علم الفروسية .
- المعجم (للذهبي) .
- طلبة الطلبة (للنسفي)
- الاول في شرح البديع (لابن الساعاتي) .
- ديوان الجزري .
- رسالة في خواص ايام الاسبوع .
- رسالة في تعبير الرؤيا (لابن عربي) .

* (المعرب في النحو) تأليف ابن عصفور الاشبيلي النحوي علي بن مؤمن في سنة (669 هـ) صدر الجزء الثاني منه ، وبه تم الكتاب ، وهو يقع في (251) صفحة متوسطة ، وطبع في مطبعة العاني - بغداد وهما بتحقيق الدكتور احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري .

* (نصوص قانونية) للدكتور صلاح الدين الناهي ، ط ثانية ، فريدة ومنقحة ، صدر حديثا في بغداد ، مطبعة الايمان ويقع في (395) صفحة متوسطة .

* (حكم الاسلام في الطيور والحيوانات) للشيخ يونس ابراهيم السامرائي ، مطبعة الامة ببغداد ، ويقع في (46) صفحة متوسطة .

* اقرت لجنة احياء التراث الاسلامي في رئاسة ديوان الاوقاف ببغداد طبع الكتب الآتية :

1 ـ شروط الطحاوي ، بتحقيق السيد روجي اوزجان .

2 ـ التتف للسغدي ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي .

3 ـ البرهان في اعجاز القرآن، لابن الزملكاني، بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي .

4 ـ المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي، بتحقيق الاستاذ اكرم ضياء العمري .

* صدر كتاب (بلوغ الامل في فن الزجل) لابن حجة الحموي وتحقيق الاستاذ عامر رشيد السامرائي .

* يعد الاستاذ صبحي ناصر حسين العراقي رسالة ماجستير موضوعها ابو بكر الصولي ناقدا بكلية الآداب جامعة بغداد باشراف الاستاذ الدكتور جميل سعيد .

* منهج البحث الادبي عند العرب عنوان الرسالة التي سجلها احمد جاسم النجدي للحصول على الدكتوراه من قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة بغداد .

* صدر في منشورات اتحاد الادباء التركمان ببغداد « نداء الشوق » قصص وصور تأليف وحيد الدين بهاء الدين في 128 صفحة .

* ابن السيد البطليوسي ، احد اعلام اللغة في القرن السادس الهجري ، كان موضوع دراسة للماجستير ، انتهى منه الاستاذ خالد محسن اسماعيل متقدم بها الى كلية الآداب بجامعة بغداد وباشراف الدكتور احمد ناجي القيسي .

* قررت حكومة العراق اعادة علاقاتها الدبلوماسية مع ايران ..

* (الاحصاء التربوي والنفسي) تأليف اي ، او ، لنكوست ، وتعريب الاستاذين ، دحام الكيال وسليم اسماعيل الغرابي ، مطبعة دار السلام بغداد في (392) صفحة متوسطة .

* انتهى الدكتور عبد الله سلوم السامرائي سفير العراق في الهند ، من كتابة بحث مطول عن « القاديانية » ومدى خطرها في الهند وافريقيا واوربا . ومن الجدير بالذكر ان الدكتور السامرائي قد اصدر قبل اشهر دراسة نفيسة عن الفرق المغالية في الاسلام كما حقق جزءا من كتاب :

« الزينة » للرازي والخاص بالفرق الاسلامية، كما انجز بحثا مفصلا عن شؤون القارة الهندية السياسية .

* (شط العرب في مجرى التاريخ والسياسة والقانون) للدكتور خالد العربي ، مطبعة الحوادث ـ بغداد ـ والكتاب دراسة وجيزة لموضوع شط العرب، ملخصة من اصول اطروحة بعنوان : (نزاع شط العرب في المفاهيم القانونية) نال بها المؤلف شهادة الدكتوراه من جامعة « جرونتجن » الحكومية في هولندا ، وطبعت باللغة الانجليزية بنفقة وزارة المعارف الهولندية في صيف عام 1971 ، كما تولت وزارة الاعلام العراقية اعادة طبعها بلغتها الاصلية (الانجليزية في سنة 1972 .

* افتتحت مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ، وتضم حاليا اكثر من عشرين الف كتاب ، منها (3992) مخطوطا ، وهي تضم ايضا خزائن مهمة من الخزائن الشخصية الخاصة ، منها : خزانة المرحوم الدكتور داود الجلبي والتي تحتوي على سبعة آلاف كتاب .

وللمكتبة هذه مكان خاص بها في محلة النبي شيث عليه السلام في الموصل .

* (الشعر العربي بين الاصالة والتجديد) للاستاذ الشاعر نعمان ماهر الكنعاني رئيس جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ـ مطبعة الشعر ـ بغداد . ويقع في (18) صحيفة متوسطة ، والبحث في الاصل كان محاضرة حاضر بها الاستاذ المؤلف سابقا .

* (التقويم الاسلامي) للمهندس حسوبي عبد الوهاب ، طبع في مطبعة الارشاد ، بغداد ، ويقع في (86) صفحة متوسطة .

والكتاب جديد فى بابه ، مهم فى موضوعه ، اذ تناول التقويم الاسلامي واهميته فى الدراسات الفلكية ومكانته فى التشريع والتاريخ الاسلامي .

※ (ادباء العراق المعاصرون) للاستاذ خليل ابراهيم عبد اللطيف ، ساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره ، ويقع فى (162) صفحة متوسطة (جزء اول) تناول فيه المؤلف سبعة وعشرين اديبا بين كاتب وشاعر من ادباء العراق المعاصرين من الشيوخ الشباب ، وقد طبع بمطبعة النعمان ــ النجف .

※ (كتاب الشطرنج) للاستاذ زهير احمد القيسي ، من منشورات مكتبة النهضة ــ بغداد ــ بيروت . يقع فى (112) صفحة متوسطة ، تناول فيه مؤلفه تاريخ الشطرنج عند الامم القديمة كالهندية والفارسية ، ثم عند العرب فى مصر والشام والاندلس والمغرب ، وقد ختم فصوله بنصوص قانون الشطرنج العالمي ، وقوانين تنظيم المباريات .

※ (شروط الطحاوي) فى اربعة مجلدات ، من تحقيق الاستاذ روحي اوزجان ، يشرف على طبعه وتصحيحه الاستاذ عبد الله محمد الجبوري .

※ (شرح الخراج لابي يوسف) مجلد اول المعروف بـ (الرتاج) للرحبي البغدادي ، من تحقيق الدكتور احمد عبيد الكبيسي .

※ (الاصول التاريخية للنفط العراقي) جزء أول من تاليف عبد الحميد العلوجي وخيضر عباس اللامي ، ومراجعة الدكتور صاحب ذهب ، من مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ، صدر ضمن سلسلة الكتب الجديدة رقم 58 ، وقد طبع فى دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ويقع فى 343 صفحة متوسطة الحجم .

※ (الرهن فى الشريعة الاسلامية) من تاليف فرج توفيق الوليد ، وهو بحث مقارن فى المذاهب الفقهية السبعة ، مقارنة مع القانون المدني العراقي ، والبحث رسالة ماجستير فى الشريعة الاسلامية ساعدت جامعة بغداد على نشره ، طبع فى مطبعة القضاء ــ النجف ــ فى 571 صفحة متوسطة الحجم .

الكـــويـــت :

※ « الفهرست الهجائية والترتيب المعجمي » من تاليف محمد سليمان الاشقر امين مكتبة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، نشرته دار البحوث العلمية بالكويت ، والدار العلمية ببيروت ، وقد دعا المؤلف فيه الى الالتزام بالفهرسة الهجائية المتقنة لكل ما يصدر من المؤلفات والمجلات العلمية خدمة للباحثين وتيسيرا على المراجعين .

※ توفى فى القدس المؤرخ المعروف عارف العارف بعد نضال استمر اكثر من 50 عاما ولقد ترك 18 كتابا مطبوعا و 23 مجلدا مخطوطا هي مذكراته اليومية عن احداث فلسطين مثبتة بالصور والارقام ، لقد كان رحمه الله الوحيد من نوعه فى هذا الميدان والخسارة بوفاته لا تعوض .

※ (معجم الفقه الحنبلي) مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة وهو فى (516) صفحة من القطع الكبير ، وينتهي بآخر حرف الشين ، وقد اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى الكويت الجزء الاول منه .

※ يصدر قريبا فى الكويت « الشعر العربي بين العامية والفصحى » لعبد الله زكريا الانصاري و « ديوان حمود الناصر البدر » لعبد الله عبد العزيز الدويش .

※ صدر عن الشركة العربية للوكالات والتوزيع فى البحرين « ديوان العريض » لشاعر البحرين ابراهيم العريض فى 678 صفحة ومجلد.

※ تبرعت حكومة الكويت مؤخرا بمبلغ خمسين الف دينار كويتي لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى القدس اسهاما منها فى اعمالها ونشاطاتها المختلفة .

※ اصدر وزير التربية الكويتي قرارا بمنع الاختلاط فى المدارس الاجنبية الخاصة فى المرحلتين المتوسطة والثانوية .

※ بلغ عدد الطلاب الجدد هذا العام فى (دار القرآن الكريم) بالكويت 416 طالبا .

※ ذكرت صحيفة الراي العام الكويتية ان حكومة الكويت اعربت عن استعدادها لشراء جميع الاراضي والممتلكات التي تعرض للبيع في القدس المحتلة وضواحيها لمنع اليهود الاسرائيليين من شرائها .. وقالت الصحيفة : ان امرا بهذا الصدد صدر عن الشيخ جابر الاحمد الصباح رئيس الوزراء وولي العهد يطلب فيه من سفارة الكويت في عمان شراء اية اراضي عرضت للبيع في القدس وضواحيها لحساب وزارة الاوقاف الكويتية ..

※ اعلن وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتية عن تأجيل موعد رحلته المقررة الى كل من صنعاء ومقديشو نظرا للظروف الراهنة .

وقال الوزير الكويتي راشد الفرحان انه يرحب بعقد لقاء عاجل لوزراء الاوقاف العرب للتدارس في المرحلة الراهنة وتعزيز وحدة الصف العربي .. واقترح الوزير تحويل جميع اموال صندوق الدعوة الاسلامية لصالح الجهاد المقدس ، ودعا لقيام حوار واتصالات مع جميع المسلمين في العالم للمشاركة في هذا الجهاد ..

قطر :

※ حصل الشيخ يوسف القرضاوي مدير المعهد الديني في قطر على شهادة الدكتورة من جامعة الازهر وموضوعها الزكاة في الاسلام واثرها في حل المشكلات الاجتماعية) . وكانت المناقشة باشراف الدكاترة عبد الرحمن عثمان مشرفا وعوض الله مجازي ومحمد السايس عضوين .

عدن :

※ قالت صحيفة (نداء الجنوب) ان المعركة المسلحة ضد الحكم الشيوعي في عدن بدات تكتسب ملامح اسلامية بارزة . فقد تكونت في منطقة الواحدي منظمة محاربة اسمها (جماعة المجاهدين) وان لهذه المنظمة عدة فرق اطلق عليها اسماء شخصيات اسلامية مثل فرقة « اسامة » وفرقة « أبي عبيدة » وفرقة « مصعب » التي وزعت منشورات في جميع انحاء منطقة الواحدي ودعت الشعب الى العودة الى الاسلام والنهوض ضد الطغمة الشيوعية الباغية في عدن .

اسيا

اندونيسيا :

※ يواجه مشروع قانون الزواج الذي تقدمت به الحكومة الاندونيسية معارضة شديدة من زعماء المسلمين في البلاد .. وينص مشروع القانون الجديد على شرعية تعدد الزوجات (بلا تحديد) وان اختلاف الدين لا يمثل عقبة في سبيل الزواج . وقد كتب الدكتور راسيدي احد كبار علماء المسلمين في صحيفة اراضي يقول : « انني اعلن ان مشروع القانون هو محاولة مستترة للتنصير ..» .

وقد اجتاحت مظاهرة من الشباب المسلم مبنى البرلمان ورددوا الشعارات ضد مشروع قانون بشأن الزواج واجبروا وزير الشؤون الدينية على الفرار .

※ اعلن شاب صيني اسلامه امام جمع من الناس احتشدوا في مسجد (عز الاسلام) وقال انه اعتنق هذا الدين بعد دراسة استمرت زمنا طويلا حتى اصبح مقتنعا به .. وقد اطلع على كثير من الكتب والدراسات الاسلامية ، واتصل ببعض المسلمين الذين شرحوا له حقيقة الاسلام ومزاياه.

واسم الشاب الصيني ـ قبل ان يعلن اسلامه ـ توسوي هوك وهو من خريجي معهد التربية البحرية باندونيسيا ..

※ حث وزير الشؤون الدينية الاندونيسي ، مفتي علي، الناشرين الاندونيسيين على الاهتمام بنشر اكثر من اربعة الاف نسخة من القرآن الكريم في العام .

وقد صرح الوزير بان البلاد تستورد او تقوم بطبع نصف مليون نسخة من القرآن الكريم في العام بينما تحتاج البلاد الى اربعة ملايين ونصف .

※ قال السيد معطي علي وزير الشؤون الدينية باندونيسيا انه يرفض الفكرة السائدة بين المسلمين الاندونيسيين من ان ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الاندونيسية هي امر قليل العناء .

* احتفل فى مدينة كوروتنالو بافتتاح (مركز الشعار الاسلامي) تحت رئاسة رئيس الجمهورية الاندونيسية بالنيابة السلطان هامنكو بوانا .

* ذكرت وكالة انتارا الاندونيسية للانباء ان الرئيس المصري محمد انور السادات دعا الرئيس الاندونيسي سوهارتو لزيارة مصر فى اول مناسبة. وقد رحب الرئيس سوهارتو بالقيام بهذه الزيارة .

* يعتزم الدكتور محمد ناصر ، رئيس وزراء اندونيسيا الاسبق وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ، اصدار كتاب جديد عن القاديانية قريبا ان شاء الله .. يفضح فيه مزاعمها وبطلانها .. ويكشف عن نشاطها فى اندونيسيا .

* اصدرت القيادة العسكرية فى سمارانج تعليمات الى جميع العسكريين ، تقضي بالعمل على مكافحة الخنافس ، واصحاب الشعور الطويلة، وقطع التعامل معهم حتى يبتعدوا عن هذه المظاهر الخلاعية والتي لا تليق بالشباب والمجتمع المسلم .

* اعلن الكولونيل سيوطي ـ وهو ضابط فى الجيش الاندونيسي ـ اعتناقه للدين الاسلامي ، امام جمع من ضباط الجيش الاندونيسي وكان الكولونيل سيوطي من اتباع البهائية ـ احد المذاهب الضالة ـ وقال انه بعد دراسة واقتناع قرر الدخول فى دين الاسلام .

* سيباشر العمل فى شهر يناير القادم 74 م فى ترميم مسجد أثري قديم فى مدينة دكك بمقاطعة سمارانج ـ عاصمة جاوا الوسطى ـ اعلن ذلك حاكم المقاطعة وقال : ان هذا المسجد الذى بني فى اول عهد الدولة الاسلامية فى هذه المقاطعة ، أثار اهتمام كثير من الباحثين والمؤرخين ورجال الآثار . وقد اشار اليه الدكتور دخراف الهولندي فى كتابه ـ تاريخ اندونيسيا ـ وذكر ان المسجد وما حوله من مقابر كلها آثار تاريخية .

* اعلن حاكم سومطرة الجنوبية باندونيسيا ان مسجد التقوى فى مقاطعة فيلمبانج سيكون مركزا للنشاط الاسلامي .. واضاف ان أعمال البناء ما تزال جارية لايجاد مكتبة وقاعة للمحاضرات ، واماكن استراحة لنزلاء البلاد ..

ويعتبر هذا المسجد اكبر مسجد ـ بعد الجامع الكبير ـ فى المقاطعة ، وقد بنى فى شهر فبراير 1973 وتبرع الرئيس سوهارتو بجانب من تكاليفه .. وكان حاكم سومطرة الجنوبيه أول من القى خطبة الجمعة فى المسجد .

* اعتنق الدين الاسلامي رئيس قبيلة فى جزيرة (تيمور) باندونيسيا وانضم اليه 15 000 شخص من اتباعه اعتنقوا الاسلام .

وقد اجتمع رئيس هذه القبيلة بوزير الشؤون المختصة ودرس معه احتياجات منطقته واوضاعها الدينية .

* قالت ثماني منظمات للشبيبة الاسلامية انها مستعدة للتطوع للقتال الى جانب الجيوش العربية ضد اسرائيل . وقالت ان الشباب المسلمين الاندونيسيين يؤيدون نضال الشعب العربي لتحرير أراضيه من الاحتلال الاسرائيلي .

وأعلنت المنظمات ان أعضاءها مستعدون للذهاب الى الجبهة للقتال ضد الصهيونية .

* اقيم خلال شهر رمضان المبارك مخيم كشفي ضم مئات الكشافين المسلمين فى اندونيسيا .. وقد اجرت ندوات لتدريس امور التربية الاسلامية والاخلاق الدينية .. كما اقيمت محاضرات اشترك فيها عدد من علماء الدين لبث الوعي الاسلامي فى نفوس الشباب .

* عقد الصينيون الذين اعتنقوا الاسلام حديثا ندوة فى مدينة (جوكجا) وتداعوا الى القيام بنشاط لحل الصينيه غير المسلمين على اعتناق الدين الاسلامي الحنيف وشرح مزاياه لهم .. وابدوا استعدادهم للتعاون مع الجمعية الصينية الاسلامية لهذا الغرض .

* حذر الرئيس الاندونيسي سوهارتو من الشيوعية وشرح الاساليب الملتوية التي يلجأ اليها الشيوعيون لتحقيق ماربهم الهدامة ، جاء ذلك فى كلمة القاها فى اجتماع هام عقده مجلس النواب الاندونيسي.

* اختتمت مسابقة تلاوة القرآن الكريم فى حفل كبير اقيم بهذه المناسبة .. واعلن فوز الحاج رحمت

كوبيس والسيدة نورسيه .. وقد تسلم كل منهما جائزة نقدية تبرع بها جلالة الملك فيصل المعظم .

ففي مدينة متارام اختتمت المسابقة السادسة لتلاوة القرآن الكريم والتي اقيمت في الفترة من 5 الى 12 سبتمبر الماضي .. وقد حصل فريق سومطرا الشمالية على كأس رئيس الجمهورية الاندونيسية واعلنت في الحفل الذي اقيم بهذه المناسبة اسماء الفائزين في المسابقة ..

وقد حصل الفائز الاول على تأدية فريضة الحج على نفقة الدولة .. وعلى مصحف وتفسير لمعاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية .

وقد شهد الحفل عدد كبير من المسؤولين وآلاف المواطنين من مسلمي اندونيسيا .

وقد وجهت رئاسة جمعية المحمدية في جاكرتا الشرقية خطاب شكر الى سعادة سفير جلالته في جاكرتا على المصاحف والكتب التي قدمتها السفارة باسم حكومة جلالة الملك فيصل المعظم في حفل مسابقة تلاوة القرآن الكريم .

وفي مسابقة احسن مقرىء واحسن مقرئة لتلاوة القرآن الكريم من طلبة الجامعات في جاكرتا فاز الطالب حسني محي الدين اردى بالجامعة الاسلامية الحكومية بالجائزة الاولى كما فازت السيدة حيفة من جامعة الطاهرية الاسلامية بجاكرتا بالجائزة الاولى لاحسن مقرئة .. وقد اشترك هذان الفائزان في المسابقة العامة لتلاوة القرآن الكريم .

* واجه فيلم (محمد رسول الله) معارضة شديدة في اندونيسيا .. واستنكر المسلمون اخراج هذا الفيلم وطالبوا بالعمل على وقف اخراجه حفاظا على قداسة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته .

* (لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم) كتاب جديد من ناصر مستشار عام رابطة العالم الاسلامي — يصدر قريبا ويتناول نشاط القاديانية في اندونيسيا ويكشف مزاعمها وبطلانها .

* (دور القيادة الدينية في التنمية) كان موضوع الندوة الخاصة التي نظمتها مؤسسة الطاقات العمالية باندونيسيا بالاشتراك مع وزارة الشؤون الدينية . وافتتح هذه الندوة نائب رئيس الجمهورية الذي قال في كلمته ان الدين الاسلامي هو الدافع لاعمال التنمية الاقتصادية . وعلى رجال الدين والعلماء تقع مسؤولية ذلك . وجدير بالذكر ان حوالي 44 عالما اشتركوا في هذه الندوة .

* صرح مدير الحج الاندونيسي ان حوالي 22.275 حاج يؤدون فريضة الحج جوا ومن المنتظر ان يؤدي فريضة الحج هذا العام حوالي 12.000 ماليزي مسلم زيادة عن حجاج موسم العام الماضي بنسبة 50 ٪ تقريبا .

* الاستاذة ام هانيء عمود باحقبين من اندونيسيا تعد رسالة دكتوراه موضوعها الحقوق الزوجية كما تقرر الشريعة الاسلامية ، وذلك في كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر ، تحت اشراف الدكتور عبد الحميد المناوي عميد كلية الشريعة باسيوط وقد اطلعت على المراجع المتعلقة بموضوعها .

* قالت المنظمة الاسلامية الاندونيسية انها دعت الحكومة الى حظر عرض افلام اليزابيث تايلور بسبب مساندتها العلنية لاسرائيل .

وقد جاء هذا النداء في مذكرة قدمت الى وزير الاعلام من مجلس التبليغ الاسلامي .

* اعتنق الدين الاسلامي سبعة وثلاثون شخصا من كلمنتان الجنوبية باندونيسيا . وقد اعلنوا اسلامهم امام القاضي الشرعي للمقاطعة .

وكان مائة وخمسون شخصا في نفس هذه المقاطعة قد اعلنوا اسلامهم وقد بدات هذه الظاهرة بعد زيارة عدد من الدعاة الى الاسلام لمنطقة كلمنتان الجنوبية . وقد تبرع عدد من الموسرين في مدينة بانجرماسين بالكتب الدينية والملابس وقدمت هيئات اسلامية مجموعة من المصاحف .

الباكستان :

* يمر شعبنا المسلم في باكستان بكارثة مهولة ومأساة مروعة اذ اجتاحت اراضيه سيول مدمرة اتت على الكثير من مدنه وقراه وادت الى مقتل الكثير من ابنائه وتشريد حوالي ثمانية ملايين منهم ، فاصبحوا

بدون مأوى ولا ملجأ ، يتوسدون التراب ويلتحفون السماء .

ان هذه المأساة من شأنها ان تقض مضاجع جميع القيارى الذين يتحسسون آلام اخوانهم ويعيشون معهم مصائبهم ، وانها لجديرة بأن تحرك الهمم وتستنهض الحمية الاسلامية للقيام بواجب الاعانة والمساعدة الى الاخوة المنكوبين ، وكلنا يعلم الوقفات الجريئة للشعب الباكستاني المؤمن الممتحن ودفاعه عن قضايا المسلمين وان نسينا فلا ننسى موقفه الصلب من الكيان الصهيوني اللقيط ! وجعل امكانياته وطاقاته الخيرة فى خدمة المعركة المقدسة ، نعم لقد ادى شعب باكستان الشقيق واجبه وقام بدوره في نصرة قضايا المسلمين ومشاركتهم ، وبقي على المسلمين ان يقوموا بواجبهم تجاه هذا الشعب الذي قدر له ان يمر بأقسى المحن واصعب المشاكل ، فالامس القريب مزقت وحدته وراح ضحية لمؤامرة عالميه استهدفت تفكيك وتفتيت الدولة المسلمة الكبرى ، كما ابتلى ما يزيد على تسعين الفا من ابنائه بأن يعيشوا ذل الاسر ومرارة القيد قرابة عشرين شهرا ، ونسأل الله لهم الفرج العاجل ، واليوم يتعرض لهذه الكارثة المدمرة

ايها المسلمون الغيارى : استجيبوا لنداء الضمير الاسلامي وحققوا قول نبيكم العظيم صلى الله عليه وسلم : ((المسلمون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى)) ، ان اخوانكم واخواتكم يعانون الجوع ، ويعيشون فى العراء، فهبوا لنجدتهم ، بادروا لنصرتهم ومساعدتهم .

هذا وقد قام سماحة آية الله العظمى الامام السيد محمد كاظم شر يعتمداري دام ظله — كما هو شأنه فى كل بالية ومحنة تنزل بالمسلمين — بدعم ومناصرة المتضررين ، فأفتى بضرورة اعانتهم وانتشالهم من محنتهم .

والله تعالى نسأل ان يجنب المسلمين امثال هذه الكوارث والمكاره ويحفظ لهذه الامة علماءها الاعلام حماة وملاذا لها حين تشتد الخطوب .

※ صدر قانون يضمن طباعة المصحف الشريف خلوا من الخطأ والزيف .. اقرت الجمعية الوطنية الباكستانية اصدار هذا القانون الذي تبنى تمريره في البرلمان السيد مولانا كوثر نيازي وزير الاعلام والحج والاوقاف الباكستاني ، ويقضي القانون ان تكون كل نسخة مطبوعة من المصحف الشريف فى الباكستان مقرونة بشهادة تضمن خلوها من الاخطاء .

※ تقوم شركة الملاحة البحرية الباكستانية بالتعاون حاليا مع غيرها من شركات الملاحة فى البلدان الاسلامية لزيادة حجم التبادل التجاري وتحسين وسائل الاتصال بين هذه الدول .

※ اصدر الاستاذ ابو الاعلى المودودي بيانا ندد فيه بالقوى السياسية الامريكية الروسية الصهيونية التى تشن حربا على المسلمين العرب . ودعا البيان الى الوقوف صفا واحدا الى جانب الاخوة المسلمين فى رحابهم المقدسة ضد عدوهم .

※ بعث ظفر جمال بلوشي رئيس اسلامي جمعية الطلبة فى الباكستان والامين العام المساعد للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ببرقية الى الامانة العامة للاتحاد يضع فيها امكانات اسلامي جمعية الطلبة فى الباكستان فى خدمة المعركة المقدسة التى يخوضها الاخوة العرب المسلمين ضد الصهيونية والاستعمار .

※ اقيمت صلوات خاصة فى اكثر من 6.000 مسجد فى جمهورية بنغلادش دعا فيها المصلون بالنصر ضد اسرائيل ، وقد اعلن مجيب الرحمن عن استعداد بلاده لارسال متطوعين للقتال ضد اليهود .

※ يتوقع ان يصل من الباكستان الى الحج هذا العام حوالي ثمانية آلاف حاج باكستاني عن طريق البر .

※ فى احدث احصاء عن مجموع عدد المسلمين فى اقطار العالم ، بلغ عدد المسلمين الاجمالي 732.986.000 شخصا . وتقوم احدى اكبر الهيئات الاسلامية ، باعداد هذا الاحصاء تمهيدا لنشره وتوزيعه ، وذلك بعد ان عكفت فترة طويلة على اعداده ، وباعتماد على مصادر رسمية وثيقة .

ومن واقع الاحصاء ، تتبين ان هناك واحدا وسبعين بلدا فى العالم يمثل المسلمون فيها اكثر من 50 فى المائة ، بالنسبة لعدد السكان الاجمالي .

وهذه بعض المعلومات التي وردت في الاحصاء: هناك 17 بلدا في العالم يشكل فيها المسلمون نسبة 100 في المائة و 22 بلدا يمثلون فيها 90 في المائة وما فوق ، 119 بلدا يمثلون فيها 80 في المائة وما فوق . و 3 بلدان 70 في المائة وما فوق . و 12 بلدا 50 في المائة وما فوق . و 3 بلدان 20 في المائة وما فوق . و 20 بلدا 10 في المائة وما فوق . و 16 بلدا يشكل فيها المسلمون نسبة تقل عن 10 في المائة .

الهنـــد :

※ وقعت اضطرابات طائفية بين المسلمين والهندوس في مقاطعة سابركنتا بولاية كوجرات حيث اضرم بعض رجال العصابات الهندوسية النار في متاجر المسلمين . هذا وقد قتل شخصان وجرح كثيرون آخرون .

※ قام المسلمون في ولاية آسام الهندية مؤخرا بالاعراب عن احتجاجهم ضد تعديل قانون الجامعة الاسلامية بعقد الاجتماعات واتخاذ القرارات بطريقة سلمية . ولكن رجال المخابرات في آسام اخذوا يسومون المسلمين العذاب ويتحرشون بكل من اشترك في تلك الاجتماعات واقتحم بعض رجال المخابرات المكتب الفرعي للجماعة الاسلامية بمدينة جوهاتي في آسام لا لسبب الا لان الجماعة الاسلامية تقدم تأييدها المعنوي للقضية .

※ (اذا هبت ريح الايمان) 280 صفحة من القطع المتوسط من تأليف ابي الحسن على الحسني الندوي صفحات رائعة وحقائق عجيبة عن المحاولة الناجحة لتجربة الحكم الاسلامي ايام الامام الشهيد احمد بن عرفان احد ابطال الاسلام بالهند . ونشرته دار الطباعة والتوزيع في لكهنو .

※ علم ان الكلية الاسلامية بكينادي بولاية كيرالا في جنوب الهند ـ تقوم بنشاط اسلامي وثقافي واسع . اذ يتخرج منها سنويا عدد من المرشدين الدعاة والذين يجمعون بين ثقافة عصرية واسلامية في وقت واحد .. وقد ساهمت هذه الكلية بدور كبير في المحافظة على العقيدة الاسلامية في كيرالا .. ولا سيما ان هذه الولاية تتعرض لكثير من الدعايات الماركسية الباطلة كما تتعرض لحملات الارساليات التبشيرية الرامية الى بث الشك والقلق في نفوس المسلمين وبالتالي اخراجهم الى الايدولوجيات الضالة .

ويرجع تأسيس هذه الكلية الى 15 سنة ، بذلت خلالها جهودا طيبة لتحقيق اهدافها الاسلامية النبيلة الهادفة الى نشر التعليم الديني والثقافة الاسلامية ..

وتضم الكلية في الوقت الحاضر سبعة معاهد اسلامية تدرس القرآن الكريم والفقه الاسلامي واللغة العربية بالاضافة الى العلوم الاخرى .. كما تضم قسما خاصا للفتيات المسلمات مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات بعد انهاء مرحلة التعليم الابتدائي ومدتها سبع سنوات ..

ويدرس في هذه الكلية الآن حوالي 1600 طالب .

ماليـــزيـــا :

※ قام معالي السيد اونكو محسن بن عبد القادر وزير الثقافة والشباب في ماليزيا بزيارة خاصة للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حيث اجتمع معاليه بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة ، ثم تفقد اقسام الجامعة واجتمع بالطلاب الماليزيين الذين يدرسون بالجامعة .

※ بلغ عدد الحجاج الماليزيين الذين وصلوا الى جدة حتى الآن 5000 حاج واكد مصدر بالسفارة الماليزية ان عدد الحجاج الذين سيؤدون فريضة الحج هذا العام طبقا للاحصاءات الرسمية يقدر بحوالي اربعة عشر الف حاج منهم عشرة آلاف سيصلون بطريق البحر واربعة آلاف بطريق الجو وصرح سعادة سفير ماليزيا لدى المملكة لوكالة الانباء السعودية بانه قد قام بزيارة تفقدية للحجاج واطمأن عليهم في اماكن اقامتهم وقال سعادته ان هؤلاء الحجاج اكدوا له انهم يجدون عناية فائقة من قبل جميع السلطات المسؤولة وان هذه العناية والتسهيلات والخدمات الملحوظة هي ما اعتادوه كل عام عند قدومهم لاداء مناسك الحج وهي خطوات ستتلوها خطوات حتى يتم اداء الفريضة واضاف سعادة السفير قائلا انني الى جانب ما اعربه لي الحجاج فانني قد لمست هذا شخصيا وقد وجدت الاهتمام بالحجاج يسير كما تم التخطيط له من قبل المسؤولين في مختلف الدوائر ذات العلاقة المباشرة بشؤون الحجاج ..

تايلند :

* بعث بابا ادريس القائد العام لجبهة تحريراقليم فطاني بمذكرة الى الجهات الرسمية التايلندية تضمنت ضرورة تدريس الدراسات الاسلامية فى المدارس والكليات والجامعة فى المقاطعات الاربع فى اقليم فطاني حيث يشكل المسلمون 90 ٪ من السكان كما طالب الحكومة بتخصيص مبالغ فى الميزانية لرواتب المدرسين العاملين فى المدارس الاسلامية . كما شرحت المذكرة الاعتداءات التى تقوم بها القوات الحكومية فى قتل واغتصاب سكان القرى .

الفلبين :

* قررت حكومة الفلبين تعيين لبنيجدنيج باتجا ندامان ، احد الزعماء المسلمين البارزين فى الفلبين سفيرا لها فى المملكة العربية السعودية .

* علم ان 3000 مسلم فلبيني سيؤدون فريضة الحج هذا العام .. وهو رقم قياسي.

كوريا :

* اعتنق الدين الاسلامي نحو 3500 شخص فى كوريا الجنوبية ، وذلك ما بين عام 1950 م و 1953 م.

اشارت الى ذلك صحيفة « ابدى » التى تصدر فى جاكارتا فى مقال نشرته بعنوان (الاسلام باخذ فى الانتشار فى كوريا الجنوبية) واشادت الجريدة بمواقف بعض الاقطار الاسلامية ورابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، وكان سعادة السيد ابراهيم السقاف عضو المجلس التأسيسي للرابطة قد زار كوريا الجنوبية ثلاث مرات ..

فيجي :

تلقى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي رسالة من السكرتير العام لنظمة الشباب المسلم فى — فيجي — عن احوال المسلمين فى هذه الجزر ..

وقد اهتم الامين العام للرابطة واعرب عن استعداد الرابطة للتعاون مع المنظمة ، ووعد بما يحقق مصالح المسلمين هناك ان شاء الله ويرفع من مستواهم .

جزر الكاريبي :

* عقد مؤتمر اسلامي جمع المسلمين فى جزر الكاريبي وبحث موضوع الوحدة بين المسلمين .. وقد حضر المؤتمر اكثر من 50 شخصا يمثلون الجماعات الاسلامية فى هذه الجزر والتي تمثل الاقليات النشيطة اقتصاديا واجتماعيا .

ولقد شاركت الامانة العامةلرابطة العالم الاسلامي فى هذا المؤتمر ، حيث انتدب الامين العام للرابطة ، الدكتور مجاهد الصواف الذي قام بنشاط اسلامي ملحوظ ..

استراليا :

* نشر البروفسور دنيس ووكر الاستاذ بقسم الشرق لاوسط بجامعة ملبورن فى استراليا الذى يعد من اصدقاء دعوة الحق وكتابها ومراسليها النداء التالي الى العالم الاسلامي: « غينيا الجديدة فى حاجة ماسة الى الكتب التي تعرف ملايين السود بالعقيدة الاسلامية ، ارسلوا ما فاض لديكم من المجلات والنشرات والكتب ... من الدول الاسلامية باللغة الانجليزية للطلبة السود بالجامعة بغينيا الجديدة)) .

* حصل كل من باتريك وايت وفاسيلي ليونتيف على جائزة نوبل ، الاول فى الآداب لسنة 1973 والثاني فى الاقتصاد لنفس السنة .

وباتريك وايت استرالي، وجائزته هذه كوفيء بها على — فن قصص ملحمي ونفسي ادخل بواسطته جزء جديدا من العالم الى الادب — كما قالت لجنة الآداب التابعة للاكاديمية فى بيان لها عقب اعلانها اسم الفائز .

ووارت اول استرالي يتلقى جائزة نوبل للاداب ، وقبله اثنان من مواطنيه تلقيا نوبل الطب: البروفيسور بورنت — 1960 — والبروفيسور اكلس — 1963 — والجائزة قدرها 000 510 كرون اسوجي ، سيتسلمها صاحبها من الملك شارل غوستاف فى الحفل التقليدي يوم 10 دجنبر ، يوم وفاة نوبل مؤسس الجائزة .

انه من سلالة اولئك المساجين البريطانيين الاوائل الذين اقاموا على الشاطىء الجنوبي من استراليا، ولد فى انجلترا فى 28 ماي 1912 . وطفولته ومراهقته مرتا معا فى كلا البلدين ، بريطانيا واستراليا ، وتخرج مجازا فى اللغات ـ فرنسية والمانية ـ من المدرسة المشهورة سكينفز كولدج ـ فى كبردج ، ونشر فى لندن روايتيه الاوليين ـ (الوادي السعيد) 1939 ، وقد ظهرت مترجمة فى فرنسا ، و (الاحياء والاموات) 1941 .

وفى الحرب العالمية الثانية استدعى الى دائرة المخابرات التابعة لسلاح الطيران البريطاني وارسل الى الشرق الادنى واليونان .

وبعد نهاية الحرب عاد يقيم فى استراليا ، فى ضواحي سيدني ، حيث راح يزرع حديقته ويربي حيوانات وداجن، ولا يكتب الا تلبية لمتعة، كتابة متمهلة بطيئة صارفا سنوات عدة على انضاج كتاب ، وغير مشتغل فى هذا الكتاب الا متى لج به الحنين الى معاودة اكمالـه .

واول رواية طويلة له هي ـ حكاية عمة ـ صدرت فى 1948 وصورت ، من ذلك الحين ، (العالم الداخلي) الذي غالبا يضج بالالم والذي يغمر شخصياته .

ثم (شجرة الانسان) 1955 تصور حياة زوجين مقيمين فى الغابة رويدا رويدا تتقرب المدينة منهما وتبلعهما .

ثم كتاب (فوس) 1957 ظهر فى فرنسا 1967 حكاية مستكشف الماني من القرن الماضي يجد الموت وهو يعبر الصحارى الاسترالية .

اوروبـــا :

اسبانيــا :

❊ اعلن البروفيسور (بيدروخل مثى) رئيس قسم التعريب فى جامعة مدريد والذي اشترك فى مؤتمر التاريخ الدولي بأن حكومة اسبانيا قررت اعادة مسجد قرطبة الى المسلمين واعادة الصلاة فيه ، وقد جاء هذا الاجراء بعد 800 عام من الاضطهاد ، كما قررت الحكومة المذكورة نقل الكنائس التي اقيمت داخل المساجد الى خارجها .

❊ قالت مجلة المنار التى تصدر باللغة الاسبانية انه صدرت ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالاسبانية .

فـرنســا :

❊ استطاعت رابطة الطلبة المسلمين فى فرنسا الحصول على رخصة لانشاء ((الجمعية الاسلامية)) التي ستضم رسميا العمال المسلمين الى جانب اخوانهم الطلاب .

بلغ عدد المشتركين فى مؤتمر المستشرقين الذي عقد فى باريس مؤخرا اكثر من ثلاثة آلاف شخص ، وكان بينهم عدد كبير من طلبة الجامعات المختلفة .

❊ ينظم مكتب الجامعة العربية فى باريس بالاشتراك مع رابطة التضامن العربي الفرنسي اسبوعا للثقافة العربية فى مدينة ستراسبورغ بفرنسا .

وسيقام خلال الاسبوع معرض دائم للكتب واللوحات العربية ، كما ستعقد عدة اجتماعات يتحدث خلالها عدد من الشخصيات الفرنسية البارزة عن الاسلام واثر الحضارة العربية الاسلامية على العالم الغربي والتطور الذى حققته الدول العربية .

كما ستقام بهذه المناسبة امسية للموسيقى العربية القديمة والمعاصرة .

❊ صدر عن مكتبة ((لاروس)) فى باريس المعروفة باصدار القواميس والموسوعات ((لاروس : المعجم العربي الحديث)) ويضم 500 53 كلمة معرفة و 525 2 رسما و 16 صفحة فنية ملونة . تاليف الدكتور خليل الجر الاستاذ فى الجامعة اللبنانية وفى معهد الآداب الشرقية ، وقد اسهم فى تحرير القسم اللغوي منه محمد خليل الباشا وهاني أبو مصلح ، واعاد النظر فيه محمد الشايب مبرز فى العربية ، ويقع فى 320 1 صفحة ، ويطلب من مكتبات انطوان الوكلاء فى لبنان والبلاد العربية .

❊ صدر كتاب جديد عن موليير بعنوان: « موليير » : مسرح ودراسة بالانجليزية ، يتضمن الكتاب 19 مقالا علميا كتبها اخصائيون فى مسرح موليير ، وهذا الكتاب يساهم فى اعادة الاعتبار

ككاتب مسرحي حي وليس مجرد فنان من التاريخ ، كما ان تلك الدراسات الاختصاصية تبين كيف يمكن للدراسة الاكاديمية ان تؤثر في العمل المسرحي نفسه ، انها ذات اهمية سواء بالنسبة للمخرجين او الممثلين ، لقد كان للبروفسور دبليوجي موور فضل البدء في ذلك على صعيد اكاديمي .

الظريف ان احد المساهمين في الكتاب وهو دي سي بوتي كرس مقاله للمقارنة بين موليير وبريخت ، بينما تحدث ثلاثة من المساهمين عن النواحي الاجتماعية في مسرحيات موليير، ويشير مساهم آخر الى اثر الفيلسوف باسكال على معاصره موليير .

※ منحت الاكاديمية الفرنسية جائزتها هذا العام للكاتب الفرنسي « لويس جيو » صاحب روايات « خبز الشعب » ، و « خبز الاحلام » ، و « لعبة الصبر » . قالت لجنة الجائزة عن الكاتب انه يجسد الشعور القومي في فرنسا .

سويسرا :

※ تبرعت حكومة المملكة العربية السعودية باكثر من خمسين الف ريال كمساهمة في شراء قطعة أرض لبناء مسجد ومقبرة للمسلمين في جنيف بسويسرا .

بلجيكا :

※ ستعقد رابطة القانون الدولي اجتماعا في مدينة بروكسل احتفالا بمرور مائة عام على تأسيسها . ويبدأ الاجتماع في يوم 30 اغسطس — آب — ويستمر حتى أول سبتمبر — ايلول — . وخلال الاجتماع ستعقد جلسات تناقش فيها الخلافات الدولية وحرية الفرد والبيئة الحيوية للانسان .

ومهمة هذه الرابطة التي اسست في عام 1873 هي شرح وتوضيح مبادىء القانون الدولي الى جانب الاشراف على توخي الدقة والامانة في تطبيقها .

المانيا :

※ احتفل اكثر من 30 الف مسلم من سكان بافاريا في المانيا الغربية بافتتاح المركز الاسلامي الجديد في مدينة ميونخ .. ويضم المركز الاسلامي الجديد مسجدا وبيتا للطلبة ومكتبة وقاعة للاجتماعات .

هذا وقد حضر الامين العام للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية الدكتور احمد توتونجي حفلة الافتتاح هذه ..

※ توصل المعهد القومي للصم — البكم في هانوفر بجمهورية المانيا الفيدرالية الى اكتشاف تليفون على طريقة بريل يمكن بالنسبة للصم — البكم ادارة قرصه للحصول على الرقم الذي يريدون الاتصال به . ويتم تنبيه الشخص المراد الاتصال به عن طريق جهاز يحدث ذبذبات بدل الرنين العادي للتليفون ثم يتم بعد ذلك نسخ الرسالة على شريط من اشرطة بريل .

※ اصدر المركز الاسلامي في آخن في المانيا الغربية بيانا وجهه لجميع العرب والمسلمين في كل مكان دعاهم فيه الى الوقوف صفا واحدا الى جانب العدالة والحق ، وان يساهموا كل حسب طاقته وامكانياته في معركة المسلمين ضد اليهودية الطاغية. كما بعث المركز ببرقيات الى الرئيسين المصري — السوري يعلن فيه تأييده للحرب العادلة التى تخوضها الامة في الوقت الحاضر .

※ تجري جامعة ميونيخ دراسة حول تطور اللغة العربية منذ عام 1911 حتى 1967 مستخدمة في ذلك الصحف والمجلات والوثائق العربية التى صدرت خلال تلك الحقبة .

※ نظم في برلين مؤخرا معرض دولي للكتب الجميلة شاركت فيه دول عديدة من العالم ، وقد لاقى المعرض نجاحا كبيرا وشهدت قاعات بناية تلفزيون برلين ، حيث اقيم المعرض ، اقبالا غير مألوف من الزوار .

وامتاز المعرض من غيره من المعارض المماثلة بانه سمح للزوار بتفحص الكتب وتقليب صفحاتها وقراءة محتويات بعض ما يختارون ومع ان منظمي المعرض قد علقوا ايام الافتتاح الاولى لافتات تدعو الزوار الى عدم اطالة المكث وفسح المجال للمشاهدة والقراءة امام الآخرين فان الكثيرين فضلوا فحص محتويات كتب المعرض الجميلة على التطلع الى اللافتات المذكورة .

وقد اختيرت اربعة كتب واعتبرت اجمل كتب العالم ، وهي « حيوانات العالم البرية » الصادر عن

احدى دور النشر فى المانيا الديمقراطية ، الكتاب البلغاري المصور « صور بلغارية حديثة » ، الكتاب البولوني « الطباعة البولونية فى القرن السادس عشر » اما الكتاب الرابع فكان من كوبا .

المجــــــر :

✻ الف الاستاذ المستشرق عبد الكريم جرمانوس كتابا ضخما عن تاريخ الادب العربي يوشك ان يصدر ببودابست .

تركيـــــا :

✻ يعد الاستاذ حسين ايدن من تركيا ، رسالة الدكتوراه موضوعها : « كتاب مختصر المعاني للحارث ابن اسد المحاسبي ، وذلك فى كلية الآداب بجامعة انقرة تحت اشراف الدكتور ابراهيم جوبكجو الاستاذ بالكلية اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

✻ سيؤدي نحو 35 الف مسلم تركي فريضة الحج هذا العام . كان عدد الحجاج الاتراك فى العام الماضي حوالي 24 الف حاج . وقد قررت الحكومة التركية ان ينتقل الحجاج الى الاراضي المقدســــة بطريق الجو .

الاتحـــاد السوفياتـــي :

✻ يدرس حاليا 400 طالب فى الجامعة التــــي انشئت اخيرا فى مدينة سيكتيفكار وهـــي عاصمـــة جمهورية كومى المستقلة الواقعة بالجزء الشمالــــي الغربي من المنطقة الاوربية فى الاتحاد السوفياتـــي . وبهذا يصبح عدد الجامعات الموجـــودة فى الاتحـــاد السوفياتي 59 جامعة ، ويبلغ عدد الطلبة المسجلين بها حوالي 500 الف طالب .

✻ انعقد فى اوائل سبتمبر الماضـــي بمدينـــة (الما ـ آتا) عاصمة جمهورية كازا خستان السوفياتية المؤتمر الخامس لكتاب آسيا وافريقيا شارك فيه ممثلو 55 بلدا من القارتين ، وممثلون عن 17 منظمة ورابطة ادبية فى عدد من البلدان .

ودارت المناقشات حول سبل واشكال توحيد الكتاب واعلاء قيمة الابداع الفني ثقافيا واجتماعيـــا وسياسيا ، والتعريف بآداب افريقيا وآسيا والاسهام فى نضال الشعوب .

واعيد انتخاب الاستاذ يوسف السباعي وزيـــر الثقافة بجمهورية مصر العربية امينا عاما لرابطة كتاب آسيا وافريقيـــا .

واتفق على ان يعقد المؤتمر القادم عـــام 1977 بكينيا ، وسلمت اثناء المؤتمر جائزة (اللوتس) الادبية الدولية التي منحت للاديب الجزائري كاتب ياسين .

وعقب المؤتمر اقيمت بمدينة يريفان عاصمـــة جمهورية ارمينيا السوفياتية ندوة شعرية تحت شعار (الشعر الافريقي الاسيوي وبعض قضايا العصر) وقد اسهم الكتاب العرب فى هذه الندوة بثلاثة ابحاث قدمها كل من الدكتور عز الدين اسماعيل من مصر وصفوان قدسي من سوريا والشاعر ادونيس من لبنان .

✻ اقيم فى الفترة من 5 ـ 7 سبتمبر الماضي بمدينة طشقند مؤتمر وطني علمي بمناسبة الذكـــرى الالفية لولادة العالم الموسوعي الكبير (ابي الريحـــان احمد البيروني) احد ابناء آسيا الوسطى ، واشترك فى المؤتمر علماء ومستشرقون من مختلف انحـــاء العالم ، وقد خلف البيروني وراءه زهاء 150 مؤلفا فى مختلف المواضيع ، وله مراسلات مشهورة مع ابـــن سينـــــا .

✻ يحتفل العالم فى هذا العام بناء على قـــرار اليونيسكو بالذكرى السنوية الستمائة للمفكر والشاعر الاذربي الكبير عماد الدين النسيمي . واحتفـــالا بهذا اليوبيل يقوم استوديو ((اذربيجان شريـــط)) للافلام السينمائية بتصوير شريط روائـــي عريـــض الشاشة بالالوان الطبيعية عن النسيمي .

وقد قام واضعوا القصة السينمائية ومخـــرج الشريط وكبير مصوريه بدراسة التـــراث الادبـــي للنسيمي دراسة عميقة شاملة ، ودرسوا ايضا العديد من الوثائق التاريخية عن عصره . وكانوا يهتمون بكل شيء : ما كان مظهر الناس منذ ستمائة قرن ؟ وماذا كانوا يرتدون من الملابس ؟ وكيف كانوا يتحدثـــون ؟ وكيف كان شكل منازلهم ؟ فقد كان أصحاب الشريط حريصين جدا على اعطاء صورة صادقة عن العصر فى كل التفاصيل . ويقول مخرج الشريط غسان سيـــد بيلي : ـ انه شريط يتحدث عن النسيمي ليس كشاعر موهوب فقط ، كان الشرق كله يردد أبياته بل ويتحدث

عن النسيمي فيلسوفا انسانيا مناضلا شجاعا في سبيل الانسان وسعادته وحريته .

لقد قال النسيمي في عصره القاسي متحديا الطغاة : ((من زرع شوك الطغيان يحصد عاصفة العصيان)) .

وكان الشاعر يكافح ضد الظلم الاجتماعي وينادي بمساواة الناس على اختلاف اديانهم .

ويتحدث الشريط عن اهم الاحداث في حياة النسيمي وعن نضاله ونهايته المأسوية . وبما كان اصحاب الشريط حريصين كما ذكرنا انفا على اعطاء صورة صادقة لعصر النسيمي تخلوا كليا عن التقاط مشاهد الشريط في الاستوديو وصوروها ، اما بين المناظر الطبيعية اما في الاماكن التاريخية التي تعود الى عصر النسيمي .

وكان نصيب الشاعر مليئا بالمحن والحرمان والمطاردة التي جعلته يتجول في ارجاء الشرق كله . ولذلك صورنا فيلما في باكوونا خيتشيفان وحوا وسمرقاد وحتى مدينة حلب السورية لقى الشاعر الطامح الى الحرية منذ ستمائة قرون ، آخره على يد المتعصبين .

ويؤدي دور عماد الدين النسيمي في الشريط الممثل الشاب راسم بالايف .

بريطانيا :

* اكد المستشرق البريطاني السابق البروفيسور (داود كاون) الذي سبق له ان اعتنق الاسلام منذ سنة 1932 ــ في حديث القاه على طلبة كلية الامام الاعظم ببغداد في زيارة لها انه يرى ان مستقبل العالم هو في الاتجاه نحو الاسلام وان هذا هو الحل الوحيد البديل للفوضى التي تضرب اطنابها في اوربا في العصر الحاضر .

* افتتح في لندن المؤتمر السنوي الثالث لمنظمة اتحاد مسلمي المملكة المتحدة وايرلندا ، ويضم الاتحاد في عضويته 61 منظمة تمثل الجالية الاسلامية الكبيرة في بريطانيا والتي يبلغ تعدادها مليون شخص .

* دعت صحيفة « الشرق الجديد » التي تصدر باللغة العربية في لندن العرب المقيمين في بريطانيا وفي اوربا عامة الى مقاطعة البضائع والبنوك والمؤسسات والمعارض اليهودية ..

* ابرزت الصحف الانجليزية نبأ اسلام اميرة انجليزية تزوجت من ولي عهد « سرواك ».

وقد ذكرت الاميرة الاسباب الحقيقية التي دفعتها الى اعتناق الدين الاسلامي فقالت في حديث لها :

« لما زرت بلاد « سرواك » لاول مرة منذ سنوات اتاحت لي هذه الزيارة فرصة لدراسة معيشة الطوائف الدينية المقيمة في هذه البلاد فان في سرواك ثمانين الف مسلم ضمن سكانها الذين يبلغون 600.000 نسمة يوجد ايضا بوذيون وبراهمة ووثنيون ومسيحيون .

وقد جذبتني كثيرا للرعايا المسلمين احوالهم الخلقية .. بحيث ادركت منها فضائل وكمال الاسلام وبعد دراسات عميقة لتعاليم تلك الديانة دهشت لما في الاسلام من طهارة وحكمة ويسر وشعرت بأن قلبي وروحي مغموران بهذه الهداية السماوية التي هي في غاية الملاءمة لعقول البشر .

واني آنس في نفسي الثقة بأن البلاد الاسلامية سيكون لها في المستقبل شأن جليل في التاريخ ولهذا السبب اصدرت مجلة في باريس باسم « مجلة الاخبار الاسلامية » .

وقد قال برنارد شو ــ وانا موافقة له تمام الموافقة ــ : « ان الاسلام هو دين المستقبل » .

امريكا :

* علم ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي اعتمدت مبلغ خمسة آلاف دولار امريكي تبرعا سنويا منها لجماعة دار الاسلام في نيويورك ، وذلك مساهمة في نشر الدعوة الاسلامية ، ودعمها في انحاء العالم .

* تعد الاستاذة ايميليا سافاج سميث ، الباحثة في متحف سميشونيان بالولايات المتحدة الامريكية بحثا في امراض العيون عند العرب ، وقد اطلعت على عدد من المخطوطات الطبية في الموضوع .

* علم ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي اعتمدت مبلغ خمسة آلاف دولار امريكي تبرعا سنويا منها لجماعة دار الاسلام في نيويورك، وذلك مساهمة في نشر الدعوة الاسلامية ، ودعمها في انحاء العالم .

* ازداد الآن اهتمام الامريكيين بالتراث العلمي العربي ذلك أن جامعة يوتا حصلت مؤخرا على واحدة من انفس المجموعات العلمية العربية وتعرف باسم مجموعة (مارتن لفيه) وهذه المجموعة التي يعتبرها العلماء من الطراز الاول من حيث تغطيتها التاريخ العلمي ، تضم عددا من الكتب والمخطوطات التى تبحث في جميع المواضيع العلمية والطبية التى عرفها الانسان حتى القرن الرابع عشر ، وهي تشتمل على 3000 كتاب و 5000 مخطوطة مصورة بالميكروفيلم باللغات العربية والفرنسية والالمانية .

سبق أن حاولت عدة جامعات كبيرة شراء هذه المجموعة الا أنها لم تقبل الشروط التى اشترطتها ارملة الدكتور – ليفيه – .

فهرس العدد الثالث ـ السنة السادسة عشرة

صفحة